مأساة فلسطين

بين الأنتداب البريطانى ودولة أسرائيل



أحمد زكى الدجانى

مأساة فلسطين بين الانتداب البريطاني ودولة إسرائيل

مأساة فلسطين بين الانتداب البريطانى ودولة إسرائيل
أحمد ذكى الدجاني
الطبعة الأولى ١٩٩٩

الغلاف: هشام بهجت

الناشر: دار المستقبل العربى
٤١ شارع بيروت • مصر الجديد • القاهرة
ج. م. ع ، تليفون ٢٩٠٤٧٢٧

رقم الإيداع بدار الكتب القومية : ٩٩/١٦٤٤٩
الترقيم الدولى : ISBN 977 - 239 - 154 - 6

مأساة فلسطين

بين الانتداب البريطانى ودولة إسرائيل

أحمد ذكى الدجاني



دار المستقبل العربى

إهـــــداء

إلى ارواح المجاهدين الصادقين من أبناء فلسطين الذين جادوا بالمهج والأرواح في سبيل وطنهم.

ولكل فلسطيني يعيش خارج وطنه صامداً مترقباً يوم العودة يحمل في جيبه مفتاح بيته او وثيقة ملكية أرضه.

المقدمة
مقتطفات من ملف القضية الفلسطينية

لم تحظ قضية كما حظيت القضية الفلسطينية من حصاد هائل من الكتب والوثائق والمعلومات والتى أثارت اهتمام الكتاب والمؤرخين بعضهم كان يبحث عن الحقائق التاريخية وهم قلة وأكثرهم كان يلوي ذراع تلك الحقائق وينحاز إلى الجانب المعادي للعرب والفلسطينيين سواء بتأثير الدعاية الصهيونية المسيطرة على وسائل الإعلام في أوربا وأمريكا أو بالتعاطف الديني الذى يربط الديانتين اليهودية والمسيحية.

إن أكثر لغات العالم كتبت عن القضية الفلسطينية وتجاوز ما صدر من دور النشر المختلفة عدة مئات أو آلاف من الإصدارات ولكن الكثير من تلك الكتابات كانت تخضع لميول المؤرخ واجتهاداته الشخصية التى كانت تبحث عن الأسباب والمبررات لتلك المأساة الفلسطينية.

وقد ثبت أن الأحداث التاريخية الموثقة لاتكفي أحيانا لإثارة اهتمام المؤرخ بقدر ما تؤثر عليه وسائل الإعلام والأحداث التاريخية المشوهة.

صحيح أن بعض تلك المؤلفات التى صدرت عن القضية الفلسطينية كانت زاخرة بكافة التفاصيل وأن الصحف والمجلات والدوريات قد أسهمت ولاتزال تسهم بشرح أبعاد تلك القضية التى لاتزال تشغل أكثر بلاد العالم وبصفة خاصة عالمنا العربي والإسلامي.

لايجب أن نغفل العامل السياسي وأطماع الدول الاستعمارية التى لعبت دورا آخر هاما في هذه القضية وفي تحقيق الأهداف الصهيونية ومصلحة الدول الغربية لغرس هذه الدولة في قلب العالم العربي وتحويل المنطقة طيلة أكثر من قرن من الزمان إلى نوع من عدم الاستقرار والمنازعات وإلى استنزاف العالم العربي وإبقائه متخلفا.

إن اختيار مواقف معينة وأحداثاً هامة في صورة مبسطة ومختصرة هي التى رغبت من خلالها تقديم هذه القضية البالغة التعقيد إلى الشباب من أبناء وطننا العربي الذى لايستطيع أو لا يجد الإمكانيات للاطلاع على المؤلفات المتخصصة والمراجع الأكاديمية.

وهكذا يستطيع جيل الشباب الإلمام بقضيته وما يحاك حولها من مؤامرات وما يكتب ضدها من أبحاث مغرضة من خلال الدراسة المبسطة.

إن الانتقال بتركيز بين جوانب هذه القضية يسهل على القارئ العادي الإلمام بأحداثهاالهامة منذ نشأتها في أواخر القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين.

ولعلي أحاول بهذه المقتطفات التقاط الملامح الرئيسية لما شهدته فلسطين طيلة قرن من الزمان ولكني لاأزعم أننى غطيت كل الأحداث والتفاصيل لأن ذلك يحتاج إلى الموسوعات المفصلة.

أتحدث في هذا الملف عن قضية فريدة اقتلع فيها شعب من أرضه ليمنح لمجموعة من الناس تعتنق الديانة اليهودية ولا أقول الشعب اليهودي لأنه لم يكن هناك شعب متجانس يسكن في أرض واحدة ويتكلم لغة واحدة ويعتنق عادات وتقاليد واحدة.

وقد لاحظت أن أكثر الأساتذة والمؤرخين والمحللين السياسيين مشغولون في السنوات الأخيرة بالحديث عن أسباب ضياع فلسطين بعد سنة ١٩٤٨ مع إهمال جانب آخر من القضية وهي الأحداث الأولى التى مرت بها فصول هذه المأساة منذ العهد العثماني في القرن الماضي والمراحل المختلفة بداية بالاحتلال البريطاني العسكري لفلسطين وفرض الانتداب والتصميم على إنشاء الوطن القومي اليهودي.

ومن الأخطاء التى يقع فيها الكثيرون لضحالة اطلاعهم على جميع المراحل التى مرت بها القضية الفلسطينيية ولتأثرهم أحيانا بالدعاية الصهيونية والغربية فرددوا مثلا أن الفلسطينيين هم الذين باعوا أرضهم وسلموها لليهود وأشاعوا أيضا أن الفلسطينيين لم يحاربوا ولم يضحوا في سبيل المحافظة على وطنهم وأنهم غادروا ديارهم وبيوتهم هربا من مواجهة اليهود طيلة مراحل الصراع في فلسطين.

إن الصراع العربي الإسرائيلي الذى بدأ مع نهاية القرن الماضي ولم تنته فصوله بعد وهو في جوهره صراع على الأرض – أرض فلسطين التى هي قلب الوطن العربي –

إنه صراع شعب يدافع عن أرضه ووطنه في مواجهة أعتى غزوة صهيونية استعمارية تبناها الانتداب البريطاني في البدء ثم انتقل إلى رحاب القوة الأمريكية وسطوتها في هذا العالم. ويبرز من خلال هذا الصراع الذى تمر به هذه القضية دائما الضعف والتخلف العربي مما سهل كثيرا مهمة الصهيونية العالمية والدول الاستعمارية لتحقيق أهدافها في هذه المنطقة.

ولاشك أن الفجوة الواسعة في المستوى الثقافي والاجتماعي والعسكري بين العرب وإسرائيل لعب دورا هاما في تحقيق الحلم الإسرائيلي حتى الآن.

يجب أن نتذكر أن وعد بلفور هو الأساس الذى بني عليه الوطن القومي اليهودي في فلسطين وأن هذا الوعد لقي استحسان أكثر الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية ورغم الانتفاضات والثورات التى اجتاحت فلسطين طيلة عشرات السنين والخسائر في الأنفس والأملاك ظلت الحكومة البريطانية جامدة لاتتحرك وأصبحت منقادة تماما لضغوط الصهيونية. حتى إن لجان التحقيق التى كانت تعينها الحكومة البريطانية للبحث والتحقيق في المشكلة الفلسطينية لم تكن تقاريرها تحظى بالقبول لدى المسئولين في لندن وكانت الأوساط البريطانية تشيع دائما أن الاضطرابات في فلسطين نتيجة إثارة مدبرة تعزى إلى طبقات الأفندية والعائلات أو المطامع السياسية لدى مفتي فلسطين الأكبر الحاج أمين الحسيني أو من عملاء من إيطاليا وألمانيا قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية، وتغفل تلك الأوساط النتائج الاقتصادية التى قام بها الصهيونيون من أعمال ومشروعات أدت إلى أفدح الأضرار بالفلاح الفلسطيني وهو يشكل لب المشكلة التى كانت دوما تؤدي إلى قيام الانتفاضات والثورات.

تركزت الدعاية الصهيونية بقوتها وسطوتها بأن فلسطين هي المكان الوحيد المهيئ لإنشاء الدولة اليهودية وأخذت الدعاية الصهيونية تربط العلاقة التاريخية بين اليهود وفلسطين وتزعم أن لليهود الحق في العودة إلى وطنهم القديم واستندت تلك الدعاية إلى نسيج من الأساطير وقصص التوراة واستغلال العاطفة الدينية في الدول الغربية المسيحية وأصبحت القضية في أذهان الجماهير هناك تبدأ دائما من أن الصهيونية تجسد الحنين اليهودي القديم للبلاد المقدسة وأن ما يجري هو تحقيق التنبؤات التى وردت في التوراة (لابد أن نذكر أن التوراة كتبت بعد مائتي سنة من نزولها وكتبها اليهود بأيديهم) – وتحاول إسرائيل دائما وكذلك الكثير من المراجع الغربية المهتمة بالقضية الفلسطينية طمس الهوية العربية لفلسطين والترويج للمقولة «شعب بلا أرض يحتل أرضا

بلا شعب» أو كما ادعت جولدا مائير الزعيمة اليهودية «أين هم الفلسطينيون لايوجد شعب يحمل هذا الاسم» وكذلك تحاول إسرائيل نزع الهوية العربية وطمس التراث الفلسطيني وراحت تنسب الكثير منه لنفسها ورأينا كيف سطت على فنون الفلكلور وتقاليد الشعب الفلسطيني حتى تقطع الصلة بين التراث الفلسطيني والعالم الخارجي - ورغم كثرة الحفريات والتنقيب عن الآثار في فلسطين ومنطقة الشرق الأوسط بهدف توضيح قصص التوراة فإن النقوش والحفريات التى تم اكتشافها لم تظهر في غالبها إلا آثار الكنعانيين والآشوريين واليبوسيين وما استخرج من آثار العبرانيين كان زهيدا جدا لقصر المدة التى أقاموها في فلسطين.

رأيت تقسيم هذه المقتطفات إلى أربعة فصول.

الفصل الأول:

القضية الفلسطينية منذ أن عرفت كقضية سياسية ويسير هذا الفصل مع القضية الفلسطينية منذ أن حولتها القوى الاستعمارية والصهيونية العالمية إلى قضية سياسية وكيف وقع هذا البلد الصغير الآمن في ظل ضغوط القوى العظمى وبراثن الصهيونية وموقف الشعب الفلسطيني وتضحياته طوال نصف قرن للتصدي لهذه الهجمة الاستعمارية الشرسة وكيف أن جميع محاولاته لم تستطع الصمود أمام ذلك التيار المتدفق المدعم بالقوانين الجائرة التى سنتها حكومة الانتداب المقترن بالتفوق العلمي والتكنولوجي.

الفصل الثاني:

الصهيونية العالمية وإنشاء دولة إسرائيل.

يتناول هذا الفصل نشأة الصهيونية وبداية التفكير بإنشاء الوطن القومي اليهودي منذ أن كانت فكرة إلى أن أصبحت دعوة وحركة ثم وطنا قوميا وأخيرا دولة وكيف أسهم التخطيط السليم والتصميم والتنظيم واستغلال كافة الظروف والإمكانيات المتاحة وكيف تحول الى حقيقة.

الفصل الثالث:

إسهام الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية في إقامة دولة إسرائيل.

منذ قرنين والدول الأوربية تحاول العودة إلى فلسطين وكيف تلاقت أهدافها مع

الصهيونية العالمية وماذا قدمت كل من بريطانيا - ألمانيا - فرنسا - سويسرا - الولايات المتحدة الأمريكية - السوق الأوربية المشتركة لدولة إسرائيل والتصريحات التى تصدر لشخصيات أوربية وأمريكية هامة متعاطفة مع الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل.

وأخيرا وهو الأهم تطور النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة حتى وصل مرحلة السيطرة على صنع القرار الأمريكى فيما يتعلق بمشكلة الشرق الأوسط.

الفصل الرابع:

مدينة القدس والمقدسات الإسلامية والإجراءات الإسرائيلية المتواصلة لتهويد القدس.

في هذا الفصل الحديث عن تهويد القدس والمقدسات الإسلامية في فلسطين وتاريخ المسجد الأقصى وحائط البراق (حائط المبكى) وهيكل سليمان والموقف السياسي للفاتيكان بشأن القدس والتحديات التى تواجه المدينة المقدسة والخطوات التى تتخذها إسرائيل منذ سنة ١٩٦٧ لتهويد المدينة المقدسة حتى بات البحث عن سقف للتفاوض بشأن القدس صعبا وشبه مستحيل.

بعد عبور هذه السنوات واستعراض أحداث القضية الفلسطينية أرى أن هذه القضية هي التحدي الأكبر الذى يواجه الأمة العربية والشعوب الإسلامية وهي ما تفتقر إليه الآن ومادامت الأمة العربية تعتمد على الإدانة والاحتجاج والشجب وعقد المؤتمرات واتخاذ القرارات والتمسح بالمؤسسات الدولية وهي ما دأبت عليه منذ بداية المأساة الفلسطينية وإسرائيل مستمرة في تنفيذ مخططاتها في التوسع والاستيلاء على الأرض وتشجيع الهجرة فلن يطول الزمن ويأت لنترحم على أطلال فلسطينى وذكريات المسجد الأقصى.

والله ولي التوفيق.

الفصل الأول

القضية الفلسطينية بين الماضي والحاضر

موجز تاريخ فلسطين

كشفت الحفريات أن إنسان العصر الحجري عاش في فلسطين قبل حوالي عشرة آلاف سنة قبل الميلاد وأن فلسطين منذ فجر التاريخ كانت موطنا لحضارة مزدهرة ولايزال الأثريون حتى اليوم يكتشفون معالم تلك الحضارة وتطورات الحياة في فلسطين من حيث الاعتماد على الصيد واستئناس الحيوان. ثم الاعتماد على الزراعة واستخدام الآلات الحجرية البسيطة. ومنذ حوالى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد أنشئت مدينة أريحا وكانت أول مدينة تنشأ في فلسطين وبهذا تكون أريحا من أقدم مدن العالم.

ومع بداية القرن الثلاثين قبل الميلاد وخلال المدة من ٣٠٠٠ – ٢٥٠٠ ق.م هاجر الكنعانيون العرب من الجزيرة العربية إلى أرض كنعان التى عرفت فيما بعد باسم فلسطين وأخذوا ينشئون المدن مثل القدس والخليل وازدهرت في زمانهم التجارة والصناعة وموقع فلسطين الجغرافي جعل أرضها مسرحا لحروب متتالية ومعظم الغزاة كانوا عابرين ومن استقر اندمج مع السكان الأصليين وأشهرهم القبائل الكريتية (الفلسطينية) التى استقرت على الشواطىء بين يافا وغزة وسميت تلك المنطقة باسم فلسطين وبعد أن اندمج الكريتيون مع الكنعانيين أطلق اسم فلسطين على المنطقة كلها ولكن بقى العنصر الكنعاني العربي هو السائد.

وحوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م أقام العموريون وهم قبائل كنعانية حضارة مزدهرة بالزراعة والتجارة والصناعة وشيدوا مدنا جديدة – الخليل ودير ديوان وأعادوا بناء القدس وبنوا حولها الأسوار.

وبين سنتي ٢٠٠٠ – ١٧٨٨ق.م أصبحت فلسطين جزءا من دولة موحدة مع مصر تحت حكم الأسرة ١٢ الفرعونية وظلت تلك الوحدة قائمة حوالي ٢١٢ عاما.

وفي سنة ١٩٠٠ ق.م وبعد حوالي ١٠٠٠ سنة من استقرار القبائل العربية في فلسطين دخل سيدنا إبراهيم الخليل إلى أرض فلسطين وهو تاريخ مشكوك في صحته ثم ارتحل إلى مصر مع عائلته بسبب القحط الذى أصاب البلاد ثم عاد من مصر ومعه جاريه اسمها هاجر ووصل إلى أرض كنعان ويقى بين القدس والخليل (هذا ما أوردته التوراة) ودخل العبرانيون لأول مرة لأرض فلسطين وبعد حوالي ١٠٠ سنة أي من حوالي ١٨٠٠ – ١٥٨٠ق.م سيطر الهكسوس على الدولة الموحدة التى تضم مصر وفلسطين إلى أن عاد وهزمهم أحمس. فرعون مصر جنوبي مدينة غزة سنة ١٥٨٠ق.م.

وبين سنتي ١٤٠٠ – ١٢٢٠ق.م. غادر بعض العبرانيين فلسطين إلى مصر وانضموا الى موسى نبي الله ثم هاجروا معه إلى صحراء التيه في سيناء هربا من الحكم الفرعوني. وفي سنة ١١٩٠ ق.م. دخل العبرانيون فلسطين من ناحية الشرق بقيادة يوشع واحتلوا أريحا ومدنا أخرى ونجحوا في تقليص نفوذ العرب وأسس الملك داود المملكة العبرانية واستولى على القدس وجعلها عاصمة ملكه واتخذ لها الاسم الكنعاني أورشليم.

وبين سنتي ٩٧٦–٩٣٦ق.م بنى الملك سليمان الهيكل في القدس وأكمل فتوحات أبيه «داود» وهزم العرب واهتم بالزراعة والصناعة وبين سنتي ٩٣٦–٧٢٢ق.م انقسمت المملكة العبرانية إلى مملكتين صغيرتين إسرائيل في الشمال وعاصمتها السامره ويهودا في الجنوب عاصمتها أورشليم. وفي سنة ٧٢٢ تمكن سرجون الثاني ملك الآشوريين من الاستيلاء على مملكة إسرائيل وأسر معظم رعاياها.

وفي سنة ٥٨٦ق.م انهارت دولة يهودا على يد ملك بابل نوبخذ نصر ودمر الهيكل ومدينة أورشليم وسبي أهلها ونقلهم إلى بابل عاصمة ملكه وهكذا انتهت الدولة العبرانية في فلسطين.

وبعد البابليون قام الفرس باحتلال فلسطين وضمها إلى المملكة الفارسية وفي سنة ٣٢٢ ق.م استطاع الإسكندر المقدوني غزو فلسطين لتنتقل إلى حكم اليونان حتى جاء القائد الروماني بومبي وقضى على الحكم اليوناني سنة ٦٤ ق.م.

ومع بداية القرن الجديد يولد السيد المسيح عليه السلام في بيت لحم ويتحالف اليهود مع الرومان ضده بعد أن بشر بالدين الجديد (المسيحية) وسنة ٧١ ميلادية يحتل الإمبراطور الروماني طيتس مدينة القدس ويدمر الهيكل للمرة الثانية.

ومن الغزاة الذين اجتاحوا فلسطين زينوبيا ملكة تدمر وعاد الرومان بعد هزيمتها

سنة ٢٧٢ ميلادية واحتلوا البلاد وفي سنة ٣١٢ ميلادية بنت الملكة هيلانة والامبراطور الروماني قسطنطين - وكانا قد اعتنقا الديانة المسيحية - كنيسة القيامة في القدس وكنيسة المهد في بيت لحم.

وعند انقسام الامبراطورية الرومانية إلى قسمين شرقية وغربية تبعت فلسطين القسم الشرقي المسمى الامبراطورية البيزنطية.

وفي عام ٦٣٦ ميلادية حررت جيوش الفتح الإسلامي فلسطين بعد هزيمة الدولة البيزنطية وصارت جزءا هاما من الدولة العربية الإسلامية ونظرا لمكانتها الدينية وموقعها الهام بين شطري الدولة فقد شهدت فلسطين في العهد العربي الإسلامي الانتعاش والازدهار فكثرت فيها المعاهد العلمية والدينة وأنجبت العديد من العلماء والمفكرين ورجال الفكر والقضاء والقادة.

ورغم تغيير عاصمة الخلافة بين دمشق وبغداد أو مصر في ظل الطولونين أو الإخشيديين أو الفاطميين بقيت فلسطين جزءا هاما من الدولة الإسلامية. وفي سنة ١٠٩٩ ميلادية بدأت الحملة الصليبية الأولى التى استولت على فلسطين واحتلت القدس وأنشأت الدولة الصليبية الأولى في فلسطين واستمرت الحملات الصليبية المتتالية حتى تمكن صلاح الدين الأيوبي من توحيد الشام ومصر واستطاع هزيمة الجيوش الصليبية في معركة حطين. وبانتصار حطين سقطت أكثر المدن الفلسطينية بيده وتمكن من تحرير القدس سنة ١١٨٦ ميلادية.

وتتعرض فلسطين لهجمة شرسة من المغول ولكن السلطان قطز يتمكن من هزيمتهم في معركة عين جالوت سنة ١٢٥٨ ميلادية وتنتهي الحروب الصليبية بتحرير آخر معقل لهم في عكا سنة ١٢٧٩م على يد الملك الأشرف خليل.

وهكذا طويت صفحة هامة من تاريخ فلسطين بانتهاء الحملات الصليبية التى دامت حوالي قرنين من الزمن وتظل فلسطين تتبع السلطنة العربية المملوكية في مصر حتى الغزو العثماني عام ١٥١٦م. بقيادة السلطان سليم الأول الذى احتل بلاد الشام ومصر وأصبحت فلسطين جزءا من ولاية الشام.

وبين سنة ١٦٣٥-١٧٧٥ يسيطر على فلسطين بعض الأمراء العرب برغم السيادة العثمانية. فيسيطر آل رضوان على منطقة غزة يحتل الشيخ ضاهر العمر مناطق طبرية وصفد وعكا ونابلس والناصرة ويتحالف مع على بك الكبير ضد الدولة العثمانية ولكن

السيادة تعود للدولة العثمانية ويخلف أحمد باشا الجزار الشيخ ضاهر العمر في ولاية عكا ويوسعها ويحصنها ويبني فيها جامع الجزار الشهير.

وفي سنة ١٧٩٩م. يزحف نابليون بعد احتلاله لمصر على فلسطين ويحاصر يافا ويقضي على حاميتها ويحاصر عكا ولكن صمودها لم يمكنه من إقامة إمبراطورية فرنسية في المنطقة.

وفي سنة ١٨٣١ تتبع فلسطين حكم محمد علي باشا في مصر بعد أن نجح ابنه ابراهيم باشا في الانتصار على العثمانيين وهنا تتحرك الدول الغربية لمساندة الدولة العثمانية التي عرفت في ذلك الوقت باسم الرجل المريض وذلك خوفا من الدولة الإسلامية الناشئة واضطرت جيوش محمد علي باشا إلى الانسحاب من فلسطين وأعيدت لسيطرة الدولة العثمانية الضعيفة.

وبدأ اليهود بإنشاء أول مدرسة زراعية قرب يافا «نيتر» سنة ١٨٧٠ كجزء من المخططات اليهودية لبناء المستوطنات في فلسطين وبدأ التسلل اليهودي في فلسطين يزداد خصوصا بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا سنة ١٨٩٧ وفي سنة ١٨٩٨ تنبهت السلطة العثمانية صاحبة الولاية على فلسطين للأمر وفرضت قيودا على هجرة اليهود إلى فلسطين.

ولما أخذ الضعف يدب في أوصال الدولة العثمانية بدأت الدول الاستعمارية وخصوصا بريطانيا وفرنسا يعدون أنفسهم للاستيلاء على منطقة المشرق العربي وتلاقت هذه الرغبة الاستعمارية مع مطامع الصهيونية العالمية التي استغلت أيضا العاطفة الدينية لدى بعض الطوائف المسيحية وخصوصا البروتستانتية التي كانت تعتقد أن لليهود حسب تعاليم التوراة الحق في العودة إلى وطنهم فلسطين.

وحاول هرتسل الزعيم الصهيوني إغراء السلطان عبد الحميد لكي يحصل منه على الموافقة بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ولكن السلطان عبد الحميد رفض العرض الصهيوني رغم إغراءاته - إلا أن الانقلاب العثماني وعزل السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ ومجيء حكام جدد في استانبول سمح بهجرة اليهود وشرائهم الأرض منذسنة ١٩٠٨.

وبدأ التسلل اليهودي إلى فلسطين يزداد خصوصا بعد ظهور الجمعيات الصهيونية في أوربا وخصوصا روسيا وأهمها جمعية أحباء صهيون.

وبعد مؤتمر بازل بدأت الخطط العملية للاستيلاء على فلسطين وبدأ الاستيطان البطيء يزداد وأخذت المستوطنات اليهودية تنشيء أنظمة للحراسة المسلحة أمام المقاومة العربية وكان ذلك بداية حركة الدفاع الذاتي اليهودي (الهاجاناه) وخلال الحرب العالمية الأولى من سنة ١٩١٤-١٩١٨ حاولت بريطانية استمالة العرب لجانبها ضد الدولة العثمانية وقدمت الوعود لشريف مكة «حسين بن على» باستعدادها لمنح البلاد العربية الاستقلال بعد طرد الحكم العثماني. وفي نفس الوقت اتفقت بريطانيا وفرنسا بموجب اتفاق سايكس - بيكو سنة ١٩١٦ على تقسيم الدول العربية بينهما وحصلت فرنسا على سوريا ولبنان وحصلت بريطانيا على فلسطين والأردن والعراق.

وفي ١٩١٧/١١/٢٢ قبل أن يحتل الجيش البريطاني فلسطين أصدر آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا يوم ذاك ما عرف بوعد بلفور وذلك بشكل رسالة موجهة إلى اللورد اليهودي روتشلد وكانت الرسالة تعد اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.

وهناك عدة عوامل تضافرت لحمل الحكومة البريطانية على الإقدام والتعهد بهذا الوعد منها كسب عطف اليهود في المجهود الحربي البريطاني واستخدام نفوذهم لدى الدول الأخرى وخصوصا الولايات المتحدة للانضمام إلى جانب الحلفاء وأيضا خوفا من أن تسبق ألمانيا وتضغط على حليفتها الدولة العثمانية لمنح مثل هذا الوعد لليهود.

انتهت الحرب مع الدولة العثمانية في ١٩١٨/١٠/٣٠ وقرر مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ عدم إعادة الاقاليم العربية الى الحكم التركي وابتدع كلمة «الانتداب» وفرضت بريطانيا نفسها الدولة المنتدبة على فلسطين وضمت في صك الانتداب نص وعد بلفور على أن تكون بريطانيا مسئولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي واعترف صك الانتداب كذلك بتأليف الوكالة اليهودية كهيئة عمومية مستقلة لإسداء النصح لحكومة فلسطين والتعاون معها في كافة الشؤون التى تؤدي وتؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

وعند وضع الانتداب البريطاني على فلسطين موضع التنفيذ تقررت حدود فلسطين تحت الانتداب ضمن مساحة من الأرض تبلغ ١٠٤٣٥ ميلا مربعا بما في ذلك المسطحات المائية وفي سنة ١٩١٨ كان عدد سكان فلسطين حوالي ٧٠٠ ألف نسمة منهم ١٩٤٤ ألفاً من المسلمين ٧٠ ألفاً من المسيحيين و٥٦ ألفاً من اليهود.

وبدأ الصراع العربي الصهيوني منذ سنة ١٩١٩ واستمر حتى انتهاء الانتداب البريطاني ودخول الجيوش العربية بحجة تحرير فلسطين.

تفجرت الأحداث والثورات في فلسطين وبدأ الشعب الفلسطيني يدفع الثمن غاليا بعد ما عينت بريطانيا أول مندوب سامٍ في فلسطين «هربرت صموئيل» وهو اليهودي المتعصب للصهيونية والمتحمس لإنشاء الوطن القومي اليهودي وأخذت القوانين تصدر لصالح اليهود وازدادت حدة المقاومة الفلسطينية وأعدم عشرات الفلسطينيين وهدمت مئات البيوت وانتزعت الأراضي من الفلاحين بالقوة. ورغم الاحتجاجات والتظاهرات والاضطرابات وأعمال العنف والثورات منذ ١٩٢٠ - ١٩٢١ - ١٩٢٩- ١٩٣٣-١٩٣٦-١٩٣٩ لم تستجب حكومة الانتداب وارتفع معدل الهجرة اليهودية فبلغ سنة ١٩٣٥ «٦٢» ألف مهاجر وازداد انتقال الأرض العربية من ٥٤٤ ألف دونم إلى ١,٣٠٠٠,٠٠٠ سنة ١٩٣٦.

وكان ظهور الحركة الثورية الفلسطينية بزعامة الشيخ عز الدين القسام سنة ١٩٣٥ التمهيد للثورة الفلسطينية الكبرى من سنة ١٩٣٦-١٩٣٩. واستدعت بريطانيا أكثر من عشرة آلاف جندي والطائرات والدبابات بقيادة كبار القادة البريطانيين أمثال الجنرالات دل - وويفل - وولسن واشتدت المعارك في مواقع مختلفة من فلسطين وخصوصا في مثلث نابلس - طول كرم - جنين الذى أطلق عليه الانجليز اسم مثلث الرعب إلى جانب المناطق المحيطة بالقدس وحيفا واشترك اليهود بجانب الجيش البريطاني بقوات الهاجاناه وقوات البوليس الاضافي اليهودي وكانت تلك القوات قد تدربت على أيدي رجال المخابرات وبعض الضباط المتقاعدين من البريطانيين.

وتصاعد تدفق القوات البريطانية حتى تجاوز عشرين ألف جندي يعاونهم أكثر من خمسة آلاف من القوات اليهودية وأعلنت الأحكام العرفية في البلاد وبدأت أعمال المصادرة والهدم والإعدام ونذكر هدم البلدة القديمة يافا وإقامة المخافر(١) المحصنة في طول البلاد وعرضها. وعرفت باسم حصون تيجارت.

ورغم اللجان التى أرسلتها الحكومة البريطانية لتهدئة الموقف في فلسطين إلا أن الثورة استمرت وبعنف أشد وعادت بريطانيا وأرسلت العديد من النجدات والطائرات وقطع المدفعية ومن تقرير الحكومة البريطانية إلى لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية بلغت حوادث العنف سنة ١٩٣٨.

٩٨٦ هجوماً على البوليس والجيش

---

(١) مخفر : قسم شرطة

٧٢٠ هجوما على المواصلات البرية

٣٤١ حادثة تخريب في السكك الحديدية

١٠ حوادث تخريب في خط أنابيب نفط العراق الموصلة إلى حيفا

٤٣٠ اغتيالاً ومحاولة اغتيال

٦٥١ حادثة هجوم على المستوطنات والأحياء اليهودية

وفشلت مشاريع التقسيم لأنها كانت دائما منحازة للجانب اليهودي ولأن فكرة التقسيم نفسها لم ترق للجانب الفلسطيني وكانت المطالب العربية وخلال طيلة فترة الانتداب:

١- التخلي عن فكرة الوطن القومي لليهود

٢- وقف الاستيطان والهجرة اليهودية

٣- منح الشعب الفلسطيني حقه في الاستقلال

ولم تفلح جميع العروض التى قدمتها بريطانيا لأنها كانت تصر باستمرار على الهجرة وانتقال الأرض إلى اليهود. وحتى الكتاب الأبيض الصادر سنة ١٩٣٩ الذى حدد الهجرة اليهودية بـ ٧٥ ألفاً خلال خمس سنوات وأن لايسمح بهجرة أخرى إلا إذا وافق عليها عرب فلسطين لم ينفذ.

اشتد النشاط الصهيوني بعد الحرب العالمية الثانية وأخذت فرق الهاجاناة والأرجون وعصابة شتيرن في القيام بأعمال إرهابية منها نسف جناح فندق الملك داود في القدس وراح ضحية الحادث حوالي مائة شخص من البريطانيين والعرب وتصاعد الضغط اليهودي على الحكومتين البريطانية والأمريكية بإنشاء الدولة اليهودية وفتح أبواب فلسطين للهجرة بدون قيد أو شرط.

وحين تظاهرت بريطانيا بفشلها في إيجاد حل للقضية الفلسطينية أعلنت أنها سوف تتخلى عن الانتداب وأحالت القضية إلى هيئة الأمم المتحدة.

في ١٩٤٧/١١/٢٩ أصدرت الأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية وكان ذلك بأغلبية ٣٣ صوتا ضد ١٣ صوتا وامتناع ١٠ دول عن التصويت وجعل منطقة القدس دولية. وقد بذلت أمريكا الضغوط على الدول التى كانت

غير موافقة على التقسيم. والدول التى عارضت التقسيم بجانب الدول العربية (أفغانستان - كوبا - اليونان - الهند - إيران - باكستان - تركيا).

وجاء توزيع الأراضي في قرار التقسيم كما يلي:
الدولة العربية مساحتها ١١٥٩٠٠٠ دونم بنسبة ٤٢٫٨٨٪
الدولة اليهودية مساحتها ١٥٢٦٠٠٠ دونم بنسبة ٥٦٫٤٧٪
القدس الدولية ١٧٥٥٠٠ دونم بنسبة ٠٫٦٥٪

وقد رفض العرب التقسيم واعتبروه خرقا لميثاق الأمم المتحدة الذى يعطي كل شعب الحق في تقرير مصيره بنفسه وكيف أن حصة اليهود تزيد عن حصة العرب رغم أنهم لايملكون إلا أقل من ١٠٪ من الأرض.

وبعد قرار التقسيم سعى اليهود لتحقيق أمر واقع على أرض فلسطين بإثارة أعمال الإرهاب ضد العرب وبدأ صراع غير متعادل عسكريا وماليا وسياسيا ورغم عدم التكافؤ استطاعت الوطنية الفلسطينية أن تعيد تشكيل القوات الشعبية لحماية السكان وتألفت لجان محلية لتنظيم شئون الدفاع ومع بدء صدور قرار التقسيم قتل ٧٩ يهوديا و٣٢ عربيا وكانت القوات البريطانية تمد اليهود بالسلاح وتنحاز إلى جانبهم أثناء الاشتباكات.

وقدرت الخسائر في شهر يناير ١٩٤٨ كما يلي:
١٠٥١ عربياً ٧٥٠ يهودياً ١٠٣ انجليزي

واستمرت المصادمات والمعارك ونسف الأحياء والشوارع في المدن حتى شهر أبريل وتمكنت القوات اليهودية بعد أن حصلت على مزيد من السلاح والدعم العسكري والطائرات وجميع أنواع مدافع الهاون والرشاشات الثقيلة والمصفحات المسلحة من الاستيلاء على العديد من المدن الفلسطينية الهامة (يافا - حيفا - جميع أحياء القدس الجديدة - صفد - طبرية - عكا - جميع قرى الجليل الغربي والشرقي) وقامت بعملية إجلاء واسعة للمناطق التى احتلتها وازدادت كثيرا خسائر الفلسطينيين لمواقفهم الباسلة في الدفاع عن مدنهم وقراهم.

وفي ١٩٤٨/٥/١٥ دخلت الأحداث منعطفا جديدا بدخول الجيوش العربية إلى فلسطين في نفس اليوم الذى انسحبت فيه بريطانيا من الأرض الفلسطينية وكانت حرب ١٩٤٨ حربا محسومة قبل أن تبدأ، الوجود الصهيوني أصبح حكومة قائمة ومدججا بالسلاح، والشعب الفلسطيني يشكو نقصا في التنظيم والتعبئة والمقدرة العسكرية،

والدول العربية إما حديثة الاستقلال أو تخضع للنفوذ الأجنبي ولذلك لم تستطع القوات العربية أن تحقق الأهداف التى دخلت فلسطين من أجلها.

وفي شهر يونيو ١٩٤٨ قبلت الجيوش العربية وقف إطلاق النار وتم تعيين الكونت برنادوت وسيطا دوليا وسحبت الحكومات العربية أسلحة أهل فلسطين التزاما بقرار الهدنة. وبعد أقل من شهر استؤنف القتال واستطاع اليهود هزيمة الجيوش العربية وتم توقيع اتفاقيات الهدنة بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا والأردن ولبنان ورفضت إسرائيل الالتزام بقرار التقسيم واعتبرت الحدود حيث تقف جيوشها.

وفي أبريل ١٩٥٠ يصدر البرلمان الأردني قرارا بضم الضفة الغربية لنهر الأردن إلى المملكة الأردنية الهاشمية.

وفي ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ أعلنت مصر تأميم قناة السويس وأعقب ذلك الاعتداء الثلاثي على مصر واحتلال القوات اليهودية سيناء وقطاع غزة.

وفي يناير ١٩٥٧ تنسحب إسرائيل من سيناء ثم من غزة في مارس من نفس العام.

وفي مايو سنة ١٩٦٤ ينعقد المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس ويقر الميثاق الوطني الفلسطيني والنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية وتعتمد الدول العربية منظمة التحرير الممثلة المعتمدة للشعب الفلسطيني ويعلن ميلاد جيش التحرير الفلسطيني ومنذ أول يناير ١٩٦٧ يستأنف الشعب الفلسطيني نضاله المسلح ضد الكيان الصهيوني.

وفي شهر مايو سنة ١٩٦٧ طلبت مصر سحب قوات الطوارئ الدولية من سيناء وشرم الشيخ وتعلن مصر إغلاق مضيق العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية. وفي ٥ يونيو ١٩٦٧ تنهزم القوات المصرية والسورية والأردنية وفي ٢٢ نوفمبر من نفس العام يصدر مجلس الأمن القرار ٢٤٢ الذى اختلف العرب والأجانب على تفسيره.

وفي السادس من سبتمبر سنة ١٩٧٠ يحدث الصدام بين القوات الأردنية وفصائل المقاومة الفلسطينية ويتم انسحاب القوات الفلسطينية من الأردن نهائيا. وتتوالى الأحداث بوفاة الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

وفي السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣. بدأت حرب التحرير العربية وشاركت القوات الفلسطينية أثناء الحرب بالقتال على الجبهتين المصرية والسورية.

وقامت بمهاجمة المستعمرات اليهودية في «الجليل الأعلى». وفي ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ يصدر مجلس الأمن القرار رقم ٣٣٨ بوقف القتال ورفضت إسرائيل الالتزام به واخترقت قواتها الجبهة المصرية عند ثغرة الدفرسوار وتمكنت من محاصرة الجيش الثالث المصري.

وفي ١٩٧٤/١٠/١٤ وافقت الأمم المتحدة على قرار بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى المشاركة في مناقشات الجمعية العامة حول قضية فلسطين وهكذا بعد أن طويت القضية الفلسطينية عدة سنوات عادت وظهرت على السطح وبدأت منظمة التحرير تمارس واجباتها ممثلة للشعب الفلسطيني.

وتتوالى الأحداث ويوقع الرئيس السادات اتفاقية «كامب ديفيد» ويعلن إنهاء الحرب وتطبيع العلاقات مع إسرائيل. وبدأت مفاوضات الانسحاب من سيناء وتقرر أن يتم ذلك على عدة مراحل وأن تبقى سيناء منزوعة السلاح.

واستمر الكفاح المسلح الفلسطيني وأخذ شكل المواجهة المباشرة مع إسرائيل في سنوات ١٩٧٢-١٩٧٨-١٩٨٢ واستمر بناء المستوطنات الإسرائيلية وإجراءات تهويد القدس والسطو على مصادر المياه الفلسطينية.

ومع حلول سنة ١٩٨٧ وعلى وجه التحديد يوم ٩ ديسمبر سنة ١٩٨٧ تفجرت مرحلة جديدة من مراحل الكفاح الفلسطيني وهو ما أطلق عليه انتفاضة الحجارة وانطلق الشعب الفلسطيني في كافة أنحاء الأرض المحتلة يقاتل العدو الإسرائيلي بالعصي والأظافر بجانب الحجارة وخلال سنتين من بدء الانتفاضة قدم الشعب الفلسطيني ١٣٠٠ شهيد - ٥٥ ألف جريح - ٦٢ ألف معتقل في أبشع معتقلات إسرائيل و٧ آلاف حامل أجهضتها قنابل الغازات وعشرة آلاف كسرت أيديهم وأرجلهم أو فقدوا السمع والبصر ومئات أبعدوا عن وطنهم وطردوا إلى خارجه ودمر العدو ٥٠٠ بيت واقتطع وصادر وأحرق ١٠٠ ألف فدان من الأراضي الزراعية واقتحم المساجد وعلى رأسها المسجد الأقصى يعيث فسادا ويضرب ويقتل المصلين كما اقتحم الكنائس.

ورغم ذلك استمرت الانتفاضة وتصاعد نضال الشعب الفلسطيني يقاتل وحده والأمة العربية من حوله تقف متفرجة.

وتدخلت أمريكا وقام وزير خارجيتها جيمس بيكر بزيارة المنطقة عدة مرات وقدمت أمريكا دعوة باسمها وباسم الاتحاد السوفيتي إلى أطراف النزاع والدول المحيطة

التى أطلق عليها دول الطوق وهي سوريا ولبنان والأردن ومصر إلى ما عرف فيما بعد «بمؤتمر مدريد» الذى انعقد سنة ١٩٩١ وكان الوفد الفلسطيني ممثلا من ضمن الوفد الأردني لرفض إسرائيل إعطاءه الشرعية لتمثيل الشعب الفلسطيني مستقلا واشتراطها أن لايتضمن الوفد الفلسطيني أحدا من خارج الضفة وغزة.

وفي مقابل اعتراف منظمة التحرير بقراري مجلس الأمن ٢٤٢-٣٣٨ والتخلي عن المقاطعة العربية لإسرائيل ونبذ الإرهاب لم تقدم إسرائيل سوى قبولها الفاتر بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي ممثلة للشعب الفلسطيني.

وبدأت مفاوضات عقيمة في واشنطن لم تحرز أي تقدم وقام وزير الدولة للشئون الخارجية النرويجي بزيارة إسرائيل حيث اقترح إقامة جسر سري بين إسرائيل وقيادة منظمة التحرير وتمت موافقة الطرفين وبدأت مفاوضات أوسلو ١ في يناير ١٩٩٣ وأفرزت إعلان ورقة مبادئ حول ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية التى عرفت باسم غزة - أريحا وتم ذلك في ١٣ سبتمبر ١٩٩٣.

ومضت الأحداث ووقع عرفات على اتفاقية أوسلو ٢ وكانت تحتوى على ٤٠٠ صفحة من التعقيدات القانونية وبدأ أسلوب التفاوض الفلسطيني الإسرائيلي المعقد صادرت إسرائيل خلاله أكثر من ٨٠ ألف دونم من الأراضى الفلسطينية غالبيتها في منطقة القدس. ثم جرت الانتخابات الإسرائيلية بهزيمة حزب العمال ومجيء كتلة الليكود إلى الحكم وعلى رأسها نتنياهو الذى أخذ في إبطاء التفاوض حتى وصل إلى طريق مسدود وتوقف تماما وبقيت العناوين التالية معلقة.

انتقال السلطة والسيادة - المستوطنات - المعتقلون - القدس - التنقل بين الضفة وغزة - المعابر - الانسحاب - وغيرها.

وكان يظن أن اتفاق السلام الفلسطيني الإسرائيلي بشقية أوسلو ١ وأوسلو ٢ سوف يرفع أو على الأقل يخفف من معاناة الشعب الفلسطيني ولكن الحقيقة أن الأمور سارت إلى الأسوء.

وهل ننسى أن من يعطي يملي ومن يأخذ لابد أن يدفع؟.

جغرافية فلسطين

تبلغ مساحة فلسطين ٢٧ ألف كيلومترا مربعا ١٠٫٤٢٩٠ ميلا مربعا بما في ذلك بحيرتي طبرية والحوله ونصف مساحة البحر الميت. وشكل فلسطين مستطيل يبلغ طولها من شمال بحيرة طبرية حتى العقبة ٤٣٠ كيلو مترا ويتغير عرضها فهو في أقصى الشمال يتراوح بين ٥٠ و٧٠ كيلو مترا ثم يزداد جنوبا حتى يصل إلى ٨٢ كيلو مترا عند القدس وأقصى عرض للبلاد عند رفح وخان يونس حيث يصل إلى ١١٧ كيلو مترا وعلى ذلك فإن طول فلسطين يساوي ست مرات عرضها.

أما أطوال حدودها فهي كما يلي:

طول حدودها على البحر الأبيض المتوسط	٢٤٠ كيلو مترا
طول حدودها مع لبنان	٧٩ كيلو مترا
طول حدودها مع سوريا	٧٠ كيلو مترا
طول حدودها مع الأردن	٣٦٠ كيلو مترا
طول حدودها مع مصر	٢٤٠ كيلو مترا

أهمية موقع فلسطين:

الموقع الممتاز لفلسطين في قلب العالم العربي جعل منها طريق القوافل المتجه من الشرق إلى الغرب فالتجارة كانت تأتي من الهند وما جاورها من البلاد وتمر بطرق مختلفة معظمها شمال الجزيرة العربية لتصل إلى موانيء فلسطين – وأى حركة أو هجرة بشرية أو حملة عسكرية لابد أن تمر من فلسطين وشواهد التاريخ كثيرة على ذلك ووجود الموانيء الطبيعية على طول الساحل الفلسطيني مكن من نقل الجيوش والتجارة عبر فلسطين إلى غرب آسيا وأوربا. ويلاحظ حديثا أهمية موقع فلسطين حيث تمر فيها أنابيب البترول وبقربها خط التابلاين السعودي.

المناخ والتضارى والتركيب الجيولوجي:

وقوع فلسطين في المنطقة المعتدله الشمالية بين خطي عرض ٣٠ و٢٩ و ١٥و٣٣ درجة يجعل مناخها معتدلا على وجه العموم ولكن طبيعة تضاريسها جعلت كل قسم من أقسامها الطبيعية يتميز بنوع خاص من المناخ على الرغم من صغر مساحتها نسبيا. فبينما تجد فصل الصيف معتدلا في بقعة ما تجده حارا في غيرها وكذلك فصل الشتاء فتجده دافئا في قسم وباردا في قسم آخر.

والمطر يمتد في فلسطين من شهر أكتوبر (تشرين أول) إلى شهر أبريل (نيسان) والقسم الأكبر من الأمطار يسقط بين شهري ديسمبر (كانون أول) وفبراير (شباط) ويمكن تقسيم فلسطين إلى الأقاليم المناخية التالية:

١- إقليم السهول الساحلية - والمناخ فيه معتدل إجمالا ودرجات الحرارة لاتزيد عن ٢٨ درجة ويندر تقريبا سقوط ثلوج في هذا الإقليم.

٢- إقليم المرتفعات - الحرارة فيه أبرد ولاتزيد درجة الحرارة عن ٢٢ درجة والأمطار فيه أغزر من إقليم السهول وتسقط الثلوج أحيانا خصوصا فوق قمم الجبال في الجليل الأعلى والقدس والخليل.

٣- إقليم غور الأردن - أشد حرارة من سابقيه ولاتتجاوز الأيام الماطرة عن ٥٠ يوما وترتفع فيه درجة الرطوبة خصوصا في منطقة بحيرة طبرية.

٤- وادي بيسان - مناخه قاري جدا فهو شديد البرودة شتاءا وشديد الحرارة صيفا بسبب انخفاضه عن سطح البحر وسقوط الأمطار فيه غير منتظم لذلك فكثيرا ما يتعرض لحالات الجفاف.

٥- مرج ابن عامر - درجة حرارته معتدلة وبعض أجزائه غزيرة المطر.

٦- غور الأردن والبحر الميت - مناخه جاف وكلما اتجهنا جنوبا ترتفع درجة الحرارة ويقل سقوط المطر - والبحر الميت أكثر بقاع الكرة الأرضية انخفاضا عن سطح البحر وفي بعض مناطق البحر الميت ترتفع كثيرا درجة الحرارة لتصل في بعض الأحيان إلى ٥٠ درجة في الظل.

٧- إقليم النقب - يمتاز بشدة الحرارة في الصيف والبرودة في الشتاء والجفاف طيلة العام لندرة سقوط المطر أكثر أجزائه صحراوية.

الثروات الزراعية والمعدنية والحيوانية:

تزرع في فلسطين أكثر أنواع الحبوب وتقوم إسرائيل بزراعة الأرز في سهول الحوله وكذلك زراعة القطن في منطقة بيسان والنقب ونجحت إسرائيل في زراعة القطن الطويل التيلة المشهور عالميا.

أما الحمضيات (الموالح) فتشتهر زراعتها في فلسطين وخصوصا السهل الساحلي ولايزال اسم «برتقال يافا» يحتل الكثير من الأسواق العالمية خصوصا في أوربا.

وتزرع فلسطين جميع أنواع الخضار التى تنتج في جميع فصول السنة وتنتشر زراعة الزيتون وما يستخرج منه الزيت ويعتبر مادة أساسية في الغذاء وفي صناعة الصابون.

أما الفواكه فأشهرها زراعة الموز في منطقة الغور وأريحا وبيسان وطبرية، والعنب وقد أخذت إسرائيل في استعماله في صناعة النبيذ والكحول وتزرع فلسطين الخوخ والتفاح والأجاص والدراق والتين والمشمش.

أما عن الثروة الحيوانية تكثر تربية البقر والأوز والدواجن والخنازير وتنتج سواحل فلسطين وبحيرة طبرية والأحواض الصناعية كمية من الأسماك وتكثر أيضا تربية الأغنام للاستفادة من لحومها وأصوافها.

والثروة المعدنية: تستخرج من البحر الميت وأهمها البوتاس والماغنيسيوم وكربونات الكالسيوم وقد اكتشفت إسرائيل تراب الحديد في حدودها الشمالية وفي وسط النقب - ويوجد الفوسفات بقرب أريحا. وقد اكتشف النفط قرب عسقلان وغزة.

وتمتاز فلسطين بتوفر طرق المواصلات التى تصل بين مدنها المختلفة وبين مصر وسوريا ولبنان والأردن سواء الطرق العادية أو السكك الحديدية.

أنهار فلسطين قصيرة وضحلة وأغزرها مياها نهر العوجا الذى تتجمع مياهه في رأس العين قرب طولكرم ويصب في البحر الأبيض على بعد حوالي ستة كيلومترات من مدينة يافا وهنالك أنهار الأردن الذى يصب في البحر الميت والمقطع والنعامين ويقعان في خليج عكا وروبين ويقع على بعد ١٤ كيلومتراً جنوب يافا وفي شمال فلسطين على الحدود مع سوريا يقع نهر الشريعة الذى يصب في بحيرة طبرية.

وفي فلسطين ثلاثة بحيرات الحولة في الشمال وقد جففها الإسرائيليون وبحيرة

طبرية وتنخفض عن سطح البحر وتمتاز بوفرة أسماكها وجمال شواطئها وتقع ينابيع الحمة المعدنية في طرفها الجنوبي وبحيرة طبرية غنية بالمياه لعمقها نسبيا.

والبحر الميت ومياهه مالحة لا تعيش فيه الحياة ولكنه غني في الأملاح المعدنية البوتاس والفوسفات والكبريت وعمق مياهه يزيد عن ٣٨٥ مترا وملوحة المياه فيه أعلى درجات الملوحة في العالم.

تكثر الجبال في مناطق مختلفة من فلسطين ولكنها محدودة الارتفاع وأعلى قمة في فلسطين قمة جبل الجرمق شمال غرب مدينة صفد ويبلغ ارتفاعه ١١٩٨ مترا. يليه جبل حلحول قرب الخليل ويبلغ ارتفاعه ١٠١٣ مترا وباقي الجبال يتراوح ارتفاعها بين ٤٥٠-٩٥٠ مترا.

ومن الجبال الشهيرة جبل كنعان قرب صفد وجبال الكرمل قرب حيفا وجبل النبي داود ويعرف باسم جبل صهيون وجبل الزيتون وكلاهما يشرف على مدينة القدس وجبال الخليل وتنحدر حتى قرب البحر الميت ثم جبال الجليل وتقع في أقصى شمال فلسطين.

وتكثر التلال في فلسطين ومن أشهرها تل يونس قرب يافا وتل الفخار ويعرف بتل نابليون قرب مدينة عكا وتل السلطان قرب اريحا وكانت تقوم عليه مدينة أريحا القديمة وتل العجول قرب غزة ويرجح أن موقع غزة قبل التاريخ كان عليه وتل القنطور شمال مدينة يافا قرب سيدنا علي وهو من المواقع الأثرية.

وأشهر السهول في فلسطين سهل مرج ابن عامر وتشكل رؤوسه بين حيفا والناصرة وجنين وسهل سارنا ويمتد بين حيفا شمالا ويافا جنوبا وتربته خصبة ويشتهر بزراعة البرتقال والحبوب والبطيخ وسهل عكا ويمتد من شمال حيفا حتى الحدود اللبنانية ويمتاز بزراعة البرتقال والتبغ والزيتون وسهل غزة وتزرع أكثر أراضيه برتقالا وشعيرا وسهل يافا وتزدهر فيه زراعة البرتقال.

كانت فلسطين في سنوات الحكم العثماني تنقسم إلى قسمين إداريين:

١- متصرفية (سنجق) القدس المستقلة المرتبطة بوزارة الداخلية في اسطنبول وتضم أربعة أقضية بئر سبع - الخليل - غزة - يافا بالإضافة إلى ناحيتي بيت لحم وأريحا.

٢- شمال فلسطين وكان يتبع لواءين:

١- لواء نابلس ويضم طولكمر وجينين وطوباس وبيسان

٢- لواء عكا ويضم صفد وطبرية والناصرة وحيفا وكان اللواءان المذكوران يتبعان متصرفية بيروت.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ووقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني اتفقت بريطانيا وفرنسا على تقسيم أملاك الدولة العثمانية وفي معاهدة باريس الموقعة بينهما في ديسمبر سنة ١٩٢٠ أقرت الدولتان تخطيط الحدود وعرفت فيما بعد حدود فلسطين الحالية بعد إجراء عدة تعديلات لمعاهدة ١٩٢٠ لصالح الانتداب البريطاني الذى كان يخطط لتسليم البلاد إلى اليهود مستقبلا.

فلسطين تحت الحكم العسكري البريطاني

منذ الاحتلال سنة ١٩١٨- إعلان الانتداب سنة ١٩٢٢

بداية الحكم العسكري البريطاني لفلسطين منذة سنة ١٩١٨ كان يهدف إلى إرساء قواعد الوطن القومي اليهودي في فلسطين ورغم التعتيم الذى حاولت به الحكومة العسكرية وحظر النشر أو الإشارة إلى وعد بلفور خشية تولد ردود فعل عربية عنيفة تعكر صفو السلام في البلاد - رغم ذلك أخذت الضغوط الصهيونية سواء مع الحكم العسكري في فلسطين أو على حكومة لندن تفصح عن مطالبها بإدخال اللغة العبرية كلغة رسمية للبلاد وإنشاء قضاء يهودي مستقل وإعطاء امتيازات للشركات والمؤسسات اليهودية وخصوصا المؤسسات الزراعية والمالية وقطع وسائل الاتصال التاريخي بين السكان الفلسطينيين وبقية العرب في الأماكن المجاورة.

أخذت الإدارة العسكرية تستجيب تدريجيا لتلك الطلبات فحرمت الشعب الفلسطيني من حق تقرير المصير ومنحت مساحات واسعة من الأراضي الأميرية - وهي التابعة للدولة - لليهود لتوطين آلاف المهاجرين الذين أخذوا يتدفقون على البلاد.

ورغم الظروف القاسية التى مرت بها فلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى واستنزاف موارد البلاد وهلاك الماشية وقطع الأشجار وخصوصا شجر الزيتون لأغراض الوقود وإهمال بساتين البرتقال وهو المحصول الزراعى الرئيسي في البلاد بسبب ندرة الوقود والافتقار إلى الأيدى العاملة - قامت الإدارة العسكرية بإقفال المصرف الزراعي العثماني وفروعه الثلاثة عشرة التى كان يعتمد عليها الفلاح الفلسطيني للاقتراض بشروط ميسرة وهذا أدى إلى معاناة الفلاح من ضائقة خانقة وعدم تمكنه من دفع الضرائب المستحقة واضطراره إلى الاستدانة بالربا الفاحش.

وأخذت أسعار البضائع في الزيادة وأصبحت وسائل المواصلات في غاية التخلف.

ألغت الإدارة العسكرية مجلس المعارف في القدس وكان رأسه عربياً وأقامت إدارة جديدة – دائرة المعارف – يرأسها بريطاني ولم تفتح الإدارة البريطانية المدارس بعد الاحتلال واقتصر الأمر على بعض الكتاتيب في المدن والقرى وأكثرها كان يتبع التعليم الديني – ثم أخذت الإدارة العسكرية في فتح بعض المدارس دون تقديم أي مساعدة لا بالنسبة للكتب فقط بل للأدوات الكتابية والمقاعد ولوازم التدريس.

وظهرت إرادة الشعب الفلسطيني نحو التعليم بقيام جمعيات وطنية في المدن والقرى أخذت على عاتقها مساعدة تلاميذ المدارس وإنشاء الصفوف التعليمية.

وحتى سنة ١٩٢٠ لم تزد ميزانية التعليم عن ٦٫٣٪ من الميزانية العامة. ومما زاد المشاكل تعقيدا رفض السلطة العسكرية جميع المطالب والاحتجاجات والشكاوى العربية. وتدخلت اللجنة الصهيونية في منع السلطة العسكرية من إصدار صندوق لمساعدة المزارعين الفلسطينيين وإقراضهم بسعر فائدة معقول وأصروا على أن إصدار القروض يجب أن يتم عن طريق بنك أنجلو فلسطين اليهودي بفوائد مضاعفة وهكذا وجد الفلاح الفلسطيني بلا حولٍ ولا قوة فريسة للمرابين.

وفي ظل الظروف القاسية كان الفلاح الفلسطيني يجد نفسه مضطرا إما للتخلي عن أرضه أو بيعها.

وطالب اليهود بعدم تطبيق النظام الديمقراطي في فلسطين لأنهم يعلمون الفارق الكبير بين عدد العرب وعدد اليهود ٩٢٪ و٨٪ ولان استشارة أهل البلاد لابد سيصوتون ضد الاحتلال واليهود وأصر اليهود على تسمية فلسطين بالعبرية أرض إسرائيل وتم لهم ذلك في جميع أوراق الدولة.

وهكذا انتهكت الإدارة العسكرية والحكومة البريطانية قواعد القانون العسكري وسلكت سياسة محاباة الصهيونية وفي مؤتمر الصلح في باريس فشل الحلفاء في الاتفاق على مستقبل فلسطين لأن النية كانت مبيتة بين بريطانيا وفرنسا على تقسيم البلاد بينهما وإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين وهذا ما باركته الحركة الصهيونية لأنه يمثل الخطوات الأولى لتحقيق الأهداف الصهيونية.

واتفقت الدولتان على تحديد حدود فلسطين وأخذت الهجرة اليهودية تتدفق على فلسطين وتم تشكيل قوة الدفاع اليهودية (الهاجاناه) ولم تلتفت حكومة لندن إلى كل الاحتجاجات الفلسطينية ولا إلى تقارير اللجان التى أرسلتها أمريكا. ووافق مجلس الوزراء

البريطاني على تعيين هربرت صموئيل كأول مندوب سامٍ في فلسطين وهو من غلاة اليهود المتحمسين والمتعصبين لإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين وبهذا خطط اليهود لانتقال الصهيونية من عالم الأحلام إلى عالم الواقع وأن المحصلة النهائية لكل هذه الإجراءات الاستحواذ على فلسطين وإقامة الدولة اليهودية فوق أرضها.

ولاشك أن تعيين أول مندوب سامٍ على فلسطين يهودي متعصب كان المقصود منه دعم بريطانيا للصهيونية العالمية وقد نقلت صلاحيات المندوب السامي من وزارة الخارجية إلى وزارة المستعمرات وكان يرأسها في ذلك الوقت البريطاني المتعصب للصهيونية ونستون تشرشل.

بدأ هربرت صموئيل عمله بمال الإدارة المدنية بكبار المتعاطفين مع اليهود والصهيونية وخصوصا المناصب القيادية مثل: السكرتير العام الإداري، النائب العام، مدير التجارة والهجرة والأراضي وجميعهم من اليهود البريطانيين.

وهكذا ظلت فلسطين تحكم طيلة مدة الهدنة حكما عسكريا متعسفا ومنحازا كلية إلى جانب اليهود حتى تم توقيع معاهدة الصلح سنة ١٩٢٢ وانتقلت إدارة فلسطين إلى حكم الانتداب البريطاني وهو ماسمى بالحكم الشرعي لفلسطين.

ومع بداية حكم الانتداب أخذت السياسة البريطانية تزداد شراسة وانحيازا لليهود ولهذا الموضوع حديث آخر.

ويمكن تلخيص فترة الحكم العسكري في فلسطين إلى عدة مراحل رئيسية:

أولا: الحكم المطلق وفيه خضعت البلاد للأحكام العرفية لمدة تزيد عن ثلاثة وثلاثين شهرا.

ثانيا: سيطرة العناصر اليهودية على الإدارة العسكرية وزيادة عددهم زيادة كبيرة حتى إن الإدارة العسكرية كانت تطرد الموظفين العرب ليحل محلهم موظفون يهود.

ثالثا: حافظت الإدارة العسكرية على بعض الأنظمة العثمانية التي تخدم أهداف ومصالح الاحتلال العسكري ومخططات إقامة الوطن القومي اليهودي وأبقت نظام البلديات والمخاتير (العمد) ولكن الاختيار كان يتم دائما من طبقة الأعيان وكبار الملاك وهم أصحاب المصلحة الحقيقية في التعاون مع الإدارة البريطانية عسكرية أو مدنية.

الانتقال إلى الادارة المدنية في فلسطين
بعد انتهاء الحكم العسكري

بعد أن استتب الأمر للإدارة المدنية في فلسطين وأعلن الانتداب البريطاني رسميا سنة ١٩٢٢ تم تعيين هربت صموئيل اليهودي البريطاني مندوبا ساميا على فلسطين، انتقلت إدارة البلاد لوزارة المستعمرات البريطانية وأطلق عليها اسم «حكومة فلسطين».

بدأ هربت صموئيل اليهودي المتعصب والمتحمس لإنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين في بناء المؤسسات المدنية وجعل أهم واجباتها استعمار فلسطين وتهيئتها لإنشاء الوطن القومي دون أدنى اهتمام بمطالب الشعب الفلسطيني والنهوض بالتنمية الوطنية لشعب يمثل غالبية السكان.

أعلن عن تعيين مجلس تنفيذي جميع أعضائه من البريطانيين وأكثره يخضع بشكل مفضوح للنفوذ الصهيوني – وتم بعد ذلك تشكيل دوائر الحكومة المدنية وأجهزتها وفق صيغة تضمن سيطرة النفوذ اليهودي في المواقع الحساسة مثل أنشطة الهجرة والأراضي والاستيطان.

رؤساء الإدارات المدنية:

جرى تعيين رئيس دائرة الهجرة من اليهود وكذلك رئيس الدائرة المالية – وعين بريطاني رئيسا لدائرة الأراضي يساعده ثمانية موظفين اثنان من العرب والباقي من اليهود – وترأس دائرة تسوية الأراضي (وهي من الإدارات الهامة) يهودي فريدريك سالمون يساعده اثنا عشر موظفا أربعة من العرب والباقي يهود – أما دائرة الاحراج فكان جميع موظفيها من اليهود باستثناء عربي واحد.

كان عدد موظفي دائرة الهجرة ٦١ موظفا منهم ٤٤ من اليهود وكان العرب يشغلون وظائف هامشية – دائرة الزراعة خلت تماما من العرب.

وكانت جميع القرارات الاقتصادية وميزانية حكومة فلسطين وفرض الضرائب يستلزم موافقة وزارة المستعمرات البريطانية في لندن وكان يشغل وزارة المستعمرات الوزير تشرشل المعروف بانحيازه وتعاطفه مع اليهود وكرهه للعرب.

ورغم أن عدد اليهود كان أقلية في البلاد فقد أدخلت اللغة العبرية بشكل رسمي إلى جانب اللغتين الإنجليزية والعربية وكان يكتب في كل ورقة أو مستند رسمي إلى جانب حكومة فلسطين باللغة العبرية (أرض إسرائيل) أ- إ. وهكذا وجد الشعب الفلسطيني نفسه في مواجهة إجراءات تستهدف وجوده ومستقبله خصوصا بعد أن أخذت موجات الهجرة اليهودية تتدفق على البلاد وأصبحت جميع القوانين تتسم بالتنسيق مع الوكالة اليهودية لخدمة الاستيطان والهجرة اليهودية.

ومن أخطر القوانين إيذاء للشعب الفلسطيني كانت القوانين الزراعية وقوانين تسوية الأراضي وكانت تعمل تلك القوانين على تشريد الفلاح الفلسطيني بتحميله الأعباء المرهقة ومنعه من تطوير الإنتاج الزراعي الفلسطيني وتسلبه أرضه التى عاش فيها مئات السنين. ثم وجد الحرفيون العرب أنهم أمام منافسة غير متكافئة مع الصناعة اليهودية التى كانت تحظى بدعم وتأييد الحركة الصهيونية سواء بالدعم المالي أو الخبرة الفنية العالية بجانب الانحياز التام للسلطة البريطانية في فلسطين والحيلولة دون إنشاء مدارس صناعية أو مراكز للتدريب الصناعي والمهني.

وقد أدت تلك الظروف إلى المواجهات المتعاقبة من الثورات والانتفاضات سنوات ١٩٢٠ -١٩٢١-١٩٢٩-١٩٣٣-١٩٣٦-١٩٣٩.

ورغم محاولة سلطة الانتداب البريطاني إدخال بعض التعديلات الهامشية في تلك القوانين فقد استمر تدهور الأوضاع الاقتصادية الفلسطينية واستمرت رغم ذلك حكومة الانتداب في فرض المزيد من القوانين واللوائح المتعلقة بملكية الأرض – الهجرة – الجنسية – حقوق استغلال الموارد الطبيعية وكلها تصب في مصلحة اليهود.

وهكذا أخذ الاقتصاد الفلسطيني يفقد قدرته على النمو في ظل تلك السياسات التعسفية وأخذ الاقتصاد الصهيوني ينمو ويزدهر واستولى اليهود على أكثر الهياكل الاقتصادية في البلاد ولاشك أن الإطار السياسي والاقتصادي والقانوني والإداري الذى سارت عليه حكومة الانتداب البريطانية في فلسطين خلال ١٩٢٠-١٩٤٨ أدى إلى الكارثة وضياع فلسطين.

المجالس التشريعية الاستشارية في عهد حكومة الانتداب ١٩٢٢-١٩٤٧

بدأت محاولة حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين تقديم بعض المشروعات بقصد إقامة مجالس تشريعية استشارية بعد أن تم تعيين هربرت صموئيل اليهودي البريطاني مندوبا ساميا على فلسطين.

وكانت الحكومة تعتقد أن ذلك يرضى العرب الساخطين على الانتداب وعلى وعد بلفور.

لكن جميع تلك المحاولات فشلت لسبب هام وهو أن أكثر سكان فلسطين من العرب فأي مجلس ينتخب تحت أي شروط يجب أن يكون للعرب الفلسطينيين أكثرية عددية وهو ما يرفضه الإنجليز واليهود على السواء. وكان العقل المفكر في تخطيط تلك المحاولات النائب العام اليهودي في فلسطين نورمان بنتويتش الذى طالما حاول العرب إقالته بدون جدوى وجرت محاولة فاشلة لاغتياله وعمل أستاذا للقانون الدولي في الجامعة العبرية بالقدس.

كانت الانتداب المفروض على منطقة الشرق الأدنى العراق والأردن وسوريا ولبنان حسب قرار عصبة الأمم في جنيف يعتبر من درجة (أ) الذى يفرض إنشاء حكومات وطنية لإدارة شئون البلاد تحت إشراف الدولة المنتدبة لإعدادهم للاستقلال التام. وتم ذلك فيما عدا فلسطين فبدلا من إنشاء حكومة وطنية أقامت الحكومة البريطانية إدارة سمتها حكومة فلسطين وحرمت أهل البلاد من حقوقهم المشروعة وألحقت تلك الحكومة بوزارة المستعمرات البريطانية بدلا من إتباعها لوزارة الخارجية.

جرت المحاولة الأولى بعد إلغاء الحكم العسكري سنة ١٩٢٠ وتعيين هربرت صموئيل اليهودي أول مندوب سامٍ مدني على فلسطين – حيث تم تعيين أول مجلس

استشاري عدد أعضائه عشرين نصفهم من الإنجليز وسبعة من العرب وثلاثة من اليهود وكانت اجتماعات المجلس شكلية ولم يسمح له بالتصويت على أي قرار فرفضه العرب وأصروا على إقامة حكم ذاتي كما نص عليه صك الانتداب فأوقفت حكومة فلسطين نشاط المجلس.

وفي سنة ١٩٢٢ وضعت الحكومة البريطانية دستور السياسة التى تعتزم اتباعها في إدارة شئون فلسطين وهو ما سمي بالكتاب الأبيض وعلى أساسه أبرم صك الانتداب الذى تضمن أخطر وأهم بندين إقرار وعد بلفور وإنشاء الوكالة اليهودية وهي التى أنيط بها إدارة الشئون التعليمية والصحية وجميع متطلبات الحياة اليومية لليهود في فلسطين ما عدا المالية والجمارك وشئون الأمن.

وصرح تشرشل وكان وزيرا للمستعمرات أن تصريح بلفور لايمكن العدول عنه وأن الحكومة البريطانية ملتزمة في إنشاء الوطن القومي لليهود بمساعدة اليهود الموجودين في أنحاء العالم ويلاحظ أن الكتاب الأبيض أضاف تعهدا جديدا لليهود بالإضافة إلى التعهدات السابقة باستعمال كلمة وتنمية الوطن القومي وهى لم ترد في نص وعد بلفور ومعناه تزايد واتساع الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

وأعطى الكتاب الأبيض الحق للجمعية الصهيونية في إبداء النصح والمشورة لحكومة فلسطين في جميع التدابير التى تؤثر على السكان اليهود وأن سياسة الهجرة تعتمد على مقدرة البلاد على الاستيعاب. وأن مراسلات مكماهون حسين لم تتضمن وعدا للعرب بإدخال فلسطين في حدود الدولة العربية المستقلة وجرى أول تنظيم إدارى في فلسطين على أساس استعماري يهودي وأسندت الدوائر الرئيسية إلى أشخاص بريطانيين أو يهود من أصل انجليزي فكان مدير المعارف – الأمن العام – المالية – الجمارك – العدل – الزراعة جميعهم من الإنجليز – ومديرو الهجرة والسفر والأراضي من اليهود الإنجليز وكذلك مستشار الحكومة والنائب العام «بنتويتش» يهودي ولكن الشعب الفلسطيني قرر عدم التعامل مع الحكومة على أساس الكتاب الأبيض والدستور الجديد ورفض مشروع المجلس التشريعي.

ومن أهم الأسباب التى حملت العرب على رفض هذا المجلس أنه بني على أساس الاعتراف بالانتداب وبوعد بلفور ولأنه كان لايمثل البلاد تمثيلا صحيحا فقد أعطى العرب الذين كانوا يمثلون ٩١٪ من السكان عشرة أعضاء من مجموعة أعضاء المجلس البالغ عددهم ٢٢ عضوا والباقي من الإنجليز واليهود.

وأعادت حكومة الانتداب المحاولة سنة ١٩٢٣ على أن يسمح باختيار الأعضاء بالانتخاب وليس التعيين ولكن بقيت المشكلة في عدد الأعضاء العرب البالغ أقل من النصف وهكذا رفض هذا المشروع أيضا.

وفي دورتين لعصبة الأمم ١٩٢٤-١٩٢٥ في جنيف نوقشت الحكومة البريطانية بسبب عدم تأسيس مجلس تشريعي في فلسطين فأجاب مندوبها بكل صراحة وجلاء بأنه «لايمكن إنشاء مجلس تشريعي في فلسطين يكون العرب فيه ممثلين حسب عددهم لأن ذلك يحول بين الحكومة وبين تنفيذ الواجبات المفروضة عليها بإنشاء الوطن القومي اليهودي».

ثار العرب وقاموا بعدة ثورات للدفاع عن حقوقهم ومصالحهم واندلعت ثورة ١٩٢٩ الكبيرة وسمع صوت فلسطين في أنحاء مختلفة من العالم.

فقامت الحكومة البريطانية في محاولة لإرضاء وتهدئة العرب وأصدرت كتابا أبيضا جديدا في أكتوبر سنة ١٩٣٠ أعلنت فيه أنها ستتقدم خطوة أخرى في سبيل منح أهل فلسطين درجة من الحكم الذاتي.

وعلى الرغم من أن الكتاب الأبيض الجديد لم يشمل الجديد بالنسبة للعرب وبني أيضا على أساس الانتداب ووعد بلفور على الرغم من ذلك لم يرفضه كليا العرب وأعلنوا أنهم على استعداد للتعاون مع الحكومة البريطانية في تنفيذ بعض المشروعات التى انطوى عليها ذلك الكتاب.

ولكن ما أن أعلنت الحكومة البريطانية عن عزمها تنفيذ بنود الاتفاق حتى هب اليهود وغلاة البريطانيين المؤيدين لهم مثل تشرشل - سمطس - ايمري تشمبرلن - بلدوين وغيرهم وطالبوا بإلغائه ونجحوا في ذلك وهكذا فشلت محاولة الفلسطينيين هذه المرة في التعاون مع الحكومة بعد أن تراجعت عن وعودها وأرسل رئيس الوزراء البريطاني رسله إلى وايزمان يطمئنه عن توطيد دعائم الوطن القومي اليهودي.

وفي سنة ١٩٣٥ عرض المندوب السامي البريطاني على ممثلي الأحزاب الفلسطينية وكذلك ممثلي اليهود مشروع تأسيس مجلس تشريعي جديد على أن يتألف من ٢٨ عضوا ٥ موظفين و١١ معينين غير موظفين و١٢ منتخبين على أن يعين رئيس المجلس من خارج فلسطين ويكون حياديا ولن يشترك في التصويت وله خبرة سابقة بالعمل القضائي.

يتمتع المجلس التشريعي بالسلطات والواجبات التالية بشرط وفاء الحكومة البريطانية بالتزاماتها الدولية وقيام المندوب السامي بالسلطات المخولة له ولن يصبح أي مشروع قرارا نافذا إلا بعد موافقة المندوب السامي عليه وفي حالة اتخاذ إجراءات سريعة للمحافظة على الأمن والنظام أو اعتماد نفقات عاجلة فإن من حق المندوب السامي إصدار قوانين تمكن من اتخاذ الإجراءات الضرورية وله أيضا الحق في تمديد أو حل المجلس أو تأجيل الانتخابات العامة ويظل موضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين منوطا بالمندوب السامي وحده. ولا يجوز مناقشة صحة الانتداب البريطاني على فلسطين أو موضوع الوطن القومي لليهود في البلاد – ولم يتفق الزعماء العرب على موقف موحد ولم يرفضوا المشروع وطالبوا بإدخال بعض التعديلات وأعربوا عن رغبتهم في التعاون على أساسه ولكن الضغوط الصهيونية وموقف حكومة الولايات المتحدة أجهضت المشروع.

وقامت الثورة العربية الكبرى سنة ١٩٣٦ وأرسلت الحكومة البريطانية لجنة للتحقيق في أسباب الثورة مما أدى في النهاية إلى إصدار كتابا أبيضا جديدا سنة ١٩٣٩ تضمن سياستها الجديدة في فلسطين واعترفت فيه بمبدأ تأسيس دولة فلسطينية مستقلة خلال ١٠ سنوات بشرط موافقة العرب واليهود على ذلك ولكنها تحت ضغط النفوذ اليهودي عادت وتراجعت عن أكثر بنود المشروع ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية ومحاولة إرضاء العرب والمحافظة على الظروف الأمنية في المنطقة أعلنت عن عدم السماح للبواخر المحملة باليهود بالدخول إلى الشواطىء الفلسطينية وقيدت قليلا موضوع انتقال الأراضي إلى اليهود ورغم ذلك استمرت الهجرة غير المشروعة وكانت حكومة الانتداب تتغاضى عن تسربهم إلى داخل البلاد.

وبدأ اليهود يستعدون للقيام بأعمال عنف ضد السلطات البريطانية في فلسطين وأخذت العصابات اليهودية في مهاجمة دوائر البوليس ونسف الدوائر الحكومية واغتيال الضباط والجنود الإنجليز وحاولوا قتل المندوب السامي البريطاني ونسفوا فندق الملك داود في القدس وراح ضحية ذلك عشرات الجنود والموظفين البريطانيين.

ورغم ذلك فإن حكومة الانتداب لم تتخذ الإجراءات الصارمة ضد الأعمال الإرهابية اليهودية كما كانت تفعل مع العرب الفلسطينيين من إعدام ومصادرات ونسف بيوت واعتقالات ونفي وكان اليهود قد توصلوا أثناء الحرب العالمية الثانية إلى درجة

عالية من القوة الاقتصادية والصناعية وخاصة صنع بعض أنواع السلاح الذى كان يقدم لخدمة المجهود الحربي البريطاني.

وفي سنة ١٩٤٦ تخلت بريطانيا تماما عن سياسة الكتاب الأبيض ولم تعد هناك أسباب تجعل حكومة الانتداب تعمل حسابا للعرب بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية بانتصارها.

واندلعت الاضطرابات العربية ضد الحكومة في بادئ الأمر ثم تحول الصراع بين العرب واليهود وباتت الحكومة تلعب دور المتفرج ظاهريا والمساعد الأكبر لليهود سرا. وأصبح التدخل الأمريكي السافر المؤيد للموقف اليهودي يزيد من ضغطه على الحكومة البريطانية بحيث أصبحت لاتتخذ أي قرار بدون موافقة الولايات المتحدة الأمريكية.

وكان إعلان أمريكا ضرورة إدخال مائة ألف يهودي إلى فلسطين سنة ١٩٤٦ توطئة لرفض المشروع البريطاني الجديد الذي قدم إلى مؤتمر لندن باسم مشروع موريسون رئيس مجلس اللوردات البريطاني وكان المشروع الجديد يرتكز على مايلي:

لا دولة يهودية ولا دولة عربية ولا دولة ثنائية وإنما إعطاء كل فريق منطقة خاصة يمارس فيها حكما ذاتيا خاضعا للحكومة المركزية في القدس. ويتم تقسيم فلسطين إلى كانتونات تقسم بين العرب واليهود ومن سخرية القدر أن هذا المشروع أباح لليهود استقبال أي عدد من المهاجرين أي أنه فتح باب الهجرة على مصراعيه أمام دخول اليهود إلى فلسطين دون قيد أو شرط.

ولكن الوفود العربية الموجودة في لندن والتى كانت تمثل مصر والعراق ولبنان والأردن والسعودية واليمن وسوريا والجامعة العربية رفضت المشروع وكذلك رفضته أمريكا وأعلنت دعمها لسياسة الوكالة اليهودية بإقامة دولة يهودية مستقلة ووافقت بريطانيا بإدخال مائة ألف يهودي إلى فلسطين.

وتقدم الوفود العربية بمشروع مضاد ولكن بريطانيا رفضته لأنه لا يقبل قيام دولة يهودية في فلسطين.

وأخيرا: عادت بريطانيا وقدمت مشروعا جديداً عرف باسم مشروع بيفن تضمن عدة نقاط ارتكزت على استمرار الانتداب لمدة خمس سنوات وإقامة مجالس عربية

ويهودية تتمتع باستقلال ذاتي ولكن حجر العثرة دائما موضوع الهجرة حيث لم تقبل بريطانيا إيقافها تماما بل أبقت الباب مواربا.

وهكذا أسدل الستار عن آخر مؤتمر وآخر المشاريع التى عقدت بشأن القضية الفلسطينية.

لجان التحقيق - الكتاب الأبيض - القرارات البريطانية أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين

دأبت الحكومة البريطانية في أعقاب كل ثورة أو انتفاضة شهدتها فلسطين ضد الحكم البريطاني في فلسطين على إرسال لجان تحقيق لدراسة الأوضاع في فلسطين وتقديم توصياتها إلى الحكومة البريطانية. واثر تلك التقارير التي كانت تقدمها تلك اللجان كانت الحكومة البريطانية تعمد إلى إصدار - عدة قرارات - صدر منها ثلاثة سميت بالكتاب الأبيض.

الأول صدر سنة ١٩٢٢ والثاني صدر سنة ١٩٣٠ والثالث صدر سنة ١٩٣٩.

الكتاب الأبيض الصادر سنة ١٩٢٢

بعد ثورة ١٩٢١ التى بدأت في مدينة يافا وامتد لهيبها إلى أنحاء فلسطين وقتل فيها أعداد من العرب واليهود وسقط العديد برصاص الجيش البريطاني أرسلت الحكومة البريطانية لجنة تحقيق يرأسها السير توماس هايكرفت حيث أثبتت في توصياتها أن سبب الاضطرابات تعود إلى الشعور السائد ضد اليهود بسبب خطط حكومة الانتداب المنحازة إلى اليهود وحرمان العرب من الاستقلال وحكم أنفسهم وعلى أثر ذلك قرر العرب إرسال وفد فلسطيني إلى لندن للدعاية للقضية الفلسطينية والاتصال بالمسئولين في الحكومة البريطانية.

لم تستجب بريطانيا لمطالب العرب الفلسطينيين وأصدر وزير المستعمرات ونستون تشرشل ما سمي بالكتاب الأبيض في ١٩٢٢/٦/٢٢ تضمن رفض توصيات لجنة التحقيق وعدم تلبية المطالب الفلسطينية لأنها تتعارض مع تعهدات بريطانيا لليهود - وتضمن الكتاب اقتراحا بمنح دستور لفلسطين ومشروع تأليف مجلس تشريعي وقد رفض عرب فلسطين تلك المقترحات التي جاء بها الكتاب الأبيض لأنها لا تحقق شيئا من

مطالبهم – وقد اعترف الزعيم اليهودي وايزمان وكذلك نورمان بنتويتش مستشار حكومة الانتداب أن المندوب السامي البريطاني اليهودي في فلسطين هربرت صموئيل هو الذى وضع صيغة تلك المقترحات ولم يكن أمام تشرشل إلا توقيعها.

وافق اليهود على الكتاب المذكور لأنه يحقق للصهيونية أكثر مما كانت تتطلع إليه ورفض الفلسطينيون مشروع الدستور وكذلك الاشتراك في الانتخابات المزمعة لتشكيل المجلس التشريعي لان نصوص المشروع والاشتراك في الانتخابات كانت تعني القبول الكامل للانتداب ووعد بلفور ولأنه يخالف أماني ومطالب الشعب الفلسطيني ويحول البلاد إلى وطن قومي لليهود.

ومما جاء في الكتاب الأبيض المذكور أن تصريح بلفور لايمكن البحث في العدول عنه وأن تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين يأتي في المرتبة الأولى وحماية حقوق السكان غير اليهود يأتي في المرتبة الثانية وأدعى التصريح الوارد في الكتاب الأبيض أن هدفه حل المشاكل التى تثير قلق وتخوف السكان وأضاف أن بريطانيا لاتريد جعل فلسطين دولة يهودية برمتها وأن الهدف النهائي في وعد بلفور زيادة نمو الطائفة اليهودية حتى تصبح فلسطين مركزا يكون فيه للشعب اليهودي اهتمام وفخر من الوجهتين الدينية والقومية وأن لاتزيد الهجرة اليهودية إلى فلسطين عن قدرة البلاد الاقتصادية لاستيعابها وأخيرا جاء فيه أن الحكومة البريطانية سوف تمنح فلسطين بعض مؤسسات الحكم الذاتى على أن يتم ذلك تدريجيا على يد المجلس التشريعي الذى أشرنا إليه.

الكتاب الأبيض الثاني الصادر سنة ١٩٣٠

عينت الحكومة البريطانية جريا على عادتها بعد كل ثورة أو انتفاضة فلسطينية لجنة تحقيق لمعرفة أسباب ثورة ١٩٢٩ يرأسه القاضي «شو» للنظر في شكاوى العرب ولجنة ثانية لبحث موضوع الأراضي والهجرة يرأسه الخبير البريطاني «سمبسون» ولجنة ثالثة فنية رفعت جميعها تقاريرها إلى الحكومة البريطانية حيث كشفت النقاب عن المآسي السياسية والاقتصادية والتشريعية التى تنزل بالعرب الفلسطينيين واشتملت التقارير عدة توصيات لتحسين حالة أهل فلسطين العرب وحماية حقوقهم والمحافظة على أراضيهم واشتراكهم في الحكم والإدارة لعدم تكرار الاضطرابات.

أثر ذلك أرسل الفلسطينيون وفدا آخر إلى لندن للتباحث مع الحكومة البريطانية

حيث اجتمعوا مع عدد كبير من رجال الدين والسياسة والصحافة والمعاهد العلمية ونشرت الحكومة البريطانية نص الكتاب الأبيض الجديد في أكتوبر سنة ١٩٣٠ حيث أكدت عزمها على الأخذ بتوصيات لجان التحقيق خصوصا بالنسبة للخطوات الدستورية والأراضي والهجرة رغم أن الكتاب لم يحقق رغبات العرب ولكنه مع ذلك متوازنا وقريبا من وجهة النظر العربية - وقبلة العرب مع بعض التحفظات لأن التقرير تمسك بنصوص صك الانتداب وتسهيل بناء الوطن القومي والتعهد بالمحافظة على الحقوق المشروعة لليهود وتنظيم الهجرة على قدر استيعاب البلاد.

ثارت ثائرة اليهود وبدءوا حملات شرسة ضد الكتاب الأبيض بجميع نصوصه وتركزت حملاتهم في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفي فرنسا وغيرها من العواصم الأوربية واستطاعت الصهيونية العالمية أن تفرض على حكومة بريطانيا سحب الكتاب وإهماله.

وقد حاولت حكومة الانتداب في فلسطين أن تدخل على الكتاب العديد من التعديلات التى أفقدته تماما كل ما فيه مصلحة الفلسطينيين العرب حتى أن أهل فلسطين أطلقوا عليه الكتاب الأسود.

وهكذا رغم أن هذا الكتاب لم يقرر صراحة إيقاف الهجرة ومنع بيع الأراضي فقد اعتبره العرب أول بصيص من النور يلوح لهم.

الكتاب الأبيض الصادر سنة ١٩٣٩

إثر انتهاء الثورة الفلسطينية الكبرى من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٣٩ ونتيجة لفشل الحكومة البريطانية في التوصل إلى حل بشأن القضية الفلسطينية ولعدم توصل المحادثات العربية البريطانية إلى نتيجة مرضية أعلنت بريطانيا سياستها الجديدة في كتاب أبيض صدر في ١٧ مايو سنة ١٩٣٩ جاء فيه أن حكومة بريطانيا ترمي إلى تشكيل (خلال عشر سنوات) حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة وطلب من عصبة الأمم في جنيف إلغاء الانتداب وكذلك السماح بدخول ٧٥ ألف مهاجر يهودي إلى فلسطين خلال الخمس سنوات القادمة وخولت المندوب السامي كيفية منح وتنظيم انتقال الأراضي - استقبل اليهود الكتاب الأبيض بالرفض التام وقامت مظاهرات يهودية معادية لبريطانيا في كل من القدس وتل أبيب وحيفا وأعتبر العرب أن الكتاب الأبيض ربما يكون خطوه على الطريق رغم ما فيه من فجوات - واشتد الخلاف بين الفئات

الفلسطينية وانقسمت اللجنة العربية العليا بين مؤيد ومعارض ورأس الجانب المعارض المفتي (الحاج أمين الحسيني) ورغم بعض الضغوط العربية تمكن الحاج أمين الحسيني من إقناع أعضاء اللجنة العربية العليا برفض الكتاب المذكور.

واختلفت آراء الكتاب والمؤرخين حول الظروف التى أدت إلى رفض الكتاب المذكور وخصوصا أن الثورة الفلسطينية الكبرى كانت في مراحلها الأخيرة حيث بدأت تعاني العجز في السلاح والذخيرة والتمويل وبدأ قادة الثورة ينسحبون من ميادين القتال خصوصا بعد مقتل القائد العظيم (عبد الرحيم الحاج محمد).

قضية الأرض الفلسطينية

تمهيد

رغم الأهمية البالغة التى تمر بها القضية الفلسطينية وتأليف عشرات بل مئات الكتب والمقالات والأحاديث والمؤتمرات التى تتحدث عنها فإن قضية الأرض لم تحظ بمزيد من الدراسة المتخصصة من قبل الدارسين والباحثن العرب مع العلم أن أية دراسة عن القضية الفلسطينية كانت تشير بشكل أو بآخر إلى موضوع الأرض.

تطل علينا بين الحين والآخر تصريحات في الصحافة العربية تنحى باللائمة وتتهم الفلسطينيين بأنهم باعوا أرضهم لليهود مما أدى إلى إنشاء دولة إسرائيل.

والأرجح أنها حملة تقوم بها وسائل الإعلام الإسرائيلية والغربية لتنفث السموم ضد سمعة الفلسطينيين وإتهامهم بالخيانة وهذا بلا شك يشير إلى مدى الألم الذى يعتصر الشعب الفلسطيني الذى ناضل وكافح ضد أعتى قوتين في العالم الإمبراطورية البريطانية والصهونية العالمية. ونقصد كذلك إصابة الشباب الفلسطيني بحالة من الإحباط وفقدان الأمل والتشكيك بتاريخه ونضاله الطويل.

إن الهدف من إعداد هذه الدراسة هو إيضاح الحقيقة وتكذيب ما يقال بأن الفلسطينيين باعوا أرضهم وإظهار أن سياسة حكومة الانتداب البريطاني لتهويد فلسطين وأخطاء الحكم العثماني وتخلف الأمة العربية هم المسئولون الرئيسيون لضياع أرض فلسطين وإعطائها لليهود.

كانت فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى جزءا من الدولة العثمانية وهى رقعة صغيرة من الأرض مساحتها ٢٦ ألف كيلومترا مربعا تعيش فيها جالية يهودية جنبا إلى جنب مع السكان العرب من مسلمين ومسيحيين كمواطنين لهم كافة الحقوق

السياسية والدينية والاقتصادية بصفتهم من أهل البلاد وهو ما كان يحصل في الأقطار العربية الأخرى كمصر وسوريا والعراق والمغرب العربي وفي بعض تلك الدول وصل اليهود إلى أعلى المراكز وكانوا يملكون أكبر المحلات التجارية والمؤسسات الاقتصادية ولم يكن أحد يدري في فلسطين أو في الدول العربية ما كانت تبيته الصهيونية العالمية من أهداف للوصول إلى فلسطين والسيطرة عليها وإقامة دولة إسرائيل.

سنت الدولة العثمانية سنة ١٨٣٩ قوانين تنظيم ملكية الأرض وشكلت تلك القوانين تطورات الحيازة واتسمت تلك الفترة بتثبيت حقوق الفلاحين فوق الأرض التى حازوها دون الالتفات إلى الطريق التى حازوها ودون الالتفات إلى الطريقة التى تمت الحيازة من خلالها فقد كان يكفى الفلاح زراعته للأرض مدة عشر سنوات متتاليات حتى يصبح من حقه حيازتها وتوريثها لأبنائه وأقاربه وكان الهدف من ذلك تشجيع الزراعة طبقا لقاعدة «الأرض لمن يزرعها» وحاولت الدولة العثمانية تشجيع الفلاحين الفلسطينيين بتسجيل أراضيهم ولكنهم عزفوا عن ذلك خوفا من الضرائب ومن ملاحقتهم للالتحاق بالجيش.

وتميزت الفترة من ١٨٣٩ - ١٨٥٩ بوقوف الدولة العثمانية في وجه محاولات اليهود للاستيطان في فلسطين ولكن بدأ التغلغل الأجنبي في أثناء ضعف الدولة العثمانية وخصوصا تدخل بريطانيا في محاولات لإقناع الحكومة العثمانية بتبنى مشروع وطن قومي لليهود في فلسطين مقابل نفوذ اليهود وثرواتهم ومساعداتهم المادية والسياسية للدولة العثمانية.

ولكن حتى نهاية القرن التاسع عشر لم تنجح كثيرا تلك المحاولات وقامت بريطانيا بفتح قنصلية لها في القدس أخذت تهتم بجمع اليهود وتمنحهم جوازات سفر بريطانية ليتمتعوا بالحماية الأجنبية ونجحت في أن تفتح لهم الأبواب المغلقة من خلال الباب العالي في استنبول.

أخذ نزوح اليهود الأوربيين إلى فلسطين يزداد تدريجيا عقب تغيير النظام السياسي في الدولة العثمانية سنة ١٩٠٩ بعد الانقلاب العثماني وعزل السلطان عبد الحميد الذى كان يرفض أية مساومة بخصوص فلسطين.

بدأ الموقف يتغير وبدأت السلطات العثمانية تتساهل في تطبيق قوانين الهجرة وامتلاك الأرض التى كانت سائدة في العهد السابق للانقلاب وأخذ اليهود في شراء الأرض والتسلل إلى فلسطين.

لم يفهم الشعب الفلسطيني حقيقة أهداف الصهيونية العالمية التى تؤازرها الدول الغربية ولم يعلم بإصدار الحكومة البريطانية لوعد بلفور أو باتفاقية «سايكس – بيكو» بين بريطانيا وفرنسا وتقضي بتقسيم الوطن العربي والغدر بالوعود التى قطعت للشريف «حسين بن على» أمير الحجاز في ذلك الوقت وتم كل ذلك لندرة وسائل الإعلام والاتصال والتخلف والظلام الذى أشاعه العهد العثماني في شتى أنحاء الوطن العربي.

كان عدد اليهود سنة ١٨٨٠ حوالي ٢٤ ألفا في فلسطين قفز إلى ٥٦ ألفا في أعقاب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨.

وكان انشغال الدولة العثمانية بتلك الحرب قد مكن اليهود من مضاعفة حيازتهم للأرض بما لديهم من إغراءات مادية ضخمة.

وعقب انهيار الدولة العثمانية وقعت فلسطين بين مخالب الاستعمار البريطاني من ناحية وجشع الصهيونية العالمية من ناحية أخرى وبدأت تتخبط بين هاتين القوتين العظميين وهما أقوى قوتين في العالم في ذلك الوقت.

وكان المنعطف الحقيقي للمتغيرات الجذرية في موضوع الأرض الفلسطينية بدأ منذ صدور وعد «بلفور» حيث قامت حكومة الانتداب البريطانية بقلب القوانين العثمانية رأسا على عقب وبدأت تسن القوانين الهادفة إلى خدمة الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

لم يتيسر لأهل فلسطين الوسائل الكفيلة للمقاومة والدفاع ورغم ذلك فقد بذلوا من الجهود المتوفرة لديهم طيلة حوالي ثلاثين عاما وقدموا أثناء المقاومة آلاف الضحايا والشهداء وتم تعليق العشرات منهم على أعواد المشانق التى أقامها الانتداب البريطاني في فلسطين وتم تشريد آلاف الفلاحين بعد انتزاع أراضيهم بحجج مختلفة اخترعها الاستعمار البريطاني.

وكان السكان الريفيون من الفلاحين يشكلون حوالى ثلثي السكان في فلسطين أي أن نسبة كبيرة من السكان كانت تعتمد على الزراعة رغم أن عددا كبيرا من الفلاحين كانوا لايملكون الأراضي التى يفلحونها كما أن عددا آخر كانوا يملكون قطعا صغيرة لاتكفيهم.

ومن أسباب ازدياد سوء أحوال الفلاحين خلال فترة الانتداب البريطاني بعد زوال

الحكم العثماني ما خلفته الحرب العالمية الأولى من آثار مرهقة كإلغاء البنك العثماني الزراعي الذى كان يزود المزارعين ببعض القروض الزراعية وازدياد تحصيل الضرائب الباهظة والاعتماد على التخمين في تقدير الكثير من تلك الضرائب حيث وجد الفلاح نفسه يدفع حوالي ٢٥-٥٠٪ من دخله مما اضطر معظم الفلاحين إلى الاقتراض من المرابين بفوائد عالية أجبرتهم إما إلى رهن الأرض أو بيعها أو تسجيلها باسم آخرين.

وكذلك زادت مأساة الفلاح الفلسطيني ومعاناته إصرار حكومة الانتداب على تنفيذ وعد «بلفور» ببنوده المجحفة واتجاههم إلى إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين ورفضت تقديم أي دعم للتجارة أو الصناعة أو المنتجات الزراعية الفلسطينية ورفضت تأسيس أى بنك زراعي أو مصرفي عادي وتركت لفروع البنوك الأجنبية التحكم في مصالح السكان وفرض الفوائد بنسب عالية وكان هم تلك البنوك جني أكبر نسبة من الربح وتشجيع الواردات الأجنبية إلى فلسطين وحالت دون أكثر المحاولات لتشجيع الصادرات الفلسطينية بينما كانت هناك المؤسسات والبنوك اليهودية ترعى الفلاح اليهودي وتدعمه وترشده في امتلاك الأرض وتدعم الصناعة اليهودية ونستطيع القول إن جميع الإمكانيات الاقتصادية والمالية كانت محصورة بيد الأجانب واليهود كما كان الحال في كثير من البلدان العربية الأخرى ولما استطاع طلعت حرب تأسيس بنك مصر سنة ١٩٢٠ وكان أول بنك عربي يؤسس في المشرق العربي حاول بطلب من الفلسطينيين إنشاء فرع لبنك مصر في فلسطين ولكن حكومة الانتداب رفضت طلبه - ولم يتم تأسيس أول بنك عربي في فلسطين إلا سنة ١٩٣٠ وهو البنك العربي المحدود.

ولاشك أن اهتمام حكومة الانتداب البريطانية الأساسي كان خدمة المصالح اليهودية وتنفيذ وعد بلفور لذلك كان أول إجراء قامت به الحكومة البريطانية بعد إلغاء الأحكام العسكرية في أعقاب الحرب العالمية الأولى وإعلان الانتداب البريطاني على فلسطين تعيين السير «هربرت صموئيل» كأول مندوب سام بريطاني في فلسطين وهو من غلاة اليهود الصهيونيين عينته بريطانيا خصيصا ليساعد ويمهد لإنشاء الوطن القومي اليهودي وأخذت القوانين تسن بهدف تمكين الصهيونية من انتزاع الأرض العربية وإبقاء الفلاحين في حالة من الفقر والتخلف ومن أشد تلك القوانين التى فرضتها حكومة الانتداب وأصدرها المندوب السامي اليهودي .

١- قانون انتقال الأرض وصدر سنة ١٩٢٠ ويشمل:

أ - ممنوع انتقال الأرض الفلسطينية لغير الفلسطينيين ويجب موافقة الحكومة على أي استثناء لهذا القانون والمقصود من هذا القانون منع العرب والمسلمين وغير الفلسطينيين من شراء أرض في فلسطين.

ب - كل من أصلح أرضا بدون الحصول على إذن مسبق من الحكومة لايجوز له الحصول على سند ملكية (كوشان) وهو ما يعادل التسجيل في الشهر العقاري في مصر وتطرح تلك الأرض للمزايدة وبطبيعة الحال كانت تقع في أيدي الشركات اليهودية التى تمولها الصهيونية العالمية.

٢- قانون امتلاك الأرض للجيش وصدر سنة ١٩٢١ حيث تم الاستيلاء على أراضٍ واسعة يملكها العرب والأوقاف الإسلامية وخصوصا في القدس وصرفند التى تقع بين يافا والرملة

٣- قانون نزع الملكية الصادر سنة ١٩٢٦ الذى سمح لحكومة الانتداب البريطانية الاستيلاء على أية أراض لازمة للاستيطان اليهودي وقد صدر القانون رغم الاحتجاجات واعتراض الفلسطينيين عليه ومن أكثر المناطق التى تم نزع الملكية فيها مناطق غزة والناصرة وشمالي فلسطين.

٤- قانون تسوية حقوق ملكية الأرض وقد ادعت الحكومة بأن هدف القانون تقسيم الأراضي وإزالة نظام المشاع وتحديد الملكية ومن سخرية القدر أن المسئول الذى عينته الحكومة لتنفيذ هذا القانون كان يهوديا صهيونيا متعصبا.

ولما كانت أعداد كبيرة من الفلاحين الفلسطينيين لايملكون سندات ملكية (ككواشين) تثبت ملكيتهم للأرض رغم أنهم يعيشون فوقها منذ عشرات السنين جاء هذا القانون لينتزع آلاف الدونمات منهم وتحويلها إلى أملاك الدولة (أملاك أميريه) وقد تسربت أكثر تلك الأراضي فيما بعد إلى اليهود سواء بالهبة أو البيع بسعر بخس أو التأجير لمدد طويلة جدا.

٥- قانون ضم آلاف الدونمات إلى تنظيم المدن: ضمت حكومة الانتداب آلاف الدونمات من الأراضي الزراعية التى تجاور المدن وخصوصا مدن القدس ويافا وحيفا وبئر سبع ضمتها الى تنظيم المدن بحجة أنها أراض صالحة للبناء وبذلك تضاعفت الضرائب عليها كثيرا مما اضطر الفلاحين إلى بيعها والهجرة إلى المدن.

وفي بيان صدر في فلسطين سنة ١٩٢٤ تحدث عن شكلين من ملكية الأرض الفلسطينية:

١- الملكية الكبيرة تتضمن:

أ- كبار الملاك (ويطلق عليهم «الإقطاعيين»)

ب- الشركات اليهودية التي تدعمها ماليا المؤسسات الصهيونية العالمية

جـ - الأوقاف الإسلامية

د - أملاك الكنائس المسيحية

٢- الملكية الصغيرة وتشمل الأراضي التي تم تحديدها بموجب قانون تسوية الأرض - وتم إصداره لخدمة المصالح اليهودية - أو القطع الصغيرة المفروزة.

الأراضي التي يملكها كبار الملاك الفلسطينيين

١- أسرة عبد الهادي وتملك ١٧ قرية حوالي ٦٠ ألف دونم أسرة الجيوسي ٢٤ قرية أسرة البرغوثي وتملك ٢٩ قرية أسرة الحسيني وتملك ٥٠ ألف دونم أسرة التاجي الفاروقي وتملك ٥٠ ألف دونم أسرة الشوا وتملك ١٠٠ ألف دونم بجانب عائلات الغصين - أبو خضره - الفاهوم - الطبري - الماضي - الدجاني وكانت تملك مساحات واسعة.

الشركات الصهيونية- الكارن كايمت - الكارن هايسود وكانت تلك الشركات تشتري الأراضي بتمويل من الصهيونية العالمية والهبات والتنازلات التي قدمتها الحكومة الفلسطينية لهم.

الأوقاف الإسلامية: قدرت أملاكها بحوالي ١٠٠ ألف دونم من الأراضي الزراعية

أملاك الكنيسة المسيحية:

وأكثرها عقارات في المدن وخصوصا القدس ويافا بجانب بعض الأراضي الزراعية.

وبالرغم من جميع التقارير التي أصدرتها اللجان المختلفة التي أرسلتها حكومة

لندن للتحقيق في مشاكل الأرض في فلسطين وكانت تلك اللجان تفد إلى فلسطين بعد كل انتفاضة للشعب الفلسطيني ومنذ أوائل العشرينات وكانت تقاريرها تشير الى الظروف الصعبة التى يعاني منها الفلاح الفلسطيني وتضع بعض الحلول التى تقيد انتقال الأرض ومساعدة الفلاح الفلسطيني وفرض بعض القيود على هجرة اليهود إلى فلسطين التى كانت تتدفق دون توقف رغم ذلك فإن جميع التقارير أهملت واستمرت سياسة حكومة فلسطين كما هي دون الالتفات إلى تلك التوصيات. ونتيجة لذلك قامت أشهر الثورات الفلسطينية التى اشتعلت منذ ١٩٢٠ - ١٩٣٩.

ورغم جميع تلك القوانين والمساعدات والهبات والتسهيلات التى قدمتها حكومة الانتداب فقد جاء في إحصاء رسمي من سجلات حكومة فلسطين مؤرخ في ١٩٤٦/٤/١ أى قبل قيام دولة إسرائيل بفترة وجيزة أن اليهود **لم يملكوا إلا ستة في المائة ٦٪ من مجموع أراضي فلسطين** ومساحته ١,٤٩١,٦٩٩ دونما من أصل ٢٦,٣٢٣,٢٣٠ دونما مساحة أراضي فلسطين وباقي المساحة إما أراضٍ عربية فلسطينية أو أراضٍ أميريه أى تملكها الدولة مثل الصحاري والطرق والبحيرات والجبال.

وجاء في إحصاءات الوكالة اليهودية أن مجموع ما قدمته حكومة الانتداب للوكالة اليهودية (وهي التى كانت تمثل يهود فلسطين) بلغ ٥٠٠ ألف دونم منها ٣٢٥ ألف دونم كمنحه و١٧٥ دونم بالإيجار وبلغ مجموع الأراضي التى اشتراها اليهود من أصحابها اللبنانيين والسوريين ٦٢٥ ألف دونم وبلغ ما أكره عرب فلسطين على بيعه أيام الانتداب البريطاني ٢٦١ ألف دونم وكان ذلك نتيجة القوانين الجائرة والمصادرات والضرائب والإغراءات المادية وكانت المؤسسات الصهيونية تدفع أكثر من أربعة آلاف جنيه ذهبا ثمنا للفدان الواحد وذلك في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن (والفدان يساوى أربعة دونمات).

الحركة الصهيونية التى تحولت بعد مؤتمر بازل في سويسرا سنة ١٨٩٧ إلى حركة سياسية أهدافها الرئيسية الاستيلاء على الأراضي وتشجيع الهجرة إلى فلسطين ولتحيق ذلك قامت بإنشاء مؤسستي الكارون كيمت (الصندوق القومي لشراء الأرض في فلسطين) والكارون هايسود (الصندوق التأسيسي لشراء الأرض في فلسطين) الأولى سنة ١٩٠٧ والثانية سنة ١٩٢٠ ووضعت تحت تصرفهما الأموال بلا حدود وكان بنك روتشلد العالمي اليهودي من أكبر المساهمين والممولين.

وتمكنت هاتان المؤسستان اليهوديتان من شراء عشرات الآلاف من الدونمات أثناء الاحتلال العثماني وفي فترة أواخر عهده وأوائل الاحتلال البريطاني لفلسطين وفي تلك الأثناء باعت أسرة القباني فى بيروت ١٦ ألف دونم تقع إلى الغرب من طولكرم وباع الأمير «سعيد الجزائري» من دمشق قرية المنشية شمالي عكا وباعت أسرة المارديني قسما كبيرا من أراضي مدينة صفد في الشمال وباعت أسرة اليوسف من دمشق عدة قرى ومناطق في ناحية الجولان وباع على سليم العمري ورفيق العمري من دمشق أراضي قريتي إجليل والحرم التابعة ليافا واشترى اليهود من آل سرسق في بيروت ١٨آلاف دونم ومن آل التويني ١٨ ألف دونم أيضا في قضاء عكا وباعت أسرة التويني أيضا منطقة نهاريا في شمال غرب فلسطين وآل سلام باعوا أراضي بحيرة الحوله في الشمال الفلسطيني. وجميع هذه الأسر من خارج فلسطين.

ولعل أبشع صورة لمأساة الأرض في فلسطين أثناء الانتداب البريطاني هي طرد عرب وسكان وادي الحوارث قرب الساحل الفلسطيني وكانت مساحتها ٤٠ ألف دونم ومسجلة باسم عائلة التيان البيروتيه وتسكنها ٢٥٤٦ عائلة من أسر الفلاحين وقد اشترتها شركة الكارون كيمت الصهيونية وقامت سلطات الاحتلال البريطانية بطرد السكان وهدم بيوتهم بقوة السلاح حينما رفضوا الجلاء عن أرض يعيشون فيها منذ عشرات السنين. كما باع آل سرسق أراضي مرج ابن عامر وهي من أجود الأراضي الزراعية في فلسطين ومساحتها حوالى ٨٠ ألف دونم.

وإلى جانب هؤلاء باع بعض كبار الإقطاعيين الفلسطينيين وهم من عائلات معروفة عدة آلاف من الدونمات إلى اليهود وتم أكثر عمليات البيع أثناء الحكم العثماني. أى قبل معرفة العرب بصدور وعد بلفور.

كيف استولت تلك العائلات سواء خارج فلسطين أو داخلها على تلك المساحات الواسعة من الأراضي الفلسطينية؟

لقد تم ذلك عن طريق الالتزام ومعناه دفع ضرائب عن تلك الأرض أو الشراء بأبخس الأثمان حينما كان الفلاح الفلسطيني لايقبل على تسجيل أرضه للهرب من دفع الضرائب.

والضرائب في العهد العثماني كانت كما يلي:

ضريبة الويركو – وهي ضريبة تقديرية على الأرض وقد وصلت إلى أكثر من ١٦٪

ضريبة الأعشار – وهي ضريبة تؤخذ من قيمة المحصول سنويا بنسبة ١٠٪

ضريبة الجهاد – ضريبة أضافتها الدولة العثمانية وقيمتها حوالي ٢٫٥٪

أما نظام الالتزام فهو كما ذكرنا أن توكل الحكومة العثمانية إلى بعض الأشخاص دفع الضرائب عن أراض معينة وتسمح له بتحصيلها من الفلاحين ويسمى هذا الشخص «الملتزم» فهو يدفع الضريبة المقررة إلى الدولة ويقوم بتحصيلها بكافة الطرق من الفلاحين مما دفعهم في أحيان كثيرة إلى الإقرار بعدم ملكيتهم لتلك الأرض.

وقد لجأ بعض الأغنياء والإقطاعيين الكبار إلى تسجيل تلك الأراضي باسمهم وبقى الفلاح يعيش فوق تلك الأرض ويعمل فيها وهو لايدرى أنه لايملكها.

وتمت مأساة الأرض في فلسطين حين أقرت الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى قسمين: عربي ويهودي وحظي القسم اليهودي على نسبة ٥٦٫٤٧٪ من أراضي فلسطين أي ١٤٩٤٢ ألف كيلو مترا مربعا ويضم أجود الأراضي وأكثرها خصوبة والقسم العربي على نسبة ٤٢٫٨٨٪ من الأراضي أى ١١٢٠٢ كيلو مترا مربعا والقدس الدولية بنسبة ٠٫٦٥٪ من الأرض وهي ١٧٧ كيلو مترا مربعا وبذلك جاءت أكبر المدن الفلسطينية العربية وهي يافا وغيرها ضمن القسم اليهودي.

وقد جرت الموافقة على هذا القرار بجهود مكثفة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا خصوصا على الدول الصغيرة حديثة الاستقلال.

وفي آخر إحصاء لموضوع الأرض في فلسطين جاء في سجلات الحكومة البريطانية وهي مودعه لدى وزارة الخارجية في لندن ونسخا منها موجودة في الأردن والقدس كانت فلسطين مقسمة إلى عدة ألوية (ويطلق على اللواء في مصر محافظه).

١– لواء الجليل ومساحة أرضه نحو ٢٫٨٠١٫٠٠٠ دونم للفلسطينيين منها ٢٫٢٢٥٫٠٠٠ دونما ولليهود ٥٦٧٫٠٠٠ دونما أى حوالي ٢٠٪ فقط.

٢– لواء حيفا مساحة أرضه ١٫٠٣١٫٠٠٠ دونما للفلسطينيين منها ٦٦٧٤٨٠ دونما ولليهود ٣٦٤٢٧٥ دونما أي ٣٥٪.

٣– لواء نابلس مساحة أرضه ٣٫٢٦٢٫٣٠٠ دونما للفلسطينيين منها ٣٫١١٦٫٧٠٠ دونما ولليهود ١٤٥٦٢٥ دونما بنسبة ٤٫٤٪ فقط.

٤- لواء اللد مساحة أرضه ١٫٢٠٥٫٥٦٠ دونما للفلسطينيين منها ٩٥٣٫٩٦٠ دونما ولليهود ٢٥١٥٩٨ دونما أي حوالي ٢٠٫٨٠٪.

٥- لواء القدس مساحة أرضه ٤٫٣٣٣٫٥٣٠ دونما للفلسطينيين منها ٤٫٢٩٣٫٨٥٥ دونما ولليهود ٣٩٦٧٩ دونما أى أقل من ١ في المائة ٠٫٩٪ ويلاحظ هنا ضآلة ما يملكه اليهود في منطقة القدس.

٦- لواء غزة مساحة أرضه ١٣٫٦٨٨٫٥٠٠ دونما للفلسطينيين منها ١٣٫٥٧٤٫٠٠٠ دونما ولليهود ١٤٤٤٩٠ دونما أي أقل من واحد في المائة ٠٫٠٨٪.

وبعد انتصار اليهود في حرب ١٩٤٨ بدأت إسرائيل فور إعلان دولتها في سن القوانين بغرض الاستيلاء على أراضي المواطنين الفلسطينيين ومنها:

١- قانون الطوارئ وصدر عام ١٩٤٩ وتم بموجبه مصادرة الأراضي العربية في مناطق الحدود وكانت نسبة السكان العرب بها ٨٠٪ وتشمل مناطق الجليل الأعلى ومنطقة المثلث نابلس - طولكرم - جنين - والنقب وذلك بحجة المحافظة على أمن الدولة وكانت تلك الأراضي من أجود أراضي فلسطين الزراعية.

٢- قانون الأراضي البور وقد خول هذا القانون وزير الزراعة الإسرائيلي الاستيلاء على الأراضي التى لم تزرع خلال مدة معينة وكان أصحابها قد هجروا أراضيهم خوفا من الإرهاب اليهودي وبذلك تم نزع ملكية الأراضي ومنحها للمزارعين اليهود.

٣- قانون أملاك الغائب صدر سنة ١٩٥٠ وقد اعتبر كل عربي غادر قريته إلى قرى أخرى تحت ضغط الظروف غائبا وتتم مصادرة أملاكه ولو كان يقيم على بعد بضعة كيلومترات من قريته. وبموجب هذا القانون فقد العرب أكثر من ٣٠٠ ألف دونم وضعت تحت تصرف الهيئات اليهودية.

٤- الاستيلاء للأغراض العسكرية صدر سنة ١٩٥٢ وهو يجيز مصادرة الأراضي اللازمة للمشروعات العسكرية وبهذا القانون تم الاستيلاء على أراض واسعة من أملاك الفلسطينيين.

٥- قانون نسف القرى بحجة التضييق على المواطنين الفلسطينيين وحملهم على ترك البلاد ومن الأمثلة نسف قرية إفرت القريبة من الحدود اللبنانية وتدمير قرية

الريحانة قرب الحدود السورية وقد صودرت أراضي تلك القرى بموجب قانون تملك الأرض الذى أقره الكنيست سنة ١٩٥٣ وتم ترحيل بدو منطقة النقب وبلغ مجموع القرى التى تم الاستيلاء على أراضيها ٢٣ قرية عربية وتم طرد سكانها.

٦- قانون ضريبة التحسينات يقضي بفرض ضريبة جديدة على المزارعين العرب قيمتها ٥٠٪ من قيمة التحسين بحجة تزويدهم بالتكنولوجيا الزراعية الحديثة وأدى ذلك بكثير من المزارعين إلى ترك أراضيهم بسبب ضيق ذات اليد.

٧- قانون طرد الغرباء من أراضي الدولة وأدى ذلك الى طرد المزارعين الفلسطينيين من أراضي الدولة (الأراضي الأميرية) التى كانوا يستغلونها منذ العهد العثماني وعهد الانتداب البريطاني لأنهم لايملكون الوثائق التى تثبت ملكيتهم للأرض وتم مصادرة حوالي ١٥٠ ألف دونم من ١٧ قرية عربية بموجب هذا القانون.

٨- قانون أراضي التدريبات العسكرية وصدر سنة ١٩٨٢ وبموجبه أغلقت السلطات الإسرائيلية حوالي ٣٥ ألف دونم في منطقة المثلث و٢٥ ألف دونم من قرية شفا عمرو وذلك بحجة تخصيصها للتدريبات العسكرية.

وقد وصف المؤرخ البريطاني الشهير «أرنولد توينبي» هذه القوانين والإجراءات بأنها أكبر عملية نهب جماعية عرفها التاريخ.

ومنذ حرب سنة ١٩٦٧ حتى سنة ١٩٨٢ بلغ مجموع ما صادرته إسرائيل في الضفة الغربية ٢٫٢١٣٫٧٨٤ دونما أي حوالي ٤٠٪ من مساحة الضفة البالغة ٥٫٥ مليون دونم والقول إن الفلسطينيين باعوا أرضهم لليهود معناه أن إسرائيل اشترت فلسطين بالمال دون أي حرب أو قوة أو ضغوط دولية وكأننا ننفي صدور وعد بلفور ومحاولات بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ودول أوربا في إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين ومدها بكافة المساعدات المادية والعسكرية والوقوف بجانبها في المحافل الدولية والحيلولة بين الأمة العربية والنهوض عسكريا واقتصاديا بكافة الطرق.

وهل ننسى بلايين الدولارات التى تم ضخها في إسرائيل بدءاً من التعويضات الألمانية والمساعدات الأمريكية التى لاتزال تصب في إسرائيل بلاحدود.

من جميع ما تقدم يتضح أن إسرائيل قامت على أرض اشترتها من العرب غير صحيح والأرض القليلة التى باعها العرب لليهود من خلال ظروف صعبة وقوانين جائرة فرضت على فلسطين منذ الانتداب البريطاني سنة ١٩١٧ .

وكم من وقائع وشواهد وقرارات دولية وإدانات لاتحصى ضد إسرائيل وكيفية تصرفها للأراضي الفلسطينية المغتصبة حتى إنهم أصبحوا يملكون الآن ٩٤٫٥٪ من الأراضي الفلسطينية ولاشك أن الفلسطينيين لم يبيعوا كل هذه الأراضي بما فيها من السهول والجبال والبحيرات والغابات والصحاري.

والصورة أمامنا الآن بعد أن اكتملت تبدو واضحة بظهور الحقائق الدامغة المدعمة بالأرقام تكذب الادعاءات المغرضة التى تقول أن فلسطين بيعت لليهود.

ولازالت المحافل اليهودية تغذى مثل هذه الادعاءات كما كانت تشيع سابقا الصهيونية العالمية أن فلسطين أرض بلا شعب وأنها أعطيت لشعب بلا أرض.

صراعنا مع إسرائيل بدأ بالأرض واستمر هذا الصراع حول الأرض وسيبقى صراعنا حول أمر واحد لاغير وهو الأرض وكل ما تبقى تفاصيل لا أهمية لها.

ويبقى إنشاء الدولة اليهودية في قلب العالم العربي الهدف الأساسي للدول الغربية لإبقاء الأمة العربية والحكومات العربية في حالة من الضعف والتخلف وتمكين إسرائيل من السيطرة على المنطقة تكنولوجيا واقتصاديا وهو مايجري الآن تنفيذه ولن يطول الزمن حتى تتحول فلسطين إلى أندلس أخرى ويقوم العرب بزيارة القدس لمشاهدة آثار المسجد الأقصى كما يزورون قرطبه في أسبانيا لزيارة قصر الحمراء والآثار الإسلامية.

المشاريع التى أنشئت لإنقاذ الأراضي الفلسطينية

خلال فترة الانتداب البريطاني ١٩٢٢-١٩٤٧

على أثر الأخطار المتزايدة حول انتقال بعض الأراضي الفلسطينية الى المؤسسات اليهودية التى قويت شوكتها بسبب دعم المؤسسة الصهيونية العالمية لها ماديا ومعنويا وازدياد نفوذها وسطوتها لدى حكومة الانتداب البريطانية في فلسطين. ومن تلك المؤسسات التى اهتمت بشراء الأراضي.

١- الكرن كايمت (الصندوق القومي اليهودي)

٢- الكرن هايود (المؤسسة اليهودية لجباية الأموال)

٣- الجمعية الصهيونية لاستعمار فلسطين (بيكا)

٤- صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار. وغيرها من المؤسسات اليهودية الأخرى

بدأت تظهر بعض المشاريع والمؤسسات التى أنشئت لمحاولة إنقاذ الأراضي الفلسطينية المعروضة للبيع وأهمها:

مشروع صندوق الأمة:

دعا المجلس الإسلامي الأعلى والمؤتمر العربي الفلسطيني الذى انعقد بالقدس سنة ١٩٣٥ إلى إنشاء صندوق قومي وتكونت لجنة باسم لجنة صندوق الأمة بهدف إنقاذ الأراضي المعروضة للبيع واستغلالها لصالح العرب وكانت خطة اللجنة ترمي إلى تطويق الأراضي التى يمتلكها اليهود بحزام من الأراضي العربية وتشجيع الملاك العرب إلى تحويل أراضيهم الى ممتلكات وقفية. وتمثلت موارد اللجنة من التبرعات والرسوم المالية على بعض المشتريات كتذاكر السفر والسينما وغيرها - واستطاعت إنقاذ حوالي ألف دونم فى لواء غزة وبعض المساحات في قرية عاقر بمنطقة يافا ونظرا لعدم وجود بنك زراعي عربي في ذلك الوقت حاولت اللجنة منح قروض صغيرة لبعض الفلاحين لزراعة الأرض واستغلالها. ولكن هذه الجهود لم تكن مثمرة لوقف بيع الأراضي لليهود

بل باءت بالفشل نتيجة عدم استجابة حكومة الانتداب البريطاني لمطالب العرب المتكررة لوقف بيع الأراضي لليهود حتى تقارير الخبراء واللجان التى أوصت بتقييد بيع الأراضي لليهود لم تأخذ بها حكومة الانتداب بل حصل العكس وسنت القوانين المتعددة المنحازة إلى اليهود وتسهيل انتقال الأراضي العربية إلى أيديهم.

وعلى أثر اندلاع الثورة الكبرى في فلسطين سنة ١٩٣٦ ونفي الزعماء العرب سنة ١٩٣٩ إلى خارج فلسطين توقفت أعمال صندوق الأمة مع بداية الحرب العالمية الثانية وفي عام ١٩٤٣ حينما كثفت المؤسسات اليهودية من نشاطها تم إحياء لجنة صندوق الأمة إلا أن الموارد المالية التى حصلت عليها كانت ضعيفة ولم تكن تفي بالاحتياجات الضرورية. وفي هذه الأثناء ظهرت حركة موسى العلمي لتأسيس المشروع الإنشائي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ وبدأ التنافس بين المشروعين مما أدى إلى شل حركة صندوق الأمة والمشروع الإنشائي معا!!!

المشروع الإنشائي:

طرحت مشكلة إنقاذ الأراضي الفلسطينية على جامعة الدول العربية منذ المؤتمر التحضيري لإنشاء الجامعة في الاسكندرية أثناء الحرب العالمية الثانية حيث تقدم مندوب فلسطين «السيد موسى العلمى» باقتراح تأسيس صندوق عربي عام تشترك فيه جميع الدول العربية من أجل الحفاظ على الأراضي الفلسطينية بإشراف عربي على إدارته وأن يقوم الصندوق بالإضافة إلى شراء الأراضي بتقديم المساعدات الى الفلاح الفلسطيني وسمي الاقتراح باسم الصندوق الإنشائي العربي.

تألفت في القدس جمعية المشروع الإنشائي العربي يرأسه موسى العلمي وسكرتارية «أنور الخطيب» وضمت ١٧ عضوا من رجال السياسة والقانون والاقتصاد والتجارة والمهن الحرة من مختلف أرجاء البلاد.

الصراعات السياسية في فلسطين أبطأت من سير المشروع ولم تنجح الجهود التى بذلت لتوحيد صندوق الأمة والمشروع الإنشائي وأصدر «أحمد حلمي عبد الباقي» رئيس مجلس إدارة صندوق الأمة بياناً هاجم فيه «موسى العلمي» وانحاز الحزب العربي التابع لمفتي فلسطين إلى جانب العلمي وأيد مشروعه ولكن للأسف عندما عاد «جمال الحسيني» رئيس الحزب العربي من المنفى وكانت العراق قد تعهده بدفع مبلغ مليون جنيه للمشروع عاد الحزب العربى وهاجم المشروع بسبب تبنى العراق له وكانت

حكومة العراق خصما للمفتى في ذلك الوقت. وهكذا أحبط النزاع الداخلي كلا المشروعين المعدين لإنقاذ الأرض الفلسطينية.

بيت المال العربي:

ظهرت فكرة إنشاء بيت المال العربي وانبثقت عن الهيئة العربية العليا لفلسطين وجرى إنشاء الهيكل التنظيمي لبيت المال العربي من عدد من الفلسطينيين الذين كانوا يتمتعون بالخبرة والثقة والكفاءة العلمية والسلوك الوطني وافتتح أول مكتب لبيت المال في القدس سنة ١٩٤٧ ثم أضيف خمسة مكاتب أخرى تم إنشاؤها في يافا - حيفا - نابلس - الناصرة - غزة وأخذت اللجان تجمع المساهمات من التجار وأصحاب الأعمال وبلغ قيمة الإيرادات والمدفوعات سنة ١٩٤٨ - ٢٢٠ ألف جنيه وتعتبر قيمة ذات أهمية بمعيار القوة الشرائية وكان تبرع الشعب الفلسطيني يتم عن طيب خاطر وقد أصدر بيت المال ميزانية ١٩٤٨ وظهر فيها كيف تم صرف هذه المبالغ.

١١٠ ألف جنية لمساعدة الفلاح الفلسطيني.
٢٥ ألف جنيه للتنظيم الاقتصادي.
١٠ آلاف جنيه للمسجونين والمعتقلين.
٩ آلاف جنيه للإعلام والدعاية.
٢٥ ألف جنيه للتنظيم الرياضي.
٣٠ دفعات متفرقة.

وقد نجح بيت المال وكان أهم إنجاز له دوره الرئيسي بالمساهمة في إنقاذ القدس العربية بمعابدها الإسلامية والمسيحية المقدسة من الضياع والسقوط بأيدي اليهود سنة ١٩٤٨ أثناء معركة القدس.

وهناك مؤسسات صغيرة أخرى مثل
غرفة التجارة العربية تأسست سنة ١٩٣٦
شركة التأمين العربية تأسست سنة ١٩٤٤
البنك الصناعي العربي تأسس سنة ١٩٣٥
البنك العربي تأسس سنة ١٩٣٠
البنك الزراعي العربي تأسس سنة ١٩٣٣
شركة الأبنية وبيعها للعرب تأسست سنة ١٩٣٥.

اليهود يسرقون المياه الفلسطينية والعربية

تحتل قضية المياه في منطقتنا العربية مركزا حيويا واستراتيجيا وقبل كل شيء هي قضية أمن قومي فبدون المياه لاتقدم ولاتنمية ولارخاء.

وقضية المياه بالذات بند هام جدا من بنود الخلاف الأساسية بين إسرائيل والفلسطينيين والبلاد العربية المجاورة لبنان وسوريا والأردن ولاشك أن محاولة إسرائيل الاستيلاء والسطو على المياه الفلسطينية تقع في مقدمة اهتماماتهم وفي إطار الدراسات المتعددة والتغيرات الفعلية التي تمت على الطبيعة يجري الحديث في هذا البحث. ويحسن قبل ذلك أن نقدم عرضا سريعا لمصادر المياه الفلسطينية.

مصادر المياه الفلسطينية: تنحصر هذه المصادر في الأنهار والجداول والوديان حيث تتجمع مياه الأمطار ثم البحيرات والبرك وأخيرا العيون والينابيع والآبار والمياه الجوفية.

وكثيرا من تلك المصادر ما حوله الإسرائيليون الى أطلال أو محوه تماما أو غيروا أكثر أسمائه العربية أو حولوا مساره لحرمان الفلسطينيين من الاستفادة من مياهه.

نهر الأردن: ينبع من جبل الشيخ (حرمون) في سوريا على ارتفاع ٢٠٠٠ متر عن سطح البحر ويصب في البحر الميت الذى يقع على انخفاض ٣٩٥ مترا عن سطح البحر. ويتكون هذا النهر من روافد الحاصباتي – دان – بانياس وأهم الروافد التى تصب فيه نهر اليرموك في منطقة جنوبي طبرية. وينبع الحاصباني وبانباسى من لبنان بينما ينبع الدان (تل القاضي) واليرموك من سوريا وطول نهر الأردن نحو ٢٥٢ كيلومترا ولايصلح للملاحة.

نهر روبين: تتجمع مياهه من عدة أودية آتية من جبال القدس وأهمها وادي الصرار ووادي قطرة يصب جنوبي يافا على بعد ١٥ كيلومترا من المدينة واشتهر بوجود مقام النبي روبين وهو المصيف الشهير لأهالى يافا واللد والرمله ويصب في البحر الأبيض المتوسط.

نهر العوجا: ويسمى عند مصبه نهر اليركون ينبع من مساقط المياه المحيطة بمدينة نابلس حيث تتجمع في رأس العين وهو أطول أنهار فلسطين ويبلغ ٢٦ كيلومترا وعلى بعد ستة كيلومترات من مدينة يافا شمالا وبعض أجزائه صالح للملاحة ويقع بين

منتزهات جريشه ومصبه. نقل اليهود مياهه سنة ١٩٥٥ في أنابيب إلى صحراء النقب وتوجد عند مصبه محطة ضخمة لتوليد الكهرباء تزود تل أبيب ويافا بالطاقة الكهربائية.

نهر المقطع: ينبع شمالي مدينة جينين ويخترق سهل مرج ابن عامر ويصب في خليج عكا على بعد ٤ كيلومترات شمالي حيفا وطوله ١٣ كيلومتر

نهر النعامين: ينبع من ناحية شفا عمرو ويصب في خليج عكا جنوبى مدينة عكا بحوالي ٢ كيلومتراً وطوله ٨ كيلومترات.

الجداول والوديان: كثيرة وتكون غنية بالمياه في فصل الشتاء وهي منتشرة في جميع أنحاء فلسطين حتى صحراء النقب ومن أشهرها وادي باب الواد ووادي البيرة ووادي عين جالوت «واشتهر بالمعركة التاريخية التى جرت قرب بيسان بين العرب والتتار وانتهت بهزيمة التتار» – وادي الجوز قرب القدس – وادي الحفير في النقب – وادي الحوارث بن يافا وحيفا واشتهر بخصوبة أراضيه التى باعتها عائلة لبنانية إلى اليهود – وادي الخضيرة – وادي نهر الزرقا قرب جينين – وادي الشريعة قرب الضاهرية بالخليل – وادي الصرار من منابع نهر روبين – وادي العربة جنوبي البحر الميت – وادي العوجا في النقب ويسير إلى حدود سيناء المصرية – وادي غزة يسير من جبال الخليل مارا ببئر سبع إلى غزة – وادي النمل قرب عسقلان (المجدل).

البحيرات والبرك:

بحيرة الحوله: تقع في أقصى شمال فلسطين مساحتها ١٤ كيلومترا مربعا اشتهرت بمياهها العذبة ولم يعد لها وجود الآن بعد أن أتم الإسرائيليون تجفيفا سنة ١٩٥٨ وتحولت إلى أراض زراعية.

بحيرة طبريا: وتعرف أيضا ببحيرة الجليل مساحتها ١٧٠ كيلومترا مربعا تنخفض عن سطح البحر ٢١٢ مترا تمتاز بوفرة أسماكها ولطف مناخها وتقع في طرفها الجنوبي ينابيع الحمه بمياهها الساخنة التى تنحدر إليها من هضبة الجولان وعدة جداول في سوريا.

البحر الميت أو بحيرة لوط: مساحتها حوالى ١٠٤٠ كيلومترا مربعا تنخفض عن سطح البحر ٣٩٨ مترا ومياهها بسبب ملوحتها الفائقة لا أثر للحياة فيها وتعود تلك الملوحة إلى كثرة البخر بسبب ارتفاع درجة الحرارة وهي غنية بالأملاح المعدنية وتشتهر بإنتاج البوتاس ويستغلها العرب واليهود من ناحيتيها.

ومن أشهر البرك في فلسطين برك سليمان وتقع جنوبي بيت لحم وتتكون من ثلاث برك.

العيون والينابيع والآبار: ويزيد عددها عن ألف وخمسمائة نبع وعين وتتفاوت كمية المياه التي تصرفها حسب هطول الأمطار وكميتها في مختلف فصول السنة. ومن أشهر العيون في فلسطين عين الطابغه شمالي بحيرة طبريا وتشتهر الطابغه ببساتينها وموقعها الجميل ولها مكانه خاصة لدى المسيحيين. (يقال إن السيد المسيح بدأ السير على الماء في بحيرة طبريا من ناحية الطابغة).

عيون رأس العين التي تغذي نهر العوجا ومنها تم سحب المياه إلى مدينة القدس سنة ١٩٣٥ لخدمة التجمعات اليهودية.

عين بحيرة طبرية - عين فارة شمالي القدس - عين القسطل قرب الناصرة - عين مالح قرب نابلس - منابع الحمه الكبريتية.

أما الآبار الجوفية: فتكثر في السهل الساحلي والمناطق الوسطى من فلسطين حيث تنتشر بساتين (بيارات) البرتقال والزراعات المختلفة التي تعتمد على المياه الجوفية أما المناطق الجبلية الشمالية فكانت تعتمد بالدرجة الأولى على مياه الأمطار والزراعة البعلية أو مياه الينابيع والعيون الجارية.

تتميز المسألة المائية في فلسطين بارتباط ظهورها كمسألة أو مشكلة بنشوء الحركة الصهيونية العالمية والتعاون الوثيق بينها وبين الاستعمار البريطاني، وقد بدأت الاهتمامات الصهيونية بالتحري عن الإمكانيات المائية منذ سنة ١٨٧٣ وذلك بوصول أول بعثة إنجليزية يهودية عرفت باسم بعثة (شارلي وارن) حيث جاء تقرير البعثة بعد دراسة دامت مدة طويلة في طول فلسطين وعرضها مشجعا للصهيونية بإمكان فلسطين أن تستوعب عدة ملايين من اليهود حتى في صحراء النقب بعد إيصال المياه إليها من شمال فلسطين.

ولوحظ أن هجرة اليهود الأوائل إلى فلسطين كانت تتعمد اختيار الأماكن الغنية بالمياه لإقامة المستوطنات الأولى مثل روشبينا في شمال فلسطين والخضيرة وريشون ليتسيون (عيون فارة) وبتاح تكفا (ملبس) في وسط البلاد.

وبعد إعلان الانتداب على فلسطين أخذت الصهيونية بمعاونة السلطات البريطانية في تنفيذ مخططات استثمار المياه والسيطرة على مصادرها. وهكذا في غياب الوعي

العربي بدأت الصهيونية تثبت استثماراتها وتنفذ المشاريع المائية ومن أهمها:

١- مشروع روتنبرج سنة ١٩٢٦ وتم تنفيذه لتوليد الكهرباء جنوبي بحيرة طبريا عند التقاء نهر اليرموك بنهر الأردن وعرف فيما بعد كم أساء هذا المشروع إلى محاولات العرب الاستفادة من مياه نهر اليرموك.

٢- استثمار نهر النعامين الذى يصب قرب عكا وذلك لخدمة المستعمرات الإسرائيلية وحجب المياه عن العرب.

٣- المشاريع التى أقيمت عند نهر العوجا شمال مدينة يافا.

٤- تجفيف بحيرة الحوله مما أدى إلى تدمير وتشتيت ١٤ قرية عربية في شمال فلسطين وأتاح لليهود الاستفادة من آلاف الدونمات من الأراضي المستصلحة الجيدة الخصوبة.

٥- مشروع الجليل الغربي ومشروع طبريا - النقب وقد تم الانتهاء من تنفيذه بعد إعلان دولة إسرائيل.

٦- مشروع جر مياه رأس العين إلى القدس لخدمة التجمعات اليهودية وأشرنا إليه سابقا وتم سنة ١٩٣٥.

وقد تم جر مياه نهر العوجا إلى النقب بعد إعلان دولة إسرائيل.

ومنذ حرب ١٩٦٧ استولت إسرائيل على كافة أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة وأخذت تنتهج سياسة مائية جديدة على العرب وتفرض عليهم القوانين واللوائح والأوامر بكل ما يتعلق بالمياه خصوصا ما يتعلق بالزراعة.

وبدأت إسرائيل البحث عن مصادر المياه السطحة والجوفية في الأراضي العربية وفرضت سيطرتها عليها وأول عمل قامت به منع السكان من ضخ المياه من نهر الأردن ونسف عدد كبير من المضخات بحجة الضرورات الأمنية وبدأت الحقول العربية تبور.

أما فيما يتعلق بالآبار والينابيع في الأراضي العربية فقد قامت إسرائيل بحفر آبار عميقة ضخمة وزودتها بمضخات كبيرة أدت إلى سحب المياه من كثير من الآبار الفلسطينية مما اضطر العرب الفلسطينيين إلى شراء المياه من الجمعيات الصهيونية التى أصبحت لها السيطرة على ضخ المياه.

وهكذا انخفض مستوى المياه الجوفية للآبار العربية وقل موردها المائي ولم تكتف السلطات الإسرائيلية بهذه التدابير بل فرضت وضع عدادات على بعض الآبار

العربية لتحديد كمية المياه المسحوبة ورفضت منح العرب رخصا لحفر آبار جديدة مما أدى إلى جفاف الكثير من أراضي وبساتين البرتقال وهو أشهر محصول زراعي كانت تنتجه فلسطين وكانت جملة «برتقال يافا» مشهورة ومعروفة في كافة أنحاء أوربا ولايزال اليهود يستخدمون نفس الجملة لتصدير برتقالهم.

ومن المناظر المفجعة أن يقف المزارع الفلسطيني فوق أرضه العطشى إلى الماء ويرى على مسافة قريبة سكان المستوطنات الإسرائيلية ينعمون ببرك السباحة والنافورات المائية وهكذا انخفض عدد العاملين في الزراعة سواء في الضفة الغربية أو قطاع غزة وانخفض كثيرا الإنتاج الزراعي خصوصا في قطاع غزة.

ولايتسع مجال البحث هنا عن مشاريع الري في وادي الأردن ومناطق الحدود بين سوريا ولبنان وإسرائيل ووقوف إسرائيل أمام أى مشروعات إنمائية عربية مثل منع تحويل نهر اليرموك وإقامة بعض السدود.

وكذلك المخططات الإسرائيلية بالنسبة لنهر الليطاني في لبنان.

وهكذا وفي غياب الوعي والتضامن العربي أخذت الصهيونية تثبت استثماراتها المائية بحيث تسيطر على المصادر الهامه للمياه.

وأخيرا بالنسبة للأهداف المستقبلية للسياسة المائية الصهيونية يمكن تقسيمها إلى قسمين:

الأول: ما تم تنفيذه فعلا وهو ما أشرنا إليه سابقا.

الثاني: يتمثل في أطماع مستقبلية يعمل الكيان الصهيوني على تحقيقها بشكل تدريجي مستغلا أوضاعا وظروفا عربية ضعيفة ومتفرقة ومستغلا أوضاعا دولية مهيأة دائما لمساعدة إسرائيل والوقوف جانبها.

الأحزاب السياسية والنقابات الفلسطينية
قبل سنة ١٩٤٨

أثناء الحكم العثماني كانت فلسطين جزءاً من الإمبراطورية العثمانية ولهذا لم يكن لها وحدة جغرافية مستقلة ولا كيان سياسي منفرد وبالتالي كانت الحركة الوطنية الفلسطينية تعمل في إطار الحركة الوطنية في كل سوريا (بلاد الشام) وعند انتهاء الحكم العثماني بهزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ بدأ يقود الحركة السياسية في فلسطين بعض الوجهاء وأصحاب الأملاك وبعض أصحاب المهن الحرة وأعلن الانتداب البريطاني على فلسطين وبدأت تظهر ملامح المؤامرة البريطانية اليهودية بإصدار وعد بلفور والبدء في إعداد البلاد لتنفيذ الوطن القومي اليهودي.

وكان أول مظهر منظم للوعي السياسي في فلسطين ظهور الجمعيات الإسلامية المسيحية في عدة مدن وذلك منذ سنة ١٩١٨ وكانت أهداف تلك الجمعيات المعلنة المحافظة على حقوق الوطن المادية والأدبية وترقية الشئون الزراعية والاقتصادية وإحياء العلم والاهتمام بالناشئة الوطنية. ولكن الهدف الأهم والحقيقي كان بلا شك الاهتمام بالنواحي السياسية وأخذت تلك الجمعيات تطالب بالاستقلال وحماية حقوق العرب ومقدساتهم.

بلغ عدد تلك الجمعيات خمس عشرة جمعية أهمها وأكثرها نشاطا جمعيتا يافا والقدس وأهم دور لعبته تلك الجمعيات دعوتها لعقد المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول في مدينة القدس وعندما أحست السلطة البريطانية بتعاظم تلك الجمعيات وأهدافها السياسية الحقيقية وهي إنشاء الحكم الذاتي وحق تقرير المصير والوقوف ضد إنشاء الوطن القومي اليهودي وضد الهجرة اليهودية إلى فلسطين رفضت حكومة الانتداب عقد المؤتمر الفلسطيني الثاني الذى كان يأمل أن يصل صوته إلى مؤتمر السلم وعصبة الأمم في ذلك الوقت.

وأول حزب تألف في فلسطين سنة ١٩١٨ في مدينة حيفا واتفق المؤسسون على تسميته الحزب العربي الموالي لبريطانيا وبهذا الاسم سمحت له سلطات الانتداب البريطاني بمزاولة نشاطه وحاول المؤسسون نشر الدعوة إلى الحزب في بعض المدن الفلسطينية ولكن الدعوة فشلت وخصوصا أن أهداف الحزب كما أعلنوها كانت تطابق أهداف الجمعيات الإسلامية المسيحية وهكذا حل الحزب نفسه وانضم أعضاؤه إلى الجمعيات المذكورة وبهذا انتهى أول حزب سياسى في فلسطين.

بدأت ممارسة الحياة السياسية الفعلية في فلسطين سنة ١٩٢٠ حينما تولت اللجنة التنفيذية والتى انبثقت عن المؤتمر الفلسطيني السابع قيادة الحركة الوطنية بقيادة «موسى كاظم الحسيني» وكانت الناطقة باسم الشعب الفلسطيني واستمرت حتى سنة ١٩٣٤ حين وفاة رئيسها «موسى كاظم الحسيني» - والحقيقة أن اللجنة التنفيذية لم تكن تحتل التضامن والتنظيم بين أعضائها لعدم وجود اتجاه سياسي ومنهج محدد تسير عليه فيما عدا الميثاق الوطني الفلسطيني. وهكذا ظهرت أولى الحركات الوطنية الفلسطينية فاقدة الانسجام والتجانس وخصوصا بعد وفاة رئيسها وبسبب عدم الاتفاق على تعيين رئيس جديد للجنة رأى الأعضاء منعا للفوضى دعوة الأمة إلى مؤتمر عام في ٢ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣٤ ولكن انعقاد المؤتمر تأجل أكثر من مرة وكان آخرها إلى أجل غير مسمى.

وهكذا انشقت الصفوف الفلسطينية وبدأ التنازع بين القيادات وظهرت الخلافات العائلية والشخصية ومناورات بعض المتعاونين مع حكومة الانتداب وأشعلت الحكومة البريطانية هذه الخلافات وقررت إجراء انتخابات عامة للمجالس البلدية وكانت تقصد زيادة شقة الخلاف بين الطوائف الفلسطينية. ولكن حدثت المفاجأة وفازت الجبهة الوطنية بأكثر المقاعد ورغم الجهود التى بذلتها الحكومة لإنجاح رجال المعارضة. وفازت الجبهة الوطنية في أكثر المدن الفلسطينية «إلا» أن المندوب السامي البريطاني قام بتعيين رؤساء البلديات من أحزاب المعارضة من الأقلية الناجحة في الانتخابات وخصوصا في مدن القدس - يافا - نابلس - الخليل - غزة - بيت لحم - رام الله - وجنين.

أخذ الوطنيون يتداولون لتنظيم جهاز حزبي جديد لقيادة الحركة الوطنية وأحست جماعات المعارضة أن مصلحتها أيضا تشكيل أجهزة حزبية ينتظم فيها زعماؤها ورجالها.

وهكذا تأسست ابتداء من سنة ١٩٣٤ و١٩٣٧ الأحزاب التالية:

١- الحزب العربي الفلسطيني تأسس سنة ١٩٣٥ يرأسه «جمال الحسيني» ومقره الرئيسى مدينة القدس

٢- حزب الدفاع الوطني يرأسه «راغب النشاشيبي» تأسس سنة ١٩٣٤ وهو ما عرف بالحزب المعارض ومقره الرئيسى مدينة القدس

٣- الكتلة الوطنية يرأسه «عبد اللطيف صلاح» سنة ١٩٣٥. ومقرها مدينة نابلس

٤- حزب الإصلاح يرأسه «حسين فخري الخالدي» سنة ١٩٣٥ ومقره مدينة القدس

٥- حزب مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني يرأسه «يعقوب الغصين». ومقره مدينة الرمله

٦- حزب الاستقلال يرأسه «عوني عبد الهادي» وكان الحزب قد تأسس سنة ١٩٣١ ولم يزاول نشاطه الفعلي إلا سنة ١٩٣٤. ومقره القدس.

وظهر بجانب تلك الأحزاب بعض المؤسسات الدينية والاجتماعية والعمالية ومنها.

المجلس الأعلى الإسلامي - جمعيات الشبان المسلمين - مؤسسات الشبيبة كالكشافة والنجادة والفتوه.

والجمعيات العمالية مثل جمعية العمال العرب - عصبة التحرر القومي - مؤتمر العمال العرب - لجنة صندوق الأمة - المكاتب العربية.

وكان هناك اختلاف في الرأي في كيفية توجيه الحركة الوطنية وطرق المقاومة فكان رأي الحزب العربي أن الكفاح والجهاد ضد الاستعمار والصهيونية هو السبيل الوحد لتحقيق أماني البلاد والقضاء على المؤامرة البريطانية - اليهودية واعتبرت الأحزاب الأخرى هذا الرأي بأنه يمثل التطرف وأن التفاهم مع حكومة الانتداب هو الطرق الوحيد للتخفيف من حدة الخطر اليهودي وتبنى هذا الرأي حزب الدفاع الوطني الذى أُطلق عليه حزب المعتدلين أو «حزب المعارضة» وأما الأحزاب الأخرى الصغيرة فلم يكن لها رأى محدد تارة تظهر التشدد وتارة أخرى تتجه نحو المهادنة والانضمام إلى المعارضة

وهكذا دب الخلاف بين الأحزاب وانحازت العائلات الكبيرة تؤيد وتعارض حسب موقف كبير العائلة وانطبق المثل الذى يقول «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» على تلك العائلات وتمكن الحزب العربي من استقطاب أكثر الفئات الشعبية من سكان فلسطين وتبنى سياسة الميثاق الوطني واعتبره الدستور الأساسي لسياسة الحزب ونادى بأن الارتباط بأى سياسة أو وعود بريطانية لاتؤدي إلى تحقيق أهداف الميثاق الوطني وما تلك الوعود إلا سياسة اللف والدوران والمواربة لخدمة الأهداف اليهودية. وأصبح الحزب العربي الفلسطيني وقد أطلق عليه حزب المفتي - «الحاج أمين الحسيني» - وأصبح يمثل الجبهة الوطنية المتشددة كما أطلق على حزب الدفاع الوطني اسم حزب المعارضة.

وما أن بدأت اضطرابات سنة ١٩٣٦ حتى توحدت الأحزاب بسبب الضغط الشعبي وتشكلت اللجنة العربية العليا وانتخب الحاج «أمين الحسيني» رئيسا لها بإجماع الآراء وكان يشغل في نفس الوقت رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى ومفتي فلسطين الأكبر.

وهكذا أصبح الحاج «أمين الحسيني» الرئيس الفعلي لكفاح الشعب الفلسطيني واستمر كذلك إلى أن وقعت الكارثة سنة ١٩٤٨.

وتولت اللجنة العربية العليا التى كانت تتشكل من رؤساء الأحزاب الفلسطينية قيادة الحركة الوطنية إلى أن أصدر المندوب السامي البريطاني أمرا بحلها والقبض على أعضائها ونفي بعضهم إلى خارج فلسطين وتمكن الحاج «أمين الحسيني» من مغادرة البلاد سرا وأخذ يدير الحركة الوطنية وهو خارج البلاد حتى بداية الحرب العالمية الثانية واضطر لمغادرة البلاد العربية ليستقر في ألمانيا طيلة مدة الحرب.

جرت عدة محاولات لإعادة بناء البنية السياسية بعد حل اللجنة العربية العليا ولكن تفرق الكثير من رجال البلاد سواء خارج فلسطين أو في السجون والمعتقلات حال دون الاتفاق على عملية التمثيل في اللجنة الجديدة المقترحة.

حاول الحزب العربي بعد اعتقال رئيسه «جمال الحسيني» ونفيه إلى روديسيا تنظيم صفوفه وانتخب «توفيق صالح الحسيني» وكيلا لرئيس الحزب واعتبر ذلك تنظيما مؤقتا توقعا لعودة الرئيس من منفاه وأخذ الحزب يدعو إلى ضرورة إعادة المبعدين السياسيين خارج البلاد وإطلاق سراح المعتقلين في سجون فلسطين. هذا بجانب المطالبة بتنفيذ الميثاق الوطني. وفي سنة ١٩٤٥ أطلق سراح «جمال الحسيني» وعاد

من روديسيا وتولى رئاسة الحزب وبقي حتى إنشاء الهيئة العربية العليا وعودة المفتي الحاج «أمين الحسيني» وتوليه رئاسة الهيئة العربية العليا.

أما حزب الدفاع الوطني برئاسة «راغب النشاشيبي» فإن استمرارية وجوده كانت تعتمد على رؤساء البلديات المعينين من قبل حكومة الانتداب وخصوصا رؤساء بلديات يافا – الرملة – نابلس – غزة وعلى بعض العائلات الكبيرة. أما الأحزاب الأخرى فلم يكن لها قاعدة شعبية.

انطلقت الحركة العمالية في فلسطين من مدينة حيفا وانتشرت في عدة مدن فلسطينية وكان أقوى فروعها في مدينة يافا الذى قاد عدة إضرابات بين سنتي ١٩٤٢-١٩٤٣ واضطر الحكومة إلى تحقيق المساواة في الأجور بين العمال العرب والعمال اليهود ومنع العمال اليهود من الاشتراك في المشاريع العربية.

وقد انقسمت الحركة العمالية إلى عدة جبهات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اتجاه يساري وآخر غربي وأخذ الصراع يشتد بين العمال العرب وخصوصا الفئة الشيوعية وقد اعتبرت الهيئة العربية العليا جمعية العمال العرب هي الممثلة لعمال فلسطين وباركت اتجاهها السياسي المؤيد للخط الوطني في البلاد.

اللجان القومية:

في مستهل العام سنة ١٩٣٦ تألفت اللجان القومية في مدن فلسطين ولم يكن للقيادة السياسية الفلسطينية أي تدخل في تأليف تلك اللجان لأن الانتفاضة الشعبية الفورية هي التى تمخضت عنها اللجان القومية في مدن وقرى فلسطين ولكن موقف تلك اللجان أخذ يضعف على أثر سيطرة القوات المسلحة الفلسطينية وأكثرها من الفلاحين على تيسيير دفة الأمور في فلسطين ونتج عن ذلك عدة أخطاء انحرفت بالثورة عن خطها الأساسي وكثرت التجاوزات وحصلت عدة مآس واغتيالات كل ذلك باسم الثورة.

وأثناء الحرب العالمية الثانية كانت البلاد تخضع للأحكام العسكرية وقوانين الطوارئ والمصادمات بين المنظمات اليهودية المسلحة والقوات البريطانية والصراع بين الأحزاب والتكتلات العائلية وأدت الانقسامات إلى شبه توقف للعمل السياسي الفلسطيني.

وما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى أخذت الاضطرابات تشتد سنة ١٩٤٦ ومقاومة الشعب الفلسطيني تزداد حدة والصدامات العربية الإسرائيلية تزداد وتأخذ طابع الخطر لأن الجانب الفلسطيني كان ينقصه التنظيم والتسليح.

وفي هذه الأثناء انعقد مؤتمر جامعة الدول العربية في مصيف بلودان بسوريا وقرر في ١٢ يونيو (حزيران) سنة ١٩٤٦ دعوة رؤساء الأحزاب الفلسطينية حيث تم تأليف الهيئة العربية العليا من عضوين من اللجنة العربية العليا والجبهة العربية العليا برئاسة الحاج «أمين الحسيني» وضمت الهيئة «جمال الحسيني» و«أحمد حلمي عبد الباقي» و«حسين فخري الخالدي» و«اميل الغوري». وكان الحاج أمين الحسيني غائبا في ألمانيا ولما عاد إلى مصر تولى رئاسة الهيئة التى أجمعت الهيئات والأحزاب والنقابات الفلسطينية على تأييدها.

وبعد عودة المفتي من ألمانيا قرر ضم خمسة أعضاء جدد وجميعهم من أنصاره وأعوانه ومنهم «عزه دروزه» – ومعين الماضي اللذان استقالا من الهيئة سنة ١٩٤٧ وهكذا أصبحت الهيئة العربية العليا مقتصرة على المفتي الحاج «أمين الحسيني» وأتباعه عدا اثنين وهما «حسين فخري الخالدي» و«أحمد حلمي عبد الباقي» ولكن وجودهما الدائم في القدس حال دون اشتراكهما في اجتماعات مكتب الهيئة في القاهرة.

ورغم أن زعيم الهيئة كان يتمتع بتأييد جارف داخل فلسطين وخصوصا من القيادات الشعبية إلا أن الهيئة العليا لم تكن تمثل القوى السياسية الحقيقية في البلاد مثل القيادات العمالية اليسارية والقيادات التقليدية الأخرى. وبسبب عدم تواجد المركز الرئيسي للهيئة داخل فلسطين لعدم سماح حكومة الانتداب بدخول أعضائها الى البلاد وعلى رأسهم «أمين الحسيني» لم تتمكن الهيئة من إحكام قبضتها على الموقف السياسي والعسكري خصوصا عندما بدأ الوضع العسكري يميل إلى جانب اليهود بسبب تنظيماتهم العسكرية المدربة وامتلاكهم لأنواع متعددة من السلاح.

وكان المفتي يرغب ويلح في دخول فلسطين بعد أن غادرها الانجليز ولكن الجامعة العربية إرضاء لموقف الأردن نصحته أو منعته من دخول البلاد وكان هذا خطأ لايغتفر وكيف تدار المعارك وتسير الحياة السياسية في البلاد وقياداتها تعيش في القاهرة ودمشق وبيروت.

إلا أنه للحقيقة فإن الهيئة رغم كل هذه الظروف وبقدراتها المحدودة وبالاعتماد

على بعض التبرعات التى كانت تصلها من بعض البلدان الإسلامية وما تجمعه من بيت المال الفلسطيني استطاعت فصائلها المسلحة أن تصمد لأكثر من سبعة شهور أمام التفوق اليهودي بمساعدة القوات البريطانية وتمكنت من إرسال كميات من السلاح سواء عن طريق البر أو البحر أو بواسطة الطائرات. **وأعظم عمل حققته قواتها في الداخل إنقاذ القدس القديمة من السقوط في أيدي اليهود.**

ولم يستطع جيش الإنقاذ التابع للجنة العسكرية في دمشق والذى دخل فلسطين لإنقاذها من الحيلولة دون سقوط العديد من المدن وعشرات القرى الفلسطينية في شمال فلسطين بيد اليهود.

وقد انبثق عن الهيئة العربية العليا عدة مؤسسات:

١- بيت المال العربي

٢- اللجان القومية (الثانية)

٣- القيادة العسكرية وقوات الجهاد المقدس.

ولهذه المؤسسات حديث آخر.

التعليم في فلسطين اثناء
الانتداب البريطاني ١٩٢٢- ١٩٤٨

إنتدبت بريطانيا على فلسطين لتكون مسئولة عن أوضاعها السياسية والإدارية والاقتصادية وتحّدد في وثيقة الانتداب التى أقرتها عصبة الأمم في جنيف تثبيت وعد بلفور والتزام بريطانيا بوضع كافة القوانين التى تؤدي إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وما أن مارست حكومة فلسطين البريطانية إدارة شئون البلاد حتى بدأت في سن القوانين التى تخدم الهدف لإقامة الوطن القومي لليهود وكذلك إعاقة تقدم البلاد ونموها نحو الاستقلال.

وقد أشرفت الإدارة البريطانية إشرافاً تاماً على شئون التعليم ولم يكن من أهدافها تحقيق التعليم الشامل للشعب الفلسطيني أو إعطاء الفرص للفلسطينيين لتولى شئون التعليم في بلادهم – كما كان الحال بالنسبة لليهود – فكان مدير المعارف ومساعدوه أكثرهم من البريطانيين يضعون السياسة العامة للتعليم دون أية مشاركة من جانب المختصين من أهل البلاد.

وهكذا اتصف التعليم أيام الانتداب بالقصور من نواح عدة:

مراحل التعليم – المبالغ المخصصة له – المناهج – عدد الطلاب المقبولين

ولم يشمل التعليم رياض الأطفال ولم يتوفر للطلاب التعليم العالى بعد الثانوى ليسد الفراغ الذى تحتاجه المدارس والمؤسسات المختلفة.

وميزانية دائرة المعارف لم تكن تتجاوز ٥٪ من الميزانية العامة بينما كانت ميزانية التعليم في العراق مثلا تزيد عن ١٠٪ – فكان الأهالي العرب ينفقون على المدارس سنة ١٩٣٤ – ١٥٠ ألف جنيه حينما كانت ميزانية التعليم الحكومية ١٨٠ ألف جنيه أى بزيادة ٣٠ ألف جنيه عما يتبرع به الأهالى.

أما المناهج قد شابها عيوب كثيرة فقد اقتصرت في بدء الانتداب على تدريس اللغة العربية / الدين / الحساب/ التاريخ والجغرافيا وكان التاريخ يتركز على شرح التاريخ اليهودي وخصوصا الدولة اليهودية في القدس والجغرافيا توصى بان فلسطين قطر مستقل ومنعزل عن البلاد العربية ولما احتج الأساتذة العرب على هذه المناهج وكادت تتحول الى اضطرابات شعبية اضطرت الحكومة إلى استبعاد هذه المواد من الكتب الدراسية ولكنها بقيت مقصره عن التاريخ الوطني الفلسطيني والتاريخ القومي العربي ولكن وعي الأساتذة والمدرسين الفلسطينيين كان كفيلاً بسد هذا الفراغ خصوصا في مادتي التاريخ والجغرافيا وبدأت تظهر بعض الكتب لمؤلفين عرب مثل الأستاذ «عزة دروزه» فى التاريخ والأستاذ «سعيد الصباغ» في الجغرافيا توضح ارتباط فلسطين بالتاريخ العربي وبأنها جزء من سوريا حتى جاء الانتداب البريطاني وتم فصلها لأغراض سياسية.

وكانت البرامج التعليمية بصفة عامة بعيدة عن حاجات الفرد الفلسطيني والغرض منها سلخ المثقفين عن مجتمعهم وربطهم بأهداف بعيدة عن الطموحات الوطنية للشعب الفلسطيني.

هذا في الوقت الذى أعطى اليهود الحرية التامة في إقامة مدارسهم وتحديد مواد الدراسة وكانت المساعدات التى تقدمها حكومة الانتداب للمدارس اليهودية وخصوصاً مدارس الأطفال تفوق مساعداتها للمدارس العربية.

كانت فلسطين مقسمة إدارياً إلى أربعة ألوية يدير الشئون التعليمية في كل لواء مفتش للمعارف وهذه المناطق هى:

١- منطقة القدس ومركزها القدس.
٢- المنطقة الجنوبية ومركزها يافا.
٣- منطقة السامرة ومركزها نابلس
٤- منطقة الجليل ومركزها حيفا.

ونظراً للضعف الواضح في ميزانية التعليم والمصروفات الإدارية الباهظة التى تختص بها الأعداد الكبيرة من الموظفين البريطانيين أخذ الشعب الفلسطيني يقوم بمبادرات فردية لتقديم المال اللازم لتوسيع حركة التعليم وقام الأهلون ببناء المدارس الوطنية وبرز دور الأوقاف الإسلامية والجمعيات الدينية والمجلس الإسلامي الأعلى الذى كان يقدم الاعانات للمدارس الأهلية وقد ساهمت الجمعيات الأرثوذكسية بإنشاء مدارس أهلية.

وتميزت مدينة يافا أثناء الحرب العالمية الثانية بتقديم الغذاء للأطفال وإيواء المشردين وتعليمهم وأقامت مدينة الخليل منزلاً لإيواء الطلاب الغرباء وكانت دائرة

المعارف ترضخ في بعض الأحيان لإرادة الشعب بتزويد المدارس الجديدة بالمعلمين والأدوات.

لم يكن السلم التعليمي يبدأ برياض الأطفال لندرتها ولكنه كان يبدأ بالتعليم الابتدائي ومدته سبع سنوات في المدن وأربع سنوات في القرى أما التعليم الثانوى فكانت مدته أربع سنوات وتقول الإحصاءات عن مقدار إهمال الإدارة للتعليم الثانوي.

ففي الفترة من ١٩٤٠–١٩٤٨ لم يكن في فلسطين إلا عدد قليل من المدارس الثانوية الكاملة – وفي نهاية الدراسة الثانوية كان الطلاب العرب يؤدون امتحان باسم المتركوليشن Matriculation (وتسمى شهادة الاجتياز الى التعليم العالي) وكان الى جانب المدارس والكليات الأجنبية التى كانت منتشرة في أنحاء فلسطين بعض الكليات الوطنية مثل النجاح في نابلس وكلية الروضة في القدس وقد اهتمتا بتدريس آداب العرب وتاريخهم.

والمعلمون الفلسطينيون اهتموا بإثارة الروح الوطنية والنضال وشارك الكثير منهم في الحركة الوطنية وعمليات الجهاد ولا ننسى الشاعر الفلسطيني الكبير «عبد الرحيم محمود» الأستاذ بكلية النجاح الذى استشهد وهو يناضل مع إخوانه في ثورة ١٩٣٦ والسيد «ابو شرخ» الأستاذ في مدارس غزة الذى قاد الهجوم على عدة مستعمرات يهودية وأشهرها مستعمرة «بيار تعبين» والذى تم تدميرها. و«سامى الانصارى» الأستاذ بالكلية الرشيدية الذى هاجم الضباط البريطانيين وأصابهم بجراح بالغة ثم استشهد بعد ذلك وهنالك غيرهم كثيرون.

ومن المدرسين من كان يتبرع بجزء من راتبه لشراء السلاح والعتاد حتى المعلمات اشتركن في الأعمال الوطنية والمشاركة في معالجة المرضى ورعايتهم.

وكانت بعض القرى المحرومة من التعليم تقدم تعهداً إلى إدارة المعارف بدفع راتب المعلم وبناء حجرات المدرسة وشراء الأثاث وكانت الدراسة في بعض القرى تبدأ تحت شجرة أو تحت الخيام أو في المسجد الى أن يتم البناء الجديد.

اهتم الفلسطينيون كثيراً بإنشاء مكتبات صغيرة في المدارس وخصوصا مدارس القرى لتكون في متناول المعلمين والطلاب وكانوا يمولون تلك المكتبات بالتبرعات الشخصية.

ومن رجال الإدارة الذين ساعدوا مساعدة فعالة في بناء المدارس وترميمها وحث الفلاحين على استمرار أولادهم في تلقى العلم نذكر السادة:

عبد الرزاق قليبو – نعيم عبد الهادى – عارف العارف – بطرس ناصر – وديع عيساوى ومن رجال التعليم الذين تركوا بصماتهم المؤثرة في مجال التعليم خليل السكاكيني – خليل طوطح – إسعاف النشاشيبى – أحمد سامح الخالدى – مصطفى مراد الدباغ – عارف البديرى – أحمد طوقان – إسحق موسى الحسينى – رفيق التميمى – أولفا وهبه – ليندا شاهين.

المؤسسات التعليمية الهامة في فلسطين:

الكلية العربية في القدس

كانت تعرف سابقا باسم دار المعلمين وكانت تقبل المتفوقين ممن أنهوا الصف الثاني ثانوى في المدارس الأميرية وفي سنة ١٩٣٩ تأسس فيها صفان اضافيان وهما الخامس والسادس ثانوى (ومايعادل سنه أولى وثانية في الجامعة) ويدخلهما الطالب بعد حصوله على شهادة المتركوليشن. وبالإضافة الى العلوم العادية كان الطالب يدرس فن التربية وأصول التعليم للإعداد للتدريس في المدارس الحكومية.

كلية دار المعلمات في القدس

وكانت الدراسة فيها لمدة أربع سنوات لإعداد المدرسات للتدريس في المدارس الأميرية. وكانت تعلم بالإضافة الى المناهج الدراسة العادية التدبير المنزلى – اشغال الإبرة والخياطة وقد بلغ عدد الخريجات حتى سنة ١٩٤٦ – ٣٠٠ خريجة يشكلن معظم معلمات مدارس البنات في المدن.

دار المعلمات القروية:

كانت تعد بناتها للتدريس في المدارس الريفية ومدة الدراسة فيها ٤ سنوات بعد الابتدائى.

مدرسة حيفا الصناعية:

تأسست سنة ١٩٣٧ وكانت مزودة بمعدات جيدة يناسب منهجها الصناعي وكانت تعلم الحدادة – النجارة – الخراطة – تصليح الأدوات الكهربائية – إصلاح

السيارات – تجليد الكتب، ولكن للأسف وضع الجيش البريطاني يده على المدرسة لمدة طويلة حرم البلاد من خريجيها.

مدرسة خضوري الزراعية:

أنشئت ١٩٣١ في مدينة طولكرم ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات وقد شمل التعليم فيها زراعة الخضر – الحبوب – الفاكهة – تربية النحل – صناعة الألبان – تربية الدواجن – تربية المواشي وكان الطلاب ومعلمو الزراعة هم الذين يقومون بالأعمال الزراعية في مدرستهم وكان الفلاحون الفلسطينيون كرماء جداً بتقديم الأرض اللازمة للتعليم الزراعي.

المدارس الثانوية الخاصة:

كلية النجاح – نابلس　　الكلية الأرثوذكسية – يافا

النهضة – القدس　　مدرسة الثقافة – يافا

مدرسة الأمة – القدس　　كلية غزة – غزة

الكلية الإبراهيمية – القدس　　مدرستا بيزريت الوطنيتان واحدة للبنين وأخرى للبنات

المدرسة الأسقفية – حيفا (البصة)

التعليم اليهودي في عهد الانتداب:

كان هدفه الأساسي دمج اليهود في بوتقة يهودية واحدة وإحياء التراث اليهودي وبث الأمل في إنشاء دولة يهودية في فلسطين حتى لو احتاج الأمر الى القتال لتحقيق هذا الهدف.

وأهم المعاهد اليهودية «الجامعة العبرية» في القدس وقد تأسست سنة ١٩٢٥ وافتتحها اللورد بلفور صاحب الوعد المشئوم وكان مستوى التعليم فيها مرتفعاً بسبب وجود عشرات من الأساتذة والدكاترة الوافدين من الدول الغربية واهتمت بتدريس الآداب العربية والثقافة اليهودية والتربة وعلم النفس وكذلك الرياضيات والطبيعيات والكيمياء وعلم الحيوان والنبات والصحة وكانت مكتبتها تضم ٤٠٠ ألف مجلد. ثم معهد الهندسة التطبيقية في حيفا (التخنيون) وكانت تدرس الهندسة المعمارية / الكهربائية/الكيماوية/ المدنية.

مدارس فلسطين في
عهد الانتداب البريطاني

قضاء يافا:

في ١٩٤٨/١/١ كان في مدينة يافا ١٦ مدرسة ١٠ بنين ٦ بنات عدا المدارس الأهلية والتابعة لمؤسسات أجنبية ومدارس الأوقاف الإسلامية والمجلس الإسلامي الأعلى والجمعيات الوطنية.

أما قضاء يافا ويضم ٢٣ قرية كان منها ١٦ مدرسة رسمية والباقي مدارس أهلية كان أهل القرى يقيمونها ويدفعون رواتب المعلمين.

قضاء القدس:

وهو يشمل مدينتي القدس وبيت لحم و٧٠ قرية.

وفي العام الدراسي ١٩٤٢-١٩٤٣ كان عدد المدارس الحكومية في مدينة القدس ٩ مدارس منها ٥ للبنين، ٤ للبنات عدا عن الكلية العربية ودار المعلمات والمدارس الأجنبية التى امتازت بكثرة عددها وتتنوع الدراسة فيها وفي بيت لحم كان هنالك مدرستان واحدة بنين والثانية بنات إلى جانب ٨ مدارس خاصة. أما قضاء القدس فكان فيه ٢٦ مدرسة وقد أنشيء في أواخر عهد الانتداب عدة مدارس أهلية.

قضاء الرملة واللد:

يضم قضاء مدينتي الرملة واللد سبعين قرية

وفي مدينة الرملة مدرسة واحدة للبنين وأخرى للبنات بجانب مدارس أخرى تابعة للمجلس الإسلامي الأهلي وجهات أجنبية. وفي اللد مدرسة واحدة للبنين وأخرى للبنات و٩ مدارس خاصة. أما القرى فكان فيها ٣٢ مدرسة ابتدائية غير مكتملة.

قضاء رام الله:

وهو يضم مدينتي رام الله والبيرة و٥٨ قرية:

وفي رام الله أنشئت أول مدرسة داخلية للبنات في فلسطين سنة ١٨٨٩ وكذلك أول مدرسة داخلية للبنين سنة ١٩٠٠ أسسهما الفرندز الأميركان. وكان في رام الله ٣ مدارس حكومية الى جانب ٦ مدارس خاصة وفي البيرة مدرستان مدرسة للبنين وأخرى للبنات. أما القضاء فكان يضم ٢٠ مدرسة حكومية. ونخص بالذكر هنا مدرسة بيرزيت بسبب ازدهار الناحية التعليمية فيها فكانت النسبة في آخر الانتداب ٩٠٪ للذكور و٥٠٪ للاناث.

قضاء الخليل:

يضم قضاء الخليل مدينة واحدة هي الخليل و٣٥ قرية و١٠٩ مزارع وقبيلتين.

وفي عام ١٩٤٣ كان في مدينة الخليل ٥ مدارس. وبلغ عدد مدارس القرى ٢٥ مدرسة رسمية.

قضاء بئر السبع:

يعد قضاء بئر السبع أكبر أقضية فلسطين من ناحية المساحة ويضم مدينة واحدة وهي بئر السبع وسبع قبائل بدوية وقدر عدد هؤلاء البدو سنة ١٩٤٦ — ٩٠ ألفاً وكان عدد المدارس في بئر السبع في عهد الانتداب مدرستين رسميتين واحدة للبنات والثانية للبنين في سنة ١٩٤٧ افتتح أول فصل ثانوى في المدينة وكذلك أنشيء سنة ١٩٤٦ أول بستان للأطفال أقامه الأهالي أما مدارس البدو فبلغ عددها ١٥ مدرسة. وللعلم فان البدو أبدو رغبة شديدة جدا لتعليم أبنائهم ولم يجدوا الأماكن الكافية لاستيعابهم.

قضاء غزه:

يضم القضاء مدينتي غزة والمجدل و٥٤ قرية وكان في غزة أربع مدارس للأولاد ومدرسة واحدة للبنات وفي المجدل مدرستان واحدة للبنين والثانية للبنات. أما مدارس القرى ٣٨ مدرسة.

قضاء جينين:

يضم قضاء جينين ٧٠ قرية صغيرة وكبيرة ومدينة واحدة وكان في جينين

مدرستان واحدة للبنات والأخرى للبنين أما مدارس القرى فبلغ عددها ١٩٤٤ – ٢٣ مدرسة.

قضاء طولكرم:

يتألف هذا القضاء من ٧٠ قرية ومن مدينة طولكرم كان في طولكرم مدرستان للبنين ومدرسة واحدة للبنات بالإضافة الى مدرسة خاضورى الزراعية. أما مدارس القرى فبلغ عددها ٣٥ مدرسة وكان سكان بعض القرى يدفعون رواتب المعلمين.

قضاء بيسان:

أقل أقضية البلاد سكانا وكان يضم ٣٠ قرية وبعض مضارب القبائل وفى سنة ١٩٤٥ كان في بيسان مدرسة واحدة للبنين وأخرى للبنات.

قضاء طبريا:

ويضم ٢٦ قرية وبعض البدو وكان للحكومة مدرستان واحدة للبنين والثانية للبنات أما اليهود فكان لهم ست مدارس وفي سمخ كانت مدرسة للبنين وأخرى للبنات وعدد محدود في مدارس القرى.

قضاء الناصرة:

في عام ١٩٤٣ كانت الناصرة تضم ٣ مدارس اثنتين للبنين وواحدة للبنات وبلغ عدد المدارس غير الحكومية ١١ مدرسة وضم قضاء الناصرة ٢٣ قرية وعشيرة واحدة بها ١٤ مدرسة.

قضاء صفد:

في سنة ١٩٤٧ كان في صفد ٣ مدارس للبنين ومدرسة واحدة للإناث الى جانب مدرستين اهليتين للصبيان واشتهرت صفد بالكلية الاسكتلندية، وكانت ثانوية كاملة يؤدى طلابها امتحان المتركوليشين ووجود تلك الكلية أدى خدمات تعليمية كثيرة الى أهالي المدينة ولكنها انتقلت الى حيفا سنة ١٩٣٧. وبلغ عدد مدارس القرى في صفد ١٦ مدرسة.

قضاء حيفا:

ضم قضاء حيفا في عهد الانتداب ٥٢ قرية و١٤ عشيرة إلى جانب مدينة حيفا

- كان للحكومة مدرسة ثانوية واحدة ومدرسة للبنات ومدرسة صناعية واحدة وكان فيها عشر مدارس إسلامية و١٨ مدرسة للمسيحيين بما في ذلك المدارس الأجنبية وفي أواخر عهد الانتداب كان في قضاء حيفا ٢٣ مدرسة.

قضاء عكا:

وفي أواخر العهد البريطاني كان في عكا مدرسة ثانوية كاملة ومدرسة ابتدائية ومدرستان للبنات وتضم قرى عكا ٥٢ قرية و٨ عشائر فيها ٣٠ مدرسة وفي قرية البصة إحدى قرى عكا كان هناك مدرسة ثانوية كانت تعرف باسم المدرسة الأثقفية الوطنية الثانوية.

قضاء نابلس:

وفي عهد الانتداب بلغ عدد المدارس الرسمية خمس للبنين وأربع للبنات بجانب كلية النجاح الوطنية الخاصة وقد تخرج منها أكثر من ٣٠٠ خريج حتى سنة ١٩٤٤ وبها مدارس أجنبية خاصة.

ويضم قضاء نابلس ١٣٠ قرية كبيرة وصغيرة فيها ٣٧ مدرسة وبعض القرى أقامت مدارس وتعهدت بدفع رواتب المعلمين وقد وجد في بعض القرى مدارس أجنبية تبشيرية.

المؤسسات الثقافية والاجتماعية والرياضية
أثناء الانتداب البريطاني ١٩٢٢-١٩٤٨

لم تعرف فلسطين إبان الحكم العثماني المؤسسات الثقافية والاجتماعية لأنها كانت جزءاً من سوريا ويطلق عليها سوريا الجنوبية ولم يكن المجتمع الفلسطيني مهيئا لإقامة تلك المؤسسات حيث لم يكن هناك الوعي الفلسطيني بالانتماء الى فلسطين والولاء لها لتدني المستوى الثقافي في البلاد ولإهمال الدولة العثمانية لها - وكانت مقسمة الى ثلاثة ألويه مبعثرة ولم تتحول القدس الى لواء مستقل قبل سنة ١٨٨٧ في عهد السلطان عبد الحميد حيث اصبحت تتبع العاصمة العثمانية في اسطنبول مباشرة ومنذ ذلك التاريخ أخذت فلسطين تتحول تدريجيا إلى ولاية قائمة بذاتها لها شخصية خاصة.

كان مولد اولى الجمعيات في فلسطين جمعيات سياسية بوحي من الحركة الوطنية طمعاً في أن تتبع فلسطين الدولة الوليدة في دمشق بنهاية الحرب العالمية الأولى وكان تأسيس أول جمعية سياسية في مدينة يافا يرأسه الشيخ «راغب ابو السعود الدجاني» سنة ١٩١٨ وتبعتها جمعية القدس وبعض المدن الفلسطينية الأخرى.

أشرنا الى هذه الجمعيات رغم أنها لاتدخل في بحثنا الذى يقتصر على المؤسسات والجمعيات والاتحادات والنوادى ذات النشاط الثقافي والاجتماعي والرياضي وذلك لالقاء بعض الضوء على الحياة الثقافية قبل انفصال فلسطين عن سوريا.

وقبيل الانتداب البريطاني ظهرت بعض الجمعيات الأدبية والخيرية وأغلبها كانت مسيحية بسبب وجود المدارس الخاصة الأجنبية والجمعيات التبشيرية.

مرحلة الانتداب

١٩٢٢-١٩٤٨

أخذت الجمعيات والنوادي والاتحادات في الظهور بسبب زيادة عدد المثقفين وظهرت سنة ١٩٢٢ الجمعية الإسلامية في حيفا وتلتها الجمعية الإسلامية في الرملة ثم جمعية الشبان المسلمين في يافا – وفى سنة ١٩٢٦ تأسست الجمعية الإسلامية في نابلس ثم توالت الجمعيات والنوادي التى تمثل الاتجاهات الفكرية والدينية المختلفة.

وأخذت شبكة جمعيات الشبان المسلمين تنتشر في أنحاء البلاد وكان لها في الخفاء الى جانب الطابع الاجتماعي اتجاهات سياسية ضد مواقف حكومة الانتداب وبرامجها وانحيازها الى اليهود على حساب الشعب الفلسطيني وفي سنة ١٩٢٧-١٩٣١ تأسست شبكة أخرى من النوادى الأرثوذكسية في كثير من المدن الفلسطينية وانتخب لها لجنة عليا سنة ١٩٢٩.

وشهدت الثلاثينيات والاربعينيات مولد عدة أندية وجمعيات منها جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في يافا تأسست ١٩٣٧ وتلتها جمعيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في غزة وطولكرم ثم جمعية الاعتصام في حيفا وجمعيات التضامن النسائي في القدس ويافا وعكا وغيرها من المدن.

وقد أدى ظهور الأحزاب السياسية في فلسطين الى تركيز الجمعيات على

النشاطات الثقافية والرياضية وأعمال المساعدة خصوصاً خلال الثورة الكبرى سنة ١٩٣٦ وكادت النوادى تتواجد في كل مدينة وقرية كبيرة في البلاد.

وقد تأسست عدة جمعيات فلسطينية خارج فلسطين أسسها المهاجرون إلى الولايات المتحدة والمكسيك وتشيلى وغيرها من دول أوروبا الوسطى.

جمعيات الشبان المسلمين في فلسطين:

كانت جمعيات الشبان المسلمين منذ أن بدأ تأسيسها سنة ١٩٢٨ من أهم الجمعيات وأوسعها انتشاراً في فلسطين والظروف التى أدت الى ظهور هذه الجمعيات تعاظم النشاط التبشيرى المسيحي وتكاثر جمعيات الشبان المسيحية وبجانب اهتمام تلك الجمعيات بالأمور الدينية وبث روح التعاون بين الشباب المسلم أخذت تلك الجمعيات تنتصر للقضايا الوطنية لهذا حظرت السلطات البريطانية على الموظفين الانضمام إليها. وقد لقيت تلك الجمعيات إقبالاً كبيراً في الأوساط والهيئات الإسلامية واستقطبت عدداً كبيراً من الشباب المثقف ومن أبرز اعضائها «عز الذين القسام»، حيفا و«يعقوب الغصين» في الرملة و«أحمد سامح الخالدى» و«عوني عبد الهادي» في القدس و«أحمد الشقيري» في عكا والشاعر «إبراهيم طوقان» في نابلس و«على الدباغ» و«كامل الدجاني» في يافا.

ومن أنشطة جمعيات الشبان المسلمين في فلسطين جمعية الشبان في يافا حيث نشطت في جمع التبرعات وفتح المدارس وكذلك مدارس مكافحة الأمية وتعليم اللغة الإنجليزية وإنشاء مستوصف للعلاج وقامت بمساعدة المدارس الأهلية في يافا.

ومع حلول سنة ١٩٤٨ كانت فلسطين تزخر بمئات الجمعيات والنوادى والاتحادات وقد ساهمت في نشر الوعي الوطني ونشره في أنحاء البلاد ولاشك أن هذه المؤسسات دفعت بعجلة الثقافة في فلسطين خطوات كبيرة الى الأمام بفضل المحاضرات والمدارس والندوات التى افتتحتها. ومن أشهر الجمعيات:

جمعية الشبان المسلمين – جمعية الشباب العرب – جمعية الإخاء الأرثوذكسية – جمعية التضامن الإسلامي – جمعية الشبان المسيحية وبلغ عدد الجمعيات في فلسطين سنة ١٩٤٨ – ٢٥٤ جمعية.

ومن أشهر النوادى

النادى الأرثوذكسى وفروعه المختلفة في المدن الرئيسية

النادى الرياضى الإسلامى في يافا – نادى شباب العرب في حيفا

نادى الشبيبة الإسلامية في يافا – النادي العربي في حيفا – النادي العربى في القدس النادي العربي في يافا – وقد بلغ عدد الاندية المنتشرة في مدن وقرى فلسطين حوالى ١٥٠ ناديا سنة ١٩٤٨.

وكان للطلبة الفلسطينيين نشاط متميز منذ الثلاثينيات فألفوا فرق الكشافة التى كانوا يتدربون فيها سراً على استعمال السلاح وشاركوا فى ثورة ١٩٣٦–١٩٣٩ وفي حرب ١٩٤٨ خاضوا معاركها وقاموا بمظاهرات الأمر الذى دفع السلطات البريطانية الى اعتقال بعضهم والزج بهم في السجون واستشهد عدد منهم.

وتعتبر الحركة العمالية الفلسطينية من الحركات العمالية الأولى في الوطن العربى فقد عرف العمال العرب الفلسطينيون التنظيم النقابى في سنة ١٩٢٢ عندما تأسست أول نقابة عمالية في مدينة حيفا ثم أنشئت عدة فروع في فلسطين.

ومن أشهر الاتحادات اتحاد العاصمة النسائي.

تأسس في القدس سنة ١٩٢٩ وترأسته السيدة «زليخه الشهابي» وله عدة إنجازات اجتماعية ورياضية وصحية ودرج على دعوة الأدباء والفنانين لإلقاء محاضرات علمية ووطنية وموسيقية كما درج على إقامة أسواق خيرية.

وهناك الاتحاد النسائي في عكا وتأسس سنة ١٩٢٩ وترأسته السيدة «رقية حقى» زوجة الشاعر «ابو سلمى» – والاتحاد النسائى العربى في نابلس وتأسس سنة ١٩٢١ وهو أقدم الاتحادات النسائية في فلسطين وأول رئيسة له السيدة «مريم عبد الغنى هاشم» وكان له عدة نشاطات اجتماعية وتعليمية وقد أنشئت عدة جمعيات نسائية في حيفا – رام الله – يافا – طولكرم – غزة.

الشعر في فلسطين

كانت فلسطين تعرف بجنوب بلاد الشام وكادت أن تسقط من سلسلة تاريخنا الأدبي قديمه وحديثه ولم يؤلف كتاب واحد يؤرخ حياتها الأدبية وجميع الكتب التى تحدثت عن النهضة الأدبية في البلاد العربية لم تتسع صفحاتها لذكر أديب واحد أو شاعر واحد من فلسطين رغم أنه ظهر اعلام في الأدب نثره وشعره – وان لم يكونوا من

ذوى الأثر الفعال في الحياة الأدبية الحديثة في البلاد العربية - إلا أنهم كانوا ذوى مكانة مرموقة في بلادهم وبعضهم لايقل مكانة وأثراً عن بعض ماذكر في تلك المؤلفات ان لم يفوقهم.

كانت فلسطين خلال القرن التاسع عشر ترزح تحت وطأة الحكم العثماني بقساوته واستبداده وإهماله وقد أدى فقدان التعليم الثانوي والعالي الى الجهل الذى كان يخيم على السواد الأعظم من السكان وحتى سنة ١٨٨٩ لم يكن في فلسطين أية مدرسة إعدادية أو ثانوية متوسطة ولم تنشأ مدرسة ثانوية كاملة إلا سنة ١٩١٣ وكانت المدارس إما كتاتيب أو مدارس رسمية ابتدائية قليلة العدد التعليم فيها باللغة التركية لا العربية.

لذلك يجب أن تعتبر بداية النهضة الحديثة بعد القرن التاسع عشر ويقتصر حديثنا عن الشعر والشعراء منذ نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ويمكن اعتبار انتهاء الحرب العالمية الأولى وزوال الحكم التركى وانفصال فلسطين عن بقية الوطن العربى بإعلان الانتداب البريطانى محلها - وأخذت الوسائل العصرية تدخل في التعليم وكثرت المدارس الأهلية وأخذ أولياء الأمور يرسلون أبنائهم للتعليم في الجامعات العربية والأوربية والأمريكية وازداد اتصال فلسطين بالعالم الخارجي وخصوصا مع البلاد العربية. وكانت هذه الفترة عامرة بالشعر الوطني الذى يستمد وحيه من الحركات الوطنية والثورات والاضطرابات.

ونذكر فيما يلي شعراء أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

١- **يوسف النبهاني** ولد في شمال فلسطين سنة ١٨٤٩-١٩٣٢ تعلم في الأزهر والأستانه امتاز شعره بمدح الرسول وأولياء الله الصالحين وعرف بهجومه على الشيخ محمد عبده وجمال الدين الافغانى ورشيد رضا ورفض أفكارهم الحديثة في التطوير.

٢- **سعيد الكومي** ولد في طولكرم وعاش ١٨٥٦-١٩٣٥ درس في الأزهر اشترك في تأسيس المجمع العربى العلمي فى دمشق.

٣- **على الريماي** ١٨٦٠-١٩١٩ ولد في القدس ودرس في الأزهر اشتغل في الصحافة واشتهر شعره قبل الحرب العالمية الأولى

وفي الفترة الانتقالية ظهر أبو الإقبال اليعقوبى ١٨٨٠-١٩٤٦

وسمى نفسه «حسان فلسطين»

قضى مدة طويلة في مصر وتحدث في شعره عن المراثى والتهانى والحوادث الاجتماعية ثم نظم عدة قصائد في النبويات

وكذلك إبراهيم الدباغ الذى ولد في يافا ١٨٨٠-١٩٤٦ وعاش وتوفى في القاهرة وامتاز شعره بأنه شعر القوة والعنفوان ورقة القلب وكرامة النفس.

وديع البستانى وإن كان لبنانى المولد إلا أنه نشأ وعاش في فلسطين منذ سنة ١٩١٧ وامتاز شعره بحث المسلمين والنصارى على الاتحاد وضم الصفوف وتوحيد الكلمة.

وقبل النكبة ظهر إبراهيم طوقان ١٩٠٥-١٩٤١ فارس شعراء فلسطين وشاعرها الأول ولد في نابلس - تأثر شعره بمعرفته العميقة بالناس وتقلبه في وظائف مختلفة وثقافته العالية وتفجر بلاده بالحركات القومية من مظاهرات وثورات ضد الاستعمار والصهيونية وإحساسه العميق بما يعانيه وطنه.

مطلق عبد الخالق: ولد في الناصرة ١٩١٠-١٩٣٧ شارك في الحركات الوطنية وتوفى فى عنفوان شبابه إثر حادث أليم وكان شعره صوره مصداقة لحياته.

عبد الرحيم محمود: ولد في قرية عنبتا من قرى طولكرم واشترك في ثورة ١٩٣٦ واستقر في العراق مدة ثم عاد لفلسطين والتحق بقوات جيش الإنقاذ برتبة ضابط واستشهد في معركة الشجرة قرب الناصرة امتاز شعره بمعاني الجهاد والعدالة الإنسانية وكان استشهاده هو قصيدته الكبرى.

بعد النكبة:

عبد الكريم الكرمى (أبوسلمى) من أسرة علم وأدب امتاز شعره بالغزل والوطنية ويعتبر عبد الكريم الكرمى من الشعراء المعدودين المميزين في فلسطين وحث في شعره الشعب على الجهاد والثورة ولوم زعماء البلاد وحكومات الدول العربية على تخازلهم وخياناتهم.

فدوى طوقان: كانت تلجأ الى الرمز في شعرها وتحدثت عن الموت والخلود

والفناء والطبيعة وشجرة الزيتون وسنابل القمح ولها قصائد في نكبة فلسطين منها قصيدة نداء الأرض.

وهنالك شعراء آخرون - محمود سليم الحوت - سلمى الخضراء الجيوشي - محمد العدناني - هارون هاشم رشيد - كمال ناصر - حسني فريز - حسن البحيرى - محيى الدين الحاج يحيى - عيسى الناعورى - يوسف الخطيب ومحمد العزى.

أما الشعر بين النكبتين ١٩٤٨، ١٩٦٧ وكذلك الشعر الفلسطيني المعاصر بعد سنة ١٩٦٧ فله حديث آخر.

من التراث الفلسطيني

عمدت إسرائيل بعد أن تمكنت من اغتصاب الأراضي الفلسطينية الى طمس وسرقة التاريخ والتراث الفلسطيني - وأخذ اليهود ينتحلون من تراثنا ويقيمون المعارض في عواصم أوروبا وأمريكا ويعرضون أزياءنا الشعبية المطرزة وفنوننا التطبيقية المتمثلة في فن الزجاج - الفخار - الصدفيات - التطعيم بالعاج والعظم - المنحوتات الخشبية - النحاسيات - الحصير. وكذلك رقصاتنا الشعبية وبعض الأغاني والموسيقى وينسبون ذلك لأنفسهم.

وهذا شرح مختصر لبعض فنوننا الفلسطينية المختلفة:

الفلكلور الفلسطيني بتفرعاته المختلفة الأدب الشعبى - الحرف اليدوية - المعتقدات الشعبية - التاريخ الشعبى - الغناء الشعبى - الرقص الشعبى - الموسيقى الشعبية - الأزياء الشعبية.

وجميع هذه الفنون توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل وهى بمجموعها تشكل الوجدان الحضارى القومى للشعب الفلسطيني.

وقد عرض باحثون فلسطينيون ومؤسسات فلسطينية بالإضافة الى المكتبات العالمية والدراسات الأجنبية لجمع المعلومات عن مادة الفلكلور الفلسطيني وأمكن تصنيفها وتبويبها ونشرها لتكون في متناول المواطن الفلسطيني والعربى والأجنبى ولتأخذ مكانتها فى المكتبة العالمية وتشير:

«إن الشعب الفلسطيني صاحب هذا التراث الضخم ليس حفنه من اللاجئين بل هو شعب عاش على أرضه العصور الطويلة ونتج التفاعل بينه وبين التراث الفنى والشعبى العريق»

الأدبى الشعبي : ويشمل حكايات – أشعار – ألفاظ عامية – أخبار القرية والعشيره – الحياة اليومية – معلومات عن الزى والفنون اليدوية والحرف ودواوين الشعر.

التعبير الغنائى الشعبى: وله مساحات واسعة في حياة الشعب الفلسطيني وخاصة فى المناطق الريفية والزراعية.

الرقص الشعبى: الرقص الشعبى في فلسطين كان ولايزال مرتبطاً بالغناء الشعبى بمختلف ألوانه ومناسباته.

ومن أشهر الرقصات الشعبية رقصة الدبكة. وهى ذات طابع جماعي يعتمد بشكل أساسى على الرجال وبالأخص الشباب لأنها تحتاج الى جهد ورشاقة والدبكة رقصة مشتركة بين فلسطين وسوريا ولبنان والأردن وفي بعض الرقصات أنواع يشترك فيها النساء وبعضها يزيد ويقل عدد المشتركين في الرقصة.

السامر والسحجه: وتقام هذه الرقصات أثناء الحفلات الشعبية بمناسبة الأفراح ورقصة السامر منتشرة في جنوب فلسطين أما السحجة فمكانها شمالى البلاد ويصاحبها أنماط مختلفة من الأغانى تغنى بصورة جماعية وتمتاز السحجة بالتصفيق بإيقاع موسيقى معين وبوجود الشاعر الشعبى.

وفي حفلات الزفاف تشارك عدة قرى في الحفلة المقامة وينشد الشاعر الشعبي أغانيه بين الابتهاج والتصفيق الحاد.

وهنالك رقصات أخرى أكثرها نسائية متداولة في بعض قرى فلسطين خصوصاً في مناطق رام الله وبيت لحم ويصحب الرقص الأغانى الشعبية المعروفة والراقصات المحترفات يقدمن رقصاتهن الفردية أمام العريس والعروس ويطلق عليهن اسم الجناكى (ومفردها جنكية)

وحلقات الذكر (الدراويش) ويصحبها الغناء الدينى ولكنها لم تنشر كثيراً في فلسطين كما هو الحال فى لبنان وسوريا.

وأخيراً هنالك عدة رقصات مثل رقصة السف ورقصة الخيول وكانت شائعة في جنوب فلسطين لقربها من مصر التى كانت تنشر فيها تلك الرقصة.

الغناء الشعبى – الأدب الشعبى.

من الصعب الفصل بين الغناء الشعبى والأدب الشعبى لأن أكثرها يتحدث عن السير الشعبية التى تتلى مقاطعها مغناه وكثير من الأغنيات الشعبية مجهول المؤلف أو الملحن وكانت تنتقل من جيل الى جيل لسهولة مادتها الشعرية واللحنية.

وكثير من نماذج الغناء الشعبى في فلسطين ورد من مصر مثل ياشادى الألحان - ياعزيز عينى - سلم على - وبعضها كان مشتركاً مع سوريا ولبنان مثل الميجنا والعتابا والدلعونا والأغانى مثل ع اليادى اليادى واتمخترى يازينه - ياحنينا - مرمر زمانى - ليا وليا ياليا - اسمر اللون.

ويمكن تصنيف الموسيقى الشعبية الفلسطينية المتداولة في القرنين الأخيرين بأنها موسيقى عربية شرقية وأنها أكثر حيوية وتوتراً وأقل ليونة وانسياباً من الموسيقى الشعبية المصرية ويرجع ذلك الى اختلاف البيئة الجغرافية. حتى داخل فلسطين نفسها كان لاختلاف البيئة بين الجبل والسهل أثره في الغناء الشعبى الفلسطيني.

واختلاف بعض اللهجات الفلسطينية أثر على طريقة أداء الغناء الشعبي فالقروى الفلسطيني يقلب حرف الكاف الى ما يشبه حرف ch باللغة الانجليزية فيقول تشيف حالتش بدلا من كيف حالك.

وبعضهم يقول «لع» بدلا من لأ أى لا وبينما اهل المدن يقولون «أتلّ» بدلا من قتل يقول القرويون كتل وفى بعض المناطق وخصوصا شمال فلسطين يقولون انطينى بدل اعطينى وكلمة إسه بدلا من كلمة الآن فيقولون مش إسسه اى ليس الآن وفي قطاع غزه يقولون چال وچلنا بدلا من قال وقلنا

الأغنية الشعبية الفلسطينية تتضمن عدة مجموعات ذات قوالب مختلفة ومنها على سبيل المثال لا الحصر.

الدلعونا - العتابا - الموشح - الموال - المعنى - القرادى (الكرادى)

القصيدة - وكذلك أغانى الزواج - الطهور - الأغانى الدينية (الإسلامية والمسيحية) أما الزغاريد فتستعمل لأغراض كثيرة منها التحية - المعايرة - المباركة التباهى وخاصة في حفلات الزفاف.

أما عن الموسيقى المحترفة و يمكن تسميتها المتقنة وأكثرها وارد من مصر مثل الموشحات والقصائد والطقاطيق ومن أعلامها في مصر عبده الحامولى، محمد

عثمان وسيد درويش ومحمد عبد الوهاب الى جانب أبوخليل القباني والشيخ سلامة حجازى وكان هذا الكم الموسيقى الغنائي يزحف على المدن الفلسطينية وخصوصا الكبرى مثل يافا – القدس – حيفا حيث كانت تزدهر حفلات المطربين المصريين والسوريين وقد تبلور كل ذلك بظهور محطة الاذاعة العربية وإذاعة الشرق الأدنى.

ومن أشهر الموسيقيين العرب الذين مروا بفلسطين وأثروا الحياة الموسيقية فيها ملحن الموشحات الحلبي المشهور عمر البطش الذى كان يعد مرجعا في الموشحات والقدود الحلبية والشيخ احمد حسنين والشيخ محمود صبح.

ومن أشهر الموسيقيين المحترفين فى أوائل هذا القرن في فلسطين:

١– فرقة أولاد «ابو السباع» اشتهرت في إحياء الليالي الموسيقية وليالي الأفراح.

٢– عبد السلام الأقرع اشتهر بانشاد التواشيح.

٣– خيزران من النساء اشتهرت بجانب إجادتها للغناء العزف على القانون.

٤– حسن وحسين القرعان ورجب الأكحل وفرقة الحاج جمعة من مدينة يافا ومن الذين اشتهروا بالعزف على آلة العود عبد الحميد قطينة – حسين النشاشيبى نعمان عقل عباس أبى عونى – درويش السكسك واصف جوهرية الذى كان تلميذا لعمر البطش.

وفى مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات بعد أن ازداد اتصال فلسطين بمصر وسوريا وكانت قد انتشرت الإسطوانات والجرامافون بدأت تظهر نماذج من الموسيقى الأوروبية الكلاسيكية عن طريق اليهود القادمين من الخارج.

وامتازت مدرسة تراسانتا Tera Santa بالقدس أنها أدرجت دراسة الموسيقى ضمن الدراسة في المدرسة وتخرج منها الفنان رياض البندك وعدد آخر ممن لمعوا في مجال الموسيقى المحترفة في فلسطين وقد تولى يوسف بتروبى أستاذ الموسيقى فيها قيادة الفرقة الموسيقية في إذاعة فلسطين الرسمية بالقدس ولعب سلفا دور عرنييطه الذى درس الموسيقى فى روما دورا هاماً في تدريس الموسيقى ثم أصبح رئيس القسم الموسيقى في المعهد الموسيقى الوطنى اللبنانى وقد ضمت جمعية Y.M.C.A في القدس قاعة مغلقة للحفلات الموسيقية تسعة آلاف كرسى وكانت أكبر قاعة موسيقية بعد دار الأوبرا المصرية.

الإذاعة الفلسطينية: أنشئت في القدس في ١٩٣٦/٤/١ برئاسة الشاعر إبراهيم طوقان أى بعد سنتين من إنشاء اذاعة القاهرة وقد استقطبت الإذاعة الفلسطينية موسيقيين بارزين مثل جميل عويس عازف الكمان الشهير ومحمد عطية أستاذ القانون فى مصر وعبد الفتاح منسى عازف الكمان الشهير.

ومن سوريا الشخ على درويش أحد أشهر ملحنى الموشحات وعازف البزق محمد عبد الكريم ومن لبنان يحيى اللبابيدى ويوسف رضوان الذى اشتهر بالموال البغدادى.

ومن العازفين الفلسطينيين الذين استقطبتهم إذاعة القدس.

إبراهيم عبد العال - يحيى السعودى - روحى الخماش - مارى عكاوى - فهدنجار - محمد غازى.

إذاعة الشرق الأدنى: كان تفكير السلطات البريطانية بإنشاء محطة الشرق الأدنى سنة ١٩٤٠ لتغطية الحاجات الإعلامية البريطانية فى المشرق العربى أثناء الحرب العالمية الثانية وقد تطور القسم الموسيقى والغنائى في المحطة واجتذب العديد من الفنانين المصريين مثل مدحت عاصم - عبد الحليم نويره والمغنية الشهيرة فتحية أحمد وعبد العزيز محمود وكارم محمود وشهرزاد ومحمد عبد المطلب ولاشك أن القسم الموسيقى فى إذاعة الشرق الأدنى كان البؤرة التى تجمع فيها أبرز الموسيقيين اللبنانيين منهم أخوان رحبانى - عفيفى رضوان - صابر الصفح. أما الفنانون الفلسطينيون فقد لمع منهم المغنى المعروف حليم الرومى ويحيى السعودى وروحى خماش وكان الرومى وحماش قد تخرجا من المعهد الموسيقى فى القاهرة وكذلك إحسان فاخورى.

وبعد مرحلة سنة ١٩٤٨ انتقل معظم الفنانين والموسيقيين الفلسطينيين الى اذاعات بيروت والشام وبغداد وكانت فلسطين في مرحلة ما قبل ١٩٤٨ همزة الوصل فى المجال الموسيقى بين مصر والمشرق العربى وأصبحت بعد ١٩٤٨ بنزوح فنانيها الى البلاد العربية حيث ساهمت في تأسيس النهضة الموسيقية التى قامت في المشرق العربى خلال العقود الأخيرة.

وفي تعليق للدكتور حسن محمود أبو عليوى استاذ الأدب العربى والبلاغة في الجامعة اللبنانية يقول:

لقد تبين لنا ان الشعب الفلسطينى يملك تراثا غنياً من الأغانى الشعبية وقد أتاح

تراب الأرض المحتلة ثروة ضخمة من تلك الأغاني مختلفة الأشكال امتازت بالغنائية الدائمة والحنين المتدفق والصراحة في القول ورد فعل سريع للأحداث داخل الوطن المحتل أو خارجه والتعلق بالأرض فلا تجد مناسبة بين اللاجئين تخلوا من أغاني الألم والبعد والغربة.

ولعل الميزة الأساسية للشعر الشعبي الفلسطيني هي أنه تلخيص لمراحل النضال الطويل التي خاضها الشعب الفلسطيني، ثوراته المتتالية ضد الاستعمار والصهيونية فقد واكبت القصائد الشعبية مسيرة الثورات الوطنية فأرخت لها وأبرزت حوادثها وأبطالها منذ وعد بلفور سنة ١٩١٧ وحتى يومنا هذا.

كما نلمس في هذا الشعر روح الصمود في وجه العدو الاستيطاني الذى يعمل جاهدا لطرد الشعب الفلسطيني من أرضه ومدنه وقراه.

ويفتخر الشاعر الشعبي الفلسطيني بأصله العربي ويتغنى بالشيم العربية الأصلية كالنخوة والكرم ومساعدة المظلوم والزود عن العرض والأرض والشجاعة في خوض غمار الحروب.

وقد صورت القصائد الشعبية جوانب الحياة الفلسطينية من جميع النواحي فيمكن اعتبارها سجلا حافلاً بالعادات والتقاليد الشعبية في مختلف المناسبات كالأعراس والأفراح والأعياد والمآتم والمناسبات الدينية وأغاني الطفولة والعمال.

وأخيراً ترجمت الأغاني الشعبية مشاعر المواطنين بمختلف انتماءاتهم فقد وحدت الموقف بين المسلمين والمسيحيين والأقليات في رفض الاحتلال الصهيوني والعمل على استعادة الحقوق المغتصبة.

طوابع البريد والعمله الفلسطينية

من حق الشعوب والدول الحفاظ على تراثها سواء كان تاريخياً أو ثقافيا أو فنياً لأن التراث هو الذى يربط تاريخ تلك الشعوب في عصورها المختلفة.

ومن حق الأجيال الشابة الفلسطينية أن تتطلع على كل ما يتعلق بتراث بلدها من كافة نواحيه. ومن أكثر الأخطاء الشائعة عند تناول القضية الفلسطينية التركيز على الناحية السياسية من تاريخ البلاد وعدم الاهتمام بالنواحي الأخرى الثقافية والفنية.

وتحاول اسرائيل منذ أن استولت على جميع أرض فلسطين أن تنزع هويتها العربية وتطمس تراثها بل راحت تنسب الكثير منه لنفسها ورأينا كيف سطت على فنون وفولكلور وتقاليد الشعب الفلسطيني وعمدت كذلك الى جمع ما تبقى من طوابع البريد الفلسطينية والعملة الفلسطينية حتى تقطع الصلة بين الفلسطينيين وهذين التراثين وصلتهما بالعالم الخارجي.

وعندما نتحدث عن طابع البريد أو العملة الفلسطينية فليس الموضوع قصاصة صغيرة من الورق اسمها طابع بريد أو قطعة معدنية كانت تتداول كعملة فالحديث عنهما يمثل جزءاً من التراث الفلسطيني وحتى لايندثر هذا التراث من ذاكرة الجيل الحالي الفلسطيني في الداخل والخارج وهو ما نرجو أن يتحقق في هذا البحث.

كيف صدر طابع البريد الفلسطيني وكيف تم سك العملة الفلسطينية والى اى مدى تدخلت السياسة الصهيونية بفرض توجيهاتها على حكومة الانتداب الانجليزية في كيفية اصدارهما وألوانهما وفئاتها المختلفة؟.

وقد استمر استعمال طوابع البريد والعمله العثمانية في فلسطين حتى سنة ١٩١٧ بصفتها جزء – ولاية – من الدولة العثمانية.

ومع بداية القرن التاسع عشر أخذت الدولة العثمانية تزداد ضعفاً حتى الدول الأجنبية تمكنت من فتح مكاتب بريد خاصة بها في بعض المدن الفلسطينية ففتحت فرنسا وتبعتها بريطانيا مكاتب بريدية في القدس ويافا وحيفا واستعملت طوابع البريد الخاصة بها في نقل الرسائل من فلسطين وإليها.

وعندما احتل الجيش البريطاني فلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧ اخذت الجيوش العثمانية تتراجع وتنسحب نحو الشمال.

ويجب أن لاننسى التصريح المشهور الذى أعلنه الجنرال اللبنى قائد القوات البريطانية في فلسطين عندما دخل مدينة القدس «الآن انتهت الحروب الصليبية».

ومع الاحتلال البريطاني لفلسطين توقف استعمال طوابع البريد والعملة العثمانية وعمدت قوات الاحتلال الى فتح مكاتب بريد عسكرية وأصدرت طابع خاص لمنطقة الشرق الأدنى ليستخدم بجانب فلسطين سوريا ولبنان وجنوب تركيا كتب في أعلى الطابع ثلاثة حروف EEF(١) وترمز الى قوات الحملة الآتية من مصر وكتب في وسطه

---

(١) (E.E.F) Egyptian Expeditionary Force. الخاص بقوات الحملة المصرية

خالص الأجرة ثم أصدرت القوات البريطانية مجموعة من الطوابع بفئات وألوان مختلفة تحمل نفس الحروف.

وما أن انتهى الحكم العسكرى في فلسطين وتسلم المندوب السامى البريطاني هربرت صموئيل وهو يهودى صهيوني مسئولية الحكم المدنى سنة ١٩٢٢ وأعلن الانتداب بواسطة عصبة الأمم رسمياً – حتى طلب المندوب من مدير البريد البريطانى إضافة كلمة فلسطين فورا بالطوابع العسكرية على أن تكتب باللغات الثلاث العربية والانجليزية والعبرية وأن يضاف الى كلمة فلسطين بالعبرية حرفية صغيرين أ إِ وهى اختصار لكلمتى أرض اسرائيل «إيرتز اسرائيل».

لم يمر الأمر بسهولة وقامت مظاهرات وأرسلت احتجاجات من كافة المدن الفلسطينية ووصل الأمر الى وزارة المستعمرات ومجلس الدولة البريطانى في لندن ورغم التعديلات الطفيفة التى أدخلت على شكل الطابع فان كلمة فلسطين الموشحه Over Printed باللغات الثلاث بقى الحرفان الإسرائيليان بجانب كلمة فلسطين بالعبرية وفى عام ١٩٢٧ اصدرت حكومة الانتداب أول مجموعة طوابع مصورة عن فلسطين تألفت من أربعة عشر طابعاً يحمل بعضها رسوماً لأماكن دينية واختيرت التصميمات والفئات لأبراز الوجهة اليهودى والإنجاز الكامل للتوجهات الصهيونية.

الطابع الأول يصور قبة راحيل وهو رمز دينى يهودى والثانى يصور قلعة باب العامود ويطلق عليها اليهود برج داوود والثالث يصور قبة الصخرة أما الرابع فيصور جامع غير مشهور فى مدينة طبريا. واختيرت الفئات ٢–٣–١٠ ملأت الطابع قبة راحيل ليكون الأكثر استعمالاً وتداولاً لأنها الطوابع المطلوبة للبريد العادى في الداخل والخارج.

واختيرت فئتا ٥–٧ ملأت لطابع قلعة القدس أما فئات ٤–٦–١٣–١٥ ملاً التى تستعمل فى البريد المستعجل والمسجل فقد اختير لها طابع بريد قبة الصخرة وهى الأقل انتشاراً واستعمالاً واختير طابع جامع طبريا للفئات العليا ٥٠ مل حتى جنيه فلسطينى.

وهكذا صدر طابع البريد الفلسطيني محققاً رغبة اليهود كما أصرت دائماً حكومة الانتداب على تحقيق رغباتهم في كافة المجالات الاخرى.

وقد أصدر الفلسطينيون أثناء ثورة ١٩٣٦–١٩٣٩ طوابع خاصة تحمل شعار

فلسطين للعرب ثم تداوله لفترة قصيرة وكذلك قامت بعض الدول العربية بإصدار طوابع بريد تحمل اسم فلسطين.

وبعد عام النكبة سنة ١٩٤٨ جزئت فلسطين الى ثلاثة أجزاء

جزء تحت الاحتلال الصهيوني - جزء تحت الإدارة المصرية في قطاع غزه - وجزء تم ضمه الى امارة شرقى الأردن وأصبح يعرف بالمملكة الأردنية الهاشمية. وأدخلت الأردن طوابعها موشحة بكلمة فلسطين لتستعمل في الضفة الغربية ثم أصدرت الطوابع التى تحمل اسم المملكة الاردنية الهاشمية واستمرت الإدارة المصرية في قطاع غزه باستعمال الطوابع المصرية الموشحة بكلمة فلسطين - ثم ألغت الحكومة المصرية كلمة التوشيح سنة ١٩٦٠ وأدخلت اسم فلسطين ضمن التصميم الأصلى للطابع. وهكذا مضى تاريخ الطابع الفلسطيني منذ الانتداب حتى سنة ١٩٦٧ وتوقف بعد ان احتلت اسرائيل كافة الأراضي الفلسطينية.

وبالنسبة للمسكوكات (العملة) كانت العملة العثمانية هى المتداولة في فلسطين بالاضافة الى بعض العملات الذهبية الأجنبية واستمر الحال كذلك حتى دخول الجيش البريطاني فلسطين حيث أدخل معه العملة المصرية التى بقيت متداولة في فلسطين وشرق الأردن واستمر ذلك حتى سنة ١٩٢٧ وكان السكان في فلسطين يطلقون عليها كلمة «المصارى» اى الفلوس نسبة الى مصر.

وكانت العملة العثمانية تشمل مسكوكات مختلفة من نحاسية ومعدنية وفضية وذهبية وكما سمعت من شيوخنا في فلسطين كانت العملة النحاسية والمعدنية تشمل (القبق - السحتوت - البشلك - الزلطه - القرش العثمانى الغرش).

والعمله الفضيه تشمل الريال والمجيدى والعملة الذهبية تشمل الليره العثمالى ونصف الليره العثمالى وكذلك ببعض المجيديات الذهبية وكانت تحول فى بعض الحالات الى عقود تلبسها النساء.

وظلت العملة المصرية تتداول كما ذكرنا حتى سنة ١٩٢٧ حيث أصدرت حكومة الانتداب البريطانية أولى مسكوكات العملة الفلسطينية وقد صاحب إصدارها نفس مشاكل طابع البريد حيث أصرت الحكومة على وضع حرفى أ إ (ايرتز اسرائيل)

كلمة توشيح: تعنى كتابة او رسم تطبع فوق الطابع الأصلى أو لتغير فئة القيمة الأصلية للطابع.

بجانب كلمة فلسطين بالعبرية ولم تفلح الاحتجاجات الفلسطينية في تغير النتيجة.

وكانت مسكوكات العملة الفلسطينية مكونة من الفئات التالية:

(مل واحد - ملان - خمسة ملات - عشرت ملات).

ثم عشرين وخمسين وماية ملاً وكان وجهها الأول يحمل صورة غصن الزيتون ووجهها الاخر يحمل اسم فلسطين باللغات الثلاث كما ذكرنا.

وبجانب العملة المعدنية صدرت عملة ورقية تحمل الفئات التالية ٢٥ جنيهاً فلسطينياً - ٥٠ جنيهاً فلسطينياً - ١٠٠ جنيهاً فلسطينياً بالاضافة الى ورقة الجنيه ونصف الجنيه وربع الجنيه.

وهكذا مضى تاريخ طابع البريد والعملة الفلسطينية حتى استولى اليهود على الأرض الفلسطينية وتوقف التداول بهما.

منظمات فلسطينية قبل سنة ١٩٤٨
النجاده - الفتوة - الشباب - جمعية الكشاف العربي

فيما كانت القضية الفلسطينية تمر بما يشبه اليأس والضياع والإحباط في أواخر ١٩٤٥ والمنظمات اليهودية تتحدى حكومة الانتداب وتزيد من قوتها العسكرية والتنظيمية وتستغل ظروف الحرب لتقوية الاقتصاد والصناعة اليهودية في هذا المناخ بدأت منظمة النجادة انطلاقها وانضم إليها الشباب الذى كان يتطلع إلى منظمة تضمه وتنظمه وتدربه وهكذا تحمس الشباب لفكرة النجاده وأهدافها بعد أن أعلنت أن غايتها توحيد صفوف العرب والعمل على النهوض بهم خلقيا وعلميا ورياضيا وأخفت هدفها الحقيقي بتدريب الشباب عسكريا واتخذت زيا موحدا يشبه الزي العسكري وتألفت من عدة فرق وأفواج وكتائب وانضم إليها فريق كبير من الشباب الفلسطيني المثقف وحملة الشهادات العليا والثانوية ووصل عدد أعضائها في المدن والقرى إلى عدة آلاف وكانت يافا المركز الرئيسي للمنظمة ورئيسها المحامى محمد نمر الهواري.

وتمكنت المنظمة من الحصول على إذن رسمي من حكومة الانتداب البريطاني لمباشرة نشاطها باعتبار أنها منظمة شبابية اجتماعية. وفي بادئ الأمر أعلنت النجادة ولأنها لمفتي فلسطين «الحاج أمين الحسيني» ولما اشتد عودها خشي «جمال الحسيني» رئيس الحزب العربي في فلسطين - وهو في الحقيقة حزب المفتي - أن تهدد زعامته الشعبية فسحب تأييده لها وبدأت تظهر حرب الشائعات بقصد تحطيم هذه المنظمة وازداد الصراع السافر بينها وبين الحزب العربي.

قام الحزب العربي بتأليف منظمة جديدة سماها «منظمة الفتوح» كجناح رسمى للحزب وأسند قيادتها إلى «كامل عريقات» أحد ضباط البوليس السابقين في فلسطين. واستطاعت منظمة الفتوة أن تضم الى صفوفها عددا كبيرا من الشباب بصفتها امتداد للحزب العربي وهو كما أشرنا حزب المفتي الحاج أمين الحسيني.

ولما اشتد الصراع بين النجادة والفتوة استدعى الهواري الى مصر مقر الحاج «أمين الحسيني» وهناك تقرر دمج المنظمتين في منظمة واحدة أطلق عليه اسم «منظمة الشباب». وتألفت لجنة لدمج المنظمتين مؤلفة من «رفيق التميمي» و«أميل الغوري» و«محمد نمر الهواري» وكان من الصعب أن تتخلى النجادة عن اسمها وشعاراتها والتصريح الممنوح لها لأن الحصول على تصريح جديد من حكومة فلسطين كان مستحيلا بعد إعلان قانون الطوارئ في مارس ١٩٤٦ وقررت التمسك باسمها وهكذا فشلت اللجنة بعملية الدمج وتحولت المنظمتان إلى ثلاث منظمات النجادة — الفتوة — الشباب، وأدت هذه الخلافات إلى إضعاف الروح المعنوية للشباب الفلسطيني الذى اعتبر أن هذه الخلافات لامبرر لها.

وحاولت الهيئة العربية العليا إرسال الضابط المصري المتقاعد «محمود لبيب» ليقوم بمهمة تدريب الشباب إلا أن السلطة الفلسطينية الانجليزية أصدرت أمرا بطرده من فلسطين حالما عرفت مهمته. واقتصر التدريب على حركات سطحية.

لمحة عن حياة رئيس النجادة المحامى محمد نمر الهواري

ولد في مدينة الناصرة سنة ١٩٠٨ وتخرج من الكلية العربية بالقدس واشتغل مدرسا لمدة عشر سنوات ثم تابع الدراسة والتحق بمعهد الحقوق بالقدس حيث تخرج منه محاميا نظاميا وشرعيا. وفي سنة ١٩٤٢ بدأ مزاولة مهنة المحاماة وقام بتأسيس منظمة النجاده حيث بدأت المشاكل ودخل في عراك مع الحزب العربي ومع الهيئة العربية العليا. وكان من رأيه عدم استعمال العنف في مقاومة التقسيم الذى أقرته هيئة الأمم المتحدة وتنقل بين الجهات العاملة في الحقل الوطني وانتخب سنة ١٩٤٩ ممثلا لقضية اللاجئين في البلاد العربية وممثلا عنهم أمام لجنة التوفيق التابعة للأمم المتحدة. وقد عاد إلى الناصرة موطنه سنة ١٩٥٠ وتوفي هناك.

هنالك بعض الشواهد التى دمغت موقف الهواري بالوقوف ضد التيار الوطني الفلسطيني.

١- لماذا سمحت حكومة الانتداب للهواري وبإقامة منظمة شبه عسكرية؟ وسمحت لرجاله بارتداء الملابس العسكرية ووضع الشارات العسكرية؟.

٢- محاولاته المستمرة في توجيه الشباب اتجاهات معينة وهجومه المستمر على مفتى فلسطين الحاج «أمين الحسيني» والهيئة العربية العليا.

٣- موقفه الغامض واتصاله ببعض رجال الهاجاناه في مستعمرة بيت أم على حدود يافا بحجة إيقاف الفتنة بين العرب واليهود.

٤- تكرار اتصاله بالمسئولين الإنجليز في فلسطين مثل مدير الأمن العام ورئيس المباحث الجنائية وغيرهم.

٥- اعترافه شخصيا بأنه اتصل باليهود في قصر البحر على حدود يافا.

٦- لماذا سمح له اليهود بالعبور إلى الناصرة سنة ١٩٥٠ بعد أن سقطت بأيديهم ولم يكن يسمح لأي فلسطيني غادر بلده بالعودة إليها؟.

جمعية الكشاف الفلسطيني:

بدأت الحركة الكشفية في فلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى وقد اهتم الاتراك بتشجيعها وفي عهد الانتداب البريطاني تطورت الحركة الكشفية وانتشرت في المدارس والنوادي واستمرت في تصاعد حتى قيام الإضراب العام والثورة الكبرى سنة ١٩٣٦ واشتركت فرق الكشافة في العديد من الواجبات الوطنية ولكن حكومة الانتداب لم يرق لها تصاعد تطورها وبدأت في مطاردة الحركة الكشفية حتى توقفت.

وفي سنة ١٩٤٥ اجتمع قادة الحركة الكشفية الفلسطينية في القدس واتخذوا قرارا بإنشاء جمعية الكشاف الفلسطيني وفاز «فوزي النشاشيبي» بمنصب الرئيس وهوواحد من الذين رافقوا الحركة الكشفية منذ بدايتها. وبلغ عدد أعضاء الجمعية عشرة آلاف كشاف في أنحاء فلسطين وساهمت في جمع الأموال للمشاريع الوطنية وفي إحياء المناسبات الدينية والقومية واستمرت في نشاطها وعطائها حتى حلت النكبة.

من شريط الذكريات

لايمل الفلسطيني المبعد بالقوة عن وطنه وأرضه من التحدث عن ذكرياته أيام الصبا والشباب ويستلهم من شريط تلك الذكريات الأحداث والقصص منذ صدور قرار التقسيم الذى صدر في نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٤٧ واندلاع أعمال العنف والقتال بين الفلسطينيين واليهود حتى بعد دخول الجيوش العربية في ١٥ مايو (أيار) سنة ١٩٤٨ وإعلان دولة إسرائيل.

وقبل الدخول في طرح بعض ما وعته الذاكرة خلال تلك الفترة وكنت أعمل في مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين بالقاهرة أرغب في تقديم هذا التمهيد.

تجاهل غير عادل:

دأب أكثر الكتاب والمؤرخين حين التحدث عن دور الهيئة العربية العليا لفلسطين تحميلها مسئولية كبيرة في نكبة فلسطين وتشريد الأهل واختصوا الحاج «أمين الحسيني» رئيس الهيئة بالجانب الأكبر من تلك المسئولية. لاشك أن الدعاية وموقف بعض الدول العربية وتجاهل أعمال الغدر والخيانة التى قام بها العملاء والمتواطئين ضد الشعب الفلسطيني لعبت دورا مهما في تأصيل تلك التهمة.

وعودة إلى تصريح الرئيس جمال عبد الناصر في عدة مناسبات قوله «إن مؤامرات الدول الكبرى وخيانة العملاء هي التى أضاعت فلسطين وأطاحت بكيانها العربي» وشهد في أكثر من مناسبة ببطولة عرب فلسطين وأشاد بكفاحهم العظيم ضد قوى عظمى ولم يكن للفلسطينيين الوسائل والدعم للوقوف ضدها.

لم يستطع الحاج «أمين الحسيني» دخول فلسطين بعد عودته من معتقله في فرنسا وذلك بضغط من الانجليز وبعض القوى العربية ورغم ذلك لم يستسلم وبدأ يسابق الزمن لمساعدة شعبه داخل البلاد وإمداده بما أمكن الحصول عليه من سلاح وعتاد ومال. وذلك في وقت تخلت فيه الحكومات العربية عن تعهداتها بتزويد الهيئة العربية بالأسلحة والأموال.

وفي ظروف صعبة قامت الهيئة العربية العليا وهي بالقاهرة بعيدا عن أرضها وموطنها بمجهود كبير في دعم المقاومة الفلسطينية في وقت حبست فيه الجامعة العربية الأموال التى كانت ترد للهيئة العربية من بعض البلاد الإسلامية بحجة تحويلها الى اللجنة العسكرية في دمشق.

وأعود إلى الذاكرة لأتحدث عن عملي في مكتب الهيئة بالقاهرة منذ أواخر سنة ١٩٤٧ من خلال العمل الذى كنت أمارسه.

تقع مكاتب الهيئة العربية العليا في ١٣ شارع الكمال بضاحية حلمية الزيتون وكان ضمن مكاتب الهيئة إدارة متخصصة بموضوع شراء وجمع وتوريد وتوزيع السلاح والذخيرة إلى المناضلين في أرض الوطن وكانت مهمتي وبعض الزملاء استلام

السلاح والذخيرة ثم نقلها من القاهرة الى العريش لتسلم إلى المندوبين عن مناطق القتال المختلفة في فلسطين.

كيف كانت تدار تلك العملية؟.

تفضلت عائلة حلاوة الفلسطينية الأصل بتقديم المبنى الكبير المقام في عزبتهم في ضاحية عزبة النخل التى تبعد بضعة كيلومترات عن حلمية الزيتون وقد اتخذ هذا المبنى الواسع كمخزن يتم فيه تجميع ما يرد من أنواع مختلفة من السلاح والذخيرة. وكذلك تم استئجار فيلا في أول شارع طومان باي أقيمت فيها ورشة كاملة لإصلاح السلاح.

لم يكن سهلا الحصول على السلاح وتوفير الأموال اللازمة لشرائه والأماكن التى أمكن الحصول منها على السلاح تركزت في:

١- منطقة الساحل الشمالي الغربي لمصر بين موقعي الحمام ومرسى مطروح حيث كانت تتوافر بعض الأسلحة من مخلفات الحرب العالمية الثانية التى دارت في شمال أفريقيا وجميعها كانت إنجليزية وألمانية وإيطالية.

٢- ما أمكن شراؤه أو تهريبه من مخازن الجيش البريطاني في منطقة فايد قرب الإسماعيلية ويتكون غالبيته من ذخيرة البنادق والرشاشات.

٣- ما أمكن شراؤه من تجار السلاح في مناطق مختلفة داخل مصر أو ما يرد من مناطق أخرى.

ويجدر هنا الإشارة والإشادة بالحكومة المصرية في ذلك الوقت حيث سمحت لنا بشراء وتخزين الأسلحة والذخيرة من كافة المناطق ونقلها الى العريض وكذلك ما قدمه الجيش المصري من مساعدات إما في نقل السلاح بتقديم عدة سيارات نصف نقل لهذا الغرض أو بفتح بعض ورش الجيش في العباسية لاستقبال دفعات السلاح التى تحتاج إلى إصلاح أو قطع غيار كل ذلك بالإضافة إلى تطوع بعض الضباط المصريين المتخصصين بمساعدة الفلسطينيين في طرق استعمال أنواع السلاح والألغام والقنابل اليدوية والعناية بفرزها وتحضيرها للشحن.

لم يكن جلب السلاح من الساحل الشمالي الغربي سهلا بسبب وجود الألغام المنتشرة في مساحات واسعة وأمكن تذليل أكثر المشاكل بمساعدة البدو والأعراب حيث كانت تتم معهم صفقات شراء البنادق والرشاشات والقنابل اليدوية والألغام

المختلفة سواء ضد الأفراد أو السيارات وصناديق الذخيرة وكميات كبيرة من مكعبات مادة T.N.T شديدة الانفجار.

كنا كتيبة صغيرة من الشباب الفلسطيني مهمتنا استلام السلاح في مخازن عزبة النخل حيث تتم عملية الفرز وإرسال ما يحتاج إلى إصلاح إلى الورشة في شارع طومان باي أو ورش الجيش المصري في العباسية إذا كانت تحتاج إلى قطع الغيار أو استبدالها. يعود السلاح إلى الإدارة المختصة في شارع الكمال حيث يقيد في قوائم ويوضع داخل صناديق معدنية وفي كشف خاص تحدد محتويات كل صندوق والجهة المراد توصيله إليها.

بعد ذلك تبدأ الرحلة الصعبة لنقله من القاهرة إلى العريش وكانت تستغرق في بعض الأحيان أكثر من ٢٤ ساعة إما بسبب اجتياز قناة السويس أو الأمطار في منطقة سيناء وبسبب وعورة الطرق وطول المسافة عن طريق أبو عجيلة في وسط سيناء وكذلك كثرة الأعطال فى سيارات النقل. كنا نصل إلى مدينة العريش ونحن في غاية الإعياء والتعب ونجد في انتظارنا المندوبين عن مناطق القتال المختلفة في فلسطين حيث يتم تسليم كل مندوب سواء من منطقة القدس أو يافا وغيرها. وكانت عملية النقل تتم عن طريق البحر بواسطة قوارب بخارية.

إن هذا السلاح وإن كان معظمه قديم هو ما استطاعت الهيئة العربية العليا لفلسطين في القاهرة توفيره في حدود الإمكانيات التى أتيحت لها وبمساعدة هامة ومؤثرة من الحكومة والشعب المصري. وكما ذكر الأستاذ الراحل «أحمد بهاء الدين» أن الفلسطينيين كانوا ينحتون الصخر ليتمكنوا من الصمود قدر المستطاع أمام الميلشيات اليهودية التى كان يدعمها السلاح المتدفق من الغرب ومن معسكرات الجيش البريطاني في فلسطين. ولاأنسى المساعدة التى كنا نجدها من بعض أعيان مدينتي «فاقوس» و«أبو كبير» والذين أسهموا في شراء السلاح أو تهريبه من معسكرات الجيش البريطاني في فايد وكذلك مساعدة بعض الأسرى الألمان الذين يهربون من داخل معسكرات الجيش البريطاني. أو يتقدمون للتطوع في القتال بجانب المجاهدين في فلسطين.

هذه شهادة حية ولوحة حقيقية لفترة زمنية قصيرة من تاريخ الكفاح الفلسطيني وهذا تسجيل لواقع حقيقي يلقي الضوء على صورة من صور الكفاح المسلح الفلسطيني.

من رواد الكفاح المسلح
في فلسطين

الرواد الأوائل الذين قدموا أرواحهم على أرض فلسطين يعكس قصة الكفاح والبطولة وتصدى الشعب الفلسطيني لأشرس هجمه بربرية من أقوى قوتين في العالم أنذاك الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية من ١٩٢٠-١٩٤٨. معركة بين شعب صغير لايملك الا الإيمان بقضيته ورصاص البنادق أمام المصفحات والدبابات والطائرات ولم يفقد هذا الشعب قوة اندفاعه ولم يستسلم إلا حينما أوكل الدفاع عن فلسطين الى الجيوش العربية سنة ١٩٤٨ وما تلى ذلك من سقوط فلسطين وضياعها.

إن الحديث عن هؤلاء الرواد محاولة لإيفائهم بعضاً من حقهم وتخليداً لذكراهم في نضالهم للزود عن وطنهم فلسطين.

ونقصد بتلك الذكرى أن نضع أمام الأجيال الشابة الفلسطينية صورة مضيئة من تاريخ بلادهم وليتعرف على تلك القيادات والمعارك التى قادتها واستشهدت على أرضها.

وتحضرني هنا كلمة وجهها زعيم ألمانيا النازية في بيان رسمى وجهه الى الألمان السوديت حينما كانوا يحاولون الخلاص من حكم تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٣٨ للانضمام الى ألمانيا.

«اتخذوا يا ألمان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكم أنهم يكافحون إنجلترا أكبر امبراطورية في العالم ويكافحون اليهودية العالمية رغم انتشارها وقوتها ببساله خارقه وليس لهم في الدنيا نصير أو مساعد أما أنتم فإننى أمدكم بالمال والسلاح وألمانيا وراءكم»

وفي كتاب أصدره الجنرال «هنرى ولسن» الذى تولى قيادة المعارك ضد عرب فلسطين أثناء ثورة ١٩٣٦-٣٩ وقبل أن يتولى قيادة القوات البريطانية في مصر ذكر أن

«خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يعتصمون في الجبال ويقومون بحرب العصابات ولايمكن التغلب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح أى خمسة عشر ألف جندى».

وبلغ ما تكبده الفلسطينيون في الثورة الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩ خمسة آلاف شهيد وخمسة عشر ألف جريح من سكان لايتجاوز عددهم مليون شخص.

ولو ترجم هذا العدد الى ما يقابله بالأرقام البريطانية والأمريكية في مطلع السبعينيات (سكان بريطانيا ٤٠ مليون وسكان الولايات المتحدة ٢٠٠ مليون) لارتفع الرقم الى ٢٠٠ ألف قتيل بريطاني ومليون قتيل أمريكى عدا الجرحى بنفس التقييم. وهذه الأرقام لايدخل فيها عدد الفلسطينيين المعتقلين في السجون والمعتقلات وبلغ عددهم سنة ١٩٣٩- ٥٦٠٠ معتقلاً.

ومن أوائل من قدموا ارواحهم لقضية بلادهم فلسطين واظهروا شجاعة فائقة في معارك ثورة ١٩٢٩. «عطا الزير» - «محمد جمجوم» وهما من مدينة الخليل و«فؤاد حجازى» من مدينة صفد وقد أعدمتهم السلطات البريطانية سنة ١٩٣٠ ولم تشفع جميع الوساطات من اكثر من جهة عربية لوقف تنفيذ إعدامهم.

الشيخ عز الدين القسّام:

من أبرز أعلام الكفاح المسلح في تاريخ فلسطين، أدرك بوعيه السياسى وإيمانه الدينى العميق أن المؤامرة الإنجليزية - الصهيونية في فلسطين تستهدف اقتلاع العرب من قراهم وأراضيهم ليتسلمها اليهود بعد ذلك.

وكان يؤمن إيماناً عميقاً بأن الكفاح المسلح هو الوسيلة الوحيدة القادرة على القضاء على هذه المؤامرة وتحقيق مطالب الشعب الفلسطيني.

ولد ونشأ عز الدين القسّام في محافظة اللاذقية بسوريا وحارب الفرنسيين سنة ١٩٢١ في ثورة العلويين بشمال سوريا وحكم عليه بالاعدام غيابياً فغادر سوريا متوجهاً الى فلسطين واستقر به المقام في مدينة حيفا سنة ١٩٢٦. استطاع القسّام ان يفجر الغضب ضد الوجود البريطاني وضد اليهود الصهيونية واخذ فى اعداد تنظيمه السرى معتمدا على الفلاحين والعمال وبدأ فى إعدادهم عقائدياً وسياسياً، وبدأ في شراء السلاح والتدرب عليه بالتمويل الذاتي. وقد مثلت ثورة القسّام انعطافاً جذرياً في أسلوب الكفاح الوطني الفلسطينى ونقلته من تقديم المذكرات والعرائض وتنظيم المظاهرات الى الكفاح

المسلح واعتبرت «العصبة القسامية» او «حركة القساميين» من أعظم الحركات الثورية التى عرفتها الثورة الفلسطينية وهكذا نقل القسام اسلوب التفاوض مع الانجليز الى المجابهة المسلحة معتقداً أن المفاوضات لن تصل بنا الى إنقاذ فلسطين.

ولما اكتملت للقسّام ورفاقه المؤمنين بدعوته القوة المنظمة والسلاح اللازم اختار منطقة جنين الغنية بالأحراش والجبال للانطلاق بثورته وبدأت المناوشات والصدامات بينه وبين رجال الشرطة البريطانية مما أدى الى قتل العديد منهم واستشهاد بعض رجاله وبدأت العديد من القرى ومن الرجال ينضمون الى العصبه القسامية يؤمنون بدعوتها ويتبارون في التصدى للقوات البريطانية والمراكز اليهودية.

ولما أحست السلطة البريطانية بخطر القسام وعصبته قامت بتجهيز قوة كبيرة من الجيش البريطاني تدعمها أعداد من رجال الشرطة وبدأت في تضييق الخناق على مواقع تواجد القسام ورجاله وأخذت تراقب القرى التى تتعاون معه وتنزل بسكانها اقسى انواع العقاب. وفي معركة غير متكافئة قرب «يعبد» بقضاء جنين دافع القساميّون عن مواقعهم واستطاعوا الصمود وإنزال الخسائر الكبيرة بالجيش البريطاني حتى آخر طلقة الى أن استهشد القسام وبعض رجاله المقربين وجرح عدد آخر.

وهكذا طوى الموت رجلاً عربياً مؤمناً بدينه ووطنه وترك أعمق أثر في ضمير الشعب الفلسطيني ولاتزال تروى الى الآن في جميع أنحاء فلسطين الكلمة الخالدة «القساميون» وترمز الى الكفاح المسلح والاستشهاد ولاتزال حتى اليوم بعض الفصائل الفلسطينية تحمل اسم «منظمة قسامية».

ومن أهم الآثار التى خلفها القسام بعد وفاته انتشار الحركة الثورية المنظمة وخصوصاً في شمال فلسطين والتى أفرزت كبار القادة ورؤساء الفصائل الذين قادوا الثورة الفلسطينية منذ اندلاعها سنة ١٩٣٦-١٩٣٩.

ومن أبشع الجرائم التى ارتكبتها السلطات البريطانية إلقاء القبض على المجاهد القسامى الشيخ «فرحان السعدى» ومحاكمته والحكم عليه بالإعدام وتنفيذ الحكم في شهر رمضان رغم كونه شيخاً جاوز الثمانين من عمره.

ومن رفاقه الأبطال الذين ساروا على دربه ورفعوا راية الجهاد وأبلو بلاء حسناً في أثناء الثورة الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩ خليل العيسى (أبو ابراهيم الكبير) وتوفيق الابراهيم

(أبو ابراهيم الصغير) عارف عبد الرازق – عبد الرحيم الحاج محمد – سليمان عبد القادر (أبوعلى).

واشتد أوار الثورة سنة ١٩٣٨ وكان هؤلاء على رأس الجماعات الفلسطينية المسلحة وكبدوا القوات البريطانية خسائر كثيرة ولما اتسع نطاق الثورة وازداد نظاماً لتشمل مناطق كثيرة في فلسطين، أسندت الحكومة البريطانية القيادة العليا لقواتها في فلسطين الى الجنرال «دل» رئيس أركان حرب الإمبراطورية البريطانية التى لاتغرب عنها الشمس وأطلقت يده في اتخاذ ما يراه من الوسائل والتدابير للقضاء على الثورة والمجاهدين فأحضر معه إمدادات زادت عن اربع فرق عسكرية بالإضافة الى قوات البوليس النظامى والإضافى وقوات المستعمرات اليهودية وعدد آخر من الطائرات وزاد طغيان حكومة الانتداب وبدأت تطبق عمليات الانتقام الرهيب، تنسف البيوت وتفرض الغرامات الجماعية على القرى الفلسطينية وخولت المحاكم العسكرية بإصدار أحكام الإعدام على كل من يحمل أو يحوز سلاحاً ولو كان مجرد طلقة بندقية أو مسدس.

وقبل أن ننتقل الى الشخصية الثانية التى اخترناها من الرواد العظام الذين استشهدوا في فلسطين نعود الى ذكر بعض القيادات الذين روت دماؤهم أرض فلسطين وتركوا بصمات على أرض الكفاح المسلح.

القائد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد:

تولى قيادة المنطقة الوسطى في طولكرم وطريق حيفا ودخل عدة معارك ضد القوات البريطانية وأشهرها معركة «بلعا» حيث تكبدت القوات البريطانية خسائر كبيرة وأسقط المجاهدون ثلاث طائرات أثناء المعركة وجرح القائد بإصابة بالغة واستشهد على أثرها بعد أن حول منطقة نابلس – جنين – طولكرم الى منطقة الرعب كما كان يطلق عليها الانجليز.

القائد الشهيد سعيد العاص:

تولى سعيد العاص قيادة المنطقة الواقعة بين بيت لحم والخليل كان رجلاً عسكرياً بكل ما تحمله الكلمة من معنى واختار «عبد القادر الحسيني» مساعداً ومستشاراً له وبدأ في الاتصال بسكان القرى وإعداد الثوار واستجاب له المئات من سكان منطقة القدس وبيت لحم والخليل ومن أهم المعارك التى خاضها ضد القوات البريطانية معركة حلحول التى انتصر بها انتصاراً كبيراً وقتل أكثر من أربعين جندياً بريطانياً وغنم

كميات كبيرة من السلاح والذخيرة والمعركة الثانية معركة الخضر وقد استعد لها البريطانيون استعداداً خاصاً وبدءوا في حصار المنطقة بأكثر من خمسة آلاف جندى وبدأ سعيد العاص يحس حراجة الموقف وأخذ يوزع الرجال ولكن التفوق البريطاني اسفر عن مقتل القائد العظيم وجرح مساعده عبد القادر الحسيني الذى وقع أسيراً في يد القوات البريطانية.

القائد الشهيد حسن سلامه:

من أشهر القواد الفلسطينيين ولد بطلنا في منطقة قضاء اللد وهي منطقة تتحكم في عدة طرق رئيسية تربط بين يافا وحيفا والقدس ومع انفجار ثورة ١٩٣٦ تم تعيين حسن سلامة قائداً للمنطقة وظل يناضل الى أن اضطر لمغادرة البلاد سنة ١٩٣٩ الى العراق وألمانيا وعاد الى فلسطين بعد قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ واستطاع أن يحافظ على جميع قرى منطقته وعلى مدينتي الرملة واللد والمطار الدولي الى ان استشهد في معركة رأس العين في مايو سنة ١٩٤٨ ومن القواد الذين أبلوا بلاء حسناً في معارك فلسطين الشهيد «يوسف ابو دره» الذى وقع في أسر البريطانيين حيث حكموا عليه بالإعدام ونفذوا الحكم والقائد «ابراهيم أوديه» الذى خاض عشرات المعارك ضد الانجليز والقوافل اليهودية وجرح عدة مرات آخرها رصاصة أصابت عموده الفقرى اقعدته مشلولاً الى أن توفى رحمه الله سنة ١٩٥٢.

وهناك آخرون بذلوا دماءهم واستشهدوا على أرض فلسطين لايتسع المجال في هذا الحديث الإشارة اليهم جميعاً وربما تتاح الفرصة في حديث آخر لنتحدث عنهم وعن اعمالهم وبطولاتهم.

عبد القادر الحسيني:

لن ينسى الشعب الفلسطيني بطله خالد الذكر الشهيد الشاب «عبد القادر الحسيني» الذى روى بدمه أرض فلسطين في شهر أبريل سنة ١٩٤٨ كان «عبد القادر الحسيني» ظاهرة فريدة في تاريخ الكفاح المسلح الفلسطيني ضد الاستعمار البريطاني والهجمة الصهيونية الشرسه على فلسطين. كان والده من زعماء فلسطين المعروفين وتبع الابن خطى والده في دروب الوطنية والنضال ومنذ مطلع شبابه أسس تنظيماً سرياً باسم الجهاد المقدس وما إن اشتعلت ثورة فلسطين الكبرى سنة ١٩٣٦ حتى انضم الى المجاهدين وعمل مساعداً للقائد الشهيد سعيد العاص وأصيب في معركة الخضر بجرح بليغ وأسره الانجليز ونقلوه الى المستشفى تحت الحراسة ولكنه استطاع الهرب الى سوريا

ثم الى ألمانيا حيث تدرب على صناعة المتفجرات. عاد بطلنا الى فلسطين وخاض مع رفاقه من المجاهدين معركة بني نعيم سنة ١٩٣٩ وهي من المعارك الكبرى التي قام بها الجيش البريطاني ضد المجاهدين الفلسطينيين وفي هذه المعركة قتل عدد غير قليل من الجنود البريطانيين وأسقطت إحدى طائراته الحربية. وكذلك فقد المجاهدون عدداً لايستهان به من الأبطال وأصيب «عبد القادر الحسيني» للمرة الثانية برصاصة في صدره ولكن أمكن نقله سراً الى سوريا حيث بقي في المستشفى أكثر من شهرين سافر بعدها الى العراق ليلتحق بدورات عسكرية مكثفة واشترك بثورة رشيد عالي الكيلاني وبعد فشلها ألقي القبض عليه من قبل القوات البريطانية وبقي تحت الاقامة الجبرية ثلاثة أعوام ثم انتقل الى السعودية ومنها الى مصر حيث انضم الى جماعة الحاج «أمين الحسيني» الزعيم الفلسطيني المعروف وتولى قيادة جيش الجهاد المقدس بعد إعادة تنظيمه.

عاد بطلنا الى فلسطين ليدخل في معارك شرسة ضد اليهود وتمكن من فرض حصار على قواتهم بالقدس لمنعهم من فتح طريق القدس يافا الجديدة وقام بعمليات تفجير ضخمة في مناطق متعددة من القدس اليهودية أهمها نسف مقر جريدة البالستين بوست ومقر الوكالة اليهودية وتفجير حي وشارع بن يهودا.

وأخذت النجدات والمعدات تصل الى اليهود جواً بمساعدة القوات البريطانية وأصبحت الحاجة ماسة الى السلاح. ذهب عبد القادر الى دمشق يحاول إقناع لجنة الدفاع عن فلسطين بإعطائه بعض السلاح الثقيل حتى يستطيع الصمود أمام المدافع والطائرات اليهودية ولكنه أخفق في إقناعهم وعاد ليجد اليهود قد استولوا على قرية الأسطل التي تتحكم في طريق القدس — يافا.

صمم القائد على استرجاع القسطل فقام بهجوم ابتداء من السابع من أبريل ١٩٤٨ وتمكن مع رجاله من استرجاع أكثر مناطق القرية ولكن نفاذ الذخيرة ووصول النجدات الى القوات اليهودية ورفض عبد القادر التخلي عن مواقفه أدى الى استشهاده.

كان موت «عبد القادر الحسيني» نقطة تحول في تاريخ الثورة الفلسطيني حيث تمكن اليهود من إعادة السيطرة على طريق القدس الجديدة وأخذت القرى العربية تتساقط بإيدي اليهود. وهكذا قضى البطل العظيم حياة حافلة قضاها منذ فجر شبابه يخرج من معركة ليدخل معركة اخرى رغم الجراح ورغم السجن واستطاع بسلاحه القليل وقوة روحه والتفاف المناضلين حوله أن يساهم مساهمة فعلية في النضال الفلسطيني ضد القوات البريطانية واليهودية.

أثر حرب ١٩٤٨ على مسار القضية الفلسطينية

لعبت حرب ١٩٤٨ بين الدول العربية والقوات الإسرائيلية دورا هاما في مسار القضية الفلسطينية فقد أدت هزيمة الدول العربية الى تثبيت الدولة اليهودية الناشئة وأصبح ميزان القوى في جانب اليهود ونجم عن ذلك تقديم التنازلات العربية والفلسطينية وازدياد المكاسب اليهودية للاستيلاء على المزيد من الأراضى الفلسطينية التى كانت خارج حدود الدولة اليهودية المقررة في تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية سنة ١٩٤٧.

يمكن أن أطلق على حرب ١٩٤٨ كلمة «حرب تقسيم فلسطين» وذلك أثر صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية في ١٩٤٧/١١/٢٩ واستمر النزاع داخل فلسطين بين العرب واليهود حتى ١٩٤٨/٥/١٥ حينما دخلت الجيوش العربية الأراضي الفلسطينية على أمل تحريرها من العصابات الصهيونية. وقد استطاعت القوات اليهودية أن تحقق عدة إنجازات أهمها طرد حوالي ٤٠٠ ألف عربي فلسطيني من مدنهم وقراهم واحتلال عدة مدن.

كانت القوات الفلسطينية والعربية التى تقاتل اليهود داخل الأراضي الفلسطينية مؤلفة من ثلاثة تشكيلات:

١- جيش الإنقاذ التابع للجنة الدفاع عن فلسطين والمنبثقة عن جامعة الدول العربية ومقرها دمشق.

٢- جيش الجهاد المقدس الفلسطيني وكان يتبع الهيئة العربية لفلسطين بقيادة المفتي الحاج أمين الحسيني ومقره القاهرة.

٣- القوات الفلسطينية المحلية.

جيش الإنقاذ: قوامه متطوعون من الدول العربية وكان مركز التجمع معسكر «قطنا» قرب دمشق وتكون من ثمانية أفواج اليرموك الأول والثاني والثالث والقادسية وحطين وأجنادين وفوج العراق وجبل العرب وبدأ جيش الإنقاذ يدخل فلسطين تباعا منذ أوائل سنة ١٩٤٨ وكانت قواته تتراوح بين ٥-١٠ آلاف مقاتل والمسجلين فعلا ودخلوا فلسطين ٤٦٣٠ مقاتلا ولكن الكثيرين منهم غير مدربين تدريبا عسكريا ولم يتعرفوا على الخصائص العسكرية من الانضباط وطاعة الأوامر أو تحمل المشاق في القتال ومن أسباب ذلك عدم توافر العدد الكافي من الضباط أو صف الضباط.

جيش الجهاد المقدس: نظمته الهيئة العربية العليا من المجاهدين الفلسطينيين بقيادة «عبد القادر الحسيني» وكان عدد العاملين بجيش الجهاد المقدس يتراوح بين ٥-٧ آلاف مقاتل بالإضافة الى فئات أخرى من المقيمين في قراهم للدفاع عنها أو للمشاركة في القتال في المناطق القريبة. وكان تسليح جيش الجهاد المقدس محدودا رغم ما قدمته الهيئة العربية العليا من أنواع مختلفة من السلاح من بنادق ورشاشات ومدافع هاون وقنابل وذخيرة وأكثره تم جلبه من مناطق الحمام والعلمين في شمال مصر وهو من مخلفات المعارك بين الحلفاء والمحور أثناء الحرب العالمية الثانية. وكان التدخل السياسي من بعض الدول العربية مؤدياً الى حرمان قوات الجهاد المقدس من المساعدات التى كانت تصلها من الشعوب والحكومات العربية وخصوصا المساعدات المالية ومن أهم وأبرز المشاكل التى جابهت قوات الجهاد المقدس الفلسطيني نقص السلاح وخصوصا الذخيرة هذا الى جانب نقص الخبرة القتالية.

القوات المحلية: وهي القوات التى كانت تحمي المدن والقرى وتتألف من سكان تلك المدن أو القرى ولم تستطع تلك القوات أن تقيم ترابطاً عضوياً بين أطرافها وكان معظم المقاتلين يشكلون مجموعات صغيرة افتقدت إلى التنظيم الجماعي كما حدث في حرب ١٩٣٦-١٩٣٩. ورغم ذلك فقد استطاعت تلك القوات وبالاشتراك أحيانا مع قوات الجهاد المقدس القيام بهجمات هامة على بعض المستوطنات اليهودية وخطوط مواصلات وقوافل القوات اليهودية وكانت تزرع الألغام وتنصب الكمائن وأنزلت بالقوات اليهودية عدة خسائر وجمدت بعضها للدفاع عن المدن اليهودية.

الموقف اليهودي خلال تلك الفترة: كانت القوات اليهودية حين صدر قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩ تتألف من العناصر التالية:

١- الهاجناه: وهي القوة الرئيسية الفعالة وخصوصا أنها سبق ودفعت بأعداد من الشبيبة اليهودية للانخراط في صفوف الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية وحاربت فعلا في صقلية وإيطاليا وكانت تلك القوات العائدة تشكل نواة القواة المقاتلة اليهودية والبالغ عددها أكثر من ٢٥ ألف جندي.

٢- منظمة الأرغون تسفاي ليؤمي ومنظمة شتيرن وقد عرف عن هاتين المنظمتين ارتكاب عدة أعمال وحشية وفظيعة ضد الفلسطينيين في المدن والقرى العربية ولاننسى عملية دير ياسين.

وقد استطاعت الوكالة اليهودية والمنظمات الصهيونية في العالم تسليح تلك القوات بمختلف الأسلحة بجانب ما حصلت عليه من مستودعات القوات البريطانية في فلسطين سواء أثناء الانتداب أو قبل رحيل القوات البريطانية في ١٩٤٨/٥/١٤.

استطاع رجال المقاومة الفلسطينية رغم قلة الخبرة العسكرية والتدريب القتالي أن يكبدوا المستعمرات اليهودية خسائر كبيرة وتمكنوا كذلك من حماية عشرات القرى وصد العدوان اليهودي ولكن بسبب عدم وجود قيادة موحدة سواء عسكرية أو سياسية على الأرض الفلسطينية فقد أدى ذلك الى سقوط عدة مدن يافا - عكا - صفد - طبريا - حيفا - بيسان بأيدى اليهود.

وفيما أنهت بريطانيا انسحابها من فلسطين يوم ١٩٤٨/٥/١٤ ورغم خسارة بعض المدن الهامة الفلسطينية كان عرب فلسطين يتمتعون بموقف لابأس به وحدود فلسطين شمالا وجنوبا وشرقا مفتوحة ومناطق فلسطينية من الجليل الى نابلس فالخليل فالنقب متصلة مع بعض.

أما جيش الإنقاذ الذى يمثل جامعة الدول العربية فقد انتهى مشروعه بهزيمة عسكرية ولم يحقق الهدف المنشود من دخوله الأراضي الفلسطينية وهكذا نجد أن الخطوات العسكرية التى سبقت دخول الجيوش العربية لم تلفت أنظار الدول العربية لتتخذ التدابير والاستعدادات الكافية لمواجهة العدو اليهودي وفي تقييم الموقف الدولي بشكل صحيح.

وطالما طلبت الهيئة العربية العليا لفلسطين من الدول العربية من خلال جامعة الدول العربية ومن خلال الاتصالات المباشرة أن أمر الدفاع عن فلسطين يخص الشعب الفلسطيني في الأساس مع الترحيب بانضمام متطوعين من أية دولة عربية. وقد تقدمت

الهيئة العربية العليا لفلسطين في فبراير ١٩٤٨ بالمقترحات التالية للجامعة العربية:

١- تعيين مندوب لفلسطين في القيادة العامة للاهتمام بالقضايا السياسية والمدنية لعرب فلسطين.

٢- إقامة حكومة فلسطينية مؤقتة تتحمل مسئولية الأوضاع في فلسطين حال رحيل الجيش البريطاني أو حتى قبل ذلك.

٣- تسليم المناطق التى يخليها الجيش البريطاني الى لجان قومية محلية.

٤- إمكانية الحصول على قرض لتمويل المؤسسات الإدارية ودفع تعويضات لمتضرري الحرب.

ولكن جميع هذه المقترحات رفضت جملة وتفصيلا بحجة أن الوقت لم يحن بعد لتحقيق ذلك. وجاء يوم ١٩٤٨/٥/١٥ ودخلت القوات العربية فلسطين وبالنسبة للقوات المصرية لم تكن القيادة العسكرية أو حتى القيادة السياسية متمثلة في مجلس الوزراء راضية عن دخول الجيش المصري الى فلسطين لأنها لم تكن على أهبة الاستعداد واقترح «النقراشي باشا» رئيس الوزراء تأجيل دخول القوات المصرية حتى تستكمل النقص في السلاح والعتاد ولكن الملك فاروق أصر على دخول القوات المصرية بقيادة اللواء أحمد علي المواوي الى فلسطين. ودخل الجيش العراقي بلواءين وكانت تدعمه قوة جوية لابأس بها هبطت في مطار المفرق بالأردن. أما الجيش السوري فدخل بثلاثة ألوية ولكن لم يكن لدية الذخيرة الكافية وكذلك الجيش اللبناني دخل بلواءين.

الجيش الأردني دخل فلسطين بقيادة الفريق جلوب باشا الانجليزي يساعده ٤٥ ضابطاً بريطانياً و١٨٠ صف ضابط بريطاني وكانت جميع مراكز القيادة بأيدي الضباط البريطانيين باستثناء خمسة من الضباط العرب ومن سخرية القدر أن القوات الأردنية دخلت فلسطين لتحارب اليهود بقيادة إنجليزية صرفه.

ونتيجة لعدم توافر المعلومات وغياب التنسيق وخيانة القيادة وعدم توحيدها فقد اعتقدت الجيوش العربية وهي على وشك الدخول الى فلسطين أنها ذاهبة إلى ما يشبه النزهة العسكرية لعدة أيام أو عدة أسابيع لتأديب العصابات الصهيونية ومنع ولادة الدولة اليهودية ولم يفطن العرب إلى ميزان القوى عشية معركة ١٩٤٨.

وفيما يلي مقارنة بين القوتين الصهيونية والعربية.

كان عدد اليهود في فلسطين حوالي ٦٠٠ ألف حشدوا منهم ٦٧ ألف مقاتل أى بنسبة ١١ بالمائة من السكان. وكان لديهم بنادق حديثة ورشاشات ومدافع من مختلف العيارات و٢٥ طائرة عدا عدد من مدافع الميدان الثقيلة.

وكما سبق وأشرنا فإن حوالي ثلث القوات اليهودية تدربت مع الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية.

كانت القيادة اليهودية موحدة ذات هدف استراتيجي واحد وهو الدفاع عن قرار التقسيم والاستيلاء على أراض أخرى من القسم العربي. خمسون مليون عربي من سبع دول مصر - العراق - سوريا - الأردن - لبنان - السعودية - اليمن حشدوا ٢١ ألف مقاتل أي بنسبة نصف بالمائة من عدد السكان ولم تكن القيادة العربية موحدة بل كان هناك خمس قيادات وكانت النتيجة النهائية للمواجهة العسكرية معروفة وتابع العرب تقديم فواتير الهزائم فيما بعد سنة ٥٦ وسنة ٦٧.

دخول الجيوش العربية الى فلسطين سنة ١٩٤٨ غيّر مفهوم الاستراتيجية العربية من إسناد مواجهة الغزو الصهيونية الى رجال المقاومة الفلسطينية والمتطوعين من الأقطار العربية وتدعيمها بالسلاح والمال الى دخول القوات النظامية العربية.

وليس المجال هنا الدخول في تفصيلات دخول الجيوش العربية النظامية وظروف القتال والأخطاء الجسيمة التى تابعت ذلك وفي تعليق لأحد كبار الضباط البريطانيين بشأن حرب ٤٨ أنها كانت حربا قصيرة تميزت بتفرق كلمة العرب وبمساعدات غير محدودة تلقتها إسرائيل من الغرب مكنتها في النهاية من تحقيق مكاسب إقليمية هامة لليهود.

ونتيجة لحرب ١٩٤٨ خسرت الجيوش العربية كثيرا من الأراضي التى كانت بأيدى الفلسطينيين والتى كانت مخصصة للدولة الفلسطينية بموجب قرار التقسيم رقم ٤٧/١٨١ وتم اقتلاع معظم الشعب الفلسطيني من أرضه وتحول الى لاجئين. ويحاول البعض تسمية هزيمة ١٩٤٨ نكبة وأنها ترجع الى الخيانات العربية والأسلحة الفاسدة. وهكذا أرسيت منذ ذلك الوقت الممارسات العربية في خداع الذات وحجب الحقائق والاستهانة بالعدو. ولما توالت الهزائم أخذ العقل العربي يبالغ ويهول بقوة العدو وتمكن العدو الإسرائيلي في النهاية من احتلال أراض في ثلاث دول عربية بالإضافة الى كل

فلسطين. العرب دون باقي الأمم الحية لايبدو أنهم يتعلمون من أخطائهم فالنكبات التى حاقت بهم في التاريخ الحديث واضحة وجلية ولم تتعلم الحكومات في الوطن العربي من هذه العبر والدروس وكانت النتيجة أن من سماهم العرب في الاربعينيات العصابات الصهيونية تحولوا في التسعينيات الى أعظم قوة عسكرية في الشرق الأوسط والى قوة نووية كبيرة. وأصبحنا الآن نستجدي السلام ونطلب من الدول الكبرى أن تضغط على إسرائيل لقبول السلام مع العرب. ويحق أن نستعيد كلمة والدة محمد أبو عبد الله آخر سلاطين غرناطه حين واجهته وهو يبكي أثناء خروجه النهائي من الأندلس قائلة: يحق لك أن تبكي كالنساء ملكا لم تدافع عنه كالرجال ونحن الآن نبكي وطنا أضعناه ولم نداقع عنه كالرجال.

ذكرى أعتز بها

قصة مد فع

إلى جانب ماصدر عن دور النشر المختلفة من إصدارات لتسجيل وقائع قضيتنا الفلسطينية فهنالك بعض الأحداث والمواقف المثيرة المتفرقة تزخر بها الذكريات الشخصية لأناس عاصروا تلك الأحداث لم يجر تسجيلها رغم أهميتها وبقيت حتى الآن حبيسة في الصدور. وأنا أطوف في بحر الذكريات مرت على وقائع قصة مضى عليها أكثر من نصف قرن - تذكرت المعارك الدامية التى دارت بين الفلسطينيين واليهود في أعقاب إعلان قرار التقسيم في نوفمبر (تشرين الثاني سنة ١٩٤٧) وجلاء الأهل في بلادنا عن مدنهم وقراهم وهزيمة الجيوش العربية بعد دخولها فلسطين سنة ١٩٤٨ وتلك الأحداث لم تكن صدفة بل نتيجة حتمية لتخطيط مرتب بين بريطانيا والهيئات والمنظمات اليهودية لتحقيق الهدف وهو إنشاء دولة إسرائيل.

وصل بي المطاف الى معرمة القدس القديمة وكيف أمكن للمناضلين الفلسطينيين الحيلولة بين اليهود وبين الاستيلاء عليها رغم ما بذلوا من تضحيات بشرية متكررة ليلا ونهارا ورغم النجدات التى كانت تصل إليهم باستمرار حتى بلغت ٤٠٠٠ مقاتلا. إن أحداث هذه القضية وقعت بين مكتب الهيئة العربية العليا في القاهرة التى كنت أعمل فيها وبين أسوار تلك المدينة الخالدة.

إن ما أكتبه الآن مر عليه أكثر من خمسين عاما وهو ما وعته ذاكرتي منذ ذلك الأمد البعيد.

إبان الأسابيع الأخيرة قبل إعلان الدولة اليهودية في ١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ أخذ اليهود يشددون من هجماتهم على المواقع الفلسطينية مما اضطر القوات المدافعة عن القدس إلى إخلاء الأحياء التي كانت بحوزتهم خارج الأسوار. وكلما زاد ضغط القوات اليهودية زادت الحاجة الى الذخيرة والسلاح وفي الأيام العصيبة كانت الذخيرة تصل الى المناضلين المدافعين عن القدس يوما بيوم.

أحس مفتي فلسطين الحاج «أمين الحسيني» ورئيس الهيئة العربية العليا في مقره بالقاهرة بخطورة الموقف في القدس وأن الخطر بات يهدد بسقوط المدينة القديمة بأيدي اليهود. توالت النداءات تطلب بالمساعدة العاجلة وهنا تقدم المفتي بطلب الى الحكومة المصرية للسماح له باستئجار طائرة من شركة مصر للطيران لتقوم بنقل بعض المساعدات الى المدافعين عن القدس. وتم استئجار طائرة من طراز بيتش كرافت البريطاني الصنع لنقل بعض الذخيرة بسرعة الى منطقة القدس. تحدد نزول الطائرة في سهل أريحا وأشعلت نار ليرشد دخانها معرفة اتجاه الريح وطريقة هبوط الطائرة. ولكن صغر حجم الطائرة لم يمكنها إلا من نقل كمية محدودة من الذخيرة.

وعرضت الحكومة المتوكلية اليمنية تقديم ثلاث طائرات للمساهمة في نقل السلاح وتدعيم موقف المدافعين عن القدس. وكانت الطائرات من طراز يونكرز ألمانية الصنع ومن مخلفات الحرب العالمية الثانية وحجمها أكبر من طائرة البيتش كرافت. ولحسن الحظ أمكن في هذه الظروف الحرجة الحصول على عدة صناديق من الذخيرة تم تهريبها من المعسكرات البريطانية في منطقة فايد بمصر. وتم ذلك بمساعدة بعض الأشخاص المخلصين ممن يعملون في تلك المعسكرات. وكانت الصناديق تحتوي على ذخيرة البنادق والرشاشات وكمية من ذخيرة المدفع «البويز» وكان المجاهدون في أشد الحاجة إليها. أقلعت الطائرة الأولى من مطار ألماظة وهي تحمل كمية معقولة من الذخيرة والسلاح وأفرغت حمولتها في سهل أريحا وتابعت رحلتها إلى دمشق لتعود بشحنة أخرى. أما الطائرة الثانية فقد حملت مدفع ميدان إيطالي الصنع تم العثور عليه من مخلفات الحرب العالمية الثانية في الساحل الشمالي المصري وتم نقله من المنطقة الواقعة بين مرسى مطروح والحمّام ومعه بضعة قنابل وجدت بحالة جيدة. ساعد بعض المهندسين المصريين بتنظيف المدفع وإعادة تشغيله وتم تجربته في منطقة الهايكستب قرب صراء مصر الجديدة وكذلك تحديد تقريبي لزوايا الإطلاق. أنزلت الطائرة اليمنية المدفع في سهل أريحا وتم نقله بسرعة مع خبير في طريقة استعماله الى منطقة باب

الخليل في الناحية الجنوبية من سور القدس. وأثناء ذلك كانت النداءات تتوالى على عمان تطلب من السلطة الأردنية مساعدة المناضلين في القدس وكانت ترفض تلك النداءات بحجة عدم تمكنها من التدخل قبل ١٥ مايو ١٩٤٨ وهو موعد جلاء الإنجليز عن البلاد.

ورغم ذلك تعمد الجنرال جلوب باشا الانجليزى وكان قائدا للجيش الأردني في ذلك الوقت عدم دخول مدينة القدس حتى ١٨ مايو (أيار) آملا في سقوطها في أيدي اليهود ووضع العالم العربي والإسلامي أمام الأمر الواقع وكان يعتقد أن القوات اليهودية قادرة على اقتحام البلدة القديمة واحتلالها خلال بضعة أيام.

وكذلك أصدر الجنرال جلوب باشا أمرا منذ ليل ١٤-١٥ مايو سنة ١٩٤٨ بمنع الطائرة اليمنية من الهبوط في سهل أريحا وأن الأمر أصبح بيد القوات الأردنية. وأدى ذلك إلى زيادة الضغط على المدافعين عن القدس بسبب حاجتهم الماسة إلى الذخيرة. وزاد من خطورة الموقف انسحاب الحامية البريطانية من القدس القديمة وكانت ترابط هناك للمحافظة على الحي اليهودي المحاصر داخل الأسوار مما اضطر المدافعين إبقاء جزء من قواتهم حول الحي اليهودي لحصاره.

وهنا حصلت نقطة تحول هامة عندما بدأ المدفع يطلق بعض القنابل على الأحياء اليهودية مما أوجد حالة من الهلع. ومن هول المفاجأة التى أصابت اليهود توقفوا عن مهاجمة المناطق الجنوبية من السور مما أتاح الفرصة لنقل بعض المناضلين الى الأجزاء الأخرى لتقوية دفاعاتها. وتمكنوا من الصمود رغم التفوق اليهودى الكبير وأنقذوا القدس ببسالتهم النادرة وبمساعدة هذا المدفع الإيطالي.

ويجب أن نذكر أن القرى الفلسطينية المحيطة بالقدس قامت بتقديم ما أمكن توفيره وشراؤه بأغلى الأسعار من الذخيرة للحامية الباسلة التى ظلت تقاوم ليلا ونهارا بدون راحة أو استرخاء.

وهكذا بقيت القدس القديمة عربية حتى سقطت بأيدي اليهود سنة ١٩٦٧.

مقتطفات من كتاب العروش والجيوش
حرب فلسطين مايو ١٩٤٨
للكاتب السياسى محمد حسنين هيكل

كان الحلم الصهيوني قد أعد نفسه لإقامة دولته في فلسطين وانتظر تلك اللحظة التاريخية يوم ١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ لإعلان تلك الدولة وكانت الوكالة اليهودية والزعماء اليهود يتحركون بخطة واضحة وحسم ورؤية استراتيجية بينما كانت خطة العمليات العربية في فلسطين لم تزد عن مجموعة تصورات تشير الى اتجاهات عامة أى أن كل جيش عربي مطلوب منه أن يتقدم عبر الحدود الى فلسطين وهذا كل شيء.

وفور صدور قرار تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ كان هناك اتفاق مسبق وكامل بين الهاشميين والحركة الصهيونية أن يضم الجزء المخصص للعرب الفلسطينيين الى شرق الأردن بحيث لا يكون هناك داع لدولة فلسطينية تنشأ بين إسرائيل والأردن وكانت بريطانيا مطلعة وموافقة على هذا الاتفاق وتراه محققا لمصالحها ومصلحة اليهود. وكانت سياسة الملك عبد الله في تلك الظروف أن يتمسك باتفاقياته الخفية (مع اليهود والانجليز) وفي الوقت نفسه أن يساير الملوك والرؤساء العرب وجماهير الشعوب العربية ويتظاهر بالعمل معهم لتحرير فلسطين.

وفي نفس الوقت كان رئيس وزراء مصر إسماعيل صدقي على اتصال بالوكالة اليهودية ومبعوثها «إلياهو ساسون» حيث أبدى موافقته على تقسيم فلسطين (وكان إسماعيل صدقي عضوا في خمسة عشر شركة يملكها أو يسيطر عليها اليهود في مصر) وكان إلياهو ساسون يقوم أيضا بهمزة الوصل بين الملك عبد الله والوكالة اليهودية. ومن سخرية القدر أن جماعات لايستهان بها من الساسة العرب تولد لهم اقتناع بأن مشروع الدولة الصهيونية في فلسطين سوف يجري إجهاضه من الدول الغربية لاعتقادهم أن المشروع الصهيوني كان في مجمله مشروعا شيوعيا وقد تلقت تلك الجماعات السياسية هذه النظرية دون فحص وتدقيق وعلقت عليها آمالا زائفة.

وفي ذلك الوقت من أوائل سنة ١٩٤٨ توجه توفيق أبو الهدى رئيس الوزارة الأردنية الى بريطانيا يحرض الانجليز ضد مفتي فلسطين الحاج «أمين الحسيني» وأنه عدو مشترك لبريطانيا قائد الجيش الأردني أن واجب ذلك الجيش ألا يتجاوز حدود ما هو مخصص للفلسطينيين وألا يحاول الاقتراب مما هو مخصص لليهود. وقبل نهاية الانتداب البريطاني وبزوغ يوم ١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ كان الجنرال جلوب يتابع المعارك الدائرة بين قوات الجهاد المقدس الفلسطينية وتساعدها قوات جيش الإنقاذ وبين قوات الهاجاناه للسيطرة على الطرق والمعابر المؤدية للقدس ويرقب تدفق القوات اليهودية وتفوقها دون أن يحرك ساكنا حتى تمكنوا من فتح الطريق إلى القدس. وبعث البريجادير نورمان لاش ومعه الكلونيل ديزموند جولدي برسالة الى قيادة الهاجاناه قال فيها أنه على استعداد لتأخير تقدم القوات الأردنية الى القدس لإعطاء الهاجاناه فرصة لتثبيت سيطرتها على كافة أنحاء القدس الجديدة وتعهد أنه فيما لو اضطر الى نوع من المقاومة أن تكون للتمويه وليس أكثر وقد تمكن الفلسطينيون من إحباط هذه المؤامرة.

وقبل ٥/١٥ قام القائد البريطاني في منطقة حيفا بتسليم المعسكر البريطاني الى قوات الهاجاناه بعد أن ترك لهم الكثير من المعدات العسكرية حيث تمكنت اثر ذلك من احتلال مدينة حيفا في أقل من ٢٤ ساعة دون أن تتاح الفرصة للقوات الفلسطينية للدفاع عن المدينة. وكذلك سلمت القوات البريطانية مناطق الجليل ابتداء من مارس وابريل (آذار ونيسان) وهي المخصصة لليهود في قرار التقسيم الى قوات الهاجاناه ومنعت قوات المقاومة الفلسطينية من الاقتراب من عدة مناطق مخصصة لليهود.

وفي خطاب للنقراشي باشا رئيس الوزراء المصري في مجلس النواب يوم ١٢ مايو (أيار) سنة ١٩٤٨ قام أهالي فلسطين بمقاومة نبيلة باسلة وكالوا للصهيونيين الصاع صاعين ولفتوا أنظار العالم، وأشار أن الحكومة البريطانية لن تسمح لأي جيش عربي بالتدخل في فلسطين قبل ١٥ مايو وأن الأوامر صدرت الى الجيش المصري بالدخول الى فلسطين لإعادة السلام وأنه قادر على ردع العصابات اليهودية ويملك أسلحة وذخائر تكفي للقتال ثلاثة شهور.

ولم يكن هناك أي تنسيق بين القوات الرسمية وبين قوات المتطوعين والمحاربين في فلسطين ودخل الجيش المصري ليحارب في الشتاء بملابس الصيف وليس لديه معلومات عن القوات اليهودية ولا عن قادتهم وعدتهم العسكرية وأسلحتهم وقدرتهم على القتال وكانت معظم أسماء المدن والمواقع الفلسطينية والطرق حتى بدء حرب ١٩٤٨

مجهولة لدى الذين أوكلت إليهم مسئوليات عسكرية في فلسطين وحاول بعض الطيارين المصريين الحصول على بعض المعلومات من الفلسطينيين الموجودين في القاهرة قبل شهر مايو عن المواقع اليهودية وخصوصا مدينة تل أبيب.

ولم يكن غريباً إذا مع تفوق اليهود في العدد والسلاح والخبرة والتنظيم أن تتراجع الجيوش العربية كلها أمامهم ولايزال السؤال قائما كيف وافقت الدول العربية أن يتولى جنرال بريطاني قيادة الدول العربية في حربها ضد اليهود؟

ذكر الجنرال جلوب في كتابة «المشاهد المتغيرة للحياة» في صفحة ١٤٨ النص التالي: أن قوات الجيش الأردني عبرت نهر الأردن في يوم ١٥ مايو بموافقة الحكومة البريطانية وذلك لمساعدة العرب في الدفاع عن الهودية والسامرة!! (يقصد غزة والضفة الغربية) المخصصة لهم بقرار التقسيم وقد كنا ممنوعين تماما من دخول القدس الجديدة وكذلك ممنوعين من دخول أى مناطق مخصصة للدولة اليهودية بمقتضى قرار التقسيم وبالتالي فإن خططنا جميعا كانت بالتوافق مع أوامر الأمم المتحدة وبموافقة من الحكومة البريطانية. وبمناسبة ذكر جلوب فإن من أخطر أسرار حرب فلسطين هو سر تسليم اللد والرمله الذى بدأ التجهيز له من جانب جلوب بادعاء أن قواته في القطاع الأوسط من فلسطين محاصرة وأنها تحت نيران شديدة وكثيفة تهددها. ويبدو أن جلوب أراد أن يضع الجميع أمام أمر واقع بأنه لايستطيع الصمود إلا إذا قام الجيش العراقي أو المصري بنجدته وإمداده بالسلاح بشكل ما. وبطبيعة الحال لم يكن بإمكان أى من الجيشين العراقي أو المصري مساعدته وهو يعلم ذلك تماما. ورغم أن جلوب كان يعلم أن اللد والرملة واقعتان ضمن الجزء المخصص للعرب فقد طلب من الملك عبد الله أن يوجه نداء الى الحكومات العربية لإمداده بالسلاح أو سيضطر آسفا الى اصدار الأمر الى الجيش الأردني بالانسحاب وبدأ دخول القوات اليهودية الى مناطق مخصصة للعرب مجرد بداية تكررت بعد ذلك في الجليل الأعلى وفي النقب حتى شاطيء خليج العقبة.

إن الاتفاق بين الجيش الأردني وقيادة الهاجاناه تأكد بالشهود المباشرين وهم كما ذكرنا البريجادير نورمان لاش والكلونيل ديزموند جولدي في أكثر من مرجع ومن أهمها كتاب الجنرال جيمس لانت عن قصة حياة جلوب صفحة رقم ١٣٦.

وقد تأكد لهيئة المستشارين المصريين في عمان حقيقة أن القوات الأردنية في المنطقة الوسطى وحول القدس لاتحتاج إلى نجدة لأنها من الأصل لاتخوض معركة!!.

في ٣٠ مايو وبموجب بلاغ رسمي صادر عن القوات المصرية جاء ما يلي ضبط أمس خمسة شبان يهود كانوا يقتربون من بئر بالقرب من قرية خزاعه وقد أطلق العرب عليهم النار فأصابوا ثلاثة منهم قتلوا في الحال وهرب الاثنان الآخران ووجد مع القتلى الثلاثة زجاجتان بهما سائل غريب وثبت أن فيهما ميكروبات جرثومية تحتوى على ميكروب التيفوس والدوسنتاريا.

ومن المذهل أن البترول المصري من آبار رأس غارب وكذلك البترول العراقي من آبار الموصل ظل يصل الى فلسطين المحتلة والى القوات الاسرائيلية طول فترة الحرب سنة ١٩٤٨ وبعدها ومن المذهل أيضا أن البترول العربي استمر حتى بعد انتهاء الحرب وإلى سنة ١٩٥٣ يتدفق على معامل تكرير البترول في حيفا سواء عن طريق الناقلات من خليج السويس أو عن طريق خط التابلاين الى حيفا ولم ينقطع تدريجيا إلا حين حل محله البترول الإيراني عن طريق الشركات الأمريكية. وفي نهاية كتاب العروش والجيوش للأستاذ / محمد حسنين هيكل يورد الكاتب ثلاث شهادات تاريخية شهادة الحاج «أمين الحسيني» مفتي فلسطين وشهادة «عبد الرحمن عزام» باشا أمين جامعة الدول العربية وشهادة اللواء «أحمد على المواوي» القائد العام للقوات المصرية في فلسطين.

ويتساءل مفتي فلسطين في رسالته الخطية التى بعث بها إلى مؤلف الكتاب لماذا منع الجيش العراقي الذى كان في أشد حالات الحماسة والاستعداد من التقدم نحو أهدافه ولم يسمح له بالقيام بأى معركة؟ لماذا أخليت اللد والرمله وسحب منهما الجيش الأردني بأمر جلوب وما هي الأسباب التى حالت دون نجدة الجيش المصري في معارك النقب ولماذا سلمت مناطق واسعة الى اليهود بدون حرب وكيف استولى اليهود على حيفا ويافا وعكا والناصرة والقدس الجديدة في الوقت الذى كان الاحتفاظ بها ميسورا؟. لماذا دخل الجيش المصري فلسطين وكان من المقرر ألا يتخطى الحدود المصرية؟

وقال المفتى أن لذلك أسباب عديدة أولها أن بعض المسئولين في الدول العربية الذين كانت في أيديهم مقاليد الأمور لم يكونوا جادين ولا مصممين على مواجهة هذه المشكلة ولم يعالجونها بما تتطلبه خطورتها من الحزم والاهتمام بل كانوا هازلين خائرين مترددين بينما كان اليهود جادين كل الجد وكان بعض المسئولين في بعض الدول العربية يعملون إما بوحي من الاستعمار أو بتأثير مصالحهم الخاصة وطالب المفتي

الحاج «أمين الحسيني» التحقيق في أسباب النكبة فما من أمة حية ذات كرامة إلا وتجري تحقيقا في كل نكبة تصيبها. ويسير على نفس الدرب عبد الرحمن عزام الذى طالب بتحقيق ذي اتجاهين أحدهما سياسي للتحقيق في المسئولية عن دخول الحرب وآخر عسكري لتحقيق أسباب الهزيمة. وتأتي شهادة اللواء أحمد محمد المواوي لتكمل تلك الصورة وهي برأي الكاتب تعتبر أخطر الشهادات ليقول المواوي.

سمعت عن مؤتمر عقده الفريق ابراهيم عطا الله رئيس هيئة أركان الجيش المصري في ذلك الوقت وسمعت أن للمؤتمر صلة بما يحدث في فلسطين ولكني تأكدت أن المؤتمر كان هدفه إنشاء معسكر تدريب في العريش وحضر المؤتمر قواد الأسلحة والتفت عطا الله إلى المجتمعين وقال:

– مين حيكون قائد القوة في العريش؟ يا جماعة ياللي قاعدين مين يحب يروح؟ فقال اللواء محمود شاهين أنا أروح ولكن اللواء موسى لطفي رد شاهين بتاع طوبجية (طوبجية يعني مدفعية) لايعرف في التدريب ابعثوا مدير المشاة وكنت أنا مدير المشاة وهكذا وقع الاختيار على ووصلت العريش فوجدتها خالية من المعدات ومن الأسلحة الكافية للتدريب لا سيارات ولامعدات ولاذخائر ولاضباط ولاصف ضباط ووقع الاختيار على الكتبة التاسعة لتبدأ التدريب ولم تنقض ثلاثة أشهر حتى قفلت الكتيبة عائدة إلى مصر قبل أن يتم تدريبها فسألت عن السبب فقالوا إن الكتيبة أصبحت كتيبة أمن عام وأنها وضعت في الهايكستب لمقاومة مظاهرات الطلبة. وظللت أتصل وأقوم بالاتصال بوزير الحربية ورئيس مجلس الوزراء وحدثتهما عن الوحدات غير المدربة وأننا غير مستعدين لدخول الحرب. وكان تعليق النقراشي باشا – إن موقعنا بين الدول العربية يحتم علينا دخول الحرب.

ملاحظة هامة: جميع المعلومات الواردة في هذا التلخيص من كتاب العروش والجيوش للأستاذ / محمد حسنين هيكل – جميعها موثقة كما جاء في آخر الكتاب.

مفتى فلسطين الأكبر
الحاج أمين الحسينى

تمهيد:

لاشك أن تاريخ الكفاح الفلسطيني والحركة الوطنية الفلسطينية يرتبطان الى حد بعيد باسم الحاج أمين الحسني مفتي فلسطين الأكبر، الذى تولى منذ بداية الانتداب البريطاني على فلسطين وحتى سنة ١٩٣٧ قيادة الصراع الفلسطيني ضد الاستعمار الإنجليزي والصهيونية العالمية وكان اسم المفتى هو المحور التى ترتكز عليه اهم أحداث تلك الفترة - ورغم اضطرار المفتى سنة ١٩٣٧ الى مغادرة البلاد وقضاء سنوات الحرب متنقلاً بين المدن الأوروبية وخصوصاً الألمانية وأثناء غيابه عن فلسطين فقد حظى بمكانة سياسية ودينية مرموقة لدى الشعب الفلسطيني والشعوب العربية والإسلامية.

المولد والنشأة:

ولد محمد أمين الحسيني في القدس سنة ١٨٩٧ وتلقى دراسته الابتدائية والقانونية في المكتب السلطانى بالقدس واهتم والده محمد طاهر الحسيني - وكان مفتياً لمدينة القدس - بتعليمه العلوم الشرعية واللغة الفرنسية بمساعدة أساتذة خصوصيين وتابع دراسته الدينية في الأزهر الشريف كما درس في الجامعة المصرية - القاهرة بعدئذ - ولكن لم يتمكن من اتمام دراسته بسبب الحرب العالمية الأولى. سافر الى اسطنبول والتحق بالكلية العسكرية هناك وتخرج منها برتبة ضابط وأثناء دراسته تمكن من اللغات التركية والفرنسية والانجليزية - عاد الى القدس بعد انتهاء الحرب وبدأ يهتم بشئون الوطن واكتسب لقب الحاج مبكراً لأنه رافق والدته للحج سنة ١٩١٣ وهكذا بدأ الحاج أمين حياته شابا مثقفاً يتقن عدة لغات وملماً بالخبرة العسكرية ومتسلحاً بالعلوم والأصول الدينية بالإضافة الى انتمائة الى أسرة عريقة من الأسر الفلسطينية.

ولما كان المركز المرموق والممتاز في فلسطين ينبع من مصدرين إما الافتاء أو القضاء - وكان الإفتاء في مدينة القدس محصوراً في عائلة الحسينى كما كان القضاء محصوراً في عائلة الخالدى.

ولما كان جده مصطفى الحسيني ثم والده طاهر الحسينى ثم شقيقة الأكبر كامل الحسيني - كانوا بالتوالى يحتلون مركز الإفتاء في القدس. وعندما وقع الاحتلال البريطاني لفلسطين كان أخوه كامل الحسيني لايزال يحتل مركز الإفتاء وبقي في منصبه حتى توفي سنة ١٩٢١.

وهنا يأتى دور المفتى الحاج أمين الحسيني بكفايته وجدارته لتولى هذا المنصب فخلع الطربوش ولبس العمامه وأطلق لحيته.

احتدم الخلاف بين الأسرتين النشاشيبى والحسينى لتولى منصب الإفتاء وحسمت ادارة الانتداب ذلك باختيار الحاج أمين - وربما يعود ذلك لأسباب سياسية وهى إزكاء الخلاف والتنافس بين النشاشيبى والحسينى الذى استمر بعد ذلك طيلة فترة الانتداب البريطانى.

وأعقب انتخاب الحاج أمين مفتيا للقدس أن تولى رئاسة المجلس الاسلامى الاعلى ومن هنا أخذ لقب المفتى الأكبر.

وكان قيام المجلس الإسلامى الأعلى قد تم بناء على رغبة حكومة الانتداب البريطانى لإيجاد صيغة معينة لتنظيم الشئون الاسلامية وبناء على لجنة خاصة دعا إليها المندوب السامى البريطانى مكونة من عدة شخصيات إسلامية وبعض الموظفين الانجليز تم إصدار النظام الذى انبثق عنه المجلس الاسلامى الأعلى وحددت صلاحياته بإدارة الشئون الاسلامية وإدارة المحاكم الشرعية والأوقاف الاسلامية وجرى انتخاب أعضاء المجلس ورئيسه سنة ١٩٢٢ من الحاج أمين الحسينى رئيساً وعبد اللطيف صلاح عن نابلس والشيخ محمد مراد عن حيفا وعبد الله شفيق الدجانى عن يافا وسعيد الشوا عن غزه. وقد تحول المجلس الإسلامى الأعلى فيما بعد بجانب كونه جهازاً إسلامياً الى جهاز سياسي قوى وأخذ نفوذ الحاج أمين السياسى ينمو باضطراد فى انحاء فلسطين وجرى عقد عدة مؤتمرات للدول الإسلامية في مدينة القدس بإشراف المجلس الإسلامى الأعلى وأهمها مؤتمر سنة ١٩٣١ الذى جاء بعد ثورة ١٩٢٩ وحوادث حائط البراق - المبكى.

ومع ازدياد نفوذ المفتي السياسي واندلاع ثورة ١٩٣٦ اتخذت حكومة الانتداب قراراً بعزله من رئاسة المجلس الرسلامي الأعلى ومحاولة القبض عليه ومنذ مغادرته البلاد لم يعين رئيساً للمجلس حتى انتهاء فترة الانتداب البريطاني سنة ١٩٤٨.

وأصبح أعضاء المجس لايملكون حلاً ولا عقداً سوى الموافقة على مطالب حكومة الانتداب وهذا ما حصل أيضاً مع لجنة الأوقاف الاسلامية العليا.

وكان المجلس الاسلامي الأعلى أثناء تحمله الاشراف على الأوقاف الاسلامية قام بعده انشاءات كالاصلاحات المتعددة للمسجد الأقصى وإقامة عدة عمارات ضخمة تابعة للاوقاف الاسلامية مثل الفندق الكبير في القدس وعمارات مختلفة في يافا ونابلس واللد والناصرة والخليل وعكا بجانب شراء كثير من الأراضى خشية وقوعها بأيدى اليهود وانشاء معاهد دينية ومدارس وطنية إسلامية ومنها دار الأيتام الاسلامية والقدس وكلية الروضة المعروفة بالقدس. وقام المجلس الاسلامى بنقل القضية الفلسطينية من نطاقها المحلى وجعلها قضية إسلامية يهتم بها العالم الإسلامى.

حامت عدة شبهات حول موقف المفتى الحاج أمين الحسينى أثناء قيادته للحركة السياسية لفلسطين. ونعرض أهم تلك الشبهات ومحاولة الرد عليها:

١- الشبهة الأولى:

تحميل المفتى أمين الحسينى مسئولية نكبة فلسطين بسبب سياساته الخاطئة والمواقف السلبية المتشددة من الانجليز.

نسى دعاة ترويج هذه المزاعم والادعاءات الباطلة أن مسئولية ضياع فلسطين كانت نتيجة مؤامرة عظمى أدارتها بريطانيا والصهيونية العالمية وبعض الدول الغربية ونفذت خطواتها منذ ان احتل الجيش البريطانى فلسطين سنة ١٩١٧ ثم بداية الانتداب وتنفيذ وعد بلفور لتحويل فلسطين الى وطن قومى للهيود وقد تمت تلك الخطوات رغم جميع الثورات والتضحيات التى قدمها الشعب الفلسطيني - وهل كان في استطاعة القادة والشعب الفلسطينى التغلب على أعتى قوتين في العالم في ذلك الوقت بريطانيا التى لاتغرب عن أملاكها الشمس والصهيونية العالمية ونفوذها المتغلغل في مراكز صناعة القرار في الدول الأوربية وأمريكا. ونذكر - كما أكد جمال عبد الناصر - ان مؤامرات الدول الكبرى والصهيونية العالمية وخيانات العملاء هى التى أضاعت فلسطين وأطاحت بكيانها العربي.

٢- الشبهة الثانية:

ان المفتى الحاج أمين هرب من البلاد تاركاً الفوضى تعم أنحاء فلسطين خوفاً من اغضاب الانجليز وحرصاً على سلامته الشخصية.

والحقيقة أن الحكومة البريطانية ضاقت ذرعاً بصلابة المفتى واعتبرته المؤثر الأول لإشعال الاضطرابات وقررت القبض عليه والتخلص منه بإبعاده خارج البلاد وأعدو البارجة الحربية البريطانية ريبالص في ميناء حيفا لنقله الى جزيريه موريشوس في المحيط الهادى ليقضى بقية حياته منفياً هناك.

لكن المفتى استطاع الإفلات من الشرك المنصوب له والتجأ الى المسجد الأقصى معتصماً بساحته حتى قامت الحكومة الانجليزية بإحضار قوة من الجيش الهندى البريطاني ضباطها وأفرادها من المسلمين لاقتحام المسجد الأقصى والقبض عليه هنا دبر المفتى طريقه للخروج سراً من القدس ووصل الى مدينة يافا ومنها سافر بحراً خلال رحلة خطيرة متجهاً الى ساحل لبنان الجنوبى قرب مدينة صور - وفى حديث آخر أوردنا التفاصيل الكاملة لهروب المفتى والطرق التى سلكها حتى استقر أخيراً متنقلاً في مدن أوروبا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

ثم محاولات القبض عليه في فرنسا وسفره متخفياً الى مصر واعتراض الحكومة البريطانية على وجوده في مصر وتعهد من حكومة صدقى باشا بمنع المفتى من مزاولة أى نشاط سياسي.

٣- الشبهة الثالثة:

إن الهيئة العربية العليا يرأسه المفتى الحاج امين الحسنى اخطأت بادارة معركة فلسطين من الخارج مما أدى الى انتشار الفوضى وتشتيت المقاومة داخل البلاد مما اضعف كثيراً المقاومة الفلسطينية وادى الى تساقط المدن والقرى الفلسطينية بايدى اليهود.

تألفت الهيئة العربية العليا قبل عودة المفتى من معتقله فى فرنسا وكان على الهيئة بعد عودته واجب كبير لإعادة التنظيم والإعداد - طلب الحاج أمين من السلطات المصرية وجامعة الدول العربية ان تسمح له بدخول فلسطين ولكن طلبه رفض بضغوط من الحكومة البريطانية ومن بعض الدول العربية المجاورة لفلسطين - وقد أصدرت

جامعة الدول العربية قراراً بمنعه من دخول فلسطين بحجة أن القضية الفلسطينية قد أوكل ملفها الى اللجنة الخاصة التى ألفتها جامعة الدول العربية ومركزها دمشق.

ورغم ذلك قامت الهيئة العربية العليا بما تملكه من إمكانيات ضئيلة بإرسال السلاح وتدريب الرجال وإنشاء فيلق الجهاد المقدس فى فلسطين وتم ذلك في الوقت الذى تخلت فيه الحكومات العربية عن تعهداتها بتزويد الهيئة والفلسطينيين بالمال والسلام بحجة أنها تساعد اللجنة الخاصة في دمشق.

واستطاعت القوات الفلسطينية الصمود والمحافظة على أكثر الأراضى الفلسطينية من هجمات اليهود الشرسة المدججة بالسلاح والخبرات الأوروبية وتمكن من إنقاذ القدس من السقوط بإيدى اليهود، كل ذلك رغم تدفق السلاح والعتاد المالى والخبرات العسكرية للقوات اليهودية في فلسطين. وقد أدى تردد الدول العربية فى تقديم المساعدة ورفض طلب المفتى وإلحاحه المتكرر ورجاؤه بعدم دخول قوات نظامية الى فلسطين والاكتفاء بمساعدة الفلسطينيين ومدهم بالسلاح والمتطوعين.

وكان نزع زمام المقاومة من أيدى الفلسطينيين ونقلها من صعيدها الشعبى الى المحيط الرسمي سنة ١٩٤٨ مما أدى فى النهاية الى تساقط المدن الفلسطينية وقراها وإلحاق الهزيمة بالقوات النظامية العربية.

٤- الشبهة الرابعة:

قيل إن مفتى فلسطين كان يتصرف بجميع مقدرات البلاد كما يشاء وإنه كان مسئولا عن أموال المسلمين سواء في الأوقاف أو المجلس الإسلامى الاعلى أو المحاكم الشرعية أو المساجد وغيرها وإنه استمر يشرف على تلك الشئون حتى سنة ١٩٤٨.

والحقيقة أن الإشراف على مقدرات تلك الهيئات كان يخضع بالتفتيش والمراجعة لحكومة الانتداب البريطانية وكانت الميزانيات تقدم باستمرار الى السلطات الرسمية – وتولى الحاج أمين رئاسة المجلس الإسلامى الأعلى دامت ١٥ عاما حتى سنة ١٩٣٧ وليس لآخر عهد الانتداب على فلسطين كما يقال ولما اعتدت الحكومة الفلسطينية على دوائر المجلس الاسلامى الأعلى سنة ١٩٣٧ وشكلت لجنة ثلاثية لادارته ولفحص الحسابات يرأسه مستر «غرين» قاضى القضاة البريطانية، أعلنت تلك اللجنة بلاغاً رسمياً لم يتضمن أى تلاعب في الأقوال واعترف مستر جرين بأمانة ودقة الحسابات.

٥- الشبهة الخامسة:

قيل إن المفتي كان يدفع رواتب ومخصصات لأكثر من ٢٥ ألف شخص مما كان يجمعها من البلدان الإسلامية والأوقاف الفلسطينية.

والحقيقة أن ميزانية المجلس الاسلامي الأعلى السنوية لم تتجاوز الثمانين ألف جنيه كانت تسدد منها المرتبات والنفقات العامة وصيانة المساجد والمعاهد وأملاك الأوقاف وأن عدد الموظفين في جميع الدوائر الإسلامية لم يتجاوز ٥٥٠ موظفاً بما في ذلك الوعاظ والمدرسين وغيرهم.

٦- الشبهة السادسة:

قيل إن المفتي كان يفرض أتاوات باهظة على باعة الأراضي والسماسرة والمتعاونين مع العدو واتباعه كانوا يأمرون باغتيال هؤلاء الأشخاص - وأن المفتي لم يقم بأى جهد لمقاومة بيع الأراضى أو لإنقاذها وإن أكثر حوادث الاغتيالات التى تمت في فلسطين تعود الى الفترة التى لم يكن فيها المفتي في البلاد بل كان مغترباً في زوريا ورغم بعض التجاوزات فإن أكثر من ٩٥٪ ممن تم اغتيالهم كانوا فعلاً من السماسرة والمتعاونين مع حكومة الانتداب.

إن مساحة الأراضى التى باعها الفلسطينيون لاتتجاوز ٣٠٠ ألف دونم اى ٢٪ من مساحة جميع الأراضى التى استولى عليها اليهود فى عهد الانتداب البريطانى وأكثرها انتقل الى اليهود بموجب القوانين التى كانت تصدرها حكومة الانتداب وأشهرها قانون نزع الملكية وقانون تسوية الأراضى.

٧- الشبهة السابعة:

قيل إن المفتى لم يشترك فى ثورة سنة ١٩٣٣ بل كان يستنكرها ويدعو الى الهدوء والسكينة - وإنه رفض تنظيم جنازه لشهداء ثورة القسّام العظيمة سنة ١٩٣٥.

والحقيقة أنه لم تقم ثورة سنة ١٩٣٣ بل مظاهرات وانتفاضات عنيفة فى القدس ويافا واصطدم المتظاهرون بالقوات البريطانية وسقط عدد من الشهداء وكان المفتى فى تلك الفترة خارج البلاد فى رحلة الى العالم الإسلامى للدعاية للقضية الفلسطينية ومحاولة جمع الأموال لانقاذ الأراضي.

وتمكنت قوات الاحتلال البريطاني من القضاء على تلك المظاهرات قبل عودة المفتى من رحلته التى عمل جاهداً على قطعها والعودة الى القدس.

أما تنظيم جنازة لشهداء المسلمين فقد تم القيام بأضخم جنازة عرفتها فلسطين لتشييع جثمان الشهيد الشيخ عز الدين القسّام وزملائه فى مدينة حيفا ووقع صدام بين المشيعين والقوات البريطانية.

٨- الشبهة الثامنة:

قيل إن المفتى كان يبعد الشباب ويعتمد فقط على أنصاره واقاربه.

إن اكثر المراكز القيادية التى كانت تتولى القيادة في فلسطين كان يحتلها الشباب وعلى رأسهم المجاهد عبد القادر الحسينى الذى قتل فى ساحة المعركة.

وفى مكاتب الهيئة العربية العليا سواء فى مصر أو فى فلسطين كان الشباب الفلسطينى المخلص يحتل العديد من المراكز الهامة والمؤثرة.

لاشك أن تلك الشبهات الظالمة كانت ترمى الى اثارة الفتنة والشقاق والبلبلة فى صفوف الشعب الفلسطينى ولشغل الفلسطينيين عن قضيتهم الاساسية ومما يحيط بها من مؤامرات لاتخدم إلا مصلحة اليهود.

رأى أخير

عجاج نويهض، الشخصية الفلسطينية المعروفة عمل مع مفتى فلسطين الأكبر الحاج امين الحسينى مدة ١٢ عاما ورافقه فى أكثر أسفاره ومؤتمراته وخاصة المؤتمر الاسلامى المنعقد فى مكة المكرمة سنة ١٩٢٦ وشاهد مجالسه الخاصة والعامة الرسمية وغير الرسمية فكان يراه وهو يعمل في جوانب القضية الوطنية.

في كل الأحوال لم أسمع منه كلمة نابية، لم يستسلم للغضب وكان يرحب بالضيف كأنه في بيته ولكن اعتصامه بالحق شيء عجيب سواء كان حقه أو حق غيره.

كنت أترجم له الأحاديث التى تدور بينه وبين الانجليز من رسمية أو زوار فكنت ألاحظ إجلالهم لأدبه دون النظر الى القضية المتعلق بها البحث - وكانت حججه وبراهينه مفحمه.

قاد الحاج أمين الشعب الفلسطينى في مرحلة تاريخية دقيقة وتقدم سيرته فصلاً هاماً في النضال الفلسطيني وتوفى رحمه الله عام ١٩٧٤.

قصة لها تاريخ

نسبة كبيرة من أبناء الجيل الحالى من عرب فلسطين يجهلون الكثير من تاريخ بلادهم السياسي وخصوصاً الشخصيات الفلسطينية الهامة التى فرضت نفسها وأسهمت في كتابة هذا التاريخ. ومن هؤلاء شخصية الحاج محمد أمين الحسيني مفتى فلسطين الأكبر ورئيس المجلس الإسلامى الأعلى لفلسطين الذى التف حوله شعب فلسطين لمدة تزيد عن ربع قرن وكان المركز الذى تلتقى عنده قلوب كل الفلسطينيين وتهتف باسمه وتتظاهر تأيداً له في دفاعه المستبسل عن قضية أمته الفلسطينية.

ان المواقف الصلبة التى وقفها الحاج أمين الحسينى ومن حوله رجال أشداء نذروا أنفسهم للدفاع عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني أمام شراسة الاستعمار البريطاني وضراوة الصهيونية العالمية.

يجب أن يبقى تاريخ فلسطين حياً في ذاكرة الجيل الحالي من أبناء فلسطين يذكرونه بإيجابياته وسلبياته يستخلصون منه ما يدفعهم الى مواصلة الكفاح مهما طال الزمن حتى تعود الأرض المغتصبة الى اصحابها الشرعيين.

وقد اخترت قصة خروج المفتي الحاج أمين الحسيني من مدينة القدس خفية في صيف عام ١٩٣٧ حتى وصوله الى مدينة القاهرة ١٩٤٦. وهي قصة تشبه سيناريو فيلم سينمائى عامر بالأحداث والمفاجآت وتصف الظروف الصعبة التى مر بها المفتى من خلال هذه الرحلة.

سأحاول متابعة الأحداث من خلال ما وعته الذاكرة رغم انقضاء عشرات السنين وربما جرأة الأحداث وغرابتها ساعدت على انطباعها في مخيلتى حتى الآن.

ومع السير بأحداث الثورة الفلسطينية الكبرى من سنة ١٣٣٦ سنة ١٣٣٩ كان

المفتى زعيم تلك الثورة يقيم في بيت بجوار الحرم القدسي الشريف في البلدة القديمة بمدينة القدس. ولما أحس مع بداية صيف سنة ١٩٣٧ أن العيون البريطانية بدأت ترصد تحركاته وتضيق الخناق عليه محاولة منها إلقاء القبض عليه ونفيه الى خارج فلسطين.

تأكد المفتى من تلك التحركات وبدأ يعد العدة لمحاولة الخروج من مدينة القدس والأرض الفلسطينية ويرتب مع بعض الرفاق والأعوان المخلصين تفاصيل تلك المحاولة.

وفي ليلة حالكة الظلام تسلل من فوق سور القدس القريب من منزله متدلياً في حبل وبعيداً عن مناطق المراقبة البريطانية وانطلق في سيارة كانت تنتظره الى مدينة يافا الساحلية حيث اعدت الترتيبات لخروجه عن طريق البحر.

وفي يافا وصل المفتي الى بيت السياسى الفلسطيني «يوسف ضيا الدجانى» الذى كان ينتظره ومعه أحد كبار بحارة يافا «نمر أبو شليح» وساروا مشياً على الأقدام متوجهين الى أحد البيوت الواقعة على شاطئ بحر العجمى مباشرة «منزل الشيخ زكى الدجاني» والخطة أن يستقل من هناك لنشاً بخارياً يملكه البحار المذكور – لوحظ ان أمام المكان المحدد للانطلاق وجود دورية بحرية تابعة لحكومة فلسطين البريطانية فتم تعديل الخطة بأن يكون السفر في قارب شراعى صغير يقوده أحد البحارة واسمه «اللواح» رغم ما يكتنف ذلك من مخاطر لطول المسافة التى سوف يقطعها القارب. وتزود المفتي ورفيقه ببعض الطعام والماء والأغطية وسار القارب متوغلاً داخل البحر ليبتعد مسافة كبيرة عن الشاطئ. وعند وصول القارب الى منطقة الطنطوره جنوبى مدينة حيفا جنح الى الشاطئ ولجأ المفتى وزميله الى إحدى المغارات القريبة للحصول على قسط من الراحة والنوم وكانت احدى الدوريات الفلسطينية التى تجوب المنطقة تتعقب المهربين العاديين، لاحظت وجود القارب واتجه قائد الدورية الفلسطيني نحو المغارة فتظاهر المفتى بالنوم وأقنع البحار الشرطي الفلسطيني بأن زميله مريض ويحتاج الى بعض الراحة وأنهم في طريقهم الى مدينة يافا أى بعكس الاتجاه الصحيح.

استأنف القارب سيره شمالاً مستعيناً بالشراع تارة أو بالمجداف تارة أخرى وأوغل الإبحار داخل البحر ليتفادى ميناء حيفا حتى وصل الى منطقة تقع بين رأس الناقوره ومدينة صور اللبنانية. وهناك كانت تنتظره سيارة حسب الخطة المقررة. وفي طريقه الى بيروت توقفت السيارة أمام مخفر فرنسى وهناك عرفت شخصية المفتى وتم الاتصال

بالمفوض الفرنسى في بيروت الذى سمح بمواصلة السيارة رحلتها حتى دخلت مدينة بيروت.

ولم يكن موقف السلطة الفرنسية عدائياً وسمح للمفتى بالاقامة في قرية الزوق القريبة من بيروت. واستمرت إقامته في لبنان حوالي سنتين. بدأت غيوم الحرب تتلبد في أوروبا وحدث تقارب بين فرنسا وبريطانيا وخشى المفتى أن يؤدى هذا التقارب أن تعمد فرنسا الى تسليمه الى السلطات البريطانية في فلسطين فغادر لبنان فى أكتوبر سنة ١٩٣٩ (تشرين أول) متوجهاً الى سوريا وبدون الدخول الى دمشق واصل رحلته عبر الصحراء الشاميه الى العراق.

وبعد اقامة دامت حوالى سنة ونصف في بغداد حدثت ثورة العراق منذ سنة١٩٤٠ ضد النظام الملكى الموالى للانجليز وتمكن الانجليز من مساندة الفيلق الأردني العربى الذى يقوده «جلوب باشا» الانجليزى من إخماد الثورة وإعادة النظام الملكى الى بغداد.

ويستمر العرض المثير لهذه المغامرة واضطر المفتى وعدد من احرار العرب من عراقيين سوريين وفلسطينيين الى مغادرة الأراضى العراقية والالتجاء الى إيران. لم يستقر المقام بهم في إيران لأن القوات البريطانية قامت بغزو جنوبي إيران في محاولة للاتصال بالقوات الروسية ومدها بالمساعدات والمعدات الحربية الواردة من أمريكا.

وفي إيران أعلن المرشال «ويفل» القائد العام للقوات البريطانية في منطقة الشرق الأوسط عن جائزة قدرها ٢٥ ألف جنيهاً ذهباً لمن يقبض على المفتى أو يدلى بمعلومات تؤدى الى إلقاء القبض عليه.

حاول المفتى ورفاقه السفر الى أفغانستان ولكن وعورة الطريق وبعد المسافة وضيق الوقت اضطره الى الاتجاه غرباً نحو الحدود التركية. ومن تركيا سافر الى أوروبا مع عدد من المجاهدين العرب حتى وصل ألمانيا وهناك استقر به المقام طيلة فترة الحرب العالمية الثانية ولما اشتدت الغارات الجوية فوق المدن الألمانية سافر المفتى الى سويسرا التى رفضت منحه حق اللجوء السياسي نتيجة الضغوط البريطانية والامريكية. فقرر اللجوء الى فرنسا ودخلها عن طريق البر وكانت العلاقات قد توترت بين فرنسا وبريطانيا بسبب الموقف البريطاني من الاحتلال الفرنسي لسوريا. اعتقلته السلطات الفرنسية لبضعة شهور ثم اطلقت سراحه ليبقى تحت المراقبة الجبريه — واستطاع المفتى بمساعدة وزير سوريا المفوض عدنان الآتاسى أن يحصل على جواز سفر

المناضل السورى معروف الدواليبى وهو يشبه المفتى بلون البشرة والطول وتم تغير الصورة ووضع صورة المفتى وختمها من المفوضية السورية وهكذا استطاع أن يغادر فرنسا متخفياً ليصل الى مصر في نهاية المطاف سنة ١٩٤٦.

وقد احتجت الحكومة البريطانية لقبول المفتى كلاجئ سياسي وطلبت منعه من القيام بأى نشاط سياسي ولكن الحكومة المصرية لم تستجب لهذا الطلب واستقر المفتى في فيلا صغيرة بناحية حلمية الزيتون وهى من ضواحى القاهرة. وبهذا انتهت تلك الرحلة المثيرة بأحداثها ومفاجآتها.

حكومة عموم فلسطين

لايخلو تاريخ القضية الفلسطينية من أحداث تبدو وكأنها غير هامة تظهر وتخبو بسرعة حتى إن المتتبع لتاريخ قضية فلسطين من مؤرخين وقراء لم يعرها ما تستحقه من دراسة وما لآثارها من نتائج تركت بصماتها وأثرت في مسيرة القضية.

ومن تلك الأحداث التى ظهرت في ظروف صعبة مرت بها القضية الفلسطينية بعد الهزيمة التى أصابت الجيوش العربية سنة ١٩٤٨ والتى دخلت فلسطين بقصد تحريرها إنشاء حكومة عموم فلسطين ثم سقوطها واختفائها بسرعة مزهلة. كان ماتبقى من أرض فلسطين بعد هزيمة ١٩٤٨ قطاع غزة وقد احتله المصريون والضفة الغربية واحتلها الجيش الأردنى وقطعة صغيرة من أرض الحمة في شمال فلسطين بقيت في حوزة الجيش السورى.

بعد تلك الصدمة العنيفة التى أصابت الشعب الفلسطينى بصفة خاصة والشعوب العربية بصفة عامة حاول مفتى فلسطين الحاج «أمين الحسيني» ورئيس الهيئة العربية العليا من مقره بالقاهرة إبقاء الرمز الفلسطيني في المناطق التى لم يصلها الاحتلال الإسرائيلي.

طرحت الهيئة العربية العليا في (أيلول) سبتمبر سنة ١٩٤٨ موضوع إنشاء حكومة عموم فلسطين ووافقت اللجنة السياسة التابعة لجامعة الدول العربية على هذا الاقتراح ولكن اعتراض الأردن بزعامة الملك عبد الله أوقف تنفيذ الفكرة. لم تيأس الهيئة العربية العليا لفلسطين وقررت اعتماد نفسها ممثلة للشعب الفلسطيني وأعلنت من جانب واحد حكومة للبلاد يرأسها احمد حلمى باشا وتألفت من:

أحمد حلمي باشا	رئيس الحكومة
جمال الحسينى	مسئول الشئون الخارجية
أمين عقل	وزير الزراعة
يوسف صهيون	وزير الرعاية
ميشيل ابكاريوس	وزير المالية
على حسنة	وزير العدل
عونى عبد الهادى	وزير الداخلية
الدكتور الخالدى حسين فخرى	وزير الصحة والمعارف
رجائى الحسينى	وزير الداخلية والدفاع

ودعت تلك الحكومة الى عقد مؤتمر وطنى يعقد في مدينة غزة على أن تتضمن الدعوة الشخصيات التالية:

أعضاء الهيئة العربية العليا - أعضاء وزارة حكومة عموم فلسطين - رؤساء البلديات والمجالس المحلية - أعضاء الوفود الذين أرسلوا في مهام سياسية واجتماعية خارج فلسطين - أعضاء اللجان القومية - رؤساء الأديان والطوائف في فلسطين - رؤساء العشائر البدوية - بعض الشخصيات ذات المركز الاجتماعى والعلمى في فلسطين. وتعهد حلمى باشا رئيس الحكومة بتحمل مصاريف حضور المقربين إليه وتعهده الهيئة العربية العليا بالحصول على التأشيرات اللازمة للأعضاء المشاركين بالمؤتمر ودفع مصاريف انتقالهم سواء عن طريق الداخل أو عن طريق مصر. وقد طبعت بطاقات الدعوة وختمت بختم حكومة عموم فلسطين ووقعها حلمى باشا رئيس الحكومة وتقرر عقد المؤتمر في غزة. وتم انعقاده في ١٩٤٨/٩/٣٠ بحضور سبعة وتسعين مندوباً من الفئات المذكورة أعلاه.

أصدر المؤتمر وثيقة بإعلان استقلال فلسطين بكاملها بجانب مقررات أخرى. لم يكن لمقررات مؤتمر غزة نتائج عملية لأن الحكومة المصرية ممثلة **بالحاكم العام العسكرى لقطاع غزه رفض أن يمنح حكومة عموم فلسطين السيادة لممارسة مهامها في قطاع غزة** وعلى العكس من ذلك تم استدعاء المفتى الحاج أمين الحسينى وإعادته الى القاهرة بطريقة غير ودية ومنع من ممارسة أى نشاط سياسى - وبهذا انتهى دور الحاج أمين الحسينى كقائد للشعب الفلسطيني وانتقل من القاهرة ليقيم في لبنان حتى توفاه الله هناك.

بقي من تبقى من أعضاء الحكومة في غزة ولكن نشاطهم بقى مشلولاً وأوقفت الحكومة المصرية أى نشاط لحكومة عموم فلسطين وبصفة نهائية في قطاع غزة وكذلك أوقفت جامعة الدول العربية دعوتها لحلمي باشا لتمثيل فلسطين في مجلس الجامعة وتم كل ذلك لإرضاء حكومة الأردن وبضغوط أمريكية وبريطانية.

انتقلت حكومة عموم فلسطين الى القاهرة حيث أصدرت جوازات سفر باسم حكومة عموم فلسطين وحصل عليه بعض المقيمين في مصر وغزة ولكن أحداً لم يعترف به لا من الدول العربية أو غيرها من دول أخرى.

وكانت أثناء ذلك قد أصدرت جامعة الدول العربية بناء على توصيات من مجلس الجامعة وثائق سفر اللاجئين الفلسطينيين واعترف بها رسمياً وطلب من الدول العربية إصدارها وتوزيعها على الفلسطينيين المقيمين بها ولم يتم التعامل بها إلا في مصر وسوريا ولبنان.

ورغم الاعتراف الرسمى بهذه الوثيقة فإن الدول العربية عرقلت كل تحرك لمن يحملها.

وهكذا كانت حكومة عموم فلسطين آخر التجارب التى اختتمت بها القيادة التقليدية للشعب الفلسطينى حياتها السياسية.

وتحولت القضية الفلسطينية من قضية شعب له حقوق تاريخية وقومية بعد اغتصاب وطنه الى قضية لاجئين وهو ما كانت تسعى إليه إسرائيل والدول الغربية وعلى رأسها أمريكا بقصد طمس الهوية الفلسطينية. وتحويل الشعب الفلسطينى الى شراذم مشتتة في البلاد العربية وغيرها من أقطار العالم وأخذت إجراءات أحكام الرقابة على الفلسطينيين في البلد الذى يقيمون فيه تشتد حتى إن أهل غزه كان عليهم الحصول على تأشيرة عودة قبل السماح لهم بدخول غزة وهى وطنهم.

واقتضى إعادة الهوية للشعب الفلسطينى سنوات طويلة ومضايقات وعذابات حتى ظهرت منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٦٤ وكانت تضم حركة فتح والاتحاد العام للطلاب العرب الفلسطينيين وحركة الأرض والاتحاد القومى العربى.

واقتصر نشاط المنظمة على النواحي السياسية والعسكرية وبقى الشعب الفلسطينى يعانى المضايقات والعذاب بل زادت العراقيل وبدأت تضيق فرص العمل أمام الفلسطينى

سواء داخل فلسطين أو في الدول العربية وكان من شأن الحجر على تنقل الفلسطينيين أن جمّد الى حد كبير اتصال التجمعات الفلسطينية والى تفتيت العائلات جغرافياً.

ونحن نتحدث عن انتهاء زعامة الحاج «أمين الحسيني» يجب أن لاننسى ما لعبته الخلافات العميقة بينه وبين الملك عبد الله وكيف أثرت على مسيرة الحياة السياسية في فلسطين سواء بالداخل أو بالخارج وكيف أدى التشرذم بين مؤيدى المفتى ومؤيدى الملك عبد الله الى كثير من المواقف السلبية التى أخذت بقضيتنا الفلسطينية.

منظمات الثورة الفلسطينية
«حركة المقاومة الفلسطينية»

هذه التنظيمات هي التى تشترك في اللجنة المركزية المنبثقة عن المجلس الوطني الفلسطيني ويبلغ عددها إحدى عشرة منظمة وهي:

١- حركة التحرير الفلسطيني
٢- قوات التحرير الشعبية
٣- قوات الصاعقة
٤- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
٥- الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين
٦- جبهة التحرير العربية
٧- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين «القيادة العامة»
٨- جبهة النضال الشعبي الفلسطيني
٩- الهيئة العامة لتحرير فلسطين
١٠- منظمة فلسطين العربية
١١- المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين

وتم اختيار ثلاثة من أهم التنظيمات لنتحدث عن تاريخ كل تنظيم وأسباب نشأته وطريقة نموه ومبادئه الأساسية وعلاقته مع التنظيمات الأخرى ومع الدول العربية والأجنبية وبعض أعماله العسكرية.

١- حركة التحرير الفلسطينية (فتح)

كانت فكرة الحركة تراود مجموعة من الشباب الفلسطيني منذ سنة ١٩٥٤ وبدأت الحركة نشاطها الفعلي وذلك بتنظيم خلايا سرية في عدد من الدول العربية وكانت العاصفة هي الجهاز الضارب الذى ينفذ تعليمات الحركة وفي سنة ١٩٦٥ صدر البلاغ العسكري الأول لانطلاق الثورة الفلسطينية ضد الكيان الصهيوني - والتفت الجماهير الفلسطينية حول الحركة إثر هزيمة الجيوش العربية في معركة ١٩٦٧ وقد شكلت معركة الكرامة في ١٩٦٧/٣/٣١ منعطفا أساسيا في حركة المقاومة

الفلسطينية المسلحة ومع ازدياد قوة الحركة بدأت السلطات الأردنية محاولة تصفيتها وتطويقها وكانت حرب الإبادة في أيلول (سبتمبر ١٩٧٠) انتهت باجتماع طارئ للملوك والرؤساء العرب وعقد اتفاق القاهرة أو اتفاق عمان الذى أدى الى خروج فتح من الأردن حيث اتجهت الى لبنان.

وقد دخلت منظمة فتح ضمن الجبهة الوطنية مع بعض التشكيلات الأخرى الفلسطينية وتم تشكيل قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني في ١٩٦٩/٢/١٨ وكان ذلك بقرار من منظمة التحرير الفلسطينية وضمت قوات الصاعقة وقوات التحرير الشعبية وانضمت الجبهة الشعبية الديمقوقراطية تحت لواء القيادة العامة وكذلك جبهة التحرير العربية – منظمة فلسطين العربية – جبهة النضال الشعبي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) وتطور جيش التحرير بكافة قطاعاته ليضم قوات عين جالوت – قوات حطين – قوات القادسية – وأخذت الخطوات اللازمة لضمان رعاية الجرحى والمصابين وعائلات الشهداء والأسرى والمعتقلين داخل وخارج فلسطين وكانت بعض الدول العربية تدعي بأن العمل الثوري الفلسطيني يورطها في حرب ليست مستعدة لها وكان على رأس تلك الدول الأردن ولبنان وكادت أن تقع مجزرة أخرى في لبنان لولا التظاهرات الكبيرة في المدن اللبنانية وتدخل بعض الدول العربية مما أدى إلى اتفاق القاهرة بين حركة المقاومة الفلسطينية والنظام اللبناني.

وبعد هزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وتحت بريق الحل السياسي وشعار إزالة آثار العدوان وإقرار المشروع البريطاني لحل أزمة الشرق الأوسط في مجلس الأمن بقرار رقم ٢٤٢ وجدت المقاومة الفلسطينية نفسها مضطرة إلى رفض الحلول السلمية وقرار مجلس الأمن واستمرت في عملياتها العسكرية وكان أبرزها كما أشرنا معركة الكرامة. وتبعها عمليات أخرى على طول امتداد الحدود العربية الإسرائيلية.

٢- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

في البداية تكونت من ثلاثة تنظيمات كانت تعمل حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وهي: ١- منظمة أبطال العودة ٢- جبهة التحرير الفلسطينية
٣- منظمة شباب الثأر وكانت تعرف بالجبهة القومية لتحرير فلسطين.

ولكن بعد مرور عام أو أكثر قليلا دب الخلاف بين أطرافها وانقسمت الى الجبهة الشعبية القيادة العامة والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

وأخذت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين موقفا معارضا لمنظمة التحرير الفلسطينية ولم تشارك في أعمال الكفاح المسلح الفلسطيني. وكانت تنادي ان هدفها إزالة الكيان الصهيوني في فلسطين وأنها ليست ضد اليهودية كدين وأن اليهود والعرب متساوون في الحقوق والواجبات وأنها ليست حركة عنصرية ضد اليهود وهدفها إقامة دولة ديمقوقراطية في فلسطين يعيش فيها العرب واليهود كمواطنين متساوين. وكانت تؤمن بأن الوحدة الوطنية التى تضم كافة قوى الثورة قوامها العمال والفلاحين وأن تلك القوى هي الكفيلة بالتصدي للمعسكر الصهيوني في فلسطين وقد اعتمد موقف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في عدم المشاركة في الكفاح المسلح وكافة مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، اعتمد هذا الموقف على:

١ – أن منظمة التحرير بطبيعة تكوينها لاتوفر الحد الأدنى من الشروط المطلوبة لصيغة الوحدة الوطنية مادامت لم تحول نشاطها ومكاتبها إلى مخيمات ومعسكرات اللاجئين وبين قواعد المقاتلين.

٢ – أن العلاقة الغامضة بين منظمة التحرير ونظم الحكم العربي التى تحاول دائما احتواء العمل الفدائي الفلسطيني لاتسمح بانطلاق الكفاح المسلح.

٣ –عدم وجود تحديد واضح للعدو وبأنه لايمثل إسرائيل وحدها فبالإضافة الى الصهيونية العالمية وتنظيماتها في شتى أنحاء العالم توجد القوى الرجعية المرتبطة بالاستعمار.

٤ – أن استقلالية العمل الفلسطيني يجب أن يعتمد في مقوماته المادية على الجماهير وليس على الأنظمة وأن أية مساعدة من الأنظمة تمثل قيدا على استراتيجية العمل وحرية الحركة وتعترض الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بأن منظمة التحرير مؤسسة مكتبية أبعد ما تكون عن الإطار الثوري وهي عبارة عن كوادر من الموظفين والسكرتاريين ذوي المراتب المرتفعة وأن ٦٠ ٪ من ميزانية المنظمة تصرف خارج الثورة وأن اتجاه المنظمة لبناء جيش كلاسيكي هو الطابع الغالب.

وكانت ترى ضرورة إعداد الجماهير الفلسطينية وتخليصها من كل ما يكبلها ويحول دون انطلاقها ضد الصهيونية والإمبريالية العالمية المؤيدة لها.

ومن أهم العمليات التى قامت بها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خطف الطائرات ووضع عبوات ناسفة في عدة مكاتب إسرائيلية فى لندن وهجوم بالقنابل على السفارة

الإسرائيلية في بون عاصمة ألمانيا وعلى مكاتب شركة العال في بروكسل وفي لهاي. وقد أدانت منظمة التحرير الفلسطينية عمليات خطف الطائرات وخصوصا عملية عمان سنة ١٩٧٠ وأعلنت تجميد عضوية الجبهة في اللجنة المركزية.

ملاحظة: إن تنظيمات الجبهة الشعبية وأفكارها ومبادئها الأساسية وأسلوبها في معالجة طريقة الكفاح المسلح الفلسطيني يمثل وجهة نظر الجبهة فقط ولايعني بالضرورة الموافقة على تلك الأفكار أو الأسلوب.

٣- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة):

انطلق هذا التنظيم منذ سنة ١٩٥٩ تحت اسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وانتهج اسلوب حرب العصابات في التصدي للكيان الإسرائيلي وفي سنة ١٩٦٥ نشأ بين الجبهة وفتح نوعاً من التنسيق على أمل الاندماج الكامل ولكن برزت بعض الخلافات مما أدي الى فسخ العلاقة وكان للجبهة ثلاث فرق يعمل كل منها في قطاع معين قطاع جنوب لبنان وتعمل فيه فرقة عبد اللطيف شرور وقطاع سوريا وشمال الأردن وتعمل فيه فرقة عز الدين القسّام وقطاع الضفة وتعمل فيه فرقة عبد القادر الحسيني.

وقد تم اللقاء بين جبهة التحرير الفلسطينية والجبهة القومية لتحرير فلسطين (منظمة شباب الثأر) وأبطال العودة ضمن إطار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٦٧. ولكن عاد الخلاف سنة ١٩٦٨ بن شباب الثأر (القوميين العرب) وبين الجبهة مما أدى الى طرد شباب الثأر من إطار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ورغم المحاولات المختلفة التى أعقبت حرب يونيو ١٩٦٧ لإيجاد نوع من وحدة الهدف في تحرير الأرض بين المنظمات الفلسطينية المختلفة إلا أن صيغة هذا التحالف لم يكتب لها النجاح **بسبب انعكاسات أنماط الحكم في المجتمع العربي وتأثيره على المقاومة الفلسطينية.**

وقد طرحت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) تصورها لتشكيل المجلس الوطني الفلسطيني حسب الأسس التالية:

١- إعطاء الأفضل والأكفأ والأخلص من أبناء الشعب الفلسطيني الفرصة لممارسة دوره في التخطيط والتشريع والقيادة بشرط الالتزام بخط الكفاح المسلح.

٢- رفض الجبهة الأخذ بمبدأ الكوتات (أى أن يكون لها تنظيم إقطاعية في التمثيل)

٣- رفض الجبهة الأخذ بمبدأ التمثيل الفلسطيني حسب التوزيع الجغرافي أو الإقليمي أو الطائفي.

٤- أن يكون لقيادة الكفاح المسلح حق التخطيط ومراقبة التنفيذ والمحاسبة والتصعيد.

٥- الجبهة الوطنية تفرضها ضرورات المعركة لتحقيق مطالب الثورة.

٦- الجبهة الوطنية يجب أن تقوم على أساس الرؤية السياسية المشتركة لطبيعة المعركة ومتطلباتها.

وهكذا أصبحت الأيديولوجيات المختلفة لدى المنظمات الفلسطينية تسبب أزمة حقيقية في حركة المقاومة وتؤخر الوحدة الوطنية وتمزق وتشتت ولاء الشعب الفلسطيني لقضيته وبابا لتدخل الكثير من التناقضات العربية فيها وأصبح الكل يستطيع أن يدعي الثورية وأنه يسلك الطريق الصحيح للعمل الثوري.

وبالمقابل نرى أن المنظمات اليهودية والمتطرفين اليهود كانوا جزءا من النظام الإسرائيلي ويوظفون نشاطهم لخدمة الأهداف الإسرائيلية واليمين واليسار يكمل بعضه البعض وكلاهما يمثل النظام الذى يطلب المعتدل وغير المعتدل والوسط والمتطرف بشرط التنسيق بينهم جميعا لمصلحة الوطن.

أما ما وقع من خلاف بين المنظمات الفلسطينية أدى إلى إضعافها وتفككها وإلى ظهور التناقضات والصراعات المرفوضة في حالة الكفاح الوطني.

تأثير معركة الكرمة في الكفاح المسلح الفلسطيني

الثورة الفلسطينية ثورة فريدة بخصائصها وظروفها فهي ثورة شعب ليست أرضه واقتصاده هو المطلوب استغلاله وإنما إنهاء وجوده كشعب. ولما انطلق الكفاح المسلح الفلسطيني سنة ١٩٦٥ بدأ بقيام رجال المقاومة الفلسطينية بشكل حرب عصابات يقومون بالهجوم السريع والعودة أى يضربون ويهربون لعدم وجود أماكن ثابتة لهم في الأرض الفلسطينية. ارتأت القيادة العسكرية الفلسطينية ضرورة تطوير حرب العصابات الى حرب المواجهة والى ضرورة وجود قاعدة ثابتة ارتكازية ورغم تردد بعض قيادات المقاومة من اتخاذ هذا القرار الخطير – اتخذ القرار وبدأ الفدائيون الفلسطينيون اقامة قاعدة ثابتة لهم على الضفة الشرقية من نهر الأردن.

وبدأت مرحلة جديدة في تطور الكفاح المسلح الفلسطيني وظهرت معالمه تتضح بعد معركة الكرامة وأحداثها يوم ١٩٦٨/٣/٢٣.

قررت القيادة الإسرائيلية ضرورة تصفية هذه القاعدة الثابتة والقضاء نهائياً على قوات المقاومة الفلسطينية. وحشدت لتحقيق ذلك فرقة مدرعة (لواءان مدرعان) كتيبة مظليه – لواء مشاه – فوج هندسى – كتائب مدفعية ميدان تعززها الطائرات المقاتلة وطائرات الهليكوبتر. وكانت قوة الفدائيين حوالى ٥٠٠ مقاتلاً متمركزة في منطقة الكرامة.

بدأ الهجوم الإسرائيلي على قرية الكرامة وما حولها من قواعد للفدائيين ولكنها جوبهت بمقاومة عنيفة من قبل المقاتلين الفلسطينيين وبعض فصائل الجيش الأردنى مما أدى الى عرقلة الهجوم وتكبيد القوات الإسرائيلية خسائر بلغت ٢٦ قتيلاً و٩١ جريحاً مقابل ١١٦ شهيداً من الفدائيين الفلسطينيين و٦١ شهيداً من الجيش الأردني. وقبل أن يحين عصر يوم ١٩٦٨/٣/٢١ أيقنت قيادة الهجوم الاسرائيلي أن العملية

فشلت في تحقيق أهدافها وأن قواتها لم تعد تستطع متابعة التقدم إلا بتقديم ضحايا كثيرة فقررت الانسحاب الذى تم تحت القصف الجوى المتواصل وقنابل المدفعية وكانت خسائر الإسرائيليين في المعدات من الدبابات والسيارات المصفحة والآليات المختلفة وعدة طائرات كبيرة. وقد اعتبرت المصادر الإسرائيلية بأن خسائرها كانت ٢٠ قتيلاً و٣ مفقودين و٩٠ جريحاً و٦ دبابات وعربتين مصفحتين وطائرة واحدة.

ونجح الهجوم الاسرائيلي في نقل قواعد الفدائيين الى الخلف داخل المدن ومخيمات اللاجئين في الضفة الشرقية للأردن – وأدى ذلك الى انتشار العمل التنظيمى والتدريبى وخطى العمل الفدائى بعد معركة الكرامة على التأييد بانضمام آلاف من أبناء الشعب الفلسطيني والعربي الى صفوف الفدائيين وزادت هيبة الثورة الفلسطينية واخترق الكفاح المسلح الجدار الاعلامي المعادي وأصبح للثورة سمعتها الواسعة في أرجاء العالم العربي ومناطق مختلفة من العالم، وزادت المساعدات المادية والمعنوية وتحسنت كثيراً حرية العمل والحركة داخل البلاد العربية وخصوصاً الأردن.

تعتبر معركة الكرامة من وجهة النظر العسكرية منعطفاً هاماً في مسيرة الكفاح المسلح الفلسطيني حيث تجاوزت الثورة حرب العصابات الصغيرة الى المجابهة المباشرة وبعدها أخذت الثورة تطور من نوعية السلاح التي تستخدمه وبدأت تتعرف على استخدام الألغام والمتفجرات والأسلحة المضادة للدبابات.

وأظهرت معركة الكرامة تلاحماً بين فصائل الجيش الأردنى وقوات المقاومة الفلسطينية المسلحة وكانت نتيجة المعركة إشارة مضيئة الى قدرة قوة عربية نظامية وشعبية في الوقوف امام القوات الاسرائيلية وكان أثرها المعنوى يفوق كثيراً أثرها العسكرى رغم أهميته.

أما لماذا أخفق الاسرائيليون من تحقيق أهدافهم في معركة الكرامة؟ يعود بلا شك لشجاعة الإنسان الفلسطيني وكما أشارت المصادر العسكرية الأردنية فقد وجدت جثث الشهداء الفلسطينيين جميعها مصابة من الأمام.

ولم تنكر الثورة الفلسطينية الدور الذى قام به ضباط وجنود الفرقة الثانية الأردنية كما لعبت المدفعية الأردنية دوراً كبيراً في إعاقة الانسحاب الاسرائيلي وفي ارتفاع خسائره.

وقد واجهت قوات الاحتلال الإسرائيلي هذه الوقائع الجديدة بتشديد قبضتها على

مكان المناطق المحتلة بالإبعاد والنفى والاعتقال ونسف البيوت وتهجير السكان واقامة الاسلاك الشائكة والحواجز والأسلاك المكهربة وأجهزة الإنذار الأليكترونية.

لقد أثبتت معركة الكرامة أن قوة العدو المتفوقة والمعززة بالتكنولوجيا وأعتى أنواع السلاح الامريكى يمكن أن تحقق نصراً في حالة واحدة وهي عندما تنهزم إرادتنا ونفقد ثقتنا بنفسنا وبقدراتنا. وأيضاً حين نسلم قدراتنا للآخرين.

الحروب الثلاثة

١٩٧٢-١٩٧٨-١٩٨٢

هذه الحروب الثلاثة التى خاضها المقاتل الفلسطيني ضد العدو الإسرائيلي تمثل صورة مضيئة من صور الكفاح الفلسطيني صنعها المقاتل الفلسطيني ببسالته وعقيدته الثابتة وقتاله العظيم أمام عدو شرس كان يسعى دائماً للقضاء سياسياً وعسكرياً على المقاومة الفلسطينية وتغيير نظام الحكم في لبنان.

لقد أثبتت حروب ١٩٧٢-١٩٧٨-١٩٨٢ أن الانسان الصامد المؤمن بعقيدته يستطيع أن يحقق المعجزات ويشكل العامل الحاسم في المعركة وهذا ما أثبته المقاتل الفلسطيني.

حرب الأيام الأربعة في لبنان سنة ١٩٧٢
بين الفلسطينيين والقوات الإسرائيلية

في ١٩٧٢/٢/٢٥ قامت إسرائيل بحملة عسكرية خاطفة استهدفت قواعد الفلسطينيين في جنوب لبنان بقصد القضاء على القوة العسكرية الفلسطينية وتدمير قواعد الفدائيين. واستخدم الاسرائيليون في هذا الهجوم الواسع فرق الكوماندوز وسلاح الدبابات وطائرات الهليوكبتر والطائرات القاذفة من طراز سكاى هوك وميراج وفانتوم وكان أعنف هجوم تشنه القوات الاسرائيلية على قواعد الفدائيين الفلسطينيين بعد حرب حزيران يونيه سنة ١٩٦٧.

دام الهجوم مائة ساعة متواصلة وشمل عدة محاور في الجنوب اللبناني وكان من

أهم أهدافه بالإضافة الى تدمير قواعد الفلسطينيين في جنوب لبنان الضغط على الحكومة اللبنانية لتصفية العمل الفلسطيني بالكامل في الجنوب وإلغاء الاتفاق الفلسطيني اللبنانى الذى تم توقيعه بين العماد البستانى قائد الجيش اللبنانى وبين القيادة الفلسطينية في لبنان.

ومن الأهداف الاسرائيلية أيضاً إرهاب الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة وقطع الطريق أمام الاتحاد السوفيتي ومنعه من تقوية الموقف الفلسطيني ومساعدتهم عسكرياً بتقديم الاسلحة والمعدات.

وفي صباح يوم الهجوم وجهت إسرائيل انذاراً إلى السلطات اللبنانية عبر لجنة الهدنة المشتركة بأنها مضطرة لضرب بعض القرى اللبنانية وأى مكان يتواجد فيه الارهابيون الفلسطينيون على حد قولها. وكان رد الرئيس سليمان فرنجيه رئيس الجمهورية اللبنانية في مؤتمر صحفى عقده «هل يعتقد العدو أن لبنان سيتراجع أمام تهديداته ويقاوم نشاط الفدائيين الفلسطينيين؟».

بدأت الحرب بهجوم كاسح للقوات الاسرائيلية وبصمود هائل للثوار الفلسطينيين وكما تكبد ثوارنا العديد من الخسائر في الأرواح - فقد كانت الخسائر الاسرائيلية في الارواح والمعدات مما لم تتوقعه القيادة الاسرائيلية وأخفت القيادة الاسرائيلية أسماء العديد من القتلى التى كشف بعضها صحفى إسرائيلى تتبع اسماء المتوفين في الصحف الاسرائيلية حيث اكتشف أسماء القتلى الذين لاقوا حتفهم في الجنوب اللبناني.

وجاء صمود الثوار الفلسطينيين ليقضي على الآمال الإسرائيلية في تحقيق الأهداف التى حددتها لهذه المعركة.

وثبت في هذه المعركة أن الانسان هو العنصر الحاسم في تقرير مصير المعركة وقد قدم الإنسان الفلسطيني نماذج بطولية رائعة في معركة المائة ساعة.

حرب ١٩٧٨

في سلسلة الصدامات المسلحة بين الثورة الفلسطينية والقوات الإسرائيلية في جنوب لبنان تعتبر حرب ١٩٧٨ مرحلة جديدة على المستوى السياسى كما كانت تجربة متقدمة على مستوى العمل الفلسطيني المسلح.

ويلاحظ بعد حرب ١٩٧٨ أن جبهة جنوب لبنان وبالرغم من وجود قوات الطوارئ الدولية قد أصبحت في حالة حرب دائمة ومستمرة.

كان مؤتمر الرياض الذى انعقد (فى تشرين الأول) ١٧ اكتوبر سنة ١٩٧٦ ومؤتمر القاهرة الذى انعقد (فى تشرين الأول) ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٧٦ الذين قد أعلنا نهاية الصدام المسلح السورى الفلسطينى في لبنان وعودة الوئام السياسي بين الجانبين وتثبيت الوجود السورى في لبنان باسم قوات الردع العربية وتثبيت اتفاقية القاهرة بين لبنان والفلسطين.

وما أن بدأ تنفيذ هذين الاتفاقين حتى أخذت إسرائيل تتحرك لمحاولة الإجهاض وبدأت القوات اللبنانية العميلة التابعة لها تتحرك - هنا تنبهت القيادة الفلسطينية واندفعت بقواتها بسرعة نحو الجنوب اللبناني للوقوف أمام هذا التحرك العميل. ولم يبدأ عام ١٩٧٧ حتى كانت القوات الفلسطينية واللبنانية المشتركة قد تمركزت في أكثر مواقع الجنوب وانحصرت قوات «سعد حداد» قائد القوات العميلة في جبهتين منفصلتين وهذا الوضع الجديد كان السبب المباشر لتحرك إسرائيل لمنع تدهور عملائه هناك.

ما كان يوم ١٤ مارس ١٩٧٨ يهل حتى بدأ الهجوم الاسرائيلي مستهدفاً:

أولاً: إنزال هزيمة سياسية ومعنوية بمنظمة التحرير الفلسطينية وبالقوات المشتركة معها.

ثانياً: تدمير تلك القوات دون تعريض قواتها لخسائر بشرية كبيرة.

ثالثاً: زيادة مساحة الأراضى المحتلة والوصول الى مصادر المياه.

أعلنت اسرائيل أن حملتها في الجنوب اللبنانى سوف تستغرق بين ٢٤-٤٨ ساعة وتكون قد وصلت الى نهر الليطانى ولكن المقاومة الشديدة جعلت الحرب تستمر ثمانية أيام وكانت القوات الفلسطينية واللبنانية المشتركة معها نداً للقوات الإسرائيلية ولم تتمكن قوات إسرائيل من الاستيلاء على مدينة صور مما اضطرها في النهاية إلى الانسحاب ولم تحقق إلا اضافة مساحة بسيطة لعميلها «سعد حداد».

لم يستطع العدو الإسرائيلي استغلال عنصر المفاجأة والتحرك المباغت رغم تغيير تكتيكاته المعتادة - فبدأ هجومه لأول مرة في الظلام الدامس واستخدم فرق المشاه الراجلة بدلاً من الدبابات وأبقى آلياته بعيدة نسبياً وحاول استخدام تكتيك التطويق والاختراق من الخلف ولاشك أن قصف الطيران والمدفعية وتحرك المشاه كان يتم بدقة عاليه. وفي اليوم الثالث بدأ العدو الاسرائيلي يغير تكتيكه ويعطى دوراً أكبر للطيران والدبابات بسبب الخسائر الكبيرة التى لحقت به في اليومين الأول والثاني.

في الأيام الخامس والسادس والسابع غير العدو تكتيكه للمرة الثالثة وقبل تحمل الخسائر الكبيرة في سبيل التقدم والوصول الى الليطاني ومدينة صور.

وكان عدد الفلسطينيين حسب التقدير الإسرائيلي سبعة آلاف مقاتل وقواته التى شاركت في الهجوم ٣٥ ألفاً دون حساب فارق التسليح وقوة النيران والآليات والطيران والتدريب.

كان قرار القيادة الفلسطينية التصدى للهجوم بكل قوة وعزم وسرعة التنقل والانتشار وقد زودت قواتها بتجهيزات تكفيها عدة أيام سواء من الذخيرة أو التموين. وكان حماس المقاتل الفلسطيني وانضباطه في الهجوم والانسحاب وإعادة الهجوم في غاية التنظيم واستخدم الفلسطينيون أسلوب القتال في الخنادق والشوارع وداخل البيوت واستخدموا حرب العصابات في بعض المواقع. وأثبت السلاح الخفيف من الرشاشات والهاون أنه من أفضل ما يمكن أن تتسلح به المجموعات المتنقلة بسرعة ومرونة وقد أحدثت ارتباكاً في القوات الاسرائيلية.

في هذه المعركة أثبت المقاتل الفلسطيني أنه لو توافرت لديه الإمكانيات ولم ترهقه الضغوط الخارجية يستطيع أن يكبد العدو الإسرائيلي الخسائر الفادحة ويرغمه على التخلى عن تحقيق أهدافه.

حرب سنة ١٩٨٢

تتميز حرب ١٩٨٢ بين إسرائيل وقوات الثورة الفلسطينية أنها أطول الحروب التى خاضتها إسرائيل ضد الدول العربية وأكثرها تأثيراً في الكفاح المسلح الفلسطيني وكانت تلك الحرب ساحة المواجهة المباشرة بين القوات الفلسطينية المسلحة وبين القوات الإسرائيلية البرية والجوية والبحرية. وقد اشترك بجانب القوات الفلسطينية بعض القوات السورية وقوات المقاومة اللبنانية.

اعتقدت إسرائيل – وقد قذفت بهذه المعركة بأكثر قواتها المسلحة – أنها سوف تكرر ماحدث سنة ١٩٤٨ حيث تمكنت من طرد نصف الشعب الفلسطيني من أرضه وتحاول في هذه الحرب الجديدة طرد الفلسطينيين من لبنان والقضاء عليهم من جوارها الشمالي وإبادة حركته الوطنية. ومما شجع إسرائيل على خوض هذه الحرب أن الضوء الأخضر بات يضىء أمامها.

١– خروج مصر من دائرة الصراع العربى الاسرائيلى.
٢– غياب الجبهة العربية المتماسكة.
٣– انشغال العراق بحربها ضد إيران وخوف الدول الخليجية من نتائج تلك الحرب.
٤– وأخيراً اتساع الهوة التكنولوجية والعلمية بين إسرائيل والدول العربية.

وقدرت إسرائيل أن القضاء النهائى على المقاومة الفلسطينية في لبنان سيسهل عليها تصفية القضية الفلسطينية في داخل فلسطين المحتلة بعد زوال نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية.

وكان التقدير العسكرى الإسرائيلي بأن المعركة ستكون قاطعة وان الحل العسكرى سوف يقود الى الحل النهائى للقضية الفلسطينية.

وقد وصفت هذه الحرب بأنها حققت نصراً عسكرياً لإسرائيل ولكنه كان أكثر الحروب العربية الاسرائيلية كلفه في الخسائر البشرية والممتلكات وأن النصر العسكرى الذى نجح في ضرب قواعد الفدائيين وفي إخراج قيادات المنظمة وأكثر قواتها من بيروت – إلا أنه لم ينجح في إبادة البنية والقوات الأساسية للمنظمة وفشل في فرض نوع من التسوية مع القوات السورية فهى لم تخرج من لبنان وفشلت كذلك فى إخضاع لبنان لطائفة معينة – المارونيون – وأخيراً فشلت في عقد صلح منفرد مع لبنان، ولذلك يمكن القول إن اسرائيل هزمت استراتيجياً في معركة ١٩٨٢.

سير المعركة :

وجدت اسرائيل نفسها تقاتل في البيوت والأحياء والشوارع ولم تعد الحرب الخاطفة متيسرة وقد وصفت الصحف الإسرائيلية معركة ١٩٨٢ بأنها «فيتنام إسرائيل اللبنانية» ومن المواقف العسكرية الهامة التى صاحبت معركة ٨٢ معركة الدامور ومعركة خلده حيث تم تدمير معظم الدبابات الإسرائيلية المهاجمة ومعركة الأوزاعى التى تم فيها إفشال الإنزال البحرى الاسرائيلى.

وفي معركة مطار بيروت اضطرت القوات الإسرائيلية الى عدة محاولات حتى تمكنت من احتلاله بعد دفع خسائر بشرية كبيرة.

وهكذا بالرغم من نسبة التفوق الإسرائيلى في الأفراد بين ١٠٠-١٢٠ ألفاً مقاتل مقابل ١٢ ألفاً من القوات الفلسطينية تدعمها بعض فرق الجيش السورى والقوات اللبنانية. واشترك في المعركة حسب مصادر وزارة الخارجية الأمريكية معظم التشكيلات الجوية ومعظم القوات البحرية بالإضافة الى ١٦٠٠ دبابة و١٦٠٠ حاملة جنود و٦٠٠ مدفع وراجمة صواريخ.

ولأول مرة تلجأ إسرائيل الى إقامة الحفر والسواتر الترابية وبث الألغام بعد أن كلفها الهجوم ثمناً باهظاً في كافة اتجاهات المعارك وخصوصاً معركة المتحف في قلب بيروت وهى من أكبر وأطول المعارك وفيها سقط عدد كبير من القتلى من الطرفين. وفي إحدى المناطق القريبة من بيروت أصيب مقر القيادة الإسرائيلية إصابات مباشرة أفقدته العديد من الأفراد وأكثرهم من الضباط. وفي معركة قانا بالجنوب خسر الاسرائيليون عدة دبابات وقتل في المعركة نائب رئيس هيئة الأركان الاسرائيلي «يوكوتيل أدم» ومعه مجموعة من كبار الضباط.

لاشك أن معركة ١٩٨٢ كانت معركة حرب استنزاف للقوات الاسرائيلية ولم تنجح استراتيجية الحرب الصاعقة وكانت القيادة الإسرائيلية قد قدرت ٧٢ ساعة لإنجاز تلك الحرب بعد أن قذفت فيها تلك القوات الهائلة ولكنها طالت الى ٧٩ يوماً. ولم تستطع إسرائيل أن تحقق أهدافها المنشودة أو تفرض إرادتها السياسية. وقد أدت فداحة الخسائر الى قيام المظاهرات في تل أبيب والقدس وأفادت السفارة الأمريكية في تل أبيب أن عدد المتظاهرين بلغ فى إحدى المظاهرات ٤٠٠ ألف يهودي أى حوالى ١٠٪ من سكان إسرائيل وسقطت وزارة بيجن القوية ونحّى شارون نهائياً عن أى نشاط عسكرى.

لقد تكبد المدنيون الفلسطينيون واللبنانيون خسائر فادحة بسبب لجوء العدو الى القصف العشوائي واستخدام الذخائر المحرمه دولياً مثل القذائف الفسفورية والعنقودية والفراغية وكلها من إنتاج الولايات المتحدة الأمريكية. وقدر عدد القتلى من المدنيين بين ١٢-١٦ ألف بالاضافة الى ١٥٠٠ عسكرى عدا ضحايا مذبحة صبرا وشاتيلا.

أما الخسائر الإسرائيلية فتقول الإحصاءات الأمريكية أنها بلغت ٥٦٨ قتيلاً و٥٣٨٣ جريحاً وتدمير ١٥٠ دبابه و١٥٠ ناقلة جنود. أما الخسائر في الطائرات فلا يوجد إحصاء دقيق لأن بعضها كان يسقط في الأراضي المحتلة. وقدر عدد من قتل في الحوادث والأخطاء بأكثر من ٥٠ جندياً إسرائيلياً.

وجدير بالملاحظة أن وسائل الإعلام العربية وأكثر الذين يكتبون عن الثورة الفلسطينية لايذكرون من معركة ١٩٨٢ إلا أنها أدت الى خروج أكثر الفصائل العسكرية الفلسطينية من لبنان ويذكرون مذبحة صبرا وشاتيلا فقط.

ولم يتطرقوا الى النتائج الأخرى التي غيرت ولو بصفة مؤقتة النظرة التوسعية الاسرائيلية لتحقيق حلم إسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات بسبب الخسائر الكبيرة التى تكبدتها في ضربها للبنان.

وأخذت إسرائيل - بدعم كبير من الولايات المتحدة الأمريكية - تمهد لما يسمى بالشرق أوسطية وباستبدال الاحتلال العسكرى بالاحتلال الاقتصادى والتكنولوجي.

مواقف مشرفه للمقاتل الفلسطيني
في حرب ١٩٧٣

على كافة ميادين القتال سواء على الجبهتين السورية أو المصرية أو قرب حدود لبنان الجنوبي وفي بعض مواقع الحدود الأردنية الاسرائيلية وداخل الأراضي المحتلة – قام المقاتل الفلسطيني بأداء دور شجاع ضمن الإطار الذى حدد له والإمكانيات التى اتيح له التحرك من خلالها وقدم العديد من الشهداء في تلك المعارك.

كانت أكثر القوات الفلسطينية تتمثل في فصائل نظامية مدربة وهى قوات عين جالوت – قوات حطين – قوات القادسية وكذلك بعض المليشيات التى انطلقت من جنوب لبنان ومن داخل الأراضى الفلسطينية المحتلة.

الجبهة المصرية:

قبل اندلاع حرب سنة ١٩٧٣ كان في مصر وحدات من جيش التحرير الفلسطيني هى قوات عين جالوت وقد أسندت إليها مهام ضمن إطار خطة العمليات المصرية على أساس أنها قوة مشاة خفيفة وألحقت بالجيش الثالث. انتشرت تلك القوات على امتداد جبهة ٢٥ كيلومتراً بين كبريت وكسفريت جنوبى الدفرسوار وبقيت تلك القوات في مؤخرة الجيش ووحداته الإدارية لتقوم بجهة الدفاع خلف منطقة العبور.

وقد اشتركت بعض القوات الفلسطينية بعمليات خلف خطوط العدو الإسرائيلي لقنص الدبابات أو الإغارة على مرابض المدفعية أو ضرب أليات العدو وقوافله. وتم دفع بعض تلك القوات الى مناطق متقدمة بجبهات استطلاعية **وقد أمكن تلك القوات التبليغ عن أو التحذير لبداية الاختراق الإسرائيلي في منطقة الدفرسوار يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ .**

وقد شاركت القوات الفلسطينية في معارك جنوبى البحيرات المرة وذلك بين المدة ١٠/١٨–١٠/٢٢ ثم انسحبت الى مدينة السويس حيث شاركت مع المقاومة الشعبية وقوات الجيش الثالث في المدينة.

الجبهة السورية:

وضعت وحدات قوات الثورة الفلسطينية العاملة في الأراضي السورية (قوات حطين – قوات القادسية) تحت إمرة القيادة السورية وأدت وحداتها المحمولة جوا دورها بفعالية وأدت القوات القتالية عدة مهام قتالية متنوعة منها:

١- قوات محمولة جواً قامت بالانقضاض على المواقع الاسرائيلية وبعض التلال الاستراتيجية والمؤثرة على خطوط المواصلات وأهمها «تل الفرس» يوم ٧/١٠/٧٣.

٢- عمليات إغارة على مرابض الدبابات والعمل خلف خطوط العدو في «تل الشعار» «تل شمس» واحتلال بعض المواقع الاستراتيجية الهامة في الجبهة وفي المؤخرة وقد أدت قوات القادسية هذا الدور بكفاءة وبصورة أساسية.

وتعتبر معركة تل الفرس من أهم المعارك الهامة التى قامت بها القوات الفلسطينية حيث قامت وحدة من جيش التحرير المنقولة جواً بأربع طائرات عمودية في ٧/١٠/٧٣ من الهبوط فوق التل رغم التحصينات المبنية بالأسمنت المسلح وكثافة الأسلحة المتمركزة في الموقع واستطاعت تحرير التل بعد أن فقد العدو الاسرائيلى ٦٠ جندياً.

وقامت وحدات أخرى محمولة جواً بقطع الطريق الرئيسى في المحور الأوسط واستشهد في هذه المعركة ٣٨ فدائياً فلسطينياً وأسر اليهود ٩ فدائيين.

الحدود اللبنانية:

هرعت القوات الفلسطينية في لبنان رغم ما تكبدته مواقعها من شراسة الهجمات الاسرائيلية في مايو سنة ١٩٧٣، هرعت الى العمل على طول الجبهة اللبنانية الفلسطينية وقامت بأكثر من ٢٠٧ عمليات من تفجير وقصف وعمل كمائن وإعترفت إسرائيل بان ٤٢ مستعمرة هوجمت مما دفع السلطات الاسرائيلية الى تهجير عدد كبير من سكان تلك المستعمرات وتركز عمل القوات الفلسطينية ضد مستعمرات المطله - المنارة - كريات شمونة - الخالصة - المالكية - وغيرها.

الجبهة الأردنية:

بقيت جبهة القتال على الحدود الفلسطينية - الأردنية هادئة وكانت عمليات المقاومة الفلسطينية محدودة جداً وأهمها مهاجمة المستعمرات الاسرائيلية في محور بيسان وقصف مدينة سمخ بالصواريخ ونصف محطة للمياه ومجمع للكهرباء في ايلات.

داخل الأراضى المحتلة رغم ان اسرائيل حاولت طمس أخبار العمليات الفدائية الفلسطينية داخل الأراضي المحتلة. فقد قامت قوات المقاومة بنصب الكمائن ومهاجمة القوافل العسكرية - والهجوم على قاعدة عتليت البحرية وتفجير مستودعات الذخائر في جبل أم الحواوط ومستودعات النفط وزرع الألغام ونسف أنابيب البترول بين إيلات وعسقلان وبلغ مجموع تلك الهجمات أكثر من ٧٨ عملية.

كيف خسر العرب فلسطين

ما العوامل والأسباب التى أدت الى ضياع فلسطين؟

إن موقع فلسطين الجغرافي بين مفترق القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا وقيمتها الاستراتيجية لجميع الغزاة الذين مروا بها سواء من الشرق الى الغرب أو العكس بجانب مكانتها الدينية وقدسيتها هذه العوامل مجتمعة جعلت فلسطين مهبط أفئدة اليهود والمسيحيين والمسلمين.

إن الحصاد الهائل من الكتب والوثائق والمستندات التى تناولت تاريخ فلسطين منذ أقدم العصور كتب أكثرها مؤلفين غربيين مسيحيين وكان همهم الأكبر إبراز مكانة البلاد بالنسبة للديانتين اليهودية والمسيحية وتجاهلوا مكانتها من الناحيتين الإسلامية والعربية. وأكثر تلك الكتب اعتمدت على التوراة التى كتبها اليهود بأيديهم وأصبحت ذات أثر دينى على العالم المسيحى الغربي لأن التوراة وقصص التوراة تدور معظم أحداثها في فلسطين وأصبح الاعتقاد السائد لدى الشعوب الغربية أن اليهود أصحاب فلسطين وأن غير اليهود طارئون عليها. وأصبح من الصعب زحزحة أفكار الغربيين وكتابهم ومؤرخيهم في أوربا وأمريكا عبر العصور المختلفة عن العقيدة التى غرستها التوراة في أذهانهم قرونا عديدة.

ومنذ عودة العرب إلى فلسطين وطرد الدولة الرومانية نهائيا من بلاد الشام والعالم الغربي يعد العدة للاستيلاء على البلاد المقدسة وتخليص قبر المسيح من المسلمين.

وجاءت الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر الميلادي كأولى المحاولات للاستيلاء على فلسطين وبلاد الشام واستولى الصليبيون على القدس وأجزاء كثيرة من بلاد الشام حتى تمكن صلاح الدين الأيوبى من استرجاع القدس سنة ١١٨٧ ميلادية

وتم بعد ذلك انحسار الحملات الصليبية وخروجهم من المشرق العربي بعد فترة دامت حوالي مئتى عام.

وبدأ الإعداد للمحاولة الثانية فيما بدأ الوهن والضعف يدب في أوصال الدولة العثمانية - وجاء احتلال نابليون بونابرت لمصر وفلسطين وتقديمه العروض لليهود بالعودة الى أرض الميعاد وانحسرت هذه المرحلة الثانية مؤقتا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية وجلائها عن بلاد الشام.

وبموجب اتفاق «سايكس - بيكو» بين بريطانيا وفرنسا جرى تقسيم البلاد العربية واحتلت بريطانيا فلسطين ونعرض هنا الكلمة التى أطلقها الجنرال اللنبى قائد القوات البريطانية عندما احتل مدينة القدس سنة ١٩١٧ .

«الآن انتهت الحروب الصليبية»

ونعرض أيضا كلمة الجنرال غورو قائد القوات الفرنسية التى احتلت سوريا ودخل الى مدينة دمشق وتوجه الى قبر صلاح الدين الأيوبى معلنا **«ها قد عدنا يا صلاح الدين»**. هذه الأحداث كانت تسير بالتوازي مع التطلعات اليهودية وظهور الصهيونية العالمية التى تلاقت أهدافها مع الاستعمار الغربي لأن إنشاء دولة يهودية في فلسطين في قلب العالم العربي وفصل مشرقه عن مغربه يؤمن الأهداف الاستعمارية ويحقق لليهود العودة الى أرض الميعاد.

وبعد هذا العرض المختصر نعود للسؤال الهام لماذا ضاعت فلسطين وما العوامل التى أدت الى ضياعها؟

١- لاشك أن العامل الأول يعود الى الاستعمار الغربي الذى استولى على فلسطين واتخذ من إسرائيل مخلب قط لحماية مصالحه في الأراضي العربية وتنفيذ سياساته. وأخذ يخطط الى تقسيم الدول العربية القائمة الى دويلات صغيرة تقوم على أساس طائفي أو مذهبي أو عرقي حتى لايتبقى دولة عربية واحدة تنادى بالعروبة أو الاتحاد أو الاندماج. ورغم أن هذا المخطط لم ينجح حتى سنة ١٩٩٧ لأن الظروف لم تكن مهيئة تماما للتنفيذ إلا أن المحاولة الأمريكية الأخيرة التى تستهدف تقسيم العراق أصبحت مهيئة الآن وربما لو نجحت هذه الخطة أن يتنقل الوباء الى دول عربية أخرى مرشحة للتقسيم وعلى رأس تلك الدول ليبيا والسودان ثم أخيرا سوريا.

٢- العامل الثاني الذى أدى الى ضياع فلسطين قيام المستعمر الأجنبى يدعم القوى العميلة له في المنطقة ويصنع السلاطين والأمراء والملوك وهذا العامل الهام عزل فلسطين عن بقية العالم العربي وحرم شعبها في نضاله ضد اعتى قوتين في العالم بريطانيا والصهيونية العالمية، ودخول أمريكا بكل ثقلها بجانب إسرائيل أدى الى عدم قدرة المقاومة الفلسطينية وحدها من الصمود ضد التحالف اليهودي الغربي.

٣- لم يجد الشعب الفلسطيني المساعدة المؤثرة من أهله المتمثلين في الشعوب والحكومات العربية وكانت أحداث كارثة سنة ١٩٤٨ خير مثال على ذلك.

٤- المخطط الذى كان معدا لفلسطين وإنشاء دولة يهودية فيها لم يكن واضحا أمام العرب وأمام أهل فلسطين أنفسهم ولم يقدروا تماما المؤامرة البريطانية - اليهودية واعتقد العرب أن إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لايعني بالضرورة إنشاء دولة يهودية وطرد الفلسطينيين من وطنهم وأرضهم - وبعض العذر يعود الى تقهقر الدولة العثمانية حضاريا وعدم توافر وسائل الإعلام والتجاء السكان الى الروحانيات والتقاليد والعادات البالية ومحاولة العثمانيين دائما الإيحاء بأن الغرب كافر وضد الإسلام مما أدى الى تخلف المجتمع العربي وانتشار الجهل حيث ترسخت التقاليد المظهرية والعادات الشكلية - وهذا ما جعل الاستعمار والحركة الصهيونية لاتجد الشعب الفلسطيني في مستوى حضاري يتفهم حقيقة الهجمة الصهيونية ولم تكن لديه الوسائل الكافية لمقاومتها.

٥- عدم الانصياع الى رغبة الشعب الفلسطيني وزعامته في وضع ثقل المعركة مع اليهود على كاهله والاهتمام بمده بالمال والسلاح والخبرة ولو توافرت له تلك الإمكانيات كما توافرت لدى اليهود لاستطاع الصمود والدفاع عن مدنه وقراه وأرضه.

٦- لم تقدم دول البترول أي دعم للشعب الفلسطيني أثناء كفاحه، وسلاح البترول كان يمكن أن يكون مؤثرا وفعالا في معركة فلسطين.

٧- إن فلسطين ضاعت على أرض فلسسطين وليس بسبب القرارات التى أصدرتها المحافل الدولية وإن كان هناك أمل ولو على المدى الطويل في استعادة فلسطين عربية فلن يتم ذلك إلا على أرض فلسطين.

وأخيرا تبقى بعض الأسئلة الحائرة والتى لم تجد الجواب المقنع أو لم يجر بخصوصها أى تحقيق أو بحث.

١- كانت الخطة الأصلية التى وافقت عليها جامعة الدول العربية في مؤتمر عالية أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٤٧ أن يوكل الركن الأساسي في الدفاع عن فلسطين إلى أهل فلسطين وقد أثبتوا استبسالهم في الدفاع والزود عن بلادهم بقدر ما بأيديهم من أسلحة وعتاد وفجأة تبدلت الخطة وتم إقصاء الفلسطينيين.

٢- لماذا سلمت قيادة الجيوش العربية الى الجنرال الانجليزي جلوب الذى بدل الخطط المقررة للقوات العربية والتى وضعت تفاصيلها في مدينة الزرقا بالأردن في أوائل شهر مايو (أيار) سنة ١٩٤٨. حيث غير جلوب الخطة ودفع بالجيوش العربية الى مناطق غير مقررة بالخطة الأصلية وهذا ما حدث مع الجيشين العراقي والسوري فكيف تم ذلك.

٣- لماذا أخليت الرملة واللد وسحب منهما الجيش الأردني بأمر جلوب فجأة وبدون مبرر مما أدى الى الكارثة التى أدت الى تشريد نحو مائة وخمسين ألفاً من عرب فلسطين وسقوط اللد والرملة بأيدى اليهود وفتح الطرق أمام الى مدينة القدس.

٤- لماذا امتنعت القوات العربية عن نجدة الجيش المصري في معارك النقب وفشلت خطة إنقاذ حامية الفالوجا وفك الحصار عنها ولماذا منع جلوب القوات العراقية والسورية من المرور من الأراضي الأردنية للوصول الى مناطق الجيش المصري.

٥- لماذا أمر جلوب الفلسطينيين بإخلاء منطقة باب الواء وأمر بإعادة فتحه أمام القوافل اليهودية للوصول الى القدس.

٦- لماذا تلكأ الجيش الأردني بأمر جلوب من الدخول الى القدس ومنع العرب من احتلال أكثر المناطق الشرقية حتى يتسنى لليهود احتلال القدس بكامل حدودها وخصوصا القدس القديمة؟.

٧- لماذا عقدت الهدنة الأولى في الوقت الذى كانت فيه الجيوش العربية مسيطرة كل السيطرة على القوات اليهودية؟.

٨- لماذا وافقت الدول العربية على تسليم مناطق واسعة من المثلث العربي - وأراضي القدس وبيت لحم والبحر الميت. وكل ذلك بعد اتفاقية رودس وبدون حرب؟.

٩- لماذا تركت المدن الفلسطينية الهامة تسقط بأيدى اليهود مثل يافا - حيفا - عكا - صفد - طبريا - الناصرة - القدس الجديدة.

بعد كل انتصار أو هزيمة يقوم الخبراء والنقاد ببحث الأسباب والمبررات ليجد الباحث والمؤرخ الحقائق التى يستطيع تقديمها أثناء كتابة التاريخ وتدوينه للأجيال. وهذا لم يحدث بالنسبة للقضية الفلسطينية حتى الآن.

الميثاق القومي الفلسطيني

انعقد في مدينة القدس في ٢٨ مايو (أيار) سنة ١٩٦٤ المؤتمر العربي الفلسطيني الأول وأصدر الميثاق القومي الفلسطيني وصدق عليه المجلس الوطني الفلسطيني في ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩٦٤ وأعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية – وجاء في أهم مواد الميثاق أن فلسطين جزء من الوطن العربي وحدودها كما كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني وهي وحدة لاتتجزأ وللشعب الفلسطيني الحق الشرعي في وطنه يقرر مصيره بعد إتمام تحريره، والفلسطينيون هم المواطنون الذين كانوا يقيمون في فلسطين سنة ١٩٤٧ سواء من خرج منهم أو بقي في الداخل وكل من ولد بعد هذا التاريخ داخل أو خارج الأرض الفلسطينية لأب فلسطيني هو فلسطيني واليهود الذين هم من أصل فلسطيني يعتبرون مواطنين فلسطينيين وواجب الشعب الفلسطيني الأول هو تحرير الوطن ولن تشغله المذاهب العقائدية عن هذا الواجب وشعار الفلسطينيين

الوحدة الوطنية – التعبئة القومية – التحرير

إن مصير ومستقبل الأمة العربية رهن بمصير القضية الفلسطينية وتحرير فلسطين واجب قومي تقع مسئولياته كاملة على الأمة العربية بأسرها وتحرير مقدسات فلسطين يكفل العبادة والزيارة للجميع من غير تفريق على أساس العنصر أو اللون أو اللغة أو الدين. وتحرير فلسطين عمل دفاعى تقتضيه ضرورات الدفاع عن النفس كما قضى ميثاق الأمم المتحدة وتقسيم فلسطين وقيام إسرائيل باطل من أساسه وكذلك وعد بلفور والانتداب البريطاني.

وتحدث الميثاق عن الصهيونية كحركة استعمارية عدوانية ووجود إسرائيل مصدر قلق دائم في المنطقة. ويقرر الميثاق قيام منظمة التحرير الفلسطينية على أن تقوم بدورها الكامل في تحرير فلسطين ولاتتدخل في الشئون الداخلية لأية دولة عربية. ولا يعدل الميثاق إلا بموافقة ثلثى أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني.

من أهم الشروط التى فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وأنها الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني

تعديل الميثاق القومي الفلسطيني وإلغاء عدة مواد منه الخاصة بإسرائيل وأهمها:

المادة ١٧ : إن تقسيم فلسطين الذى جرى سنة ١٩٤٧ وقيام إسرائيل باطل من أساسه مهما طال الزمن لمغايرته لإرادة الشعب الفلسطيني وحقه الطبيعى في وطنه ومناقضته للمبادئ العامة التى نص عليها ميثاق الأمم المتحدة وفي مقدمتها حق تقرير المصير

المادة ١٨ : يعتبر باطلا كل من وعد بلفور وصك الانتداب وما ترتب عليهما وأن الروابط التاريخية أو الروحية بين اليهود وفلسطين لاتتفق مع حقائق التاريخ وأن اليهودية بوصفها دينا سماويا ليست قومية ذات وجود مستقل وكذلك فإن اليهود ليسوا شعبا واحدا له شخصية مستقلة وإنما هم مواطنون في الدول التى ينتمون إليها.

المادة ١٩ : الصهيونية حركة استعمارية - منذ نشأتها - عدوانية وتوسعية في أهدافها تعصبية في تكوينها وفاشستية في مراميها ووسائلها، وإن إسرائيل بوصفها طليعة هذه الحركة وركيزة للاستعمار مصدر دائم للقلق والاضطراب في الشرق الأوسط خاصة وللأسرة الدولية بصفة عامة - ومن أجل ذلك فإن أهل فلسطين جديرون بمعاونة الأسرة الدولية وتأييدها.

وافقت منظمة التحرير الفلسطينية على إلغاء تلك المواد وتعديل الميثاق تبعا لذلك وتقديم هذه التنازلات كان الخطأ الأول الفادح وتبعه المزيد من تقديم التنازلات.

والآن وفي أوائل ١٩٩٨ تطالب إسرائيل مقابل إعادة التفاوض مع الفلسطينيين وبتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية **إلغاء الميثاق الوطني الفلسطيني بكامله.**

لماذا تصر إسرائيل على إلغاء
الميثاق الوطني الفلسطيني

لم يشد انتباه الكثيرين التنازل المهم الذى قدمه عرفات على شكل وثيقة تسلمها الرئيس كلينتون – تحدد للمرة الأولى البنود التى ألغاها المجلس الوطني الفلسطيني من الميثاق الصادر عام ١٩٦٨ وتتضمن حذف ١٢ بندا كاملا من بنود الميثاق الـ ٣٢ وحذف فقرات من ١٦ بندا آخر. ولم تمض فترة طويلة على هذه الخطوة التى قدمها عرفات عن طريق أمريكا حتى بادر نتنياهو مطالبا بإلغاء الميثاق الفلسطيني برمته.

نعم هذا ما حدث للواقع المرير الذى تسير فيه المفاوضات بين الفلسطينيين وإسرائيل والتى لم تتوقف عن تقديم التنازلات من قبل المفاوض الفلسطيني على أمل أن توافق إسرائيل على تنفيذ اتفاقيتي أوسلو ١ وأوسلو ٢.

الواقع أن إسرائيل لاتسعى الى تغيير الميثاق أو تعديله جذريا من أجل إجراءات تجميله أو لمجاراة الواقع المعاش كى يعكس محاولة التعايش السلمي بين الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني، بل:

١- من أجل إلغاء حق العودة للفلسطينيين.
٢- من أجل إلغاء حق تقرير المصير.
٣- من أجل إلغاء فكرة الدولة الفلسطينية.

وبذلك يمكن إفراغ مفاوضات الحل النهائى من مضمونها وإنهائها قبل أن تبدأ.

إن إسرائيل تحاول دفع السلطة الفلسطينية إلى إلغاء الميثاق حتى لا تكون السلطة ملزمة أمام الشعب الفلسطيني بتنفيذ ما ورد فيه وخاصة حق العودة للاجئين وإنشاء دولة مستقلة على أرض فلسطين.

إن الميثاق الذى تطالب إسرائيل بتعديله أو إلغائه. يعكس صورة للميثاق الإسرائيلي الذى صدر عند إنشاء دولة إسرائيل وهو الذى يدعو الى تدمير فلسطين كوطن للشعب الفلسطيني – ويكفي الإشارة الى المادة الثالثة من الميثاق الإسرائيلي التى تقول «إن إسرائيل هي الوطن القومي للشعب اليهودي ومستقبل كل يهودي يرغب في الاستقرار على أراضيها» ومعنى هذا البند أن فلسطين في عرف الميثاق الإسرائيلي غير موجودة من الأصل.

وهذا الطرح الإسرائيلي الذى يقوده نتنياهو ينسجم مع الفكر الصهيوني الذى يسعى دائما للحصول على صك الغفران من الضحية. فالجريمة التى ارتكبها اليهود في حق الشعب الفلسطيني تبقى مترسبة في قاع الذاكرة الإسرائيلية الى أن تعلن الضحية صفحها عن الجرم بأن تنفي وقوع الجريمة من أساسها وهو ما تحاول إسرائيل انتزاعه حاليا بدعوة الفلسطينيين الى الكف عن التفكير في التعرض للدولة الإسرائيلية أو تدميرها في المستقبل.

كيف يمكن للفلسطينيين أن يفلتوا من هذا الفخ الإسرائيلي وأن يوقفوا نزيف التنازلات المستمر. الطريق الأقل خطرا هو تجنب التفاوض على أي اتفاق مع إسرائيل وخصوصا مرحلة الحل النهائي. صحيح أن إسرائيل مستمرة في تنفيذ مخططاتها بالاستيلاء على الأرض وزرع المستوطنات وتهويد مدينة القدس وهذا يتم سواء استمرت المفاوضات أو توقفت سواء وافقنا أو لم نوافق - ومادام الرفض الفلسطيني لايغير مايجري فعلا على أرض الواقع فأي ندم يتبع توقف المفاوضات والانزلاق باستمرار في تقديم التنازلات.

إن نصيحة شامير لخلفائه في الحكومات الإسرائيلية هي التفاوض والتفاوض ثم التفاوض ولو لمدة ١٠ سنوات دون أي استعداد للوصول الى اتفاق عادل وحقيقي.

إن أي مسئول يدخل المفاوضات مع الجانب الفلسطيني بروح المنتصر الذى يبغي فرض شروطه على أعدائه الضعفاء وهو يدرك أن الفلسطينيين والعرب من ورائهم في ظروفهم الراهنة غير قادرين على رد التحدي اليهودي وأمريكا من خلفه غير راغبة في إيقاف هذا التشدد اليهودي بل تؤيده بالضغط على الفلسطينيين لتقديم تنازلات جديدة. أليس وقف التفاوض أفضل في الوقت الحالي؟ لأنه على الأقل يجنبنا تقديم المزيد من التنازلات.

موقف العالم الإسلامي والعربي
وخطورة الأوضاع الفلسطينية

إن الخطأ الكبير لدى العرب والمسلمين أنها تجزأت ولم تتوحد في مواجهة إسرائيل ولم تقرأ التاريخ جيدا لتتذكر مواقف اليهود من الإسلام والمسلمين منذ أول الدعوة المحمدية.

مواقف الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة مهما اختلفت سواء ما تسمى بالصقور أو الحمائم تجدهم جميعا يقفون موقفا واحدا تجاه قضيتهم الأولى وهي قضية إسرائيل ولاترى موقفا مؤيدا أو معارضا إنما الكل في أهداف إسرائيل (دولة إسرائيل الكبرى) سواء والأصوات التى تعلو من حين الى آخر معلنة معارضتها لاتجاه أية حكومة إسرائيلية تخبو وتخفت عندما يتعلق الأمر بقضايا إسرائيل الأساسية مثل بناء المستوطنات أو السماح للفلسطينيين بإقامة دولتهم والسماح لهم بحق تقرير المصير.

بالغ العرب في طلب السلام والتقرب من الكيان الصهيوني في فلسطين واتخذوا عدة خطوات لتحقيق هذا التقارب وفي نفس الوقت بالغت حكومة إسرائيل بالرفض والعناد معتمدة اعتمادا كليا على موقف العرب الضعيف وعدم استعدادهم للمواجهة ولتفرض شروط المنتصر على المهزوم. إن أهم مصادر القوة التى تفوقت بها إسرائيل على العرب وانتصرت عليهم فرقة العرب وتخلفهم وعدم لحاقهم بركب الحضارة والديموقراطية واعتمادهم على الدول الغربية في حل مشاكلهم مع إسرائيل وتلك الدول لا تقل عداوة للإسلام والعرب عن إسرائيل.

لو تتبعنا الموقف الإسرائيلي منذ بزوغ الدعوة الإسلامية لرأيناه يتسم بالعداوة ونقض العهود والمواثيق ولم يتوقف عداؤهم للإسلام حتى التاريخ الحاضر - (فكيف نأمن لهم) ونعقد معهم المعاهدات وموقفهم واضح وخططهم مرسومة ومعدة خطوة خطوة منذ ظهرت الصهيونية العالمية السياسية وأخذت تخطط للاستيلاء على فلسطين وطرد سكانها العرب وتعد للسيطرة الاقتصادية على منطقة الشرق الأوسط بأكمله. فهل بقي لدينا شك في أهداف إسرائيل الحالية والمستقبلية؟ ونحن نكتفي بترديد الصيحات الجوفاء ومحاولات فاشلة للوقوف في وجه هذه الهجمة الشرسة.

وما يثير القلق هرولة المسئولين من العرب والفلسطينيين الى كعبتهم في واشنطن

على أمل الحصول على بعض الفتات من الأسياد هناك وتقديم التنازلات تلو التنازلات حتى أصبح المفاوض الفلسطيني لايملك من الأوراق الباقية ما يمكنه التنازل عنها.

إن التنازل الهام الذى قدمه عرفات الى إسرائيل ولم ينتبه إليه أحد جاء بعد لقاء واشنطن الأخير في شهر يناير (كانون ثاني) ١٩٩٨، هذا التنازل جاء في صورة وثيقة تسلمها الرئيس الأمريكي كلينتون تحدد البنود التى ألغاها المجلس الوطني الفلسطيني من الميثاق الوطني الصادر في سنة ١٩٦٨ وتضمنت حذف ١٢ بنداً بالكامل من بنود الميثاق الـ ٣٣ وحذفت فقرات من ١٦ بنداً آخرين والتنازل الآخر الثاني الذى قدمه عرفات للرئيس الأمريكى الوثيقة التى تعهد بها عرفات بالتعاون الكامل بين الشرطة الفلسطينية والسلطة الفلسطينية مع الشرطة الإسرائيلية للمحافظة على الأمن – والمقصود هنا أمن إسرائيل. ولم تمض ساعات على تقديم هذه التنازلات الموثقة حتى بادر رئيس وزراء إسرائيل نتنياهو مطالبا بإلغاء الميثاق الفلسطيني برمته بل وتمزيقه وإلقاؤه في سلة المهملات.

ونرى في هذا الموقف الفلسطيني تقديم تنازلات بالغة الأهمية تتعلق بمسار القضية وإلزام الشعب الفلسطيني بحقائق موثقة لصالح إسرائيل.

إن إسرائيل بطلبها إلغاء الميثاق الفلسطيني كله بجميع مواده وأهمها حق العودة للفلسطينيين وإلغاء حق تقرير المصير وإلغاء فكرة الدولة الفلسطينية وبذلك يمكن إفراغ مفاوضات الحل النهائى من مضمونها وإنهائها قبل أن تبدأ.

إن الجريمة الصهيونية التاريخية التى ارتكبها اليهود بحق الشعب الفلسطيني تبقى دائما مترسبة في قاع الذاكرة الإسرائيلية ولذلك فهي تدفع الفلسطينيين للتخلي عن مطالبهم وحقوقهم والحصول على صك مكتوب بذلك وهو ما تحاوله إسرائيل الآن مع عرفات وبضغوط مستمرة من الولايات المتحدة الأمريكية.

من الذى يدعو الى تدمير الآخر وأيهما أحق بالإلغاء الميثاق الوطني الفلسطيني أم الميثاق الإسرائيلي؟

مدن فلسطينية عربية احتلتها إسرائيل
وحولتها الى مدن يهودية

منذ أن احتلت إسرائيل العديد من المدن الفلسطينية بعد حرب ١٩٤٨ واصبحت جزءاً من الكيان الصهيوني بدأت في طمس الهويات العربية لتلك المدن وفي تصعيد اجراءات تحويل ماتبقى منها الى مدن يهودية.

وعلى قدر ما يتوافر من معلومات عن تلك المدن نحاول ان نلقى بعض الضوء على كل مدينة - موقعها، تاريخها، كيف سقطت بأيدى اليهود وكيف يعيش ما تبقى من السكان العرب في تلك المدينة.

وإذا مررت الآن بأية مدينة عربية محتلة يلفت نظرك أن ما يسمى بالحى العربي فيها مازال على صورته القديمة منذ سنة ١٩٤٨ - الشوارع الضيقة والمباني المتداعية القديمة والمحلات التجارية المهملة والقذارة والبؤس والشباب العاطل عن العمل وتخلف التعليم لقلة المدارس يقابلها الأحياء اليهودية الجديدة أو التى اقيمت على اطلال منازل عربية كانت مأهولة بالحياة والسكان وتم إزالتها.

يهدف المخطط الصهيوني الى زيادة استيطان العائلات اليهودية في تلك المدن واستعمال شتى الطرق للضغط على المواطنين الفلسطينيين الى إخلاء منازلهم والنزوح تدريجياً الى مناطق أخرى.

بهذه المعلومات التى تتوافر عن تلك المدن نسجلها لكى يتعرف الأبناء والأحفاد الذين يعيشون في المنفى ويمكن تسميتهم بأبناء الاغتراب والشتات على أحوال المدن التى اغتصبتها إسرائيل وحولتها الى مدن يهودية حتى أسماء الشوارع والأحياء العربية تم استبدالها بأسماء يهودية. وتلك المدن هى سمخ - طبريا - صفد - عكا - حيفا - الناصرة - بيسان - يافا - اللد - الرملة - المجدل - بئر السبع.

مدينة سمخ

تقع مدينة سمخ على بعد عشرة كيلومترات عن مدينة طبريا وهى المدينة الثانية التى تقع على شاطئ البحيرة وموقع سمخ قرب الحدود السورية والأردنية ومرور الخط الحديدى بين حيفا ودمشق منها جعلها موقعاً استراتيجيا هاماً ومنذ الاحتلال التركى لفلسطين وأثناء الانتداب البريطانى نشط خط السكة الحديدية بين حيفا - العقوله - بيسان - سمخ - درعا - دمشق وكان يعتبر جزءاً مكملاً لخط حديد الحجاز.

وإبان الحكم التركى كانت القوارب والمراكب تقوم بنقل الركاب والبضائع التى تصل الى سمخ بالقطاع الى طبريا ومنها الى صفد.

وعند اندلاع حرب ١٩٤٨ احتلت سريتان من الجيش السورى مدينة سمخ وأدى ذلك الى نزوح العائلات اليهودية عن عدة مستعمرات في وادى الأردن. ولكن تدخل جلوب باشا بصفته القائد الأعلى للقوات العربية في ذلك الحين اضطر الجيش السورى الى تعديل الخطة الأصلية المعدة لشمال فلسطين مما أدى في النهاية الى اضطراب موقفه واضطر للإنسحاب من منطقة سمخ ووقوعها بأيدى اليهود.

وتقع قرب سمخ حمامات الحمة التى اشتهرت بمياهها المعدنية والتى كان يؤمها سكان فلسطين وسوريا والأردن للاستشفاء.

طبريـا

البحيرة والمدينة

تمهيد:

في أعقاب الحرب العالمية الأولى استولت فرنسا على سوريا ولبنان واستولت انجلترا على فلسطين والأردن والعراق. وفي اتفاق عقد بينهما سنة ١٩٢٠ تم تعيين الحدود الشمالية الشرقية لفلسطين وتم تعديله بعد سنتى ١٩٢٢-١٩٢٣ ليضم الى فلسطين مصادر المياه في تلك المنطقة بدلاً من أن تسير الحدود مع نهر الأردن ماراً بوسط بحيرة طبريا وهكذا دفعت الحدود الى الشرق لتشمل:

أ - جميع بحيرة طبريا وعدة امتار الى الشمال منها.

ب - اضيفت منطقة الحمه على نهر اليرموك الى فلسطين طمعا في مياهه وهذا

دليل على تهيئة البلاد لتقوم عليها دولة اسرائيل فيما بعد لتضم المصادر المائية الشمالية بكاملها وهو ما حصل عند تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧.

بحيرة طبريا: شكل البحيرة بيضاوى يشبه حبة الكمثرى ومساحتها ١٦٥ ألف كيلومتراً مربعاً يقع سطحها على مستوى ٢١٢ متراً تحت سطح البحر أما قاعها فيقع على مستوى ٢٥٢ متراً تحت سطح البحر أى أن عمق المياه يصل في اقصاه الى أربعين متراً. ويبلغ طول البحيرة ٢١ كيلومتراً وأقصى اتساع لها ١٢ كيلومتراً. وبحيرة طبريا أكبر خزان للمياه العذبة في فلسطين وتقدر قيمة المياه التى تخزنها حوالى ٤٢٤٠ مليون متراً مكعباً تتغذى البحيرة عن طريق نهر الأردن القادم من سهول الحوله ومياه الينابيع والسيول وكذلك المياه المتفجرة من قاع البحيرة بالاضافة الى مياه الأمطار الهاطلة على سطحها وتقدر قيمة المياه الواردة للبحيرة سنويا ٧٦٠ مليون متراً مكعباً أغلبها يأتي من نهر الأردن.

والبحيرة غنية بأنواع مختلفة من الأسماك وأشهرها البلطى ومياهها صالحة للاستعمال السكانى وللزراعة وللرى والمنطقة المحيطة بالبحيرة خصبة وصالحة للزراعة وكانت ولاتزال مأهولة بالسكان منذ العصور.

وبعد سقوط المنطقة بأكملها في أيدى اليهود سنة ١٩٤٨ قامت إسرائيل بجر مياه البحيرة بواسطة الأنابيب الى النقب وقد أثر ذلك كثيرا على تغذية نهر الأردن عند خروجه من البحيرة ولولا ما يصله من نهر اليرموك لجف مجرى نهر الأردن وهو ما تستفيد منه مساحات واسعة من أراضي الأردن.

مدينة طبريا:

تقع مدينة طبريا على الشاطئ الغربي من البحيرة التى تعرف باسمها والتى تعرف أيضا باسم بحر الجليل وتقوم المدينة على سهل منبسط يمتد الى المرتفعات في الجهتين الشمالية والغربية وتمتاز هذه المنطقة بالدفء في الشتاء وبجفاف الهواء طيلة السنة وصيفها حار ولكنه مقبول وتمتاز المدينة بأنها مشتى ومنطقة سياحية يؤمها الكثيرون للتمتع بطقسها وحماماتها المعدنية وزيارة الأماكن الأثرية وهى المنطقة الرئيسية من الغور الشمالى وأراضيها خصبة إمتازت بزراعة الفواكه والخضار والحبوب كما امتازت بحيرتها بوفرة السمك. وتقوم المدينة على أنقاض المدينة الرومانية القديمة التى شيدت في عهد الإمبراطور طيباريوس وسميت طباريا تخليداً لذكراه وذلك سنة ١٤

ميلادية. وبنى بها هيرودس قلعة وقصوراً لاتزال أنقاض بعضها قائماً حتى الآن. وتحفل المدينة وضواحيها بالكثير من الآثار المسيحية المقدسة ففيها كنيسة قديمة للروم الأرثوذكس ترجع الى عهد الصليبيين ودير للروس يعرف بالمسكوبية ودير للاتين. وفي الجزء الغربى من مدينة طبريا موقع الطابغة التى اشتهرت بمياهها العذبة وينابيعها المتدفقة ومن هذا الموقع بدأ السيد المسيح عليه السلام معجزة المشى على ماء البحيرة ومن أبنائها قادة المسيحيين الأول وفي مقدمتهم القديسان بطرس وبولس وتؤم هذه المنطقة أعداد كبيرة من السياح الأجانب سنويا لقدسية موقعها.

واحتل العرب مدينة طبريا عقب انتصارهم في معركة اليرموك سنة ٦٣٤م ودخلها القائد العربى شرحبيل ابن حسنه بدون قتال واهتم المسلمون بمدينة طبريا باعتبارها عاصمة جند الأردن نظراً لموقعها الهام بين الطريق الموصل للشام ولمصر وبين الشام وميناء عكا. ومنذ الفتح الإسلامى نشأت عدة مراكز علمية في القدس وعسقلان وطبريا واهتمت تلك المراكز بتدريس علوم الدين وتخريج الكتاب للعمل في دواوين الحكم وكانت طبريا تأتى بعد بيت المقدس من حيث عدد العلماء وقد خصها الخليفة عثمان بن عفان بنسخة من المصحف الشريف التى بعث بها الى الأمصار الإسلامية لتحل محل جميع المصاحف التى كانت متداولة وأمر بإحراقها. وقد بنى الفاتحون العرب المسجد القائم على شاطئ البحيرة والمعروف بالمسجد العمرى وهو الأثر الوحيد الذى لايزال بحالة جيدة بعد ترميمه مراراً وقد عثر على بلاطة في وسط المدينة مكتوب عليها هذا ضريح الصحابى أبى هريره رضى الله عنه ومن آثار الأمويين بقايا قصر اكتشف في الجنوب الغربى من قرية الطابغة وعندما حدث الفيضان سنة ١٩٤٣ كشف عن آثار عربية وقطع عديدة من النقود العربية الذهبية والمعدنية.

وأثناء القرن الثالث الهجرى وأوائل القرن الرابع ازدهر النشاط العلمى في فلسطين وكانت المساجد في طبريا مركز التعليم الرئيسى خصوصا تعليم الصبيان الخط والقراءة الى جانب قصص الأنبياء والحساب وعلوم الدين وتحفيظ القرآن.

وفي العصر العباسى تركزت الحياة العلمية في فلسطين بمناطق القدس والرملة وطبريا وامتازت طبريا بتعليم القراءة والكتابة.

واحتل الصليبيون مدينة طبريا ورمموا أسوارها وبنوا سوراً جديداً ولاتزال بعض أجزاء هذه الأسوار قائمة للآن. وخلال الحروب الصليبية تم تبادل المدينة وانتقالها بين

العرب والصليبيين عدة مرات حتى حررها صلاح الدين الأيوبى وبنى فيها قلعة حصينة خربها التتار الى أن أعاد ترميمها الضاهر عمر سنة ١٧٣٣٠ واستخدمت القلعة بعد ذلك مكاتباً للدوائر الحكومية وعرفت باسم السرايا.

وكانت مدينة طبريا حتى بداية القرن التاسع عشر محاطة بسور ضخم من ثلاث جهات حول البر وأنهار هذا السور وأبراجه المتعددة أثر زلزال سنة ١٨٣٨.

وفي العهد العثمانى كانت مدينة طبريا تابعة لوالى عكا وفي سنة ١٩٤٥ اصبح قضاء طبريا يضم ٢٦ قرية وبعض البدو وبلغ عدد سكانه ٤٠ ألف نسمة منهم ٢٦ ألف عربى و١٦ ألف يهودى، وكان عدد سكان طبريا قبل صدور قرار التقسيم سنة ١٩٤٧-١١٣٠٠ نسخة نصفهم تقريبا ٥٣٠٠ عرباً والنصف الآخر ٦٠٠٠ يهوداً وبعد سقوطها سنة ١٩٤٨ لم يبق فيها أحد بين السكان العرب ورحل جميعهم ومعظم الذين رحلوا توجهوا الى مدينة الناصرة وبسقوط طبريا سقطت مدينة سمخ حيث لم يتمكن الجيش السورى من الاحتفاظ بها.

كيف سقطت مدينة طبريا بايدى اليهود:

كان ذلك يوم ١٩ أبريل سنة ١٩٤٨ حيث لم يكن في طبريا عند صدور قرار التقسيم أى نوع من أنواع السلاح بيد العرب وقام السكان واللجنة العسكرية في دمشق بارسال بعض البنادق وكان عدد المدافعين من المدينة في ذلك الحين ٥٠ مناضلاً ثم زاد عددهم الى ١٠٠ ولكن رغم ذلك تأزم الموقف واستنجدت مدينة طبريا بالناصرة ووصلها بعض النجدات وقليل من الذخيرة ورغم ما أبداه المدافعون من شجاعة واستماتة لم يستطيعوا مجاراة القوات اليهودية التى زادت عن ألف محارب ومزودة بالرشاشات ومدافع الهاون - وكانت المعارك تجرى على مرأى من الجنود والبوليس البريطانى الذى وقف متفرجاً ولم يحرك ساكناً بل منع وصل النجدات الى المدينة وسهل وصول النجدات اليهودية ثم جاءت الأوامر بالنزوح عن المدينة وهكذا استطاع اليهود احتلال مدينة طبريا.

اشتهرت طبريا بمجموعة الينابيع المعدنية التى تبعد بمسافة ٢ كيلومتراً جنوب المدينة وقد أنشئت عدة حمامات للاستشفاء بهذه المياه وفي أقصى الطرف الشرعى من بحيرة طبريا تقع مدينة سمخ التى اشتهرت بمرور خط السكة الحديد حيفا - العفولة - سمخ - درعا - دمشق.

وعلى مسافة من بحيرة طبريا تقع ينابيع الحمة بخاصية مياهها الاستشفائية العلاجية وخاصة المياه الكبريتية الثلاثة: المقلى – البلسم – الريح.

وهي ذات درجات حرارة متفاوتة بين ٤٧°-٣٨° وهذه الينابيع تشكل مصدراً هاما للمياه التي تصب بنهر اليرموك وكان يؤم الحمة أعداد كبيرة من سكان فلسطين والأردن وسوريا بقصد الاستشفاء بمياهها الكبريتية.

والى جنوب مدينة طبريا تقع قرية حطين التى استشهدت بالتاريخ بمعركة حطين بين المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبى والصليبيين وكانت معركة فاصلة انتهت بهزيمة الصليبيين وبتحرير القدس وعودتها نهائيا الى الأيدي العربية.

وجدير بالذكر أن منطقة طبريا شهدت معركتين من معارك الإسلام الخالدة الأولى معركة اليرموك التى انتهت بهزيمة الدولة الرومانية الشرقية وبداية الموجة العربية الكبرى التى حملها الاسلام من الجزيرة العربية والتى شكلت حدثا حاسما في تاريخ البشرية وثبتت عروبة فلسطين وباقى الدول العربية وطبعتها منذ ذلك الحين بالطابع العربي.

والحدث الثاني كان معركة حطين التى أوقفت المد الصليبى وحررت مدينة القدس وكانت البداية الحقيقية لانحسار الحملات الصليبية تلك الملحمة التى دامت حوالى قرنين واشتركت فيها أوروبا بكل شعوبها وطاقاتها وتركت آثارها في نواحٍ عديدة من المشرق العربى وفلسطين.

وعاد الغرب أخيرا لاحتلال فلسطين وعقد العزم على إقامة دولة يهودية في قلب العالم العربى واستطاعت الصهيونية أن تحقق هدفها وسقطت فلسطين بأيدى اليهود لتصبح دولة اسرائيل.

فهل تستطيع الأمة العربية بكل طاقاتها وإمكانياتها الهائلة أن تتحد وتتصدى لهذه الحملة الصليبية الجديدة وتحرر القدس وفلسطين كما حررها أجدادنا. هذا متروك للتاريخ.

مدينة صفد

تقع مدينة صفد في الجليل على سفح جبل كنعان وتحتضنها سلسلة من الجبال أعلاها قمة جبل الجرمق وهو أعلى جبال فلسطين ويبلغ ارتفاعه ١١٩٨ متراً وتطل

صفد على بحيرة طبريا من ناحية الجنوب وعلى مصادر المياه في شمال فلسطين وهى تبعد عن أقصى نقطة في شمال فلسطين ٣٠ ك متراً وعن حيفا ٧٤ ك متراً وكان لها أهمية تجارية لوقوعها على طريق القوافل بين الشام ومصر منذ العهد الرومانى.

وتعتبر صفد عاصمة الجليل الأعلى وإحدى أجمل مصيفين جبليين في فلسطين والثانية رام الله وترتفع عن سطح البحر ٩٠٠ متراً وتتوافر في صفد ينابيع المياه العذبة وتحيط بها أشجار الصنوبر والزيتون وكروم العنب واللوز.

يضم قضاء صفد ستين قرية عربية و٢٥ مستعمرة يهودية أكثرها أنشيء في عهد الانتداب البريطاني. وقد حرص الصهاينة عند اجتياح مدينة صفد في ١٩٤٨/٥/١١ على تهويد المدينة واقتلعوا من بقى فيها من العرب وقذفوا بهم بعيداً في دروب التيه والضياع وأزالوا كل أثر حفره التاريخ العربى في المدينة ثم استداروا للقرى العربية فأزالوا معظمها ولم يبق إلا ست قرى قائمة وهى الجش – الريحانية – الصالحية – حرفيش – طوبى عكبره.

اسم صفد مشتق من كلمة صفاء: الكنعانية ومعناها الصخرة الصلدة وهنالك قول إنها اشتقت من كلمة الصفد: بمعنى الوثاق أو العطاء. لم يأتى اسم صفد في الفتوحات الإسلامية مثلها مثل مدينة حيفا ولما احتلها الصليبيون في القرن الحادى عشر أقاموا فيها قلعتها المشهورة وكانت مدينة صفد آخر المعاقل الصليبية التى استولى عليها المسلمون في القرن الثالث عشر.

وبعد تحرير بيت المقدس على يد السلطان صلاح الدين الأيوبى استطاع الصليبيون من تجميع قواتهم وتمكنوا من إعادة الاستيلاء على مدينة صفد وبقيت في حوزتهم حتى استطاع الظاهر بيبرس من تحريرها سنة ١٢٦٧ ميلادية.

ويدعى اليهود أنه يوجد في صفد قبور النبى يعقوب وأولاده.

وأثر فشل نابليون في فتح مدينة عكا سنة ١٧٩٩م ومحاولة إهل صفد تقديم بعض المساعدات للمدينة المحاصرة، قام نابليون باقتحام مدينة صفد وانتقم من أهلها انتقاما رهيبا.

وبين سنوات ١٨٣٢–١٨٤١ خضعت صفد للحكم المصرى بقيادة إبراهيم باشا ابن محمد على والى مصر الذى أساء معاملة السكان وفرض عليهم ضرائب باهظة وجند

أبناءهم بالقوة ولكنه اضطر في النهاية إلى الجلاء عن المدينة وعادت الى الحكم العثماني.

تعتبر صفد واحدة من المدن الأربع المقدسة لدى اليهود إضافة الى القدس والخليل وطبريا.

وعندما وقعت صفد تحت الانتداب البريطاني سنة ١٩١٨ كان عدد اليهود فيها ١٩٨٦ نسمة وقل هذا العدد كثيرا سنة ١٩٤٠ مقابل ١٢٩٠٠ عربي. وبعد استيلاء اليهود على صفد سنة ١٩٤٨ تحولت الى مدينة يهودية بالكامل ولم يعد يسكنها أي عربي.

سقوط صفد: شاركت صفد في جميع الانتفاضات الفلسطينية خلال الانتداب البريطاني ومن ابطالها المعروفين الشهيد فؤاد حجازى الذى أعدمه الانجليز سنة ١٩٣٠.

ومع مطلع سنة ١٩٤٨ أخذت صفد تستعد بإمكانياتها المحدودة للمعركة القادمة مع اليهود، وعندما انسحب الانجليز من المدينة ١٩٤٨/٤/١٦ كان عدد المجاهدين المدافعين عن المدينة حوالى ٦٠٠ مجاهد وبدأت المعركة مع اليهود المتفوقين عدداً وعدة ولم يحاول جيش الإنقاذ الذى كان يتولى مسئولية الدفاع عن قطاع الجليل مساعدة المدينة بينما تدفقت المساعدات اليهودية وفي ١٩٤٨/٥/٩، قام اليهود بهجومهم الأخير واستولوا على المدينة. وهكذا أخذ النزوح عن الجليل الذى بدأ بسقوط مدينة طبريا وتفريغها من السكان ينتقل بدوره الى مدينة صفد حيث تعمد اليهود طرد السكان جميعهم ثم اخذوا بالاستيلاء على القرى وهدمها وحرقها وبذلك استطاع اليهود إجلاء أكثر السكان العرب عن الجليل الأعلى بكامله.

حاضر صفد: حول اليهود صفد الى مدينة سياحية ومصيف مزدهر لكثير من السياح في الداخل والخارج وأقيمت فيها صناعات الغذاء كالحلويات والشيكولاته والقهوة وآلات الخياطة والدراجات وصقل الاس وأدوات البناء والملابس ولوازم الطباعة ومن اهم معالمها حاليا المتحف ومركز مراقبة الإشعاعات النووية ومدارس الفن والنت والرسم والتصوير.

مدينة عكـا

من اقدم المدن الفلسطينية

تقع مدينة عكا في شمال فلسطين وهى أقرب مدنها الى لبنان وتمثل مركزاً طبيعياً ممتازاً على خليج عكا التى تقع حيفا في طرفه الجنوبى ويبلغ طول الخليج ٢٥ ك متراً وهو على شكل هلال - وتشكل سهول عكا الجزء الشمالى من الشريط الساحلى ويمتد هذا السهل بطول ٤٢ ك.متراً وعرض يتراوح بين ٦ و١٢ ك.مترا وكان عدد سكان عكا في أوائل الاحتلال البريطاني لفلسطين حوالى ثمانية آلاف نسمة أكثرهم من المسلمين وزاد العدد سنة ١٩٤٥ الى ١٢ ألفاً وعند صدور قرار التقسيم سنة ١٩٤٧م كان عدد سكان عكا ١٨ ألفاً ازداد بعد سقوط حيفا بأيدى اليهود الى اكثر من ٤٠ ألفاً بسبب تدفق اللاجئين من مدينة حيفا.

وتقع عكا على مقربة من نهر النعامين الذى كان يعتبر مصدراً هاماً للمياه العذبة وقد جففت المستنقعات على ضفتيه وتحولت الى أحواض لتربية الأسماك ويعتبر نهر النعامين من مجموعة المشاريع الهامة التى اهتم بها الكيان الصهيونى وفي خليج عكا يصب أيضاً نهر المقطع وهو يأتى بعد نهر العوجا من حيث الاتساع وجرى تعميق مصبه ليصبح ميناء خاصاً لمراكب الصيد.

ويشتغل سكان عكا في التجارة والصناعة والملاحة البحرية وصيد الأسماك وكان من أبنائها اعداد كبيرة من المحامين والأطباء والصيادلة والمصلحين وعدد من الشباب المثقفين ثقافة عاليه.

تاريخ عكا:

تعتبر عكا من أقدم المدن الفلسطينية وقد بنتها بعض القبائل الكنعانية التى نزحت الى فلسطين من الجزيرة العربية وجعلها الكنعانيون قاعده هامة للتجارة وبقيت عكا مدينة عربية ١٠٠٪ حتى الاحتلال الصهيونى سنة ١٩٤٨.

وتوالى على احتلال عكا الحيثيون ثم المصريون بقيادة رمسيس الثانى سنة ١٢٧٧ق.م ولما دخل العبرانيون فلسطين وقعت عكا في قبضتهم ثم لم يلبث أهلها ان طردوهم منها. ودخلت عكا تحت حكم اليونان سنة ٣٣٠ق.م زمن الاسكندر الأكبر المقدونى ثم انتقلت تحت حكم السلوقين عام ١٧٠ق.م ثم احتل الرومان عكا

وفلسطين وازدات عكا شهرة أثناء حكم الرومان وأصبحت مركزاً لنسيج الحرير وصباغته ثم انتقلت عكا الى حكم الدولة البيزنطية.

واخيراً دخلت فلسطين في دولة الخلافة الإسلامية مع بقية بلاد الشام بعد معركة اليرموك سنة ٦٣٤م وبقيت في ظل الخلافة الإسلامية حتى سنة ١٩١٨ بغض النظر عن مركز الخلافة او أن يكون الخليفة أموياً أو عباسياً أو عثمانياً ولم ينقطع هذا الوضع إلا فترة الحروب الصليبية التى حررها صلاح الدين واستعاد القدس سنة ١١٨٧م ولم يبق للصليبيين إلا مملكة صغيرة في عكا وما جاورها من بعض مدن الساحل.

وكانت مدينة عكا زمن الخلافة الأموية مقراً للأسطول العربي ولبناء السفن الحربية والتجارية فازداد مركزها أهمية وقوة.

وقد تبادل المسلمون والصليبيون عكا عدة مرات وبعد ان استردها صلاح الدين سنة ١١٨٧م استعادها الأفرنج سنة ١١٩١م وقتلوا فيها ثلاث آلاف من أسرى المسلمين **وأخيراً فتحها الملك الأشرف بن السلطان قلاوون وكان ذلك إيذاناً بانتهاء الحروب الصليبية التي دامت حوالي قرنين من الزمن.**

وكانت عكا أثناء الحكم العثمانى تعتبر من المدن الفلسطينية الكبرى ورغم أن عكا كانت تتبع شكلاً الحكم العثمانى إلا أن الولاة العرب كانوا يحكمونها حكماً مستقلاً ومنهم الشيخ ضاهر العمر الذى رمم أسوارها وعزز حصونها واتخذ المدينة عاصمة له وطلب من السلطان العثمانى الاعتراف باستقلال ولاية عكا ورفض السلطان طلبه وأرسل جيشاً وأسطولاً بحريا تمكن من هزيمة ضاهر العمر الذى قتل في المعارك واستعاد الأتراك سيطرتهم على عكا سنة ١٧٧٥م وعينوا أحمد باشا الجزار والياً عليها ورغم قسوته التي اشتهر بها كان إدارياً حازما فعمّر المدينة وبنى قلعة عكا التى حولها الانجليز اثناء الانتداب الى سجن فلسطين الكبير وبنى جامع الجزار الشهير باتساعه وبمئذنته الشاهقة الارتفاع وبعد وفاة الجزار سنة ١٨٠٤م توالى على مدينة عكا عدة ولاة واحتلها إبراهيم باشا ابن محمد علي الكبير سنة ١٨٤٠م ولكنه اضطر للانسحاب منها بسبب ضغوط الدولة الأوربية التى سارعت لمساعدة الدولة العثمانية الضعيفة وألحقت بولاية بيروت حتى الاحتلال البريطانى لفلسطين سنة ١٩١٧.

من آثار عكا كما ذكرنا الى جانب القلعة وجامع الجزار عدد من المساجد التاريخية مسجد الزيتونه - مسجد الرمل - المسجد المعلق - مسجد سنان باشا.

الى جانب الزوايا والتكايا وفيها عدد من الكنائس والأديرة وفيها حمام الباشا وهو أية في الفن المعماري وقد جعل منه الصهيونيون متحفاً للآثار وفي عكا مكتبة إسلامية تحتوى على عدد من المخطوطات والكتب التاريخية الهامة.

ومن أروع الآثار التحصينية أسوار عكا التى صدت نابليون ولم يتمكن من اقتحامها وأدى ذلك الى فشل حملته لاحتلال فلسطين وكان أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر قد حصن عكا لأنها كانت المركز الرئيسى الى شمال البلاد ومرفأ لاسطوله.

وقد وسع الجزار الخندق حول عكا بحيث يمكن فتح سدود معينة لكى يتدفق الماء ويملأ الخنادق فتصبح المدينة أشبه بجزيرة يستحيل اختراقها وقد أعيد ترميم الأسوار بعد حملة نابليون سنة ١٨١٦م.

وفى عهد الانتداب البريطانى كانت عكا تضم مدرسة ثانوية كاملة وابتدائية ومدرستين للبنات ثانوية متوسطة وابتدائية.

وكان قضاء عكا أثناء الانتداب البريطاني يضم ٥٢ قرية بعضها كان يتمتع بمستوى جيد في عدد المدارس والطلاب والمتعلمين.

سقوط مدينة عكا بأيدى اليهود:

سقطت مدينة عكا بيد اليهود في ١٦مايو (آيار) سنة ١٩٤٨.

وعندما سقطت حيفا ٢١ أبريل (نيسان) بيد اليهود لجأ السكان الى عكا ومع ذلك فإن حامية عكا ما كانت لتزيد عن مائة مقاتل وسلاحهم لايتعدى البنادق الاعتيادية وعدد قليل جداً من الرشاشات بينما كان اليهود الذين يعيشون حول عكا في عدد من المستعمرات المنتشره في الشمال كانوا أكثر عدداً وعدة ومزودين بمدافع الهاون ورغم وصول فوج الرموك بقيادة أديب الششكلى الى المنطقة فان عكا لم تحظ بأكثر من ثلاثين مقاتلاً وأخذ الضغط اليهودى يزداد على مدينة عكا وخصوصاً بعد سقوط حيفا ورغم بسالة المدافعين وتحملهم الضنك والجوع والعطش الا انهم لم يستطيعوا الصمود حتى حل يوم ١٦ مايو (أيار) حيث سقطت المدينة بأيد اليهود وأقام اليهود على عكا حاكما ونصبوا على مدخل المدينة نعياً نقشوا عليه انه تخليد لذكرى ٧٥٠ من أبطالهم الذين قتلوا أمام اسوار عكا.

وبعد احتلال عكا اخذ اليهود يحتلون القرى العربية واحدة بعد الأخرى وكانوا يهدمون أكثر منازل القرى ومعظم القوات اليهودية كانت تتكون من الدروز الذين كانوا يسيئون معاملة سكان القرى وينهبون ويدمرون.

مدينة حيفــا

كلمة حيفا عربية «والحيفه» معناها الناحية ويرجح أنها أنشئت زمن الكنعانيين العرب وتمتاز بموقعها الطبيعي النادر. ومصادر الفتح الإسلامى لم تتحدث عن مدينة حيفا وأقرب ذكر لها كان عام ١١٠٠م حينما استولى عليها الصليبيون وقتلوا حاميتها وأبادوا النساء والأطفال عن آخرهم. وفي سنة ١١٨٨ أعادها السلطان صلاح الدين الأيوبى الى المسلمين ثم تنازل عنها الى الصليبيين بعد اتفاق الرملة الذى عقد بينه وبين ريتشارد قلب الأسد واصبحت حيفا من نصيب القطاع الصليبى.

وفي سنة ١٢٦٥م فتحها القائد بيبرس واستردها الصليبيون ثانية الى أن استرجعها نهائيا الملك الأشرف خليل بن قلاوون سنة ١٢٩١م ومنذ ذلك التاريخ بقيت حيفا مدينة عربية فلسطينية حتى سقطت بأيدى الإسرائيليين سنة ١٩٤٨م.

تقع حيفا في الطرف الجنوبى من خليج عكا ويحتضنها جبل الكرمل وأخذت تنمو وتزدهر إبان الحكم العثمانى وبدء التسلل الصهيونى يهتم بمدينة حيفا ويشجع على الاستيطان بها وأخذ عدد اليهود يزداد تدريجياً في المدينة إبان الانتداب البريطانى الذى أنشأ ميناء حيفا وافتتحت مصفاة البترول الوارد من السعودية وتدفق العمال عل مدينة حيفا وأصبحت مركزاً هاماً للعمالة الفلسطينية وأنشئت فيها أول جمعية منظمة للعمال الفلسطينيين.

ونشأت في حيفا صناعات الأسمنت والسجائر والنسيج والصابون بجانب تكرير البترول.

وفجأة يوم ١٩٤٨/٤/٢٣ انسحبت القوات البريطانية من حيفا بالاتفاق والتنسيق مع المنظمات اليهودية.

اختارت القيادة العسكرية الصهيونية أفضل مقاتليها من الهجانا والأرجون المسلحين تسليحاً حديثا والبالغ عددهم خمسة آلاف مقاتل للهجوم على حيفا.

حاولت القوات الصغيرة المدافعة عن المدينة بذل أقصى ما يستطيعون وبما

يملكون من سلاح قليل ولم يكن يزيد عددهم من أربعمائة مقاتل الدفاع والصمود ولكن عدم وصول أية مساعدة أو نجدة أدى الى سقوط المدينة واستشهد من مجاهدى حيفا أكثر من مائة وخمسين رجلاً وجرح عدد مئات من المناضلين والأهالى وقتل من اليهود ٣٦٣ نفراً.

كان تزاحم الأهالى المجردين من السلاح للفرار من المدينة يمثل قمة المشاهد المأساوية حيث هرعوا الى الزوارق المتاحة قاصدين مدينة عكا ولبنان وهكذا سقطت مدينة حيفا بأيدى اليهود الذين استباحوا المدينة وأحرقوا ودمروا وألقوا الجثث في الشوارع وسرقوا المخازن والمحلات التجارية حتى المقابر نزعوا شواهد الرخام عنها وحولوا المساجد الى مخازن للذخيرة.

كان قضاء حيفا في نهاية الانتداب البريطانى على فلسطين يضم ٥٢ قرية عربية وما يقرب من ٦٠ مستعمرة يهودية منها سبع فقط أسست في العهد العثمانى وقد دمر اليهود معظم القرى العربية باستثناء أعداد قليلة منها شفا عمرو – أجزم – عارة – عرعرة – عبلين – أبطن وكان عدد السكان اليهود في حيفا إبان الحكم العثمانى لايزيد عن ٣٫٥٪ ثم أضحوا في أواخر حكم الانتداب البريطانى ٤٦٫٥٪ – وكان عدد سكان حيفا في نهاية سنة ١٩٤٨ – ١٢٠٧٠٠ نسمة منهم ١١٥ ألف يهودى ١٩٤٩ وبلغ عدد السكان سنة ١٩٨١–١٩٨٢ ٢٢٦ الفا نظراً لتدفق المهاجرين اليهود على المدينة.

وتعتبر حيفا حاليا من أهم المناطق الصناعية في إسرائيل وخصوصا الصناعات المعدنية الثقيلة والصناعات الكيماوية والبتروكيماويات وصناعة الأغذية والزجاج والزيوت والأسمنت والسجاد بالإضافة الى الصناعات العسكرية والمصانع التكنولوجية المتطورة ومصانع الطائرات والسيارات.

وفي حيفا أحواض لبناء وتصليح السفن وإنشاء السفن الحربية ويعتبر ميناء حيفا مركزاً هاماً للأسطول الحربي الإسرائيلي.

وفي حيفا معهد الهندسة التطبيقية (التخنيون) وهو من أشهر المعاهد في إسرائيل ويشمل ٢٥ كلية اهمها كلية الهندسة النووية – الهندسة الطبية – مراكز البحث العلمى – مركز علم الميكروبات والجراثيم.

وتأسست في حيفا سنة ١٩٦٥ جامعة حيفا وتضم عدداً من الطلاب العرب يبلغ عدد السكان العرب في حيفا حسب إحصاء ١٩٨٥ نحو ١٧٢٠٠ نسمة يعانون كما

هو الحال في باقى المدن الفلسطينية المحتلة من الإهمال وعدم السماح بترميم أو بناء منازل جديدة وأكثر من ٤٤٪ من المساكن العربية غير صالح للسكن و١٠٪ حالتها خطيرة وآيلة للسقوط.

وفي حيفا المحتلة تقام بعض الندوات الشعرية والأدبية والثقافية يشارك فيها أحيانا بعض الشعراء ورجال الفكر في فلسطين منهم توفيق زياد – محمود درويش – سميح القاسم – عصام العباسى – إميل حبيبى.

مدينة بيسان

يرجع تاريخ مدينة بيسان الى أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وكانت تعرف بالعهد الكنعانى باسم بيت شان أى بيت الآله شان وهو يرمز الى السكون. وقد أعاد اليهود الاسم الكنعانى الى المدينة حالياً.

ولمدينة بيسان أهمية عسكرية وتجارية وزراعية لأنها تتوسط الطرق بين الأردن وحوران ودمشق ولوجودها في غور خطيب الذى تتوافر فيه المياه وتزرع في أرضه أنواع مختلفة من الأشجار المثمرة والمزروعات مثل القمح – الشعير – العدس – الفول – الحمص – الذرة – السمسم – الزيتون – البطيخ – العنب – الموز – الحمضيات (الموالح). وقد تعرضت نيسان للاحتلال الصليبى لمدة طويلة حتى حررها القائد صلاح الدين الايوبى.

يضم قضاء بيسان ٣٣ قرية عربية إضافة الى ٢٢ مستعمرة يهودية ويعيش حولها عدة قبائل عربية.

وبسبب مشاكل تسجيل الأراضى إبان الحكم العثمانى وعزوف الفلاحين الفلسطينيين عن ذلك استطاعت الجمعيات اليهودية أثناء الحكم البريطانى لفلسطين بالتواطؤ مع حكومة الانتداب الاستيلاء على مساحات واسعة من أراضى بيسان.

كان عدد سكان قضاء بيسان سنة ١٩٤٥ حوالى ٢٤ ألف نسمة أما سكان المدينة نفسها فكان ٥١٨٠ نسمة منهم ٢٠ يهودياً فقط.

سقوط بيسان: تمكنت قوات الهجاناه من احتلال بيسان يوم ١٩٤٨/٥/١٢ رغم المقاومة المستميته التى بذلتها الحامية الصغيرة المدافعة عن المدينة وكعادة اليهود طلبت سلطات الاحتلال من السكان الجلاء عن المدينة ومن فضل البقاء نقلتهم تلك السلطات بقوة السلاح الى الحدود السورية.

هدم اليهود المدينة وأعادوا بناءها وأصبحت مدينة يهودية كاملة ويبلغ سكانها سنة ١٩٩٠-٢٢ ألف نسمة وتحيط بها عشرات المستعمرات اليهودية.

أنشأ اليهود في بيسان عدة برك لتربية الأسماك وكذلك بعض الصناعات مثل صقل الماس - النسيج - المعادن. وبقرب بيسان سجن رهيب أقامة اليهود للمعتقلين العرب ويضم أكثر من ٤٠٠ سجين.

مدينة الناصرة

قبلة أنظار العالم المسيحي

مدينة الناصرة هى قبلة أنظار العالم المسيحى والذى اشتق منه اسم النصرانية ونسب إليه يسوع الناصرى ورغم أن الناصره لم تلعب دوراً هاماً في التاريخ القديم إلا أنها اصبحت على كل لسان بعد مولد السيد المسيح عليه السلام فى كافة أقطار العالم المسيحى رغم أن الناصرة حافظت الى حد ما على هويتها العربية إلا أنها أحيطت بغابة من المستوطنات اليهودية.

تقع الناصرة بين عكا وحيفا وجنين وطبريا وتشرف على مرج ابن عامر الفسيح وهى مبنية على مرتفع من الاراضي وتحييط بها قمم وشعاب من كل جانب ومن أعلى جبالها يمكن رؤية البحر المتوسط وجبل الشيخ ومدينة صفد وبعض أجزاء الأردن. وقد لعب موقع الناصرة الاستراتيجى في تعرضها لكثير من المعارك والى هدمها وإعادة بنائها عدة مرات واستعادت وضعها الحالى في القرن التاسع عشر وقدر عدد سكانها سنة ١٩٥٢- ٣ آلاف نسمة وفى عام ١٩٣١ كان عدد سكانها ٨٧٥٦ نسمة وعام ١٩٤٥م ١٤٢٠٠ نسمة وفي عام ١٩٧٨ بلغ ٤٥ ألف نسمة. وقد حاول الاسرائيليون زحزحة السكان العرب من الناصرة ولكنهم أصروا على البقاء وتحملوا ضروب العنف والأذى وبنى الاسرائيليون حول الناصرة مدينة يهودية سموها الناصرة العليا وأصبح أكبر تجمع للعرب في إسرائيل بعد سنة ١٩٤٨ في منطقتي الناصرة وصفد وعكا باستثناء عرب القدس وبلغت نسبة السكان العرب الذين يعيشون في إسرائيل في منطقة الجليل ٦٥٪ وبلغت مساحة قضاء الناصرة سنة ١٩٤٠ حوالى ٥٠ك.م وعدد سكانه ٣٨ ألف نسمة.

وقد تعرضت الناصرة بعد الاحتلال الإسرائيلي للاهمال والتخلف - ورغم أهمية الناصرة الدينية فقد ازدهرت بها بعض الصناعات مثل صناعة اللباد والصباغة. ونسيج

الأقمشة القطنية والجلود وصناعة الكراسى وفي عهد الاحتلال الصهيوني ظهرت في الناصرة صناعة الماس والدخان وآلات الخياطة والدراجات. وقد أخلى اليهود أكثر قرى الناصرة من السكان العرب وكانت نسبة الوجود اليهودى في قضاء الناصرة قبل الاحتلال اليهودى حوال ١١٪ من السكان فقط.

تاريخ الناصرة منذ ميلاد السيد المسيح عليه السلام أصبحت عروس الجليل مدينة عامره ومزدهره ولما هدم طيتس القدس سنة ٧٠م حاول اليهود الانتقال الى منطقة الناصرة وسمح لهم الرومان بذلك ولكن قسطنطين عاد فأخرجهم منها وأعادها مدينة مسيحية. ولما فتح العرب فلسطين كان النصارى والمسلمون يعيشون متآخين في مدينة الناصرة وأثناء الحروب الصليبية تعرضت الناصرة لكثير من الكوارث والخراب حتى حررها صلاح الدين الأيوبى سنة ١١٨٧م واحتفظ للناصرة بمكانتها وأماكنها المقدسة وفي صلح الرملة بين صلاح الدين ورتشارد زعيم الصليبيين بقيت الناصرة في أيدى المسلمين – ثم توالت الحملات الصليبية لاسترداد الناصرة.

وكانت سجالاً الى أن دخلت الناصرة جيوش جنكيز خان المغولى عام ١٢٤٣م وعاثت فيها فساداً ثم عاد المسلمون واستردوها.

وفي عام ١٢٥٤ هدم الزلزال مدينة الناصرة ثم احتلها الملك الظاهر بيبرس وفي عام ١٢٩١ استولى السلطان ابن قلوون على الناصرة بعد أن كان الصليبيون قد استردوها من العرب ومنذ ذلك التاريخ بقيت الناصرة حتى يوم أن احتلها الاسرائيليون مدينة عربية.

وقد احتلتها جنود نابليون سنة ١٧٩٩م وكان ذلك لفترة وجيزة انسحب بعدها حينما أخفق فى احتلال عكا.

كان في الناصرة أثناء الحكم العثماني سنة ١٩٠٠ مدرستان رسميتان و١٤ مدرسة غير رسمية منها ١٠ مدارس للفرنسيين والانجليز الروس وأربع مدارس للمسيحيين العثمانيين.

وامتاز قضاء الناصرة أثناء الحكم العثمانى أن بعض قراه كان فيها الى جانب الكتاتيب مدارس رسميه. وكان الروس قد انشأوا في الناصرة سنة ١٨٨٦ مدرسة عليا لتخريج المعلمين وفي سنة ١٩٤٣ كانت الناصرة تضم ٣ مدارس حكومية الى جانب ١١ مدرسة غير حكومية. وقضاء الناصرة الذى يضم ٢٣ قرية كان به عدد كبير من المدارس للبنين والبنات.

وفي سنة ١٩٢٦م تأسس في الناصرة أول ناد أدبى كان يهتم بمتابعة الحياة الأدبية في المدينة وحاضر فيه كبار الأدباء مثل ميخائيل نعيمه وأمين الريحانى.

وفي عهد الاحتلال اليهودى أنشيء في الناصرة المسرح الشعبى سنة ١٩٦٤ وتبعه المسرح الحديث سنة ١٩٦٥ ورغم الرقابة الشديدة من قبل السلطات الإسرائيلية فقد اتسمت الحركة المسرحية في الناصرة بالنضج حتى أصبحت أبرز ظاهرة فنية في الأراضي المحتلة.

وأثناء الحرب العالمية الأولى كانت مدينة الناصرة مركز القيادة الألمانية في قطاع فلسطين وسقطت بيد القوات الاسترالية بعد معركة ضارية مع القوات التركية سنة ١٩١٨.

وأثناء الاحتلال البريطانى لفلسطين ١٩١٨-١٩٤٨ قامت بالناصرة عدة مظاهرات ضد الاحتلال البريطاني وقتل فيها حاكم لواء الجليل البريطانى أندروس ولم تحظ الناصره بمساعدة جيش الإنقاذ الذى دخل فلسطين ولم تصمد امام الهجمات اليهودية فسقطت في شهر يوليو سنة ١٩٤٨ وأصبح ثلاثون ألف عربى تحت رحمة إسرائيل.

مدينة الرملة

واحدة من أعظم خمس مدن تم تشيدها في صدر الإسلام بالإضافة الى البصره - الكوفه - الفسطاط - القيروان.

بناها الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك سنة ٧١٥م. واستمرت الرملة عاصمة لفلسطين الى أن احتلها الصلبيون سنة ١١٠٩ م وسواء في العهد الصليبى أو الحكم الاسلامى ثم العثمانى وأخيراً الانتداب البريطانى كان لمدينة الرمله أهمية حربية لسبب موقعها الجغرافى وقد أقام الانجليز أكبر مقر لجنودهم قرب الرملة الذى عرف بمعسكر صرفند وكذا تم بناء أكبر مطار مدنى في فلسطين بقربها على بعد أربعة كيلومترات (مطار اللد).

وبعد أن حرر صلاح الدين مدينة الرملة من أيدى الصليبيين سنة ١١٩٢م عاد الصليبيون واستعادوها سلماً بموجب صلح الرملة الذى عقد بين صلاح الدين

والصليبيين. إلا أن هذا الاتفاق لم يعمر طويلاً حيث تمكن الظاهر بيبرس من تحريرها وإعادتها للحكم الإسلامي.

تبعد الرمله عن مدينة يافا ١٨ ك.متراً وعن مدينة القدس ٤٥ ك.مترا وفيها عدد من الأماكن الأثرية والتاريخية.

وسقطت مدينة الرملة بأيدى اليهود عشية يوم ١٩٤٨/٧/٩ وعمدت القوات اليهودية الى عزل مدينة الرملة عن مدينة اللد وبدأت في قصف المدينة من الطائرات ومن المدفعية الأرضية وشمل القصف الأحياء السكنية ولما أدرك أهل الرملة عدم قدرتهم على مواجهة القوات الاسرائيلية اتصلوا بالاسرائيليين طالبين تسليم المدينة وتم الاتفاق الكتابى بشرط عدم التعرض للأهالى أو المساس بالاملاك وما أن دخلت القوات الإسرائيلية المدينة حتى أخلت المدينة بتلك الشروط وأجبرت السكان على الرحيل تجاه الشرق ولم يبق من سكان الرملة غير ٤٠٠ نسمة.

الرملة الجديدة: تدفق المهاجرون اليهود ليحلوا محل السكان العرب وأنشئت أحياء جديدة وفيها الآن أكبر مصنع للأسمنت في فلسطين وكذلك مصانع الثلاجات والبيوت الجاهزة والأطعمة المعلبة والمحركات. وقد أزال اليهود عشرات القرى العربية وأهمها عمواس - اللطرون - قولة - قبية - عاقر - القباب - صرفند وغيرها وضمن أكثر من ثلاثين سجنا خصصتهم السلطات الإسرائيلية للمعتقلين الفلسطينيين يحتل سجن الرمله المرتبه الثالثة من حيث الاهمية وفيه قسم خاص للنساء تسجن فيه المناضلات الفلسطينيات بجانب المومسات الاسرائيليات والمصابات بأمراض جنسية معدية وفيه أيضا قسم خاص بالتعذيب.

مدينة اللـد

مدينة كنعانية قديمة، كانت تمثل مكانة دينية فى القرن الأول من التاريخ المسيحى. دخلها عمرو بن العاص سنة ٦٣٦م وكان قائداً عاماً للقوات الإسلامية في فلسطين وفي سنة ١١٠٩م احتلها الصليبيون وهم في طريقهم الى مدينة القدس وبقيت فى حوزتهم الى أن استعادها الى أحضان المسلمين القائد السلطان صلاح الدين الأيوبي وهو في طريقه الى تحرير القدس.

وأهمية اللد وكذلك توأمها مدينة الرملة أنها تمثل البوابة الغربية لمدينة القدس وتبعد عنها ٥٠ كيلومترا وقد اكتسبت مدينة اللد أهمية كبيرة إبان الحرب العالمية

الأولى حيث تلتقي فيها أهم محطة للسكك الحديدية في الشرق العربى وبقربها أنشأ الانتداب البريطانى أهم مطار مدنى في فلسطين سنة ١٩٣٦م (وهو الذى أسماه اليهود فيها بعد مطار بن جوريون).

واشتهرت مدينة اللد بصناعة الصابون وعصر الزيتون الذى تتوافر أشجاره في السهل الخصيب المحيط بالمدينة.

بعد احتلال اليهود للمدينة سنة ١٩٤٨ أخذ سيل المهاجرين اليهود يتدفق عليها حتى وصل عددهم سنة ١٩٧٣ حوالى ٤٤ ألف نسمة بينما كان عدد السكان العرب ٣٤٠٠ نسمة ويبلغ حاليا عدد العرب في مدينة اللد حوالى ٦ آلاف نسمة وتحاول إسرائيل بشتى الطرق التخلص منهم وإجلاءهم الى منطقة النقب وهي تضيق الخناق عليهم وتمنعهم من إجراء أى ترميم لمنازلهم المتداعيه أو بناء منازل جديدة وبقيت الأحياء العربية مهملة تنتظر الهدم التدريجي.

وقد أقام اليهود مدينة عصرية جديدة وأنشأوا فيها عدة صناعات منها صناعة المواد الغذائية – النفطية – التبغية – المعدنية – صناعة الورق والأدوات الكهربائية. أنشأ اليهود العديد من الفنادق والمحلات التجارية ووكالات السياحة وأصبحت اللد من المناطق السياحية الهامة في إسرائيل.

ماذا عن مأساة مدينتى اللد والرمله

لما كنا بحاجة الى تذكير الأبناء والأحفاد بما اقترفه اليهود ضد أهالى اللد والرملة عند احتلالهما سنة ١٩٤٨، وجدت من المناسب تقديم شرح مفصل لتلك المأساة وما أحاط بها من فظائع وقتل جماعى وطرد واغتصاب.

وفيما يلى أنقل معتمداً على الوثائق الرسمية الإسرائيلية التى تم السماح بالاطلاع عليها مؤخراً ومن بينها وثائق مجلس الوزراء الإسرائيلى حيث يقول فيها وزير الزراعة الاسرائيلية آنئذ أهارون زيسلنج.

«لقد اقترف الجيش الاسرائيلى في مدينتى اللد والرملة ما يصعق لهولها النازيون، إننى لاأستطيع النوم لجسامة ما شاهدته انا ويعقوب شابير النائب العام الاسرائيلى. ثم يروى كيف تم التهجير القسرى وبث الذعر بين السكان وطردهم»

وفى شرح أحداث تلك المأساة وتفصيل الخيانة التى ارتكبها جلوب باشا الجنرال الانجليزى – قائد الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨. وضلوعه في تسليم المدينتين الى اليهود.

تم اختيار مأساة اللد والرملة نموذجاً من نماذج خيانة القضية الفلسطينية.

عندما ازداد نزوح السكان من المدن والقرى الفلسطينية نتيجة ضغوط القوات الإسرائيلية وتفوقها أخذ سيل اللاجئين يتدفق على مدينتى اللد والرملة باعتبارهما المدينتين الآمنتين تحميهما القوات الأردنية بقيادة الجنرال الانجليزى جلوب باشا.

وتجاوز عدد السكان في المدينتين في اوائل يوليو (تموز) سنة ١٩٤٨ الى حوالى مائة ألف من السكان المقمين واللاجئين من القرى والمدن المجاورة.

وفجأة بدون سابق إنذار انسحب الجيش الأردنى من المدينتين وتركهما بدون اى غطاء أو مقاومة.

وفي ١١ يوليو (تموز) سنة ١٩٤٨ قاد موشى ديان القائد الإسرائيلي رتلاً من قوات الكوماندوز المحموله على سيارات الجيب الى مدينة اللد وسط لعلعه نيران البنادق والرشاشات – وسار الرتل عبر الشوارع الرئيسية يصب نيرانه المدمرة على كل شيء متحرك وكانت جثث العرب من الرجال والنساء وحتى الأطفال منثورة فوق الشوارع في أعقاب هذه الحملة الرائعة التى لم تعرف الرحمة وكان مراسل جريدة الهيراد تربيون البريطانية يرافق الحملة اليهودية وأبرق الى جريدته فى اليوم التالى يصف مأساة مدينة اللد وما اقترفه اليهود من فظائع.

ثم جاء الاستيلاء على مدينة الرملة الملاصقة في اليوم التالى فقاموا بجمع كل الرجال العرب القادرين على حمل السلاح واحتبسوهم داخل حظائر خاصة ثم راحت مكبرات الصوت الإسرائيلية تطوف المدينتين لتعلن انه لم يتم تزويد الطعام ولا الماء للسكان وامام العرب ٤٨ ساعة للخروج الى شرقى الأردن. وبدأت القوات الاسرائيلية بعد ذلك في نهب المدينتين وسلبهما. حتى عادت مكبرات الصوت في ١٣ يوليو (تموز) الى إصدار الأوامر النهائية ولتسمية طرق الخروج التى ينبغى سلكها جسر كوباح لسكان الرملة وجسر هنداس لسكان اللد.

وعندما باشر السكان النزوح من المدينتين عبر الجسرين وعلى حد قول صحيفة الإيكونمست البريطانية اللندنية جرى تجريد النازحين بصورة منتظمة من كافة أمتعتهم وممتلكاتهم قبل إرسالهم في رحلتهم الجماعية الى الحدود. فقد كان عليهم أن يتركوا كل شيء وراءهم من الأمتعة البيتيه والمتاجر حتى الثياب والملابس.

وحين بدأت الطوابير مسيرتها أطلقت القوات الإسرائيلية النار عليهم وفوق رؤسهم كما يقول الميجر «أوبالانس» وكانت الحرارة مرتفعة جداً والعرب لم يملكوا الطعام ولا الماء طيلة أيام ثلاثة والذى بقى معه شيء من الطعام أخذ منهم لدى عبور الجسر ثم حلقت الطائرات الاسرائيلية الصغيرة لتنشر أزيزها فوق الصفوف الطويلة من النازحين المطرودين وهم يجتازون التلال مجهدين ومات أطفال لايحصى عددهم بسبب العطش وكانت الأمهات يلقين أطفالهن الميتين على جانبى الطريق.

ووصل معظم النازحين في نهاية المسيرة الى تلال اليهودية والى وادى الأردن أو مرتفعات شرقى الأردن.

وهذه المعلومات نشرت في الصحف البريطانية وفى مذكرات الجنرال البريطانى في جلوب باشا التى نشرها في لندن سنة ١٩٥٧.

مأساة اللد والرمله من منظور آخر

بوادر المأساة:

عند دخول الجيوش العربية لفلسطين في ١٩٤٨/٥/١٥ كان سكان مدينتى اللد والرمله قد تضاعف بسبب الموجات المتلاحقة من اللاجئين التى تدفقت على المدينتين من القرى المجاورة ومن مدينة يافا.

ورغم أن المدينتين كانتا حسب تخطيط دخول الجيوش العربية من نصيب الجيش الأردنى فانه لم يتخذ أية اجراءات للدفاع عن المدينتين الهامتين من الناحية العسكرية واكتفى بإرسال سرية صغيرة بدون دعم أو مساندة من المدرعات أو المدافع أو حتى الرشاشات الثقيلة.

حاولت السرية بعد أن انضم اليها بعض المسلحين من العشائر والمناضلين الفلسطينيين والأردنيين تنظيم تلك القوة التى لم يزد سلاحها عن البنادق العادية من التمركز في بعض المواقع للدفاع عن المدينتين.

ونظراً للموقع الاستراتيجي للمدينتين لقربهما من تل أبيب وسيطرتهما على طريق القدس وكذلك وجود المطار الدولي – مطار اللد – ومعسكر صرفند وهو أكبر معسكر بناه الانجليز في فلسطين.

كان على تلك القوات المحدودة العدد والتسليح حماية هذا الموقع الاستراتيجي من هجمات اليهود المتلاحقة.

الأحداث التالية تؤكد أن مأساة اللد والرملة تعود الى أنها سلمت لليهود بتواطؤ تم بين جلوب باشا واليهود بالاتفاق على عدم تحصين المدينتين والاعتماد فقط على القوة الصغيرة بالإضافة الى قوات الجهاد المقدس الفلسطينية. كان لتسليم اللد والرملة الى اليهود بواسطة الجيش الاردني وقيادة جلوب باشا نتائج خطيرة بالنسبة لسير المعارك منذ ١٩٤٨/٥/١٥ ضد الجيوش العربية النظامية في فلسطين وأهمها:

١– كشف ميمنة الجيش المصرى وتهديده بطريق غير مباشر.

٢– إزالة عقبة هامة لضمها الى القسم اليهودى من فلسطين.

٣– إنهاء سيطرة العرب على طريق تل أبيب – القدس.

٤– إرغام العرب بالانشغال بمسألة تدفق اللاجئين.

٥– الإساءة الى قوات الجيش الأردنى التى كانت تطوق القدس وتهديد مواقع تلك القوات.

كيف جرت عملية التسليم:

فى يوم ١٩٤٨/٧/٨ أمر جلوب باشا بنقل الكتيبة الأولى من منطقة اللد والرمله حيث كانت تعسكر في بيت نبالا الى منطقة طوباس وبذلك أخليت منطقة اللد والرمله من القوة الوحيدة التى كان يعول عليها لصد الهجوم في اتجاه المدينتين.

وعند انتهاء الهدنة الأولى فى ١٩٤٨/٧/٩ شرع اليهود حسب الاتفاق مع «جلوب باشا» فى الزحف نحو القرى المحيطة بالمدينتين واحتلوها حتى أتموا تطويق المدينتين.

حاول السكان طلب النجدة من الجيش الأردنى حيث تظاهر جلوب باشا أن قوات من الجيش فى طريقها لإنقاذ الموقف. ومن سخرية القدر والمؤسف أنه حصل العكس وانسحبت بقايا القوة الأردنية من المدينتين وتركوهم عزلاً من السلاح، وهكذا تمت المؤامرة وحصلت المأساة بدخول اليهود المدينتين بدون ادنى مقاومة.

وكان منظر جموع اللاجئين الذين وصلوا الى رام الله تقشعر له الأبدان وهكذا وضحت الأدلة القاطعة للمؤامرة الدنيئة التى خطط لها جلوب باشا.

أهم نتائج سقوط اللد والرمله بأيدى اليهود:

١- قضى استيلاء اليهود على المدينتين على النتوء العربى الخطر الذى كان يهدد تل أبيب أكبر المدن اليهودية.

٢- استولى اليهود على مطار اللد الدولى وعلى محطة السكة الحديد بحالة جيدة.

٣- استولى اليهود على أكثر من عشرين قرية كبيرة وخمسين قرية صغيرة بما فيها ثروات وخيرات.

٤- استولى اليهود على اكثر من ٧٥٠ الف دونم من أخصب أراضى فلسطين الزراعية.

٥- فتح طريق تل أبيب - القدس وكان القضية الرئيسية فى فتح الممر الذى طالما سعى اليهود الى تحقيقه «ويسمى الكريدور».

٦- تيسر لليهود الاتصال بالجنوب بعد أن انكشفت ميمنة الجيش المصرى وشرع اليهود فى استثمار نصرهم باستعمال طريق الرمله - رحبوت او اللد - عرطوف الى الجنوب.

٧- ارتفع عدد اللاجئين بسبب هذه المأساة مما زاد حال الارتباك فى الأواسط الفلسطينية.

٨- ازدياد الضغط على مدينة القدس وعلى القوات المصرية في الجنوب.

٩- ازدادت قوة اليهود سياسياً بعد أن حققوا سياسة الأمر الواقع وتابعوا استعمالها فى بقية المناطق.

١٠- صدمة كبيرة أصابت القوات المقاتلة الفلسطينية وأضعفت معنوياتهم في مواجهة القوات اليهودية.

رؤية أخرى لمأساة اللد والرملة كما يرويها الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر في مذكراته

كارثة اللد والرمله نشأت حين سحب الجنرال الانجليزى وقائد الجيش الأردني فجأة قوات الجيش الأردنى التى كانت مرابطة فيها بعد ما جرد قوات الجهاد المقدس الفلسطينية من سلاحها بحجة الهدنة الأولى واعداً بإرجاعها بمجرد انتهاء الهدنة ولكنه أخلف وعده عندما استؤنف القتال في ٩ يوليو سنة ١٩٤٨ سقطت اللد والرملة وعشرات القرى المحيطة بهما في أيدى اليهود اضطر نحو مائة ألف من أهلها للنزوح يضاف إليهم من لجأ الى المدينتين المذكورتين من أهل مدينة يافا وقراها وهم لايقلون عن خمسين ألفاً وقد روى أحد رجال الدين المسيحى أنه سمع من المنسنيور وكيل بطريرك اللاتين في فلسطين أن جلوب بعث برقية تهنئة لقائد الجيش اليهودى على احتلاله اللد والرملة ولما صادفه المنسيور المذكور وعاتبه على برقيته أجاب جلوب باشا بقوله «هذه هى السياسة».

ونحن لانريد تجريح شخصية جلوب فهو يعمل لصالح أمته ودولته بريطانيا ولكن اللوم يقع على بعض العرب الذين ولوه القيادة العامة أثناء حرب فلسطين.

مدينة يافا تفقد هويتها العربية

كيف تخطط إسرائيل للقضاء على الشخصية الفلسطينية؟

* فى سنة ١٩٥٠ ضمت إسرائيل مدينة يافا الى بلدية تل أبيب وأصبح اسمها مدينة «تل ابيب - يافا».

* بلغ عدد السكان العرب في يافا حسب الإحصاء الإسرائيلى الرسمى سنة ١٩٩٣ - ١٥٨٠٠ نسمة ولكن المجتمع العربى في يافا يقدر عددهم بحوالى ٢٢ ألف نسمة.

* العرب يعيشون في موقعين فقط حى العجمى وهى الجباليه. وقد تم حتى سنة ١٩٩٦ هدم ٧٠٪ من حى العجمى و٣٠٪ من حى الجباليه.

* ٨٠٪ من الوحدات السكنية فى حى العجمى والجبالية حيث يعيش السكان العرب بنيت قبل سنة ١٩٤٨.

* ٧١٪ من السكان العرب يعيش أكثر من ٧ أنفس في الشقة الصغيرة ٢٢٪ من السكان يملكون بيوتهم و٧٨٪ من العائلات تسكن بالإيجار. (من كتاب الإحصاء السنوى لبلدية تل أبيب - يافا سنة ١٩٩٣).

* مستوى دخل الفرد العربى في يافا متدنٍّ جداً بالمقارنة بدخل اليهودى المقيم فى يافا - رغم أن أكثر اليهود المقيمين في يافا حالياً من الفقراء (إحصاء ١٩٩٥/٦/١).

* ٨ر٢٠٪ من الأطفال العرب في يافا يعيشون تحت خط الفقر و٤٢٪ من الأطفال العرب غير موجودين في الإطار التعليمى وحضانات الأطفال لا تلقى أى دعم من قبل البلدية ونتيجة ذلك فإن الخدمات التربوية محددة جداً.

* ٣٠٪ من عدد الشباب العرب الذين تسربوا من جهاز التعليم تورطوا في أعمال اجرامية (احصاء ١٩٩٦).

* مستوى التعليم في الإحياء العربية هو الأكثر تدهوراً مقارنة مع الأحياء اليهودية الفقيرة في يافا نفسها.

* ٤٥٪ من الرجال العرب في يافا هم عمال غير مهنيين وحوالى ثلث الرجال و٧٥٪ من النساء لايجدون عملاً.

* جميع شوارع مدينة يافا استبدلت أسماؤها العربية بأسماء عبرية وجميع اللافتات في المدينة تكتب باللغة العبرية فقط.

* أمام المجتمع العربى يافا ثلاثة اجهزة تعليمية:

- جهاز التعليم الحكومى العبرى.
- جهاز التعليم الحكومى العربى.
- جهاز التعليم الأهلى الخاص.

١٠٪ من التلاميذ العرب يتعلمون في المدارس الحكومية اليهودية المجانية وتضم أبناء الطبقة الفقيرة وهى تمثل غالبية عائلات العجمى والجباليه.

٣ر١٥٪ من التلاميذ العرب يتعلمون في مدارس مهنية.

المدارس الأهلية:

١- مدرسة كاثوليكية فرنسية (مدرسة الفرير سابقا).

٢- مدرسة بروتستانتية اسكتلندية (مدرسة مس بين سابقا).

٣- مدرسة راهبات تراسنطا (مدرسة الراهبات سابقا).

ولغة التعليم الفرنسية والانجليزية والعربية تدرس في إطار لغة ثانية او ثالثة والعائلات ذات القدرات المادية هى التى تستطيع إرسال أولادها الى المدارس الأهلية المكلفة وهكذا فان مناهج التعليم تسهم في تعميق الفجوة الطبقية فى صفوف المجتمع العربى اليافى ويصعب قيام هوية وطنية حضارية مشتركة لسائر المجتمع وخصوصاً أن المدارس الحكومية لاتضمن للتلاميذ العرب إمكانية استمرار التعليم وضمان إيجاد عمل مناسب في سوق العمل. ويبقى المجال لبعض العائلات الغنية التى تضمن لأبنائها المحافظة على مكانتهم الطبقية.

* جميع الأوقاف الاسلامية أصبحت بموجب القانون الإسرائيلى أملاك الغائبين ولا تستفيد الطائفة الاسلامية من ريعها بتاتاً والمقابر والمقدسات تدنس باستمرار دون أى اعتبار لمشاعر المسلمين وقد بنى فندق هيلتون فوق مقبرة عبد النبى وبنيت جامعة تل أبيب فوق اراضى الشيخ مونس والأوقاف المسيحية تعرضت للنهب وأصبحت معرضة للدمار.

* الخدمات البلدية مهملة بشكل متعمد في الأحياء العربية والمخطط الاسرائيلى يرمى الى اخلاء المناطق العربية من أجل إقامة حى غنى من الفيلات والبيوت الفخمة للأغنياء فقط.

* جفت بلدية تل أبيب - يافا ٢١٠ دونمات من البحر أمام شاطىء الجبلية وكانت تردمه بنفايات منطقة تل أبيب وأجبر السكان العرب بالعيش في ظروف بالغة الصعوبة.

* فى سنة ١٩٩٢ بدأت بلدية تل أبيب - يافا قسم دائرة الأراضى في مشروع تسويق الأراضى والبيوت في يافا مما أدى الى ارتفاع حاد في الأسعار والبيت الذى يمكن شراؤه في الرملة أو اللد أو منطقة الجليل يقل عن ٢/٣ سعر يافا والقصد هو تفريغ يافا وإخلاؤها من العرب.

* بعد أن كانت عدة عائلات تتعايش من عملية صيد الأسماك في ميناء يافا رغم خلوه من كافة الخدمات الأساسية كالإنارة والأمن – إلا أن الحكومة أخذت تطارد هذه العائلات بقصد تحويل الميناء الى مارينا لليخوت وتحويل المخازن الى مطاعم وسوق تجارى.

* جميع حدائق البرتقال (البيارات) في يافا ومن حولها قد اقتلعت ومحيت من الوجود.

* بالاضافة الى جميع المشاكل الصعبة التى يعانى منها سكان يافا العرب قررت حكومة إسرائيل نقل قسم كبير من العملاء الذين خانوا شعبهم الفلسطيني للإقامة في يافا وفى قلب أحياء المجتمع العربى ووصل عددهم الى حوالى ١٥٠ عائلة ولايزال الرقم بازدياد.

* المدينة القديمة في يافا تحولت الى أماكن للهو ومطاعم وقاعات موسيقى.

ورغم حجم المأساة في مدينة يافا فان السكان العرب غير مستعدين لمغادرة مدينتهم وهذا ما أثبتته وثائق واستفتاءات البلدية ولكن الخطر أن سياسة الحكومة الاسرائيلية الجديدة الليكود ربما تؤدى الى دفع الكثير من العائلات الى النزوح من يافا وبالتالي الى تفريغ يافا من سكانها العرب أرض الآباء والأجداد.

يافا تحت الاحتلال الاسرائيلى
بعد سنة ١٩٤٨

في كتابنا «مدينة يافا» الذى صدر سنة ١٩٨٩ سبق وتحدثنا بالتفصيل عن مدينة يافا موقعها – تاريخها – معالمها الأثرية – نشاطاتها التجارية والصناعية – صور من الحياة الاجتماعية فيها – القرى المحيطة بها الى جانب كفاحها المسلح في سنتى ١٩٤٧–١٩٤٨ وأخيراً سقوطها بأيدى اليهود.

وحديثنا الآن عن يافا تحت الاحتلال الاسرائيلي:

بدأ الهجوم الأخير على يافا في ليل ٢٥ أبريل (نيسان) ١٩٤٨ بقوة من الأرغون عددها ٦٠٠ مقاتل وبقوة أخرى مماثلة من الهاجاناه واستسلمت المدينة بتاريخ ١٩٤٨/٤/٢٧ ووقع مجلس الطوارئ المؤلف من مختلف الطوائف التى لم تغادر يافا

صك الاستسلام دون قيد أو شرط أمام قائد الهاجاناه في منطقة تل أبيب واحتلت يافا بقوات مشتركة من الهاجاناه والأرغون.

لم يحترم اليهود وعودهم بإعلان يافا مدينة مفتوحة ونقضوا اتفاق التسليم وأعملوا في المدينة يد السلب والنهب والقتل والاغتيال وجمعوا ما بقى من سكان يافا في منطقة ضيقة من حى العجمى أحيطت منافذها بالأسلاك الشائكة ومنع الدخول أو الخروج منها إلا بإذن الحاكم العسكرى اليهودى للمدينة.

وجاء على لسان الدكتور حسن فرعون الذى آثر البقاء في يافا خلال السنوات الأولى من الاحتلال الإسرائيلى للمدينة مايلى:

رغم إعلان يافا مدينة مفتوحة وتعهد اليهود بعدم التعرض للأهالى أو الأملاك أو المحلات فقد قامت الجماعات اليهودية العسكرية والمليشيات بنهب البيوت بصورة منظمة كما قامت بمصادرة المخازن والمحلات والمتاجر والمكاتب والجوامع والكنائس والمستشفيات والمصانع والمستوصفات والمدارس وجميع السيارات والآلات والأدوات الكهربائية والسجاد العجمى والأوانى الفضية وكان ذلك يتم في الليل والنهار طوال أسابيع عديدة وقد أجبر سكان يافا الذين تناقص عددهم الى حوالى خمسة آلاف الى ترك بيوتهم والانتقال الى أحد أدم احياء يافا حيث أحيط بالأسلاك الشائكة وسمح لليهود باحتلال جميع المبانى في أحياء المدينة وفي نهاية عام ١٩٤٩ رفعت الأسلاك الشائكة بعد أن أحكم الطوق على الحى الصغير الغربى في يافا وفرض على العرب مشاركة اليهود الجدد في بيوتهم الصغيرة وأصبحت عائلات بأكملها تعيش داخل غرفة واحدة وكان السكان العرب يجدون مشقة كبيرة في الانتقال بسبب الأحكام العرفية التى فرضت عليهم وتم إيداع العديد من سكان المدينة في السجون ومعسكرات الاعتقال وحدثت عدة محاولات اغتصاب. حتى المقابر لم تسلم من التدنيس وسرقت الصلبان والزخارف والرخام من فوق القبور وشيدت الملاهى فوق أرض المقابر.

صور من داخل يافا بعد سنة ١٩٤٨ :

لم تعد يافا مدينة عربية فقد دمر حى المنشية بكامله ولم يبق من الحى إلا جامع حسن بك وعلى امتداد البحر من منطقة الجامع حتى مقبرة حى أرشيد أنشىء كورنيش عريض يربط بين يافا وتل أبيب.

وتحولت البلدة القديمة الى حى سياحى يمتلىء بالمطاعم والمقاهى

والكباريهات اليهودية واقتصر السكن في حى النزهة على اليهود القادمين من المغرب العربى والعراق ولايحق لأى فلسطيني السكن خارج المنطقة التى حددت للأهالى العرب ويمنع الأهالى كذلك من إصلاح وترميم بيوتهم التى بدأت تتصدع وتنهار والقصد من ذلك إجبار السكان على مغادرة المدينة.

وبعد سنة ١٩٤٨ أخذت أهمية ميناء يافا تتقلص الى أن أغلق نهائيا سنة ١٩٦٥ في وجه السفن باستثناء مراكب الصيد الصغيرة وحل محله ميناء سدود الذى يقع على مسافة ٣٠ كيلومتراً جنوبه.

أما بالنسبة لزراعة الحمضيات التى اشتهرت بها وقراها فقد قضى اليهود على ٥٠٪ من مزارع البرتقال ودمرت تماماً و٢٥٪ لاتتوافر له الكميات الكافية من المياه وبقى ٢٥٪ ادخلت عليه التحسينات وأخذ اليهود يصدرون إنتاجه باسم برتقال يافا.

وقد استولت إسرائيل على جميع أوقاف المسلمين في يافا مع العلم ان ٧٠٪ من حوانيت يافا كانت أوقافاً اسلامية. ويسكن مدينة يافا الآن أكثر من مائة ألف يهودى يحتلون البنايات والبيوت المختلفة.

ودير الأقباط المعروف بيافا مقفل منذ سنة ١٩٤٨ وهو يحتوى على كنوز تاريخية وأثرية ومنها لوحات قديمة وأعمدة من الذهب يغطيها الصدأ ومفاتيح الدير مع البطريرك باسيليوس وكان يعيش في مصر ولايسمح للأهالى المحلية الاستفادة من الدير الذى اصبح مهجوراً.

تألفت في مدينة يافا رابطة عرب يافا وبعض الجمعيات التطوعية المحلية الأخرى وبذلك أمكن إنشاء روضة أطفال تحمى الصغار من الضياع في الشوارع وهى الوحيدة في يافا.

أصبحت يافا بعد الاحتلال مجموعة من البيوت المهدمة ومن البيوت المتداعية والممهدة للهدم ولم تأبه السلطات الإسرائيلية للضائقة السكنية التى يعيشها الأهالى العرب وقد حاولت بعض الصحف الاسرائيلية سنة ١٩٨٢ وسنة ١٩٨٣ نشر التقارير عن تدهور الأوضاع السكنية والحالة الاجتماعية في يافا وحاول عضو الكنيست توفيق زياد التقدم للكنيست لبحث الضائقة السكنية فى يافا ولكن الكنيست أحال الموضوع الى عدة لجان لتقديم التوصيات وبقيت التوصيات حبراً على ورق.

وظهر في يافا تيار إسلامي يحاول عن طريقه الإرشاد الديني احتواء بعض الشباب ولكن قوة الحياة ومشاكلها وتعمد السلطات الاسرائيلية محاربة هذا الاتجاه أدى الى عدم الحصول على أية نتيجة مرجوه.

بلغ سكان يافا العرب سنة ١٩٨٧ حوالى ٢٢ ألف نسمة وألحقت نهائيا بمدينة تل أبيب تحت إدارة واحدة مع الفارق الكبير جداً في التباين بين إدارة تل أبيب وإدارة يافا.

وكما كانت يافا قبل سنة ١٩٤٨ مركزاً للنشاط النقابي والمالي والزراعي والحركات السياسية التي كانت تؤثر كثيراً في حياة الفلسطينيين فهي تعاني حالياً الإهمال والفقر والتخلف وافتقد سكانها الحيوية بسبب ظروف الاحتلال الاسرائيلي. بدأ الشباب في مدينة تل أبيب يهجرونها ليقطنوا في الضواحي وبلدية تل أبيب – يافا غير راضية عن هذا الوضع وهي تبحث عن حلول لهذه المشكلة ورأت في مدينة يافا المهدمة وشبه الخالية مشروع لتطوير الكورنيش وبناء فيلات مطلة على البحر واقامة أحواض للقوارب ومارينا سياحية. ولكن هذه المدينة التي يعتبرونها خالية يسكنها أكثر من ٢٢ ألف مواطن عربي ٦٢٪ مسلمين، و٣٧٪ مسيحيين و١٪ دروز.

وقد وصف مراسل جريدة هاعولام اليهودية مدينة يافا بقوله على بعد بضع دقائق من أنوار ومباهج تل أبيب يفاجأ المرء بأكوام الخرائب وما كاد يجتاز شوارع تل أبيب الجذابة حتى يجد نفسه بين عالمين مختلفين كل الاختلاف هنا منطقة العجمي حيث تمر في أزقة ملتوية ومنازل آيلة للسقوط يعيش فيها السكان العرب وأكثر من ٥٠٪ منهم عاطلون عن العمل يتسكعون في الشوارع لايتلقون إعانات منتظمة رغم أنهم يدفعون ضرائب وإيجارات المساكن وأغلب الأطفال لايذهبون الى المدارس لاضطرارهم البحث عن عمل لمساعدة أسرهم الكبيرة.

إن أشد ما يحاوله اليهود قسوة مع سكان يافا العرب الإفساد النفسي والعقلي خصوصاً بالنسبة للأطفال والناشئين حيث تحاول السلطة إفساد وجدانهم وزحزحتهم عن القيم التي نشأوا عليها وأصبح المربون اليهود هم الذين يتولون تثقيف النشء العربي. وهذا الوضع أحدث تغيراً بارزاً في البيئة ونوعية الحياة والظروف السكنية والثقافية وقد أخذت المخدرات في يافا تأخذ طابع الخطورة وأكثر الشباب أدمن المخدرات وفي إحصاء لمكتب العمل الاجتماعي في يافا فإن ثلث السكان يتعاطى المخدرات وهذا ما

يسبب الصراع والتمزق العائلي والضياع في داخل العائلة الواحدة وتثبت أن أكثر المدمنين من غير المتعلمين لأنهم لم يدخلوا مدارس أو لعدم وجود مدرسين أكفاء مخلصين وثبت أيضا أن كثيراً من الطلاب يخرجون من المدارس لايعرفون القراءة والكتابة.

إن اهتمام السلطات اليهودية ينحصر في علاج المدمنين بمنحهم المخدرات البديلة وهذا في الحقيقة ما يثبت تكديس ظاهرة الإدمان.

وقد حاولت بعض الجمعيات المحلية في أوائل الثمانينات أن تقدم بعض المساعدة لهؤلاء الشباب ولكن إمكانياتها المحدودة وعدم مساعدة الحكومة لها لم تؤت التأثير الفاعل في العلاج.

إن قوانين البلدية بخصوص ترميم البيوت في يافا صارمة وقاسية جداً وأية محاولة للترميم تعتبرها البلدية كأنها بناء جديد يستلزم رخصة رسمية والحصول على الرخصة من اصعب الأمور ان لم يكن من المستحيل الحصول عليها.

وأية محاولة للترميم بدون ترخيص يعرض البيت للهدم. ومشكلة الإسكان في يافا أحد أهم المسببات الرئيسية للانحراف ولدفع الشباب نحو الضياع.

هذه يافا التى كان يطلق عليها عروس فلسطين وحسناء البحر الأبيض المتوسط مدينة الثقافة والصحافة والأدب والجمعيات والأندية مدينة المال والشجر والسحر والفتنة.

مدينة المجدل

عسقلان

تعتبر عسقلان (المجدل) من أقدم المدن الفلسطينية وفيها آثار يعود بعضها الى العصر الحجرى والعصر البرونزى والحديدى، وآثار رومانية وهيلينية ومن العهد الصليبى وأخذت المدينة اسم عسقلان منذ الفتح الاسلامى ولكن في العصر الحديث اعتاد الفلسطينيون على تسميتها المجدل.

عرفت المجدل بنشاط سكانها ومهاراتهم الصناعية وخصوصا صناعة المنسوجات ولعبت المجدل دوراً مهماً في الصراع العربى الاسرائيلى عامى ١٩٤٧-١٩٤٨ وكانت جبهة المجدل تضم عدة قرى أهمها الجوزه - عراق سويدان - الفالوجا - حمامة - أسدود - جولس - بيت دراس - السوافير - يينا - عاقر.

ومما يذكر لمدينة المجدل أنها بقيت صامدة ضد الهجمات اليهودية المكثفة حتى دخول الجيش المصرى ووصوله الى المدينة عند اندلاع حرب سنة ١٩٤٨. ولكن وفي ١٩٤٨/١١/١٥ انسحبت القوات المصرية من المجدل والقرى المجاورة وهكذا تمكن اليهود من الاستيلاء على المدينة ولم يبق فيها عربى واحد. وقام اليهود بتدمير قرى المجدل عن آخرها.

حاليا تعتبر المجدل من أهم مدن جنوب إسرائيل وفيها مصانع انشأها اليهود منها الأسمنت – آلات صناعة النسيج – البلاستيك – الألكترونات – الأدوات الطبية – السيارات – مكيفات الهواء – الأثاث – العطور، وفيها محطة تجارب زراعية ومدرسة عالية للتكتيك الزراعى.

ويمتاز شاطئ المجدل برماله البيضاء الصافية حيث أقيمت عشرات الفنادق والمطاعم الفاخرة.

وترتبط مدينة المجدل بالضمير الفلسطينى بأن فيها أشهر السجون والمعتقلات المخصصة للفلسطينيين المحكوم عليهم بمدد طويله.

مدينة بئر السبع

تعتبر مدينة بئر السبع عاصمة صحراء النقب الفلسطينية وتختلف الروايات بشأن تسمية المدينة أهمها أن الاسم مأخوذ من بئر كان يرده السبع وهو اسم من اسماء الاسد وتروى بعض كتب التاريخ أن إبراهيم الخليل رزق بولده اسماعيل في مدينة بئر السبع.

وتشكل بئر السبع ممراً حيوياً لتجارة العالم القديم حيث كانت تمر خلالها القوافل العربية وهى تحمل البضائع من الهند وأفريقيا الى غزة ومصر. وضعف مركز بئر السبع التجارى بعد إنشاء مدينة بترا عاصمة الأنباط حيث تحولت التجارة من خلالها من والى الخليج العربى.

وعندما تولى عمرو بن العاص قيادة الجيوش العربية في فلسطين كان يأنس بالإقامة فى مدينة بئر السبع واستقر فيها حتى استدعاه معاوية عند حدوث الفتنة بينه وبين على بن أبى طالب. وبسبب القحط والجفاف وتحول التجارة طويت صفحات المدينة حتى أعاد الأتراك بناءها سنة ١٩٠٠ وحولوها سنة ١٩١٤ الى قاعدة انطلاق

للدفاع والهجوم اثناء الحرب العالمية الأولى. وفى سنة ١٩١٧ حينما دخل الجيش البريطانى فلسطين دارت معركة حاسمة بينه وبين الأتراك فى بئر السبع وكانت اول مدينة تسقط في أيدى الانجليز.

بالنسبة لسكان بئر السبع فمعظمهم يعود بأصوله الى مدينتى غزة والخليل بصورة خاصة بالإضافة الى بعض النازحين من القدس والمجدل وبجوار المدينة تسكن عدة عشائر من القبائل البدوية التى تنتمى الى صحراء النقب ومن أشهر تلك القبائل الجبارات – الترابين – العزازمه – السعيديون – الحناجره.

سقوط بئر السبع: فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ غادر الجيش البريطانى بئر السبع فى الوقت الذى كان اليهود يثبتون أقدامهم فى المناطق المجاورة بعد استيلائهم على الطريق الرئيسى الذى يربط بئر السبع بغزة وعسلوج.

وقد تشكلت لجنة قومية للإشراف على شئون الدفاع عن المدينة وعينت الهيئة العربية العليا الشيخ عبد الله أبو ستة قائداً لحاميه بئر السبع ووصلها بعض المجاهدين من الأخوان المسلمين وعند بدء العمليات العسكرية سنة ١٩٤٨ وصل المصريون الى مدينة بئر السبع ولكنهم اضطروا لمغادرتها عندما اشتدت المعارك في النواحي الأخرى من الجهة. وفي ١٨ اكتوبر (تشرين الأول) سنة ٤٨ هاجمت الطائرات الاسرائيلة المدينة عدة مرات ودام أكثر من خمسة أيام مما سبب خسائر مادية وبشرية لعدم وجود ملاجىء وعدم توافر أسلحة ضد الطائرات – ثم هاجم اليهود المدينة بخمسة آلاف مقاتل يقابلهم ٢١٦ مقاتلاً من العرب و١١٦ مصرياً ومائة مناضل فلسطينى. طلبت الحاميه المساعدة من الجيش المصرى ولكنها لم تصل وتقدم اليهود داخل المدينة وهكذا أسقطت بئر السبع.

بعد استيلاء اليهود على مدينة بئر السبع بدأت مأساة عرب النقب حيث أخذت السلطات العسكرية اليهودية تصادر أراضى البدو وتطرد الكثيرين من مساكنهم وتم تهجير اكثر من ٦٠ الف بدوى وتجميع من تبقى فى مكان واحد سموها محميه البدو. وبلغ عدد السكان اليهود في بئر السبع حسب إحصاء سنة ١٩٨٥–٢١٣ ألف يهودى ولم يبق فى النقب وبئر السبع الا ١٦ ألفاً بينهم كان سكان مدينة بئر السبع وعشائر النقب سنة ١٩٤٨م ٦٥ الفاً.

وزادت مأساة عرب النقب بعد توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل سنة

١٩٧٩ وانسحاب اليهود من سيناء حيث أخذوا فى إنشاء المطارات والمواقع العسكرية الجديدة فى النقب مما زاد فى تشتيت السكان هناك واجلائهم عن مواقعهم وأصبح سكان النقب من العرب أجراء يعملون فى المستوطنات اليهودية وفى مد الطرق الحديدية وبعض الأعمال الموسمية فى الزراعة.

وازداد عدد السكان اليهود فى النقب زيادة كبيرة حتى بلغ عدد المستعمرات ٩٧ مستعمرة وذلك بعد أن تم جر المياه بالأنابيب من بحيرة طبريا ومن نهر العوجا (اليركون) قرب مدينة يافا.

الانتفاضة الفلسطينية

منذ بداية الصراع العربي الصهيوني، استطاعت الصهيونية العالمية السياسية وبعدها دولة إسرائيل أن تغتصب قطعة وراء قطعة من الأراضي الفلسطينية سواء بالطرق السليمة أو بالحرب وبعد هزيمة سنة ١٩٦٧ أصبحت جميع الأراضي الفلسطينية تحت سيطرة الإدارة اليهودية وأخذت دولة إسرائيل تتفنن فى فرض واقع جديد على مسيرة الصراع العربي – الاسرائيلي، بينما تقف منظمة التحرير الفلسطينية عاجزة وراء الحدود خارج البلاد وتحاول قدر استطاعتها مواجهة التحديات والمشاكل بإمكانياتها المحدودة. والفصائل الفلسطينية الأخرى والمختلفة فيما بينها تحاول المحافظة على الحد الأدنى من الوحدة الوطنية.

ولم يكن باستطاعة سكان الداخل وهم لايملكون إلا قدرات محدودة إيقاف هذا الطوفان من الظلم والاستبداد والتنكيل في أساليب جائرة وقوانين مفصلة مبتكرة وامتهان لحقوق الإنسان وفرض العقوبات الجماعية ونسف البيوت ومصادرة الأرض ونهب الموارد المائية وإقفال المؤسسات الثقافية والعلمية والمهنية وشن حرب اقتصادية شاملة والأهم من كل ذلك حرمان الشعب الفلسطيني من هويته الوطنية.

كان سكان الأرض المحتلة يئنون من وطأة الاحتلال الإسرائيلي الجاثم فوقهم زراعاتهم لاتجد التسويق، شبابهم عاطل عن العمل إلا فيما تقبله إسرائيل من العمل في مزارعها ومبانيها وأعمالها القذرة.

هذا فى الوقت الذى كانت فيه الخلافات العربية، العربية سنة ١٩٨٧ تعكس خلافاتها على الساحة الفلسطينية – سوريا تؤيد الموقف الفلسطيني في شجب اتفاقية كامب ديفيد – مصر تغلق جميع مكاتب المنظمة والمؤسسات التابعة لها في القطر المصري – لبنان تلغي اتفاقية القاهرة المنعقدة بين دولة لبنان ومنظمة التحرير

الفلسطينية سنة ١٩٦٩ – والغارات الإسرائيلية على المخيمات الفلسطينية مستمرة بشراسة – وظهرت بعض الأصوات في غزة تؤيد الموقف الأردني المعادي لمنظمة التحرير الفلسطينية – والأوضاع داخل فلسطين المحتلة تغلي كالمرجل.

وجاء يوم الثلاثاء الموافق ٨ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٨٧ حينما صدمت شاحنة إسرائيلية سيارتين صغيرتين تقلان عمالا من قطاع غزة قرب حاجز إيرتز العسكرى (بيت حانون) كلمة ايرتز معناها بالعبراني الأرض فاستشهد أربعة عمال وجرح تسعة آخرون، ورغم أن هذه الحادثة لم تكن الأولى من نوعها وسبقتها حوادث كثيرة لاتحصى أثناء الاحتلال الإسرائيلي إلا أن هذه الحادثة كانت المحطة التاريخية التى لاتنسى في ضمير الشعب الفلسطيني.

تفجرت على أثرها انتفاضة شعبية عفوية عارمة انطلقت من مخيم جباليا في غزة وسرعان ما انتشرت واتسع لهيبها فى كل أنحاء القطاع والضفة الغربية. استمرت الانتفاضة وانقضى عامها الأول سنة ١٩٨٨ وأصبح الدور الفلسطيني في الداخل هو المفجر والمحرك للنضال الفلسطيني بأسلوب جديد.

وعودة الى ما قبل هذه الانتفاضة الكبرى حيث جرت سلسلة من الانتفاضات والاشتباكات والمصادمات خلال عامي ١٩٨٦–١٩٨٧ منها ما حدث في بر زيت – خان يونس – غزة – جنوب لبنان ونذكر هنا حادثة الطائرة الشراعية التى هبط قائدها الذى يحمل اسم «أبى رامي» في قاعدة جيبور العسكرية الإسرائيلية القريبة من مستعمرة كرييت شمونة في شمال فلسطين وتمكن من قتل ستة ضباط وجنود وجرح تسعة قبل أن يستشهد.

حددت الانتفاضة أهدافها الاستراتيجية وهي فى الحقيقة المطالب التى دأب الشعب الفلسطيني على المطالبة بها وهى:

١– تحرير فلسطين حرة عربية

٢– تقرير المصير وبناء الدولة المستقلة

٣– الانتماء الى منظمة التحرير ورفض المشاريع المشبوهة، وحددت كذلك أهدافها المرحلية.

١– إلغاء العمل بقوانين الطوارئ

٢- سحب الجيش الإسرائيلى من المدن والقرى الفلسطينية.

٣- إطلاق سراح المعتقلين.

٤- وقف مصادرة الأراضي وبناء المستوطنات.

٥- رفض إغلاق المؤسسات التعليمية والنقابية.

وبداية تحرك الانتفاضة كان أثناء تشييع جنازة الشهداء الأربعة حيث أطلق الجنود الإسرائيليون النار على المشيعين فقتلوا شخصين وجرحوا ستة وعشرين منهم طفلان. انطلقت التظاهرات والمصادمات والاشتباكات في كافة المخيمات وشملت كافة القطاعات كما عمت الضفة الغربية وبهذا ظهرت شمولية الانتفاضة وأنشئت القيادة الفلسطينية الموحدة وهكذا تحولت الانتفاضة الى عمل شعبى متكامل وتم توزيع الأدوار بين مختلف الفرقاء والتنظيمات الفلسطينية بدقة وبراعة وانتشرت اللجان الشعبية المحلية لتولي الشئون التنظيمية والإدارية والصحية والشئون الحياتية للشعب الفلسطيني وكان وراء تلك التنظيمات القائد العظيم خليل الوزير (أبو جهاد) وقد تميز أبو جهاد بقدراته العملية وبدأبه وبهدوئه وتخصص في العمل داخل الوطن المحتل وتوج جهاده بقيادته انتفاضة شعب فلسطين وبذل كل الجهد لكي يوفر مستلزمات الانتفاضة (الحجر - المقاليع - الزجاجات الحارقة - الإطارات المشتعلة - كرات الحديد والمسامير - العبوات الحارقة - السكاكين وكرات القماش المشتعلة» ولاشك أن تلك الأدوات كانت قادرة على تلبية طبيعة تلك المرحلة حيث اشترك الشعب بأكمله في عمليات المقاومة. واتخذت السلطات الإسرائيلية إجراءات متنوعة لقمع التظاهرات وعمليات المقاومة من الضرب الجسدي الى إطلاق النار الرصاص المطاطي والعادي وقنابل الغاز واعتقال المئات من الفلسطينيين.

واستعملت الانتفاضة أيضا سلاح الإضراب وحاولت السلطات الإسرائيلية فتح المحلات بالقوة ثم رفعت الانتفاضة شعار العصيان المدني ومحاولة الاكتفاء الذاتي قدر المستطاع وجاء انقطاع العمال العرب عن العمل في إسرائيل وكان عددهم يزيد عن مائة ألف ضربة مفاجئة للمزارع الإسرائيلية. وحول الفلسطينيون الحدائق في البيوت الى زراعة الخضروات والبقول وتربية الدواجن وحولوا بعض البيوت الى مراكز للخياطة والنسج وكانت اللجان الشعبية المتخصصة تحاول ملء الفراغ ليصبح بديلا للسلطة الإسرائيلية وتصاعدت الى جانب الانتفاضة في الداخل العمليات الفدائية في جنوب لبنان وتزايد

عدد القتل والجرحى الإسرائيليين. وازدادت الانتفاضة اشتعالا سنة ١٩٨٨ خصوصا بعد استشهاد أبى جهاد في تونس على يد الكوماندوز الإسرائيليين وتحدت الجماهير قرارات منع التجول وازدادت التصادمات الدموية مع الجيش الإسرائيلي وكلما ازداد العنف الإسرائيلي وإجراءاته القمعية شدة ازداد الموقف الفلسطيني صلابة وتحديا.

محاولات قمع الانتفاضة:

بدأت إسرائيل تشيع أن هدف الانتفاضة هو تصفية دولة إسرائيل وذلك تبريرا للإجراءات القمعية التى انتهجتها حكومة إسرائيل ولم تراع فيها أبسط المبادئ الإنسانية. وجاءت قاعدة رابين بتكسير العظام وإحداث أكبر عدد من الإصابات واعتقال أكبر عدد من المواطنين وكان الجنود الإسرائيليون يتعمدون الضرب على الأيدى اليمنى التى تحمل الحجر وتفنن الجيش الإسرائيلي في استعمال أنواع مختلفة من قنابل الغاز والرصاص البلاستيكي والمطاطي وغاز الأعصاب التى أثرت كثيرا على النساء الحوامل والأطفال ولجأ الجيش الإسرائيلي الى نوع جديد من العمليات وهو ما أطلق عليه «عمليات المبادأة» أى الهجوم على البيوت والقرى والهدم والضرب والاعتقال. وزاد تدخل المواطنين اليهود المسلحين بجانب قوات الجيش الإسرائيلي في استفزاز الأهالي في مهاجمتهم والسطو على المحلات الفلسطينية وإحراقها وعمدت سلطات الاحتلال أيضا الى قطع خطوط التليفون والكهرباء وإتلاف المحاصيل الزراعية والمواد التموينية وكل ذلك بقصد القضاء على أسباب. الحياة اليومية وكأنها تعيد ما فعلته أمريكا في فيتنام وأخذ عدد الضحايا يزداد وكذلك المقاتلين ورغم عدم وجود حل سريع وسحري لمعاناة الشعب الفلسطيني فإنه رغم ذلك لم ييأس ولم يصب بإحباط وتجلت الوحدة الوطنية بكل معانيها وظهر الالتزام الأخلاقي في ضبط الحياة الأمنية والاجتماعية ولم تسجل حوادث إخلال بالأمن أو سرقة أو احتيال أو استغلال. استطاع أيضا شعب الانتفاضة أن يتحول من مجتمع استهلاكي يشترى الكماليات الى مجتمع منتج يحاول الاكتفاء الذاتى وهذا ما مكن الانتفاضة من الاستمرار والصمود. صحيح أن خسائر إسرائيل المادية وخصوصا ميزانية الأمن زادت كثيرا وكذلك مقاطعة العمال العرب الذين يعملون في إسرائيل زادت تلك الخسائر لكن أمكن تعويضها من جانب الولايات المتحدة الأمريكية أما الخسائر الحقيقية فهي الخسائر المعنوية والتى أوضحت للعالم أن إسرائيل لم تقم على أرض بلا شعب كما زعمت وأن اليهود دائما الضحايا.

خسائر وضحايا الانتفاضة:

بلغ عدد الشهداء حسب إحصاء حقوق الإنسان ٤٢٧ شهيدا - ٣٦٤٠ جريحا - أكثر من ٣٠ ألف معتقل - ٣٠٠٠ معتقل إداري - ٥٨ مبعدا وعدد البيوت التى نسفت ٥٣٢ بيتا هذا بخلافُ عدد الجرحى الذين لم يقيدوا في المستشفيات والمؤسسات الصحية وكان عددهم بالآلاف وفي تقرير آخر لحقوق الإنسان أقر أن خسائر الانتفاضة بلغ ٤٥ ألفا.

وفي تقرير لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية «ياسر عرفات» أورد خسائر الانتفاضة كما يلي ٢٠٠٠ شهيد - ١١٧ ألف جريح - ١٣٨ ألف معتقل - ٧ آلاف معاق - ٨ آلاف حالة إجهاض.

لاشك أن الانتفاضة صنعت حقائق جديدة على أرض فلسطين فقد نجحت في إثبات وحدة الشعب الفلسطيني وأن أرض فلسطين هي مكان الصراع الرئيسى مع العدو الإسرائيلي وأظهرت الصورة الحقيقية للنضال الفلسطيني كحركة مقاومة شعبية مشروعة وأن قضية الشعب الفلسطيني أنه يناضل من أجل حريته وحقوقه الوطنية المشروعة وأظهرت أن صورة الإرهاب التى رسمتها دوائر الإعلام الاستعمارية والصهيونية التى فرضت نفسها على الرأى العام العالمي أخذت تهتز واستطاعت الانتفاضة أن تسقط الادعاء الإسرائيلي بأن الصراع مع العرب هو صراع حدود. بل مكانه الحقيقي هو الأرض الفلسطينية نفسها واستطاعت الانتفاضة كذلك إسقاط دعاية ومزاعم الحكومة الإسرائيلية بأنها حققت الحدود الآمنة للشعب الإسرائيلي.

إن الموقف الفلسطيني بعد الانتفاضة أصبح مختلفا عما كان قبلها والموقف الدولى بدأ يتغير وقد أظهرت الانتفاضة أن هناك شعبا فلسطينيا يطالب بحقوق مشروعة وأهمها تقرير مصيره وبدأت إسرائيل تفكر في مخرج تتخلص به من عبء مراكز الكثافة السكانية الفلسطينية وخصوصا في قطاع غزة. ورغم الضياع والتيه الذى تعيشه نسبة كبيرة من شعب فلسطين فإن قضية فلسطين بدأت تحفر لها طرقا في مجرى الأحداث العالمية.

النتيجة: هل تم التقدير المستحق لمسيرة الكفاح الفلسطيني؟ وهل قدرت المسيرة حق قدرها؟ ووقوف الشعب الفلسطيني أمام الهجمة الإسرائيلية الشرسة بمباركة الولايات المتحدة الأمريكية - هل قدرت الدول العربية المأزق والتضحيات التى قدمها

الشعب الفلسطيني أمام أعتى قوى العالم؟ - هل باستطاعة الشعب الفلسطيني أن يقدم أكثر مما قدم حتى الآن؟ - هناك ثمة إجماع أن الفرق الهائل بين كفتي القوى الفلسطينية والإسرائيلية لن تمكن من الوصول الى الحل المرضي والعادل إلا إذا تم استغلال المكاسب التى حققتها الانتفاضة دون التلهف الى الوصول الى الحلول المشبوهة التى تقدمها الولايات المتحدة وإسرائيل.

السياسة هى تحقيق المتاح وأصبحت فيما بعد السياسة هي المتاح فقط!

للأسف منذ بدأ عام ١٩٩١ سارعت منظمة التحرير الفلسطينية للتفاوض السري في أوسلو دون إعداد جيد ودون وجود مستشارين قانونيين أكفاء وبمفاوضين تنقصهم الدراية والحنكة ودون أن يكون معهم خرائط تفصيلية ومعرفة جيدة بالحقائق والأرقام وإلمام حقيقي بطبيعة إسرائيل وأهدافها وفي مقابل الاعتراف اللفظي بمنظمة التحرير الفلسطينية وبسلطة فلسطينية محدودة احتفظت إسرائيل بالسيطرة على الأرض والماء والأمن والسياسة الخارجية في جميع مناطق الحكم الذاتي وأعادت نشر بعض قواتها ولم تستعمل كلمة انسحاب واستمرت تسيطر على كافة المداخل والمخارج لغزة وأريحا واحتفظت بحقها في رفض كافة التشريعات المقترحة وكافة التعيينات في المناصب المختلفة.

لم تسمح إسرائيل إلا بحكم ذاتي محدود ونقل السلطات في أماكن الكثافة السكانية العربية إلى السلطة الفلسطينية وإقامة جهاز أمن فلسطيني باهظ التكاليف ليحل محل القوات الاسرائيلية في مناطق الحكم الذاتي.

الحقيقة أن أوسلو كانت بين شريكين الأول فائق القدرة والثاني شديد الضعف وطبيعي أن يؤدي ذلك الى استمرار تقديم التنازلات وتأجيل المسائل الهامة الى مفاوضات الحل النهائي وأصبحت الأراضي الفلسطينية تعرف باسم مناطق متنازع عليها وأصبح من الواضح أن المفاوضات الإسرائيلية - الفلسطينية برعاية الولايات المتحدة لاتهدف أن تكون الضفة الغربية وقطاع غزة مرشحة للاستقلال بل الى كانتونات تفصل بينها وتقسمها شبكة من الطرق والمستوطنات. وأهم ما يشغل الحكم الذاتي الفلسطيني هو التعاون بين قوات الاحتلال الاسرائيلية وقوات الشرطة الفلسطينية لتوفير الأمن لإسرائيل. وأصبحت كلمة أمن إسرائيل تحظى بأهم بند في بنود اللقاءات والاجتماعات والمؤتمرات بين المفاوض الفلسطيني والمفاوض الإسرائيلي. أليس اللا تفاوض أفضل من استمرار تقديم التنازلات؟.

حول اتفاق السلام الفلسطيني الإسرائيلي

هانحن نحصد ما ارتكبته أيدينا في ظلام وارسو وكل ما فعلناه ظنا منا أن العالم سوف يعترف بنا ويتعامل مع قضيتنا بالعدل والإنصاف وأن المحافل الدولية وخاصة الأوربية سوف تمارس ضغوطا حقيقية على إسرائيل وتمارس بعض المواقف والإجراءات العملية وليس الشكلية أمام تعنت الموقف الأمريكي المنحاز كلية تجاه إسرائيل وقد ظهر الآن أن ذلك كان وهما.

وسقطت المزاعم التي كانت تنادي بأن الاتفاق سوف يؤدي الى تحقيق المطالب الفلسطينية العادية ونسينا حقيقة هامة أن هذا الاتفاق لم يقم على الندية بين طرفين بل قام الطرف الأقوى بتوظيف الطرف الثاني الأضعف بتحقيق مصالحه وأهدافه – والأهداف الإسرائيلية لم تعد خافية وهي واضحة كالشمس – وقد أدى فشل الاتفاق الى مزيد من الإحباط واليأس بين الشعب الفلسطيني والأخطر من ذلك أنه زاد في تعميق الخلافات الفلسطينية / الفلسطينية وأصبح واضحا أن هذا الاتفاق المزعوم لايصلح أساسا لحل القضية الفلسطينية بل يزيدها تعقيدا.

لاشك أن الجدل حول هذا الاتفاق استغرق الكثير من الآراء بعضها يتعلق بالشكل والبعض الآخر يتعلق بموضوع الاتفاق وقد انقسم الناس بين مؤيد ومعارض رغم أن رصيد المؤيدين أخذ يتناقص مع مرور الوقت. وحتى يسمح لنا بطرق أبواب التفاوض أقدمت منظمة التحرير الفلسطينية على الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود بسلام وأمان والإقرار بدولتهم دون تحديد حدود هذه الدولة وتعهدت بتوفير السلام والأمن لهذه الدولة من خلال نبذ استخدام ما يسميه اليهود والأمريكان «بالإرهاب» ومنع العنف والضرب بقسوة على أيدي المخالفين وفي المقابل اقتصر اعتراف إسرائيل بمنظمة التحرير على اعتبار أنها ممثلة للشعب الفلسطيني دون الاعتراف بحق هذا الشعب في تقرير مصيره وانشاء دولة مستقلة على أراضيه.

وكانت هذه مغالطة كبرى لأن شرط الاعتراف المتبادل لايتحقق عندما يكون أحد طرفي الاتفاق «دولة» والطرف الآخر «مشروعا» غير مقرر له أن يكون دولة وأن يبقى كيانا محدود الصلاحيات.

ومن ناحية القانون الدولي فإن اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بالدولة الإسرائيلية غير قابل للتراجع وهذا ما أقرته الاتفاقات الدولية في حين أن اعتراف إسرائيل

بالمنظمة أشبه بالاعتراف بالكيانات. وهو اعتراف واقعي يمكن التراجع عنه في بعض الحالات وهو ما تمارسه إسرائيل الآن.

وقد تركت الاتفاقات المعقودة بين إسرائيل والفلسطينيين حل القضية على عدة مراحل أولها إدارة غزة – أريحا ثم مرحلة الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة وأخيرا مرحلة الحل النهائي الذى ستجري بصدده المفاوضات قبل انقضاء الفترة الانتقالية المقررة بحد أقصى خمس سنوات.

وهكذا بقيت الأراضي الفلسطينية محتلة ومستباحة للنهب بينما أخذت إسرائيل تتحايل وتماطل لتنفيذ مرحلة الحل النهائي وهو ما نراه الآن على الطبيعة وخصوصا بعدما جاء حزب الليكود إلى السلطة وموقف أمريكا الذى يخضع باستمرار لمشيئة إسرائيل. وهكذا بدأ مسلسل التنازلات الفلسطينية وألغى حق مقاومة الاحتلال في الأراضي الفلسطينية وأخذت السلطة الفلسطينية على عاتقها حماية أمن إسرائيل.

نفهم مثلا من يقول أن هذه الاتفاقية هي ما أمكن تحصيله في ظل الظروف العربية والدولية الراهنة وهو ما قد أجبرنا على قبول أقل القليل لأن هذا هو الخيار الوحيد الذى كان متاحا أمام المفاوضين وشيء قليل خير من لا شيء على الإطلاق. يمكن قبول هذا المنطق إلى حد ما. إنما المدهش حقا أن تنصب السرادقات احتفالا بالانتصار الكبير وأن نتصرف وكأن السلام قد تحقق بالفعل وكثرت المصافحات والابتسامات بين زعماء السلطة الفلسطينية وبين الإسرائيليين.

ومن سوء الحظ أن عرفات شجب الإرهاب بدون تحديد معنى الإرهاب وهذا يعطي إيحاء بأن الانتفاضة كانت كما تفسرها إسرائيل والولايات المتحدة عملية إرهابية وأن أية مقاومة أو عمل فدائي ضد إسرائيل يعتبر إرهابا. وللحظ السيىء أيضا أن السلطة الفلسطينية أخذت تطارد وتعتقل المنظمات الفلسطينية التى لاتعترف بالاتفاق وعلى رأسها (حماس ومنظمة الجهاد). ويجب ألا ننسى أن السلطة الفلسطينية قد تخلت عن جميع الفقرات من الميثاق الفلسطيني والتى كانت موجهة ضد قيام دولة إسرائيل بل على العكس أصبحت ملزمة بالدفاع عن أمن إسرائيل والمهمة الأولى لهذا الجيش الكبير من الشرطة الفلسطينية هو في المقام الأول للدفاع عن أمن إسرائيل.

وسئل ياسر عرفات عن أسباب قبوله بهذا الاتفاق الهزيل وقيام السلطة المحدودة في قطاع غزة والضفة الغربية رغم ما يكتنفها من إهدار للحقوق الفلسطينية – تعلل بالإجابة التالية:

١- انهيار الاتحاد السوفيتي وانفراد أمريكا بالسيطرة على العالم.
٢- الآثار المدمرة لحرب الخليج.
٣- الضائقة المالية ونضوب مصادر التمويل.
٤- توقف سيل المعونات.
٥- الظروف القاسية التى وصل إليها سكان الداخل ومحاولة رفع المعاناة عنهم.
٦- الضغوط والمساومات التى أخذت تنهال على السلطة الفلسطينية من بعض القيادات العربية.
٧- الخوف من الجماعات الفلسطينية مثل حماس والجهاد.

نعود الى فكرة المؤتمر الدولي الذى تبنته أمريكا بعد حرب الخليج لمساعدة إسرائيل في القضاء على الانتفاضة.

وفي البداية كان المعتقد أن ينعقد المؤتمر الدولي العربي الإسرائيلي بإشراف هيئة الأمم المتحدة وباشتراك المجموعة الأوربية ولكن تحول بالتدريج الى مؤتمر إقليمي بين إسرائيل والدول العربية والفلسطينية بإشراف رمزي من روسيا وأمريكا وإشراف فعلي من أمريكا وحدها.

وكان من شروط إسرائيل لانعقاد المؤتمر عدم السماح باشتراك هيئة الأمم المتحدة إلا كمراقب ليس له صفة المشاركة فقط الاستماع وعدم السماح للمجموعة الأوربية إلا بصفة مراقب مستمع فقط. وأن يخضع التمثيل الفلسطيني للشروط الإسرائيلية التالية:
١- رفض اشتراك أو ذكر منظمة التحرير الفلسطينية في المؤتمر.
٢- رفض اشتراك أى فلسطيني من خارج المناطق المحتلة.
٣- رفض اشتراك أي فلسطيني من مدينة القدس.
٤- رفض اشتراك أى فلسطيني لاترض عنه إسرائيل.
٥- قبول التفسير الإسرائيلي للقرار ٢٤٢ وعدم اعتراض أمريكا على ذلك.
٦- تعهد أمريكا بعدم الضغط على أى طرف لقبول وجهة نظر الطرف الآخر أو حضه على تقديم تنازلات.
٧- في حالة وجود أى خلاف لايجوز الالتجاء إلى المحافل الدولية بل يبقى التفاوض بين أطراف الخلاف.
٨- تتعهد أمريكا بأن لايؤدي المؤتمر بأى حال الى دولة فلسطينية مستقلة.

٩- عدم الربط بين مراحل الاتفاق.

١٠- البدء في تطبيع العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل.

وتم انعقاد مؤتمر مدريد وتبعه انعقاد مفاوضات الطرشان بين الفلسطينيين والإسرائيليين والدول العربية في واشنطن ثم فجأة انعقد مؤتمر أوسلو ١ وأوسلو ٢ وظهر إلى الوجود الحكم الذاتي الفلسطيني والسلطة الفلسطينية. ومن أسوأ ما تضمنه اتفاق أوسلو للحكم الذاتي الفلسطيني.

١- أن بنود الاتفاق كانت غير محددة وتحتمل أكثر من تفسير ما يعتقد الفلسطينيون أنه موجود بالاتفاق يرفضه الإسرائيليون ويفسرونه بطريقتهم الخاصة.

٢- تقسيم الاتفاق الى مراحل آخرها المرحلة النهائية.

٣- تأجيل موضوع القدس الى المرحلة النهائية وهى التى أخذت تتآكل تدريجيا باستيلاء إسرائيل عل مزيد من الأراضي وإحاطتها بالمباني والمستوطنات الجديدة وآخرها مستوطنة جبل أبو غنيم التى في حالة إتمام بنائها سوف تحول مدينة القدس العربية الى منطقة ضيقة صغيرة محاطة من جميع الجهات ومحاصرة بالمباني اليهودية. وتتعرض حاليا القدس الى قوانين بلدية جائرة بحيث أصبحت المباني والبيوت العربية تنتقل الى اليهود بسبب الحاجة الماسة للسكان المحليين.

٤- طيلة المفاوضات حتى المرحلة النهائية تبقى المستوطنات الإسرائيلية في أراضي السلطة الفلسطينية محمية بالقوات الإسرائيلية وخاضعة للسلطة الإسرائيلية وليس للفلسطينيين سلطة عليها بأى حال. وأخطر مشاكل المستوطنات خصوصا في الضفة الغربية هو حجمها النسبى والمساحة التى تشغلها من أراضي الضفة وما تستثمره وتستهلكه من مواردها بمعدلات أعلى بكثير مما يوازي حجمها السكاني بالنسبة لسكان الضفة وهذا الوضع نشأ من سياسة القهر والاحتلال وعدم تعرض الاتفاق لهذا الموضوع.

٥- ممنوع على السلطة الفلسطينية الاستفادة من أى علاقات عربية أو الانفراد بأي قرار اقتصادى مهم.

٦- أى مساعدات رسمية تدخل من خلال الحكومة الإسرائيلية.

٧- لايحق لسلطة الحكم الذاتى توقيع أي عقد أو اتفاقية لمشاريع اقتصادية أو مالية أو تجارية دون أخذ موافقة مسبقة من إسرائيل.

٨- الاستيراد والتصدير مع العالم الخارجي لايتم إلا من خلال وزارة التجارة الإسرائيلية.
٩- القيود الخارجية مقيدة بالقوانين الاسرائيلية حتى التعامل المالي مع الفلسطينيين بالخارج يخضع لترتيبات تضعها إسرائيل.
١٠- الإفراج عن المعتقلين يتوقف على حالة الأمن الإسرائيلي ويخضع لمتطلباته.
١١- وهكذا تبقى السلطة الفلسطينية مشلولة الحركة تمزقها الثقوب المنتشرة والطرق التى تقام باستمرار تمزق وتخترق الأراضي الفلسطينية وتحول مدنها الى كنتونات محاصرة ضمن حدود المدينة فقط لا غير.

تبقى الحقيقة التى أراها تلوح في الأفق أن إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية لن يقدما للفلسطينيين ما يؤثر تأثيرا حقيقيا على هدف إسرائيل الكبرى وابتلاع بقية الأراضي الفلسطينية التى أصبح يطلق عليها الآن أراض متنازع عليها وليست أرضا محتلة. وربما يتأخر هذا الهدف قليلا ولكن إذا سارت الأمور كما هي عليه الآن والأمة العربية في غفلة واسترخاء وخضوع للمشيئة الأمريكية فقل على فلسطين السلام.

ربما تحصل تسوية بالنسبة للجولان نتيجة للضغوط على سوريا ولكن بشروط مجحفة جدا ومحققة للآمال الإسرائيلية بحيث تحل قوات أمريكية محل القوات الإسرائيلية في هضبة الجولان وتبقى مراكز المراقبة إسرائيلية وخصوصا فوق جبل الشيخ وتبقى سوريا مكشوفة تماما بكل متر فيها تحت نظر القيادة الإسرائيلية وتتحول مناطق واسعة من جنوب سوريا إلى أراض مجردة من السلاح وربما إلى مناطق عازلة.

أما سيناء فستبقى محتلة من القوات الأمريكية تحت اسم القوات المتعددة الجنسيات ولا يجوز إجلاؤها إلا بموافقة إسرائيل وتبقى مجردة من السلاح حسب نص اتفاق السلام بين مصر وإسرائيل.

ولكن هل بقي للفلسطينيين أى شيء يستطيعون التنازل عنه الآن وهل تستطيع السلطة الفلسطينية أن تلبى طلبات إسرائيل التى لاتنتهى بخصوص الأمن.

فكرة السلام لا أحد يرفضها في حد ذاتها كفكرة ولكن نرفض السلام الذى يتجاهل الحقائق التاريخية والسياسية والإنسانية التى احتواها الصراع العربي الإسرائيلي طيلة قرن من الزمن. إن المنطقة العربية تشهد حاليا محاولات ضارية لتغييب عقل الأمة وتشويه ذاكرتها ولاشك أن المجتمع الدولي لم يكن ليعامل العقلية العربية بهذا القدر

من الاستهانة والاحتقار لحقوقهم المشروعة إلا لأن العالم الذى ينتمون إليه يفقد بالتدريج أسباب وجوده ومقومات تقدمه واستمراره ويدلف إلى ظلام الإرهاب الداخلي والتمزق العقلي والفكري والشلل السياسي والتخلف الحضاري.

ومادام العالم العربى يرضخ لحكم سلطان قوى التسلط الدكتاتوري على مقاديره والديموقراطية غائبة تماما فسوف تبقى الكرة داخل الملعب الإسرائيلي يوجهها كيف يشاء حسب مصالحه وأهدافه.

قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧

شارك في أهم عناصر هذا القرار مندوب الولايات المتحدة الأمريكية في مجلس الأمن آرثر جولدبرج (وهو يهودى متعصب لإسرائيل) ثم تولى صياغته النهائية اللورد كاردون (وهو قانونى بريطاني).

كان هذا القرار نموذجا عبقريا من نماذج الصياغات الديبلوماسية التى تعطي لكل طرف من الأطراف ما يمكن أن يستند إليه في طلب الشيء ثم يعطى لكل طرف من الأطراف مايمكن أن يتمسك به في طلب نقض الشيء.

قبل العرب هذا القرار لأنه ينص على عدم جواز احتلال الأراضي بالقوة وبأنه يطلب الانسحاب من «أراض محتلة» سنة ١٩٦٧ وفي نفس الوقت فإن ليفي أشكول رئيس وزراء إسرائيل قبل نص القرار لأنه يربط ذلك بمفاوضات تأخذ الانسحاب الى حدود آمنة ومعترف بها. وهكذا كان نصف القرار يبدو متعارضا مع نصفه الآخر وكانت هنالك معضلة التوفيق بين النصفين أيهما يمثل نقطة البداية. في حين أن الطرف العربي أعطى الأولوية للانسحاب تأسيسا على مبدأ عدم جواز احتلال الأراضي بالقوة فإن إسرائيل أعطت الأولوية للسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها تأسيسا على أن التفاوض بقصد التوصل الى حالة سلام هو المقدمة التى لابد منها.

وكان تعليق جمال عبد الناصر أن النصوص لاتصنع الحقائق وإنما الحقائق هى التي تصنع النصوص وقال كلمته المشهورة (إن ما أخذ بالقوة لايسترد بغير القوة). وعلق كيسنجر على القرار ٢٤٢ بأنه يشبه النكتة جمل منسقة لا أرى فيها جانبا تنفيذيا وكل واحد يخرج من المعاني العامة حسب تفسيره إلى معان محددة وكل طرف يستطيع تفسيره وفق رغبته وخصوصا في معنى الحدود الآمنة.

ما ينص عليه قرار ٢٤٢ فيما يتعلق بالجانب الفلسطيني:

مر حتى اليوم حوالي نصف قرن على صدور القرار ٢٤٢ بات خلالها من أشهر قرارات الأمم المتحدة التى صدرت حتى اليوم وأصبح هذا القرار المحور الأساسي الذى تدور حوله الجهود لإيجاد تسوية للصراع العربي الإسرائيلي.

هذا القرار ارتبط منذ صدوره بتساؤلات كثيرة حول تفسير الانسحاب من الأراضي المحتلة سنة ١٩٦٧ والخلاف حول كلمة أراض أو الأراضي باستخدام أل التعريف.

أما فيما يتعلق بالجانب الفلسطيني فإن القرار ٢٤٢ لم يشر الى المشكلة الفلسطينية وإنما تحدث عن مشكلة اللاجئين فقط وصدر بموجب الفصل السادس من ميثاق الأمم المتحدة وهو الفصل الخاص بالتسوية السلمية للمنازعات وبذلك بقى مجرد توصية غير ملزمة كما ينص عليه الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

ورغم أن القرار تضمن إنهاء حالة الحرب لإيجاد السلام العادل والدائم وهو الأساس الذى يقوم عليه مبدأ الأرض مقابل السلام فقد جاء بعد حرب ١٩٧٣ ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية وانعقاد مؤتمر مدريد وتوقيع ميثاق أوسلو ومعاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية.

أما فيما يتعلق بإيجاد تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ورغم صدور عدة قرارات من الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والإقليمية فلم يحدث حتى الآن أى تقدم بموضوع عودة اللاجئين لأرضهم المحتلة. وكذلك حق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره وموضوع القدس والمستوطنات والانسحاب من الأراضي العربية المحتلة لايزال يقابل بالرفض الإسرائيلي والتفسيرات الملتوية التى تقوم بها إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وتغيير مفاهيم لا تقبل النقاش الى مفاهيم أخرى مثل تحويل الأراضي المحتلة إلى أراض متنازع عليها واعتبار الانسحاب من أى موقع فلسطيني على أنه إعادة انتشار للجيش الإسرائيلي على أساس أن الأرض تبقى ملك إسرائيل. وهكذا أصبحت قرارات الأمم المتحدة بمجملها غير منفذة.

إن انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي الفلسطينية المحتلة حسب ما جاء في القرار ٢٤٢ أصبح في النزع الأخير وأصبح النص بسلامة الأراضي الإقليمية ووحدتها حبرا على ورق.

وتحديات إسرائيل بضم القدس وجعلها العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل والتمادي فى تهويدها يتسارع يوما بعد يوم.

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة عدة قرارات بعد القرار ٢٤٢ تنص على الانسحاب الكامل من الأراضى العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ في الضفة الغربية وغزة بالإضافة الى الجولان السوري المحتل والانسحاب من جنوب لبنان بدون شروط ولكن جميع تلك القرارات بقيت معلقة ولم يتم تنفيذ أي منها باستثناء الانسحاب الإسرائيلي الذى تم في بعض المدن الفلسطينية ذات الكثافة السكانية العربية والذى يخضع بمجمله الى الإدارة العسكرية الإسرائيلية أمنيا واقتصاديا ولاشك أن إسرائيل لم تقم بذلك الانسحاب إلالكي تتخلص من مشاكل تلك الكثافة السكانية الفلسطينية والتى بدأتها بالتخلص من إدارة قطاع غزة وألقت تبعات أمنه على السلطات الفلسطينية.

كلمة «لا»

منذ بدأ الانتداب البريطاني على فلسطين سنة ١٩٢٠ واخذت العروض والحلول المغرضة تقدم للشعب الفلسطيني بدءاً من وعد بلفور وصك الانتداب والتحول الى الحياة المدنية في فلسطين بعد انتهاء الحكم العسكري مروراً بالعروض التى قدمتها حكومة فلسطين البريطانية مثل – المجلس التشريعي – لجان التحقيق المختلفة – الكتب البيضاء – التحديد المؤقت للهجرة اليهودية – قوانين الأراضي – جميع تلك المشاريع المشبوهه، التى رفضها الشعب الفلسطيني واستعمل كلمة «لا» وكان محقاً في ذلك.

ثم جاء قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ فقال الشعب الفلسطيني «لا» لأنه كان قراراً مجحفاً أعطى اليهود نسبة ٥٤٪ من أجود الأراضي الفلسطينية وترك للفلسطينيين ٤٦٪ رغم أن اليهود لم يكونوا يمتلكون من أراضى فلسطين أكثر من ٦٪ وقت صدور قرار التقسيم.

وجاءت بعد سنوات اتفاقيات قرارات الخرطوم الثلاث الى قال فيها العرب «لا» وتبع ذلك اتفاقية كامب ديفيد واتفاقية اوسلو فقيل لهما «لا».

ورغم أن «لا» في جميع الحالات المذكورة كانت مطلوبة وعادلة إلا أننا بدأنا نخشى من ترديد كلمة «لا» والتى أصبحت الآن مطلوبة أكثر من أى عهد مضى –

وأصبحت التنازلات والمصائب تتوالى على العرب والفلسطينيين ولم يجرؤا أن يقولوا «لا» رغم ان الحاجة ماسة جداً لاستعمالها الآن.

ان الظروف التى تمر بها الامة العربية بصفة عامة والشعب الفلسطيني بصفة خاصة تحتاج الآن الى وقفة مع النفس لكى نعلن بأعلى صوت كلمة «لا» ونتحى جانباً الحماس اللفظى معللين النفس بأن الغير - وأعنى امريكا واوروبا - سوف يعود الى الحق بينما الدول العربية تبتعد أكثر فأكثر من الاهتمام بالقضية الفلسطينية وقدراتها على التدخل تقل تدريجياً.

إن أكثر الأنظمة العربية إن لم يكن كلها تخضع الآن للنفوذ الأجنبى ومصالحها الخاصة أصبحت أكثر التصاقاً وقرباً من القوى الغربية حتى الدول التى كانت تؤيد القضية الفلسطينية في آسيا وأفريقيا بدأت تبتعد قليلاً عنا وتتقرب الى إسرائيل وليس مثال الصين والهند وبعض الدول الإفريقية ببعيد.

اللاءات السابقة كان الجواب العربى الوحيد المتاح الذى لايملك العرب غيره بعد الهزائم المتكررة حتى جاءت «لا» لكامب ديفيد التى قسمت العرب وانقسم العرب حولها واختلفوا وجاءت حرب اكتوبر سنة ٧٣ وتغير الحال قليلاً.

والعجيب أنه عندما اخذت اسرائيل تسرق الأرض وتقول ان ذلك مقابل الأمن وأخذ اتفاق أوسلو يتدهور تدهوراً مشيناً هل نقول الآن نعم: لـ ١٣ ٪ المعروضة علينا. وهل نعم هى المناسبة الآن لتحل محل «لا» عندما يفترض أن يملك الفلسطينيون ١٣+٣=١٦ ٪ من ١٨ ٪ وهي مابقى من قطاع غزة والضفة الغربية أى حوالى ٧ر٪ من مجموع أراضي فلسطين البالغ مساحتها أكثر من ٢٤ ألف كيلو متراً مربعاً هل المطلوب ان نقول الآن «نعم» لـ ٧ر٪ من أراضي فلسطين لنقيم عليها دولتنا المرتقبه في المستقبل إذا سمح لنا اليهود بذلك.

وحجة اليهود الآن المقبولة لدى الولايات المتحدة وأوروبا ان الأمن لن يتوفر للشعب الاسرائيلي اذا قدم تنازلات جديدة في الأرض وأن الأرض مطلوبة للحفاظ على أمن الشعب الاسرائيلى.

أين اتفاق أوسلو

وكان المفروض ان تنسحب اسرائيل من ٩٠ ٪ في سنة ١٩٩٩ ثم يتم التفاوض على الباقى ١٠ ٪ (كل ذلك من الـ ١٨ ٪)

وقد تم بالفعل بالانسحاب من ٣٪ في المرحلة الأولى – وفجأة تأتى المبادرة الأمريكية بالانسحاب من ١٣٪ من الى ١٨٪ ويصر الاسرائيليون على ٩٪ ويعتبرونه الانسحاب النهائى.

وهكذا وبعد خمسين سنة من النضال والتضحيات تصر إسرائيل على احتلال ٩٩٫٣٪ من الأراضي الفلسطينية.

وحتى لو وافقت إسرائيل على الانسحاب من ١٣٪ فإن هذا لن يتم بدون شروط على أن يكون الانسحاب خلال ١٢ اسبوعاً يتزامل مع الاشتراطات التالية التى تطلبها إسرائيل وتعرضها الولايات المتحدة.

١– تصدر السلطة الفلسطينية مرسوماً رئاسياً يحظر كل أنواع التحريض ضد اسرائيل في جميع مناطق السلطة الفلسطينية وعدم السماح بالتعبير عن العداء لإسرائيل

٢– تشكل لجنة إسرائيلية – فلسطينية لتقوم بدراسة حالات التحريض في كل ما يقال داخل الحكم الذاتي.

٣– تصادق اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير على تعديل جذرى للميثاق الوطني وإلغاء كل البنود التى لاترضى عليها إسرائيل.

٤– تتولى لجنة مشتركة مع الولايات المتحدة (المخابرات المركزية) C.I.A والسلطة الفلسطينية لفحص أسباب إلغاء ملفات وقضايا المشبوهين بالارهاب في السلطة الفلسطينية والمقصود ملفات حماس.

وبعد الاطمئنان الى تنفيذ جميع هذه البنود ومن الأسبوع السادس حتى الحادى عشر تنسحب إسرائيل مسافة ليست نهائية من الـ ١٣٪ وتنتظر بعد ذلك ان تتسلم من السلطة الفلسطينية أسماء العناصر العاملة في الشرطة الفلسطينية بحيث يكون لدى إسرائيل ملف كامل عن كل شرطى فلسطيني يعمل في السلطة.

وبعد الانسحاب يتم إنشاء لجنة ثلاثية اسرائيل + السلطة + أمريكا لبحث ومناقشة ادعاءات إسرائيل حول تهريب الأسلحة الى مناطق السلطة الفلسطينية وتجتمع اللجنة الفلسطينية الاسرائيلية لبحث الموضوعات المتعلقة بتسليم المشبوهين لتنفيذ أعمال إرهابية وهم ٣٤ شخصاً تطلبهم إسرائيل بالاسم وهم من قيادات حماس.

ملاحظة هامة:

لم ترد في جميع الاتفاقات مع الفلسطينيين كلمة انسحاب بل كلمة إعادة انتشار وهذا يبرز المعنى أن إسرائيل تعتبر الاراضي ملكا لها وأن الانسحاب يسرى على السكان فقط وليس له علاقة بالأرض والفرق بين المعنيين كبير لأن اسرائيل لاتترك الأرض بل تنقل قواتها الى أماكن أخرى غير ظاهرة أى من داخل المدن والقرى الى المشارف والجبال والتلال المحيطة.

ملاحظة ثانية هامة:

إن مواقع إعادة الانتشار لاتخضع للتفاوض وإنما ترسمها قيادة الجيش الإسرائيلي واضعة نصب عينيها

الموقع الاستراتيجى + منابع المياه

وتعتبر إسرائيل منابع المياه خطاً احمر لايمكن تجاوزه أى أنها يجب أن تبقى مسيطرة على مصادر المياه في الضفة والقطاع – وللعلم أن حصة الفلسطيني من المياه الآن ١٣ جالون في اليوم وحصة الاسرائيلي بين ٦٥–٧٥ جالون في اليوم.

ملاحظة ثالثة:

إعادة الانتشار لاتتيح للفلسطينى حرية الحركة والتنقل لأن الطرق الالتفافية فرقت التجمعات السكانية العربية وجعلت المدن والقرى تعيش في أقفاص ولا يستطيع الفلسطينى التنقل بحرية الى المدينة أو بالعكس دون المرور على أكثر من حاجز إسرائيلى ويوسع الحاجز عند حدوث أى طارئ الى إغلاق الاتصالات نهائياً.

وهذه الطرق لم يقم بها حزب الليكود بل أقامها حزب العمل وكان يرمى الى الفصل بين الأرض والسكان ونعود الى القول إن السياسات التى يتبناها الحزبان العمل والليكود لاتختلف أبداً فيما يتعلق بـ الأرض – المستوطنات – القدس – عودة اللاجئين

والحزبان يرسمان الدور المنوط بالسلطة الفلسطينية القيام به هو

١– الامور البلدية ٢– كبح جماح الشعب الفلسطينى

٣– حماية إسرائيل من غضب الشعب.

والاتفاقات والمفاوضات باعت لنا الكثير من المصطلحات الفارغه مثل لقب رئيس السلطة الفلسطينية ولايذكر ذلك إلا فى اللغة العربية وفي اللغات الاخرى لا يكتب Raies بل كلمة Presidant.

أحدث الأخطار المتوقعة في

إطار القضية الفلسطينية

هل يترك العرب الصين لإسرائيل

هذا هو السؤال المعروض حالياً على الساحة الدولية وقد أخذت إسرائيل توجه بوصلتها الى القوة القادمة في العالم وهي الصين.

أقامت إسرائيل علاقات قوية مع بريطانيا حينما كانت تعرف باسم بريطانيا العظمى القوة المتميزة التى لاتغرب عن أملاكها الشمس قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى واستطاعت أن تحصل على وعد بلفور لإقامة الدولة اليهودية في فلسطين وظلت هذه العلاقة قوية حتى تم انشاء دولة اسرائيل ثم استشعرت إسرائيل أن القوة الصاعدة هى الولايات المتحدة الأمريكية وأمدت أذرعتها للولايات المتحدة كالاخطبوط حتى كادت اسرائيل أن تصبح ولاية امريكية تشارك في صنع اخطر القرارات الامريكية وخصوصاً فيما يتعلق بالشرق الاوسط.

وبعد سقوط الاتحاد السوفيتى ونمو قوة جديدة هائلة على الساحة الدولية وهى الصين وأن هذه الدولة سوف تلعب دوراً رئيسياً وهاماً على مسرح السياسة الدولية مع بداية القرن القادم.

احتفظت بأصدقائها وحلفائها ولكنها مدت أذرعتها نحو الصين كيف حدث ذلك: أول من فكر بغزو الصين هو مناحم بيجن رغم كراهيته للشيوعية إلا أنه طلب بضرورة اختراق الصين واقترح أن يتم ذلك عن طريق الصناعات الألكترونية والجوية وقال إن الصين رغم مقاطعة أريكا وأوروبا لها – هى سوق السنوات القادمة ويجب ان تكون لنا علاقة وطيدة مع العملاق القادم. لعب اليهودى الامريكى هنرى كيسنجر دوراً بارزً في تمهيد الطريق لاقامة العلاقة بين اسرائيل والصين وأقنع الصينين ان اسرائيل لديها أسلحة متقدمة لاتقل تطوراً عن الأسلحة الغربية وفتح الطريق لرجال الاعمال الاسرائيليين لعقد الصفقات مع الصين والعرب نائمون في العسل.

وبدأت العلاقات الاقتصادية تتطور وتنمو بين اسرائيل والصين وأخذت الوفود الصينية تفد الى اسرائيل وبعد أن كانت إسرائيل تعتبر عدوة والعرب أصدقاء تحول هذا المفهوم الى موقف محايد ولاندرى هل تظل الصين محايدة أم أن الأمور ستتطور في القرن القادم وتصبح الصين منحازة الى اسرائيل.

إن حجم الصفقات الاسرائيلية للسلاح فقط مع الصين بلغ ٧ مليارات دولار في العام وتستورد إسرائيل من الصين مصنوعات صينية وخاصة الحرير حيث تعيد تصديره الى كل دول العالم.

إن الفرصة لم تفلت من الأيدى العربية ولدى العالم العربى مقومات هائلة للاقتراب والتعاون مع الصين فهل يترك العرب القطار يفوتهم يتجه كلية الى اسرائيل.

حتى لانفقد المستقبل كما فقدنا الماضى والحاضر

من أخطر ما يحدث في وطننا العربي منذ أن تلاقت مصالح الدول الغربية وأمريكا مع أهداف ومطامع الصهيونية العالمية على اقتطاع فلسطين من جسم الوطن العربى وانشاء دولة اسرائيل إن الامة العربية لاتزال تتجاهل المخاطر الحقيقية المحيطة بمنطقتنا وتتناسى أبسط الأسس التى قامت عليها الفلسفة الصهيونية والمصلحة الغربية وهى إقامة دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات مخترقة قلب الأمة العربية وإبقائها ممزقة الى الأبد وخوفاً من مجابهة المستقبل دأبت الانظمة العربية في محاولة لإقناع النفس وإقناع شعوبها التركيز على النقطتين التاليتين:

١- إن إسرائيل وقد حققت إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين لايمكنها في ظل الظروف العالمية الآن أن تحقق حلم الصهيونية بإنشاء إسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات.

٢- محاولة إقناع العقل العربى أن القضاء على اسرائيل أمر مستحيل وعليه قبول الأمر الواقع وما تقدمه اسرائيل وأمريكا ومحاولة التعايش سلمياً مع اسرائيل وهكذا ترسى اسرائيل دعائم دولتها وتنفيذ مخططاتها معتمدة في المقام الأول على ضعف الأمة العربية وتفككها وظهور بوادر الانحلال في داخلها فتقوم بتغذية هذه الظروف بمزيد من التشجيع وعند ظهور أية بادرة إيجابية لإيقاف هذا التدهور العربى تقوم اسرائيل ولو عن

طريق القوة بالحيلولة دون ذلك مستغلة ومعتمدة على تشجيع ومؤازرة الدول الغربية وامريكا.

وما يحدث الآن على الساحة العربية من المغرب الى الخليج وما يظهر من انقسامات وتمزق وحروب هو تجسيد لما تسعى إليه اسرائيل لتحقيق اهدافها المستقبلية في اقامة اسرائيل الكبرى واخضاع العالم العربى لنفوذها وسيطرتها.

وننشر فيما يلى ملحقاً للوثيقة التى قامت رابطة خريجى الجامعات الامريكية العرب بنشرها سنة ١٩٨٢ وتشكك الخبراء والساسة في صحتها نظراً لخطورتها ولكن الأيام أثبتت أنها مثل حلم إنشاء دولة إسرائيل ولم يتصور العرب إمكانية إنشاء دولة يهودية في فلسطين وأنها ستقوم خلال خمسين عاما منذ عقد المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧م.

وهكذا فوجئنا بقيام دولة اسرائيل تماماً كما قدر لها.

والخطة الجديدة كما وردت في الوثيقة ربما تحتاج لوقت اطول لتنفيذها ولكن الخطوات بدأت فعلاً وهى ترمى الى جعل إسرائيل سيدة الشرق الأوسط وقلبه النابض.

وعنوان الوثيقة الخطة الصهيونية لاسرائيل في الثمانينيات وما بعدها:

انها تقوم على تقسيم المنطقة بأكملها الى دويلات صغيرة وإنهاء الكيانات الحالية للدول العربية – والبداية ربما تكون عن طريق تجزئة العراق الى دولة شيعية ودولة سنيه وفصل المنطقة الكردية وبالنسبة لسوريا تقول الوثيقة إن تجزئة سوريا ممكن على اساس عرقى دينى مثل العراق ولبنان فتقوم دولة شيعية علوية على الساحل السورى ودولة سنية في منطقة حلب ودولة سنية أخرى في دمشق وكذلك إقامة دولة للدروز فى حوران وشمال الاردن أو في الجولان وهذا الوضع سيكون هو الضمان للأمن في المنطقة على المدى البعيد وهو هدف يمكن لاسرائيل الوصول اليه كما تقول الوثيقة أما لبنان فيمكن تجزأته الى خمس مقاطعات. وبالنسبة لمصر تقول الخطة إن تجزئة مصر إقليمياً الى مناطق جغرافية متميزة هو الهدف الرئيسى لاسرائيل على جبهتها الغربية وإذا تمت تجزئة مصر فإن بلاداً مثل ليبيا والسودان لن يكتب لها البقاء على وضعها الحالى. والرؤية المتمثلة في الخطة إنشاء دولة قبطية واخرى للمسلمين والقضاء على الحكومة المركزية وإن كان تنفيذ هذه الخطة قد اصيب بنكسة بسبب معاهدة السلام إلا أن العمل لتحقيق هذا الهدف يبدو حتمياً على المدى الطويل.

أما شبه الجزيرة العربية تقول الخطة إنها مرشحة بأكملها بشكل طبيعي للتجزئة وبالنسبة للأردن تقول الخطة إن الأردن يمثل هدفاً استراتيجياً مباشراً على المدى القصير لانه لايمثل خطراً حقيقياً على المدى البعيد بعد تجزئته وسياسة إسرائيل يجب أن تتجه نحو تصفية الأردن.

ومن أهداف إسرائيل كما تقول الخطة إعادة توزيع السكان وإلا فيتوقف نمو اسرائيل اذا انحصرت داخل حدود يهودا او السامرة والجليل وتصبح اسرائيل مهددة مثل الصليبيين الذين احتلوا هذه البلاد ثم رحلوا عنها لأنها لم تكن بلادهم وكانوا أجانب بالنسبة لها. لذلك فان إعادة التوازن السكاني هو أعظم الأهداف واكثرها مركزيه بالنسبة لإسرائيل وكذلك السيطرة الكاملة على مصادر المياه.

وهكذا ترسم الخطة صورة للمنطقة العربية تعتمد أساساً على تغذية الخلافات والانقسامات العربية وإيجاد أسباب جديدة للخلاف وإثارة الحساسيات العرقية والدينية والثقافية.

وإذا قيل كيف تنشر مثل هذه الخطة والمفروض أنها سرية والاجابة أنهم يعملون منذ سنوات طويلة وحتى الآن على أساس أن العرب لايقرأون وإذا قرأوا فليس لديهم الوعي بما يقرأون حتى إذا أدرك بعض العرب الحقيقة فلن يتحركوا.

وكلمة أخيرة إن هذه الخطة واقعية وتنفيذها ممكن وان كانت المسألة مسألة وقت لا أكثر.

وجاءت حكومة الليكود برأسه نتنياهو لتكشف المستور وتعلن ماكان يقال همساً من رفض اسرائيل للسلام وتهديدها للعرب وتحديها المجتمع الدولي وتراجعها عن الاتفاقيات الموقعة واتفاقياتها الاستراتيجية مع امريكا وتركيا وتحركاتها في بعض الدول العربية.

من كان يصدق أن قوة العراق الاقتصادية والعسكرية تم اجهاضها بالكامل وتم تحويل كل ما فيها من مزارع ومصانع الى أراض خراب.

لماذا لانصدق أن ما حدث للعراق يمكن أن يحدث لاى بلد عربي آخر، واختلاق أزمات وحكايات تبرر العدوان والتدخل.

ولايجب ان نظن ان الخطر البعيد... سيبقى بعيداً.

القرارات الهامة والمؤثرة التى شكلت بصفة أساسية مسار القضية الفلسطينية خلال مائة عام

الفكرة من هذا البحث إعادة ترتيب القرارات الهامة التى أثرت وشكلت بصفة أساسية مسار القضية الفلسطينية خلال مائة عام وأدت الى إنشاء دولة إسرائيل.

تلك القرارات التى أمكن للصهيونية العالمية بواسطتها وبالعلاقات المتينة التى كانت تربطها بالدول الغربية والولايات المتحدة الامريكية والمساعدات المتدفقة التى أمدت بها إسرائيل والوقوف بجانبها في المحافل الدولية ومنع الأمم المتحدة من اتخاذ أى قرار ضدها، تلك العوامل التى أدت الى غرس هذا الجسم الغريب في قلب العالم العربي – ولاشك أن الدول العربية بتخاذلها وضعفها ساعدت في تحقيق هذا الهدف.

إن إنشاء دولة إسرائيل هو الركيزة الأساسية والهامة للدول الغربية وأمريكا لتحقيق مصالحها والسيطرة على هذه المنطقة من العالم.

يجب أن نتذكر أن إسرائيل ليست مجرد دولة وإنما مشروع استعماري مفتوح على كل الأوهام المثبوته في كتب الأساطير العبرية والكتب الدينية المسيحية والمصالح الاقتصادية.

القرارات

١– قرارات المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بازل بسويسرا سنة ١٨٩٧ بزعامة تيودور هرتسل وهي القرارات التى حولت الصهيونية العالمية الدينية الى صهيونية سياسية تهدف الى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. ولتحقيق هذا الهدف بدأت الصهيونية السعي للحصول على موافقة الدول الكبرى وخصوصا في غرب أوربا وأمريكا وكذلك تنظيم الهجرة وتشجيع الاستيطان لليهود في فلسطين.

٢– وبينما كانت بريطانيا تتبادل الرسائل مع الحسين شريف مكة والمعروفة باسم

مراسلات «حسين – مكماهون» وتعد فيها باستقلال بلاد المشرق العربي بعد تحريرها من نير الاحتلال العثماني – اتفقت سرا مع فرنسا وروسيا على توزيع مناطق النفوذ في مقاطعات الدولة العثمانية. وعرف هذا الاتفاق المنعقد سنة ١٩١٦ باسم اتفاق «سايكس – بيكو» وظل هذا الاتفاق سرا حتى أعلنته الحكومة الباشيفية في روسيا سنة ١٩١٧ وقد نص الاتفاق على مايلي:

تكون فلسطين والأردن والعراق من نصيب بريطانيا وتكون سوريا ولبنان من نصيب فرنسا – وكما أعلن اللورد روتشند في مجلس العموم البريطاني سنة ١٩٣٠ «أن مفاوضات «سايكس – بيكو» جرت فقط من أجل الوطن القومي اليهودي».

٣– وعد بلفور الذى يعتبر أهم وأخطر الدعامات التى أدت الى إنشاء دولة إسرائيل وكان الوعد بصورة كتاب أرسله بلفور وزير خارجية بريطانيا الى اللورد روتشلد زعيم الصهيونية العالمية سنة ١٩١٧ وجاء نص الوعد:

عزيزى اللورد روتشند

يسعدني كثيرا أن أنهى إليكم نيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح التالي تعاطفا مع أماني اليهود الصهيونيين التى قدمتها ووافق عليها مجلس الوزراء.

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي لليهود بأرض فلسطين وسوف تبذل ما في وسعها لتيسير تحقيق هذا الهدف وليكن مفهوما بجلاء أنه لن يتم شيء من شأنه الإخلال بالحقوق المدنية للجماعات غير اليهودية المقيمة في فلسطين أو بالحقوق والأوضاع القانونية التى يتمتع بها اليهود في أية دولة أخرى. أتمنى أن أكون مدينا لكم بالعرفان لو قمتم بإبلاغ هذا التصريح الى الاتحاد الصهيوني العالمي.

المخلص آثر بلفور

وقد ثبت بالوثائق الرسمية أن تصريح بلفور كان قد رفع الى الرئيس الأمريكى ويلسون سنة ١٩١٧ ووافق عليه قبل إعلانه كما أن فرنسا وإيطاليا أيدتا التصريح بتاريخ ١٤ فبراير و٩ مايو سنة ١٩١٨.

لم ينتشر التصريح بسرعة وتصور الكثيرون أنه سيصبح في ذمة النسيان بعد قليل لأن الصهيونية آنذاك كانت لاتزال حلما من الأحلام. بيد أن التاريخ قدر غير ذلك وغدت هذه الوثيقة أهم الوثائق التى صدرت بشأن القضية الفلسطينية.

٤- صك الانتداب الذى أصدرته عصبة الأمم في جنيف في ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ وفيه وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني وتثبت فيما بعد أن هذا الصك تم إعادة صياغته وترتيب بنوده بالاتفاق بين بريطانيا والصهيونية العالمية. وقد جعل صك الانتداب تنفيذ وعد بلفور إحدى أهم غايات الانتداب الرئيسية بل غايته الأولى حيث جاء في المادة الثانية من الصك «تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين».

واعترف صك الانتداب بالصلات الروحية والتاريخية التى تربط اليهود بفلسطين وأعطيت الوكالة اليهودية التى كانت تمثل اليهود في فلسطين وفي الخارج صلاحيات واسعة.

ومن البنود الأخرى كما جاء في البند السادس لتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين وحصولهم على الجنسية الفلسطينية وتشجيع اليهود على استغلال كل ماتستطيع أن تناله أيديهم من الأراضي وجعل اللغة العبرية لغة رسمية للبلاد إلى جانب اللغتين الانجليزية والعربية. وقد بدأ تنفيذ الانتداب رسميا على فلسطين في ٢٩ سبتمبر ١٩٢٣ وتاريخ الانتداب البريطاني على فلسطين هو سلسلة من المظالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبقي الفلسطينيون محرومين من أى نوع من الحكم الذاتي أو الاستقلال وحياتهم الاقتصادية رهن لحاجات الوطن القومي اليهودي وخاضعة لنفوذه. وكانت حكومة الانتداب البريطانية تنفذ بنود صك الانتداب بكل دقة في الجانب الذى يتعلق بمصلحة إنشاء الوطن القومي اليهودي.

وقد أغفلت حكومة الانتداب تنفيذ نص المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم التى ساوت بين جميع البلدان المنفصلة عن الدولة العثمانية بإعدادها للاستقلال وأصرت على أن الانتداب على فلسطين وحدها يعتبر انتدابا من الدرجة الثانية بحيث لايترك مجالا لمساهمة السكان الوطنيين في الحكم.

٥- قرار تقسيم فلسطين

نظرا لأهمية هذا القرار الخطير الذى أثر جذريا في مسار القضية الفلسطينية رأينا التوسع قليلا في شرح أبعاده والأسباب التاريخية والخطوات التى صممتها بريطانيا بالاشتراك مع الصهيونية العالمية وأخرجتها الولايات المتحدة الامريكية وأدت في النهاية الى ضياع فلسطين.

منذ أكثر من نصف قرن صدر قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة رقم ١٨١ بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين الى دولتين إحداهما عربية مساحتها ٤٢٫٨٨٪ من مساحة فلسطين وتشمل ٥٤٧ قرية و١٧ مدينة من بينها عكا والناصرة ويافا واللد والرملة وأسدود المجدل وغزة أما الدولة الأخرى فيهودية ومساحتها ٥٦٫٤٧٪ من مساحة فلسطين وتشمل ٤٥٨ قرية و١٩ مدينة وجعل القدس كيانا منفصلا يخضع لنظام الوصاية الدولية – وقد صدر القرار بموافقة ٣٣ دولة ومعارضة ١٣ دولة وامتناع ١١ دولة عن التصويت.

ظهرت فكرة تقسيم فلسطين سنة ١٩٣٧ أثناء ثورة الشعب الفلسطيني وكانت على يد لجنة التحقيق الملكية البريطانية برئاسة لورد بيل وقد أوصت اللجنة بتقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية ومشروع التقسيم هذا وما يتضمن من مشاريع تقسيم كان الأساس لمشروع هيئة الأمم سنة ١٩٤٧.

ورغم ما تضمنه الكتاب الأبيض الصادر سنة ١٩٣٩ بإنشاء دولة فلسطينية مستقلة خلال عشر سنوات يشترك فيها العرب واليهود – ورغم أن الكتاب الأبيض أصبح سياسة رسمية للحكومة البريطانية إلا أن اندلاع الحرب العالمية الثانية والمقاومة الشرسة التى قادها ونستون تشرشل ضد تلك السياسة جعل مجلس العموم البريطاني يتراجع ويقتنع بأن تقسيم فلسطين هو الحل وذلك سنة ١٩٤٤.

ولما زادت الضغوط الأمريكية على بريطانيا قرر «أتلى» رئيس الوزارة العمالية في نهاية الحرب العالمية الثانية إحالة الأمر الى هيئة الأمم التى قررت في دورة استثنائية سنة ١٩٤٧ في ٢٨ أبريل (نيسان) أن الحل ف إنهاء الصراع داخل فلسطين هو التقسيم ورغم محاولة الدول العربية إحالة الموضوع الى محكمة العدل الدولية أو إقامة الدولة الموحدة في فلسطين فإن كلا الاقتراحين تم رفضه وقد نجحت الصهيونية العالمية بمؤازرة الولايات المتحدة الأمريكية وباستعمال شتى الأسالب الملتوية في استمالة بعض الدول وكانت رافضة التصويت وهى ليبيريا وهاييتى والفلبين وبذلك اكتمل النصاب القانوني بثلثي الأصوات لإقرار مشروع التقسيم. وقد امتنعت بريطانيا عن التصويت بعد أن أدت دورها القذر أثناء حكمها لفلسطين.

وهكذا قامت الدولة اليهودية استنادا الى قرار التقسيم وتوقف إعلان الدولة الفلسطينية لرفض العرب قرار التقسيم / وقامت حرب ١٩٤٨ بين الدول العربية وإسرائيل

وكان من نتيجتها أن فقد الفلسطينيون معظم الأراضي التى كانت مخصصة لهم ثم فقدوا ما تبقى لهم من أراض في الضفة الغربية والقدس وغزة في حرب ١٩٦٧ واستمر هذا الصراع الذى بدأ بقرار التقسيم.

وهناك طريقتان لتقييم قرار التقسيم فهناك من يتبنى نظرية أن مسيرة القضية الفلسطينية هي مسيرة الفرص الضائعة وكان قرار التقسيم أكبر فرصة ضائعة في تاريخ القضية. والذين يرفضون هذا المنطق يحملون القرار المسئولية الأولى لما وصلت إليه القضية ويرون أنه كان المسمار الأول في نعشها. لأنه أعطى الشرعية للاحتلال الصهيوني ولمخططات بريطانيا والصهيونية العالمية وفتح الباب لضياع فلسطين.

٦- اتفاقات رودس بين الدول العربية وإسرائيل: تم توقيع اتفاقات الهدنة بين كل من إسرائيل والدول العربية في جزيرة رودس. بين إسرائيل ومصر في ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٨. بين إسرائيل ولبنان في ٢٣ مارس سنة ١٩٤٨. بين إسرائيل والأردن في ٣ أبريل سنة ١٩٤٨. بين إسرائيل وسوريا في ٢٠ يونيو سنة ١٩٤٨.

ونتيجة لتلك الاتفاقات أصبحت إسرائيل تسيطر على حوالي ٨ آلاف ميل مربع من أصل ١٠٤٣٥ ميلاً مربعا من أرض فلسطين أي حوالي ٧٧٫٤٪ عوضا عن ٥٦٫٤٧٪ الذى خصص لها بموجب قرار التقسيم وراح اليهود يعلنون أن الدول العربية بتوقيعها اتفاقيات الهدنة لم يعد لهم الحق في الادعاء بوجود حالة حرب - رغم إصرار الدول العربية على رفض هذا الادعاء لأن الهدنة ليست اتفاقية سلام.

٧- قرارات مجلس الأمن رقم ٢٤٢-٣٣٨: قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ من القرارات التى تردد ذكرها في أكثر الكتابات التى تحدثت عن مشكلة الشرق الأوسط وفلسطين - واعتبر هذا القرار هو الأساس في كافة المباحثات التى تمت منذ مؤتمر مدريد وكان الاعتراف به من قبل منظمة التحرير الفلسطينية من أهم طلبات إسرائيل وأمريكا رغم أن هذا القرار لايتعلق مباشرة بالقضية الفلسطينية وصدر إثر حرب ١٩٦٧.

وأهم ما تضمنه القرار المذكور ينص على أن مجلس الأمن يعرب عن قلقة المستمر للوضع الخطير في الشرق الأوسط ويؤكد عدم جواز اكتساب الأرض بالحرب وأن مبادئ ميثاق الأمم المتحدة يتطلب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط يقوم على مبادئ أساسية:

أولا: انسحاب القوات الإسرائيلية من أراض (الأراضي) التى احتلت سنة ١٩٦٧.

ثانيا: إنهاء حالة الحرب والاعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة وحقها فى أن تعيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها خالية من التهديدات أو أعمال القوة.

ثالثا: تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

رابعا: ضمان حرية الملاحة عبر الطرق المائية الدولية.

وقبلت القرار كل من مصر والأردن ورفضته سوريا ثم عادت وقبلته بعد حرب عام ١٩٧٣ واستمرت منظمة التحرير في رفضه لأنه لايتحدث إلا عن قضية اللاجئين فقط – واست رفض المنظمة حتى جاءت مفاوضات مدريد واضطرت الى الاعتراف به مقابل اعتراف أمريكا وإسرائيل بالمنظمة وسمى ذلك بالاعتراف المتبادل.

والقرار ٣٣٨ الصادر من مجلس الأمن في ١٩٧٣/١٠/٢٢:

١– يدعو فيه مجلس الأمن جميع أطراف القتال الى وقف إطلاق النار.

٢– يدعو فيه جميع الأطراف الى تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.

٣– تقرر أن تبدأ فورا مفاوضات بهدف إقامة سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط.

٨– قرارات إعلان المبادئ:

أو ما أطلق عليه الاعتراف المتبادل بين دولة إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية وهو عبارة عن الرسائل المتبادلة بين رئيس دولة إسرائيل وياسر عرفات ووزير خارجية النرويج سنة ١٩٩٣ حول ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية وانتهت الرسائل بتوقيع الوثيقة في واشنطن في ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ بين حكومة إسرائيل والفريق الفلسطيني ضمن الوفد الأردني لمؤتمر السلام في الشرق الأوسط.

وأهم ما تضمنه هذا الاعتراف المتبادل هو إضفاء الشرعية النهائية على دولة إسرائيل تلك الشرعية التى لم تكن إسرائيل تحصل عليها بدون الاعتراف الفلسطيني.

وأهم بنود تلك الاتفاقية:

١– إقامة سلطة فلسطينية تسمى سلطة حكومة ذاتية انتقالية

٢– انتخاب مجلس فلسطيني

٣– الفترة الانتقالة مدتها ٥ سنوات تؤدي الى تسوية دائمة تقوم على أساس قراري مجلس الأمن ٢٤٢–٣٣٨.

٤- تغطى ولاية السلطة الفلسطينية أرض الضفة الغربية وقطاع غزة باستثناء القضايا التى سيتم التفاوض عليها في مفاوضات الوضع الدائم.
٥- خلال فترة السنوات الخمس تنسحب القوات الإسرائيلية من الأراضي الفلسطينية في قطاع غزة والضفة الغربية.
٦- القضايا المتبقية وهي القدس وموضوع اللاجئين والمستوطنات والترتيبات الأمنية والحدود والتعاون سوف تغطيها المفاوضات وصولا الى الحل الدائم.
٧- إنشاء لجان فلسطينية إسرائيلية مشتركة للتعاون في المجالات الاقتصادية.
٨- يقوم الطرفان بدعوة حكومتي الأردن ومصر للمشاركة في إقامة المزيد من الترتيبات بخصوص التعاون مع حكومة إسرائيل.
٩- عند انسحاب القوات الإسرائيلية من مواقعها الحالية تعاود التجمع خارج المناطق المأهولة بالسكان.

ويتبع تلك الترتيبات عدة ملاحق منها ما يتعلق بفلسطينيي القدس وترتيبات انسحاب القوة الإسرائيلية والتعاون الاقتصادي وبحث مسائل المياه والكهرباء والطاقة والنقل والاتصالات والتجارة.

أهم ما تضمنه هذا الاتفاق استبعاد قيام دولة فلسطين وتجزئة الوجود الفلسطيني وتحويله الى كانتونات وتقطيعه بالطرق وعدم تحديد الحدود وإخضاعها للتغيرات السياسية لكل مرحلة.

والى جانب حصول إسرائيل على الشرعية جعلت أمنها هدفا ومقياسا وواجبا مفروضا على الشعب الفلسطينى وترك لها حرية رسم حدودها حسب أهدافها وفرض قوانينها وفرضت ونصبت قوات شرطة فلسطينية لتكون شرطيا على الشعب الفلسطيني.

ولاشك أن الظروف التى مر بها الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير بعد حرب الخليج من عزل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير وحجب الأموال عنها والتضييق على الفلسطينيين في الرزق والحركة والانتقال وإخراجهم من مناطق يعملون فيها تلك الظروف ساهمت في الضغط على الشعب الفلسطيني والمنظمة في قبول الشروط المجحفة التى فرضتها إسرائيل.

أيام لاتنسى في تاريخ
القضية الفلسطينية

٣ أغسطس (آب) سنة ١٩١٥ أول كتاب من مكماهون الى الملك حسين ملك الحجاز حول القضية الفلسطينية.

٢ نوفمبر (تشرين ثانى) سنة ١٩١٧ اعلان وعد بلفور الذى اصدرته الحكومة البريطانية لانشاء الوطن القومى لليهود في فلسطين.

٢٤ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٢٨ حادث البراق (المبكى) في القدس وبداية ثورة ١٩٢٩ بين الفلسطينيين واليهود.

١٧ يونيه (حزيران) سنة ١٩٣٠ أعدم الانجليز الأبطال الفلسطينيين الثلاثة فؤاد حجازى من صفد – محمد جمجوم وعطا الزير من الخليل.

٢ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩٣٥ استشهاد عز الدين القسام في معركة مع البريطانيين قرب جنين ومهد ذلك الى قيام الثورة الفلسطينية الكبرى.

١٢ فبراير (شباط) سنة ١٩٣٦ معركة الخضر قرب الخليل واستشهاد القائد البطل سعيد العاصى وجرح عبد القادر الحسينى.

١٩ ابريل (نيسان) سنة ١٩٣٦ إعلان الإضراب العام في جميع المدن الفلسطينية وبداية الثورة الفلسطينية الكبرى.

١١ اكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٣٦ البيان الذى أصدره الحكام العرب واللجنة العربية العليا لفلسطين بحل الإضراب الذى دام ستة شهور.

١٧ يوليو (تموز) سنة ١٩٣٧ صدر قرار لجنة بيل البريطانية الملكية ويقضى بتقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية.

٢٦ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٣٧ مقتل حاكم الجليل البريطاني واشتعال الثورة حتى بداية الحرب العالمية الثانية.

١٢ ابريل (نيسان) سنة ١٩٤٤ قررت اللجنة التنفيذية لحزب العمال البريطاني إنشاء دولة يهودية في فلسطين.

٢٦ يوليو (تموز) سنة ١٩٤٦ نسفت عصابة الأرجون فندق الملك داوود بالقدس.

٢٩ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩٤٧ جرى التصويت على التقرير الدولى بتقسيم فلسطين في الجمعية العامة للامم المتحدة.

٣٠ نوفمبر (تشرين ثانى) بدأ الاضراب العام في فلسطين ضد قرار التقسيم وبدأت المعارك بين العرب واليهود.

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٤٨ نسف المجاهدون الفلسطينيون مطبعة جريدة البالستين بوست اليهودية في القدس.

٢٢ فبراير (شباط) سنة ١٩٤٨ نسف المجاهدون الفلسطينيون شارع بن يودا في القدس

٨ أبريل (نيسان) سنة ١٩٤٨ استشهاد القائد البطل عبد القادر الحسينى في معركة القسطل قرب القدس.

١٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩٤٨ مذبحة دير ياسين قرب القدس.

١٩ أبريل (نيسان) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة طبريا بايدى اليهود.

٢٢ أبريل (نيسان) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة حيفا بايدى اليهود.

٢٩ أبريل (نيسان) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة يافا بأيدى اليهود.

١١ مايو (آيار) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة صفد بأيدى اليهود.

١٢ مايو (آيار) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة بيسان بأيدى اليهود.

١٤ مايو (آيار) سنة ١٩٤٨ اعلن اليهود مولد دولتهم (إسرائيل) واعتراف الولايات المتحدة بتلك الدولة بنفس اليوم.

١١ يوليه (تموز) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة اللد بأيدى اليهود.

١٢ يوليه (تموز) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة الرملة بأيدى اليهود.

١٦ يوليه (تموز) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة الناصرة بأيدى اليهود.

٢١ اكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة بئر السبع بأيدى اليهود.

٥ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة المجدل بأيدى اليهود.

٢٢ ديسمبر (كانون أول) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة عوجا الحفير بأيدى اليهود.

أحداث حرب سنة ١٩٤٨

١٥ مايو (آيار) سنة ١٩٤٨ دخلت القوات العربية فلسطين لتحريرها.

٢٣ مايو (آيار) سنة ١٩٤٨ مفاجأة الجيش العراقي بانسحابه من منطقة جسر المجامع والانتقال الى منطقة السامرة.

١٠ يونيه (حزيران) سنة ١٩٤٨ إعلان الهدنة الأولى في مقر الأمم المتحدة وقبول الدول العربية وقف القتال.

٩ يوليه (تموز) سنة ١٩٤٨ استؤنف القتال فى أرض فلسطين بعد الهدنة الأولى.

١٨ يوليه (تموز) سنة ١٩٤٨ بدأت الهدنة الثانية بين الجيوش العربية واليهودية.

١٧ سبتمبر (أيلول) قتل اليهود الكونت برنادوت الوسيط الدولى بين العرب واليهود

٢٧ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٤٨ محاصرة اليهود لقرية الفالوجا في فلسطين.

٧ يناير (كانون الثانى) سنة ١٩٤٩ اتفق الجانبان المصرى والاسرائيلي على وقف القتال في فلسطين.

٢٠ يناير (كانون الثانى) سنة ١٩٤٩ دعوة الدول العربية للدخول في مفاوضات مع إسرائيل في جزيرة رودس.

٢٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٤٩ إعلان الهدنة بين الجانبين المصرى والاسرائيلى في جزيرة رودس.

٢٣ مارس (آذار) سنة ١٩٤٩ إعلان الهدنة بين الجانبين اللبنانى والاسرائيلي في رأس الناقورة على الحدود اللبنانية.

٢٣ أبريل (نيسان) سنة ١٩٤٩ تم توقيع الهدنة الاسرائيلية الأردنية في جزيرة رودس

٢٨ أبريل (نيسان) سنة ١٩٤٩ رحل الجيش العراقى المرابط في قطاع السامرة عن فلسطين.

١١ مايو (آيار) سنة ١٩٤٩ دخلت إسرائيل عضواً في الأمم المتحدة.

٢٠ يوليو (تموز) سنة ١٩٤٩ تم توقيع الهدنة بين الجانبين السورى والاسرائيلى في جزيرة رودس.

مايو (آيار) سنة ١٩٥٠ صدر التصريح الثلاثى من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية حول حول ضمان الحدود القائمة في فلسطين.

شهد الصراع العربى الاسرائيلى خلال خمسين عاماً منذ نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ عديداً من الأحداث المخضبة بالدماء.

عام ١٩٥٦ اغتيال الملك عبد الله جد الملك حسين عاهل الأردن الحالى بيد فلسطينى أمام المسجد الاقصى في القدس.

عام ١٩٥٨ ياسر عرفات وتسعة زملاء آخرين يؤسسون في الكويت حركة فتح كبرى حركات المقاومة الفلسطينية ويعلنون الكفاح المسلح لتحرير الأراضي الفلسطينية.

عام ١٩٦٤ إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية.

عام ١٩٦٩ انتخاب عرفات رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية.

عام ١٩٧٠ عام أيلول الأسود» واستمرار القتال لمدة عشرة ايام وسقوط اكثر من الفى شخص من الفلسطينيين وطرد الفلسطينيين من الأردن.

عام ١٩٧٤ تفوز منظمة التحرير الفلسطينية باعتراف الدول العربية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني.

يونيه (حزيران) ١٩٨٢ دمر السلاح الحربى الاسرائيلي مفاعلاً نووياً عراقياً.

ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٧ اندلعت الانتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة وتقول لجنة حقوق الانسان إن إسرائيل قتلت على مدى ستة أعوام من الانتفاضة نحو ١٥٠٠ فلسطينى وأن الفلسطينيين قتلوا ٤٠٠ إسرائيلي.

عام ١٩٩١ بدأت الهجرة المكثفة من الاتحاد السوفيتى الى اسرائيل ووصل حوالى ٧٠٠ الف يهودى مع انهيار الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٩٢.

اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩١ انعقد مؤتمر مدريد تحت رعاية مشتركة للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

١٣ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٩٣ جرت في حديقة البيت الأبيض المصافحة التاريخية بين ياسر عرفات وأسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل ووقع إعلان مبادئ قيام الحكم الذاتى الفلسطيني المحدد في غزة والضفة.

٤ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٩٥ اغتيل رابين بيد بيجال عامير في مدينة تل أبيب.

٢٩ مايو (آيار) ١٩٩٦ تغلب حزب الليكود في الانتخابات وأصبح نتنياهو رئيساً للوزراء.

يناير (كانون ثانى) ١٩٩٧ وقعت حكومة نتنياهو اتفاقاً مع منظمة التحرير تتعهد بالانسحاب من معظم مدينة الخليل وتنفيذ إعادة الانتشار بمقتضى اتفاقات السلام التى لم تنفذ.

الفصل الثاني

الصهيونية العالمية وإنشاء دولة إسرائيل

نشأة الصهيونية وتطورها

تمهيد:

الفكرة من إفراد فصل خاص يتحدث عن الصهيونية العالمية وإنشاء دولة اسرائيل هى فى الحقيقة محاولة لتذكير الرأى العام العربي والاسلامي والفلسطيني خاصة حول حقيقة هذه الحركة الصهيونية حليفة العنصرية والاستعمار الغربي وليس فقط بالنسبة لأهدافها المعروفة والمعلنة القريبة والبعيدة المدى حتى تحقق الحلم النهائى بالوصول الى اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات.

وبالأخطار المحدقة بجميع دول منطقة الشرق الأوسط ورغبة الصهيونية بالسيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية خصوصاً منطقة الشرق الادنى وهي المنطقة العربية.

لاشك ان أول أهداف الصهيونية العالمية ودولة اسرائيل هي المحاولات المستمرة بمؤازرة الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الامريكية، إبقاء المنطقة العربية بحالة ضعف دائم نتيجة التمزقات الداخلية وانعدام الديمقراطية واستمرار التخلف واستطاعت حتى الآن أن تحقق الكثير من أهدافها وتسعى الى الوصول لأهدافها الأخيرة المستهدفة.

ولازلنا نحن العرب ننظر الى هذه الأخطار المحيطة بنا ولانجابهها بل نساعد على دعمها.

إن الصراع العربى الاسرائيلي لايمكن أن ينتهى كما يظن البعض بمعاهدات السلام بل بتصفية شاملة نهائية لأحد طرفيه أما استعادة الأمة العربية لأراضيها المغتصبة او نجاح المشروع الصهيوني في المنطقة.

والتاريخ لايرحم الضعفاء،،

نشأة الصهيونية وتطورها

كلمة «صهيونية» اصطلاح واسع المعاني يصعب تعريفه بكلمات محدودة او بشكل مباشر فهى لم تظهر بمعناها السياسي إلا في القرن التاسع عشر لأن صهيون في التراث الديني اليهودي تشير الى الأرض المقدسة ككل حيث سوف يظهر المسيح المخلص اليهودي ليعود شعبه الى الأرض المقدسة ويحكم العالم.

وبدأت تصريحات وافكار الزعماء والكتاب والفلاسفة والمفكرين اليهود وكذلك تصريحات من كتاب ومفكرين مسيحيين تدور حول الحركة الصهيونية وأخذت تتحدث في مناقشات ومحاولات في الصحف والمجتمعات من كافة الاتجاهات والفئات مدنية وعسكرية ورجال دين وكان الهدف يدور حول فلسطين وضرورة تحويلها الى وطن للشعب اليهودى وأن توطين اليهود في فلسطين يعود لأسباب دينية وتاريخية وسياسية وظهرت بعض الجماعات اليهودية مثل جماعات أحباء صهيون تدعو الى التسلل لفلسطين والاستيطان بها وكذلك نادت بعض الأوساط المسيحية البروتستاتينية بضرورة عودة اليهود الى موطنهم الأصلي في القدس وفلسطين باعتبارهم الشعب المختار.

وحاول هؤلاء الكتاب والمفكرون التحدث عن تاريخ واحد لليهود أينما وجدوا رغم اختلاف الثقافة واللغة وانماط المعيشة والتنوع الحضارى وهذا ما أخذ التحيز الغربي المسيحي أن ينشره ويصدقه وهل يمكن أن تكون الأقلية اليهودية في الولايات المتحدة مثلاً استمراراً لتاريخ العبرانيين ثم ما هي العلاقة بين يهود شرق أوروبا وروسيا بيهود أمريكا أو بالعبرانيين ومن الكتاب الغربيين الذين أخذت تظهر في كتاباتهم الاهتمام بموضوع اليهود جان جاك روسو ونيوتين وجان لوك وكنْتْ ومن الزعماء اليهود آحاد هاعام والفيلسوف أيدر والبروفسور لاندو وبنسكر وغيرهم .

وكان ظهور محمد على المفاجئ في مصر وتهديده لرجل أوروبا المريض وهي الدولة العثمانية موضع خطورة على طموحات دول أوروبا الغربية الاستعمارية وهي تهيء نفسها لكى ترث أملاك هذه الدولة العثمانية بما اضطرها الى التحالف ضده والقضاء على طموحاته وكانت هذه نقطة تحول في تاريخ فلسطين إذ ظهرت فكرة فصل سوريا عن مصر لكى يستعيد اليهود أرض فلسطين.

وهكذا أصبحت الصهيونية وأهدافها مطروحة بشكل جدى لدى دول أوروبا ولم تعد مجرد فكرة. وأخذت الدول الغربية توظف اليهود في خدمة أهدافها الاستعمارية

وخصوصاً بعد أن استولت بريطانيا على مصر سنة ١٨٨٢ حيث أصبح مصير فلسطين جزءاً من المخطط الاستعماري البريطاني.

كذلك أخذت ألمانيا بعد انتصارها على فرنسا سنة ١٨٧٠ تهتم بمنطقة الشرق الأدنى وزار القيصر الألماني فلسطين ونشط المشروع الصهيوني بين بريطانيا والمانيا وكانت البعثات والدراسات قد أخذت تفد الى فلسطين لدراسة جغرافية البلاد والبحث عن مصادر المياه ودراسة مشروعات التهجير وإقامة المستوطنات وكذلك أخذ الاهتمام بالكشف عن الآثار وتركزت تلك الدراسات في مجملها على كيفية نقل اليهود وتوطينهم في فلسطين ودراسة الطرق الكفيلة للتخلص من السكان الأصليين حيث قسموهم الى بدو وفلاحين.

وتركز هدف الصهيونية بعد المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧ على الكتلة البشرية اليهودية في العالم الغربي وخاصة يهود شرق أوروبا وروسيا باعتبار أن البشر هم العنصر الأساسي للاستيلاء على فلسطين واعتمدوا لتمويل عملية التهجير والاستيطان وشراء الأرض على اليهود الأثرياء في غرب أوروبا مثل روتشلد ومنتفيورى وغيرهم في بريطانيا وفرنسا وألمانيا.

أخذت الصهيونية بعد ذلك المؤتمر تخطط وتجد الوسائل الكفيلة لتحويل فلسطين الى دولة يهودية ووضعت شعار «الدولة – البشر – الأرض» ورغم الاختلافات التى ظهرت بين الزعماء اليهود وفلاسفتهم وكتاباتهم حول تفسير المصطلحات الصهيونية والحفاظ على الطابع الصهيوني – اليهودي – للدولة الاسرائيلية من معتدلين ومحافظين ومتطرفين بقى الهدف النهائى الأرض والبشر.

وبدأ تعريف اليهودية بالقومية الى جانب تعريفها الديني وأصبحت اليهودية دينية وقومية فى نفس الوقت وأخذ الكتاب والمفكرون اليهود يؤكدون في كتاباتهم أن اليهود أينما وجدوا هم شعب واحد – الشعب اليهودي.

وقد نشأت جمعيات صهيونية كثيرة في روسيا الى كانت تضم أكبر تجمع يهودى في القرن التاسع عشر وكذلك في بولندا ورومانيا وكانت تلك الجمعيات تهدف الى وضع أفكار الكتاب والمفكرين اليهود الصهاينة موضع التنفيذ الفعلى وقاموا بأولى محاولاتهم لتوطين يهود شرق أوروبا في فلسطين وسميت تلك المحاولات بالتسلل لأنها لم تكن تحظى بدعم قوة غربية كبرى في ذلك الوقت وتمكنت أولى تلك الجمعيات

التى عرفت باسم «احباء صهيون» وبمساعدة من القنصل البريطاني في فلسطين من شراء قطعة أرض بنيت عليها أول مستوطنة يهودية في فلسطين وهي ويثون ليسيون سنة ١٨٨٢ ومعناها «الأولى لصهيونى» ويطلق عليها أهل فلسطين اسم «مستعمرة عيون قاره» ولكن هذه الجمعيات لم تنجح في تهجير اكثر من بضع مئات وبتكاليف باهظة ثم لجأت تلك الجمعيات الى أثرياء اليهود في غرب أوروبا كما أشرنا لشراء المزيد من الأرض.

وأخذت فكرة الشعب اليهودي المستقل تتبلور لدى يهود غرب أوروبا بدلاً من اندماج اليهود المهاجرين بالسكان الفلسطينيين وأن الرحيل الى فلسطين يجب أن يهدف الى إنشاء دولة يهودية مستقلة سكانها من اليهود فقط. وأصبحت العقيدة الصهيونية تعنى كما سبق ذكره أن الدين اليهودى هو نفسه القومية اليهودية وتطور هذا القول بان روح الله لاتسرى على الشعب فقط ولكن على الأرض أيضاً وأن الله يوحد بين الشعب والأرض وهكذا اصبحت الأرض جزءاً من جوهر الوجود القومي لليهود وأن هذه الوحدة لاتكتمل إلا في أرض فلسطين.

اصبحت معضلة كيف التخلص من سكان فلسطين العرب ورغم ان الزراعة تغاير العقلية اليهودية فقد وجد زعماء اليهود ان الزراعة وسيلة أساسية للاستيطان في الأرض وان على اليهود ان يتجهوا الى الزراعة وهكذا تطور الفكر اليهودي حتى وصل الى الصيغة الحالية التي تنتهجها إسرائيل في الاستيلاء على الأرض العربية وطرد سكانها كلما سنحت الفرصة.

يعتبر هرتسل المؤسس الحقيقي للحركة الصهيونية المنظمة الذى كان يؤمن منذ صباه بظاهرة معاداة اليهود أينما وجدوا وأن الحل الأمثل لهذه الظاهرة هو نقل اليهود الى فلسطين واعتبر ان المسألة اليهودية تشكل مسألة سياسية وأن على الدول المتحضرة إيجاد الحل المناسب لها وهو منح اليهود قطعة من الأرض مناسبة لتجميع الشعب اليهودى فيها. وقال إن استيطان اليهود في فلسطين سوف يخلص الدول الغربية من مشاكل التكاثر السكاني اليهودى حيث كان عدد اليهود سنة ١٨٠٠ حوالى ٢٫٥ مليون زاد سنة ١٨٥٠ الى ٥ ملايين وسوف يصبح سنة ١٩٠٠ – ١٠ ملايين واعتبر ان يهود المشرق لايزيدون عن ١٠٪ من مجموع يهود العالم.

وربط هرتسل بين حل مشكلة الرجل المريض ويعنى الدولة العثمانية – وأملاكها

في الشرق الأوسط - وبين حل المشكلة اليهودية في أن واحد وان هذا الحل سوف يكون له تأثير على العالم المتحضر برمته، ولاشك أنه كان يعنى تفتيت المشرق العربى الى دويلات وشييع وطوائف وأن اليهود سوف يتحولون الى عملاء لصالح الدولة التى سترعى المشروع الصهيوني.

وهرتسل أول من أطلق على الصهيونية كلمة القومية اليهودية وأول من استعمل اصطلاح أريتس اسرائيل أى أرض اسرائيل Eretz-Yisrael وهى العبارة التى أضيفت الى كلمة فلسطين باللغة العبرية منذ بدء الانتداب البريطانى سواء على العملة والطوابع أو أية ورقة رسمية تحمل اسم فلسطين بالعبرية.

ورغم أن هرتسل لم يكن متديناً وحتى لايعرف اللغة العبرية إلا أنه ادرك أهمية قيمة التعبئة المعنوية للدين اليهودى بالنسبة لجماهير اليهود - وتحدث هرتسل أيضا عن رحيل السكان في فلسطين ونزع ملكية الأرض وأصبح من الثوابت في الفكر اليهودي أن الدولة اليهودية لن تقوم في فلسطين إذا بقى سكانها العرب فيها. وأن يختفى السكان العرب منها وأصبح هذا الحلم من ثوابت وأولويات القيادة الصهيونية ودعا هرتسل الى المؤتمر الصهيونى الأول الذى انعقد سنة ١٨٩٧ وحضره بين ٢٠٠-٢٥٠ عضواً معظمهم من أحباء صهيون وأكثر من نصفهم من شرق أوروبا وروسيا وعلى أثر انعقاد هذا المؤتمر بدأت الخطوات العملية لتنفيذ الهدف الصهيوني وحلم إنشاء دولة إسرائيل وأولى الخطوات كانت انشاء المؤسسات المالية لتمويل شراء الأرض وتهجير اليهود الى فلسطين وتأسيس صندوق الائتمان اليهودي سنة ١٨٩٩ وتأسست الكرن - كايمت سنة ١٩٠١.

وقد تبلورت الفكرة الصهيونية التى تم الاتفاق عليها بين بريطانيا وفرنسا في اعقاب الحرب العالمية الأولى وانهزام الدولة العثمانية الى تقسيم الوطن العربى الى عدة دويلات كان نصيب فرنسا منها سوريا ولبنان ونصيب بريطانيا فلسطين والأردن والعراق. وتم تعديل هذا الاتفاق سنة ١٩٢٠ بحيث أضيفت الى الحدود الشمالية لفلسطين جميع مصادر المياه وكان هذا تمهيداً لتسليم فلسطين الى اليهود فيما بعد.

لم تحدد الصهيونية العالمية أهدافها من فراغ بل نتيجة توقعات واستنتاجات مدروسة بنيت على الحقائق التالية:

١- في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت الامبراطورية

العثمانية أو الرجل المريض كما أطلقت عليها اوروبا قد وصلت الى حالة من الضعف والتخلف مما جعلها كالثمرة الناضجة التى آن أوان قطعها والتهامها.

٢- وصلت الدول الأوروبية وخصوصاً الغربية فيها الى أوج تقدمها التكنولوجى والحضارى والعسكرى مما زاد من شهيتها لاستعمار جديد.

٣- كانت كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا تخطط للحصول على حصة من ممتلكات الدولة العثمانية وخصوصاً في منطقة الشرق الأدنى وهي المنطقة العربية.

٤- كانت الصهيونية العالمية تستغل رغبة العالم المسيحي للانتقام من نتائج الحروب الصليبية وتستغل أيضا العاطفة الدينية التى ترحب بعودة اليهود الى أرض الميعاد في فلسطين.

٥- كان من مصلحة بريطانيا قيام كيان صهيوني في قلب العالم العربي ليبقى ضعيفا مفككاً وهذا ما يؤمن طريق الهند وامبرطوريتها في الشرق.

٦- ان حالة التخلف التى كان يعانى فيها الشعب العربى نتيجة احتلال دام اكثر من أربعمائة عام من شأنه أن يسهل مهمة الاستيلاء على أرض فلسطين وإقامة الكيان الصهيوني.

ونأتى الى مرحلة بلفور بين ١٩٠٧-١٩١٧ وهو ما يعنى بداية التفنيذ الفعلى لتحقيق الأهداف اليهودية والفكرة الصهيونية بإقامة دولة إسرائيل في فلسطين وقد سبق وعد بلفور عدة وعود نلخصها فيما يلي:

أول غاز للشرق الأوسط في العصر الحديث كان نابليون بونابارت الذى أصدر بيانا يدعو اليهود الى العودة الى أرض الميعاد واعتبرهم ورثة فلسطين الشرعيين رغم أن نابليون كان يهدف من وراء هذا الوعد توظيف اليهود لخدمة مشاريعه الاستعمارية.

وسبق وعد بلفور أيضا خطاب من الحكومة الألمانية سنة ١٨٩٨ موجهاً الى هرتسل يؤكد فيه قيصر ألمانيا استعداده لمناقشة توطين اليهود في فلسطين مع السلطان العثمانى حليف ألمانيا في ذلك الوقت وأن القيصر على استعداد تام لاستقبال وفد يهودى يحمل إليه المعلومات الكافية لنقلها الى سطان استنبول.

ويمكن ان نضيف الى سلسلة الوعود التى عرضت على اليهود الوعد الذى قدمه موسوليني زعيم ايطاليا بتقديم المساعدة للصهيونية لبناء اقتصادهم وأعرب عن حماسته للمشروع الصهيوني واستعداده لتقديم مساعدة إيطاليا الكاملة لتحقيقه.

وأثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ ساعدت فرق الجستابو والصاعقة الألمانية في تهريب اليهود الى فلسطين وبأعداد كبيرة وسمح لليهود باتفاق مع الحكومة الألمانية على أخذ بضائع وسلع ألمانية بقيمة ما يملكونة في ألمانيا (مقايضة الهفرا) وقد هاجر من ألمانيا خلال الفترة من ١٩٣٣-١٩٤١ أكثر من ٥٣ ألف يهودي الى فلسطين أكثرهم من الأطباء والمحامين والمهندسين والصناع المهرة أحضروا معهم الخبرات والبضائع والسلع.

وبعد فترة البلفورية يأتى الانتداب البريطانى على فلسطين ١٩٢٢-١٩٤٧ حيث قامت الحكومة البريطانية بتنفيذ وعد بلفور نصاً وروحاً بإصدار القوانين واللوائح والتعليمات التى فتحت أبواب فلسطين للهجرة اليهودية المتدفقة ونقلت الى أيدى اليهود مساحات واسعة من ارض فلسطين وكانت كافة القوانين تهدف الى اقامة الوطن القومي اليهودي وبالتالي الدولة اليهودية في فلسطين - وكانت القوانين تفصل طبق احتياجات المصلحة اليهودية ويتم ذلك رغم الثورات والاحتجاجات والضحايا التى بذلها سكان فلسطين العرب العزل من السلاح والذين وقفوا وحدهم في مواجهة هذه الهجمة الاستعمارية الضخمة - الامبراطورية البريطانية التى لاتغرب عنها الشمس فى أوج عظمتها والمنظمات الصهيونية التى كان لها سيطرة كبرى في الدول الغربية وأمريكا.

وهكذا استطاعت الصهيونية العالمية استغلال جميع الظروف ونجحت في خلق دولة إسرائيل الحالية - ومن الخطأ الظن أن الصهيونية العالمية حققت جميع ما تصبو اليه من اهداف حتى لو استطاعت بصفة نهائية الاستيلاء على أرض فلسطين وعلى أجزاء من سوريا وجنوب لبنان وتجريد سيناء من السلاح فلايزال الهدف النهائى للصهيونية العالمية لم يتحقق لأنها تعمل لخلق إسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات. هذا هو الهدف الذى حددته الفكرة الصهيونية وجميع ما يحدث من تغيرات في السياسية الداخلية والخارجية اليهودية ما هو إلا مناورات تكتيكية حسب تغير الظروف المحيطة بها والمناخ العالمى اما الاستراتيجية فهى ثابتة لم ولن تتغير - إلا اذا تغيرت ظروف الشعب العربى، ويقع البعض في خطأ إمكانية التعايش السلمى مع دولة اسرائيل وقبولها دولة مسالمة في هذه المنطقة.

هذا العرض السريع لظاهرة الصهيونية كفكرة وممارسة وإنشاء دولة اسرائيل وانتقال قيادة الحركة الصهيونية الى الدولة اليهودية جعلت كل الجهود اليهودية في شتى انحاء العالم هو تقديم الدعم الكامل لهذه الدولة.

ولاشك أن الغياب العربى هو الذى خلق الفراغ الذى نبتت فيه الأفكار الصهيونية ازدهرت وتضخمت بعد أن زرعت في ضمير الشعوب الغربية أن من حق اليهود العودة الى أرض الميعاد فلسطين.

إن جانباً كبيراً من المأساة التى حلت بفلسطين دفعت الدول العربية بإرادتها الى الدول الغربية وأمريكا ذلك رغم احتضان تلك الدول للفكرة الصهيونية ومساعدتها في بناء الدولة اليهودية وهذا لايعود فقط الى المصالح المشتركة التى تربط إسرائيل بتلك الدول بل القصد الى جانب إضعاف الأمة العربية والسيطرة على ثرواتها وتأمين استمرار خضوعها لسيطرة تلك الدول والحفاظ على شعار

«العرب يجب ان يبقوا في مصاف التخلف».

الصهيونية منذ انعقاد
المؤتمر الصهيوني الأول

انعقد المؤتمر الصهيوني الأول فى بازل بسويسرا سنة ١٨٩٧ وقرر المؤتمر الخطط والبرامج الصهيونية لتأسيس الوطن القومى اليهودى في فلسطين كخطوة أولى نحو إنشاء الدولة اليهودية وقد تحققت هذه البرامج حتى الآن.

وجاء هذا المؤتمر الصهيوني العالمي الذى انعقد في بازل بسويسرا اغسطس (آب) سنة ١٩٩٧ بمناسبة مرور ١٠٠ عاماً على انعقاد المؤتمر الأول ليقرر مجدداً ان العقيدة الصهيونية ليست مقتصرة على هدف انشاء دولة اسرائيل بل هى مرحلة جزئية تنتقل منها الى مراحل أخرى وأن الهدف خلال السنوات القادمة تجميع يهود العالم في أرض إسرائيل وتعزيز وحدة الشعب اليهودي في موطنه التاريخي. وان هذا البرنامج لايتأثر بعقد صلح او سلام بين العرب وإسرائيل فهو مطلب العقيدة الصهيونية التى لن تقبل التخلي عن أهدافها بل إن السلام والصلح بين العرب واسرائيل يضع العقيدة الصهيونية في ذروة الانتصار ويجعلها تفكر بالمرحلة التالية لتحقيق أهدافها التاريخية.

والخوف بأن نعتقد أن ما فكرت فيه القيادات الصهيونية في هذا المؤتمر هو مجرد أضغاث أحلام وبذلك نكرر أخطاء أجدادنا عندما اعتقدوا استحالة تحقيق المشروع الصهيونى وهو الحلم بإنشاء دولة يهودية في فلسطين وأكد المؤتمر كذلك أن ما تحقق

في المرحلة الأولى من البرنامج الصهيوني والتى تمثل في تحقيق أغلبية يهودية على أرض اسرائيل انما يتبعه المرحلة الثانية التى سوف تحقق بحلول سنة ٢٠٢٥ عندما تنجح اسرائيل في جمع أكثر يهود العالم من الشتات الذى يعيشون فيه.

والصهيونية العالمية تتباهى بأنها حققت أعظم إنجاز لحركة قومية وأن اسرائيل استطاعت ان تزيد عدد سكانها من ٦٠٠ ألف سنة ١٩٤٨ الى حوالى خمسة ملايين الآن وأن تزيد إنتاجها القومى من مليارى دولار الى اكثر من ٩٠ مليار دولار وأن تصبح قوة عسكرية وتكنولوجية عظمى.

وهنا يطل علينا سؤال عارض كيف يتم حشد ١٤ مليون يهودى في أرض إسرائيل دون التوسع وتفريغ الأرض؟؟.

وأشار المؤتمر كذلك أن أمام اسرائيل ثلاثة تحديات تواجهها خلال القرن القادم وهي:

١- طبيعة الدولة اليهودية لم تتحدد بعد.

٢- كيف تستطيع اسرائيل توفير حياة كريمة لمزيد من المهاجرين بعد أن أصبحت من اكثر بلاد العالم ازدحاماً بالسكان.

٣- كيف تتمكن اسرائيل أن تحافظ على تحالفها مع الولايات المتحدة الأمريكية واستار ما تقدمه لها من دعم مادى ومعنوى بلا حدود.

ربما يحس البعض أحياناً بالسخرية من القرارات والتصريحات الصهيونية التى يدلى بها زعماء اليهود وتطلقها وسائل دعايتها – علينا أن نعى دروس الماضى وان نقر ان حركة التاريخ لاتخدم إلا القوى الذى يستعد لجميع الاحتمالات.

ان اليهود يرون أنه لاوقت مناسب لتحقيق اهدافهم التوراتية أحسن من الوقت الحالي وهم يعملون الآن على إجلاء العرب من مدينة القدس كمرحلة يتم بعدها اجلاء تدريجي للفلسطينيين من باقي أراضي غزة والضفة وأن زيادة عدد المستوطنات وتعزيزها وربطها بعضها ببعض إنما يتم في هذا الاتجاه – اتجاه إجلاء الشعب الفلسطيني وان حرب التجويع التى يفرضها نتنياهو على الشعب الفلسطينى إنما هى سياسة تسير عليها اسرائيل لتحقيق هذا الهدف.

والتفكير الاسرائيلى مشغول بكيفية هدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة لبناء هيكل سليمان الثالث على أنقاض المسجدين الاسلاميين المقدسيين.

الشعب الاسرائيلي مشغول بظهور البقرة الحمراء في قرية قرب حيفا وقالوا إنها البقرة التى تحدث عنها الرب لموسي وهارون لتكون علامة على الشروع في بناء هيكل سليمان مكان المسجدين بعد ثلاث سنوات من ظهورها.

فهل يبقى العقل العربى بمنأى وغير عابىء بأمور مصيرية ويستمر في تقبل الصدمات برحابه صدر ويكتفى بالتصعيد اللفظى!!!

يبقى سؤال هل تستطيع إسرائيل على المدى الطويل أن تجمع بين الأسطورة الدينية والثورة العلمية أو بين النقيضين.

هناك رأيان:

الأول: يقول إن الفكرة الصهيونية تبنى مخططاتها على فرض السلام الاسرائيلى على دول المنطقة بقوة السلاح والتفوق التكنولوجى ومساندة أمريكا والغرب لها ولكن الظواهر التاريخية فى حياة البشر مثل التكاثر السكاني والنهوض الحضارى واحتمال تغيير موازين القوى هذه الظواهر مجتمعة ممكن ان تمكن الأمة العربية والعالم الاسلامى من اقتلاع المشروع الاسرائيلي من منطقة الشرق الاوسط وخصوصاً أن البديل العسكرى سيظل مفتوحاً وأن المحاولات الجارية حالياً بين التطبيع الاقتصادى والتسويات السياسية لن تنجح في تحويل اسرائيل الى دولة شرق أوسطية مهما زادت الضغوط لفترة من الزمن طالت أو قصرت والأغلب ان الظاهرة الصهيونية سوف تذوب في بحر المنطقة العربية – هذا رأى.

اما الرأى الثاني: فيقول إن الصهيونية لاشك نجحت نجاحاً كبيراً وحققت بفترة زمنية قصيرة حلم ما كان يتحقق لولا قوة الصهيونية ونفوذها وسيطرتها على دول العالم المسيحي. ومن هنا يجيء التقدير الخاطيء بأن الصهيونية أشبه بالكائنات الحية تولد وتكبر ثم تشيخ وتموت لأنها تستمد قوتها من مفاهيم دينية استطاعت بواسطتها أن تقنع ليس اليهود فقط بل المسيحيين كذلك بأن لها الحق فى العودة الى أرض الميعاد وهذه العوامل تحمى الوجود الاسرائيلى والتطلعات الصهيونية وتعطيها قوة الاستمرارية. وهذا هو الرأى الآخر.

والحديث عن السلام بين العرب واسرائيل يجرنا الى التساؤلات التالية:

– هل السلام ممكن بين طرفين غير متكافئين؟

– هل السلام ممكن دون استئصال العوامل التى أوجدت الحالة الراهنة بين العرب واسرائيل ويتحاشى او يتجاهل الحق المشروع لاصحاب الأرض وحقهم في تقرير مصيرهم؟

إن الصلح الذى تسعى اسرائيل لتحقيقه لايرغب في الرجوع الى جذور المشكلة ويفترض وجود الدولة اليهودية في وضعها الحالي ولايقبل أن يطرح مسألة الغزو الاسرائيلي لفلسطين ضمن إطارها التاريخي والحقوقي الصحيح. والنتيجة الحتمية هى ترسيخ الاستعمار الصهيوني وتوطين دعائمه. ألا يمثل مثل هذا السلام والصلح تثبيتا لنجاح العقيدة الصهيونية وتمهيد الطريق أمامها لمزيد من الانتصارات ومضاعفة المطالب والادعاءات ويتم كل ذلك تحت شعار الصهيونية المنتصرة.

وقد أطلقت الصهيونية على الحروب العربية اسم حرب الاستقلال وحرب التحرير وكلما استولت على جزء من الأراضي العربية أطلقت عليه اسم الأجزاء المحرره وتسمى الأجزاء الباقية بيد الفلسطينيين الأجزاء غير المحررة.

تعريف العقيدة الصهيونية

وفي إطار هذا الحديث نرى أنه من المناسب ان نوضح معنى العقيدة الصهيونية أساسها وأهدافها.

إن أهم الأسس التى تقوم عليها العقيدة الصهيونية دعوى التفوق العرقى باعتبار أن اليهود شعب الله المختار والتوسع لتحقيق اسرائيل الكبرى واعتناق العنف كهدف ووسيلة لتحقيق هذا التوسع.

أما أهم الأهداف فهو الابقاء على وحدة الشعب اليهودى أينما وجد ومركزية اسرائيل في الحياة اليهودية وتجميع الشعب اليهودى في وطنه التاريخى – أرض اسرائيل – عن طريق الهجرة من كافة بلدان العالم واخيراً تعزيز القيم الروحية والثقافية اليهودية والتفوق اليهودى في كافة المجالات في شتى أنحاء العالم وذلك لحماية الدولة اليهودية في فلسطين ويمكن إجمال التعريف التالي للصهيونية.

إن الصهيونية هي حركة قومية ينادي أصحابها بهجرة اليهود من جميع بقاع العالم الى فلسطين التى يصفونها بأنها وطنهم القديم حيث كانت لهم فيها دولة من منذ ألفى سنة. وكلمة صهيونية نسبة الى تلال صهيون "Zion" التى قامت عليها بيت المقدس وأصبحت هذه الكلمة رمزاً للصهيونية وللمدينة المقدسة.

والعناصر الأساسية التى تقوم عليها العقيدة الصهيونية:

١- استغلال العداء للسامية لتحفيز اليهود على الانصهار وتفضيل البقاء خارج اسرائيل حيث اصبحت المعادلة.

العداء للسامية = العداء للصهيونية = العداء لاسرائيل

٢- إقناع يهود العالم بأن الشعب اليهودي لايستطيع البقاء على قيد الحياة بدون دولة اسرائيل وكل خطر يهدد هذه الدولة هو خطر يهدد الشعب اليهودي أينما وجد.

٣- الصهيونية دائما تستنبط الأخطار الوهمية وتذكر اليهود بالمحرقة النازية وان السلم ومعاهدات السلام لاتضمن لها الاستمرار والفعالية - إن العيش في خطر هو الذى يحمى الوجود اليهودى ودولة اسرائيل.

رأى آخر في مفهوم الصهيونية واليهودية

في كتابه المفاهيم والمصطلحات الصهيونية قدم الدكتور عبد الوهاب المسيري تفسيراً مختلفاً وليس جديداً لمفهوم الصهيونية واليهودية.

فهو يرى أن المشروع الصهيوني هو جزء أساسى من المشروع الغربى وأنه ليس منحرفاً عن الحضارة الغربية وأن الصهيونية لم تبدأ بالمؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧ وانما بدأت مع التفكير الاستعمارى الغربى وأضاف أيضا أن الحضارة الغربية كانت تتخذ اتجاهاً صهيونياً قبل ظهور اليهود كعنصر فاعل في الحضارة الغربية.

إن المفكرين الصهاينة الأساسيين في الحضارة الغربية لم يكونوا من اليهود وإنما كانوا إما من البروتستانت أولا ثم من العلمانيين الغربيين - ويرجح أن الحضارة الغربية تحولت الى الصهيونية حوالى عام ١٨٤١ مع القضاء على محمد على باشا حيث أصبح تأسيس وطن قومى صهيوني جزء هام في الاستراتيجية الغربية وذلك كإجراء هام حتى يتم تقسيم الدولة العثمانية الى دويلات خاضعة للنفوذ والاستعمار الغربي. وقد عبر عن هذا الرأى ناحوم سوكولف صاحب كتاب «تاريخ الصهيونية» وهو أول تاريخ رسمى للصهيونية وكاتبه كان رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية.

إن الدولة الصهيونية زرعت في قلب البلاد العربية لأهداف معينة ويمولها الغرب بعشرات البلايين من الدولارات للقيام بوظيفتها. إن اليهود كانوا دائما جماعة وظيفية تقوم بالتجارة والربا ولم تصبح أبداً جزءاً من المجتمع المسيحي الغربي وهذه الجماعة باتت بلا وظيفة مع ظهور الدولة الحديثة في الدول الغربية وأصبحت تقوم بوظائف

التجارة والبنوك فكان لابد من إيجاد وظيفة أخرى للجماعة اليهودية فتم إنشاء دولة اسرائيل باعتبارها دولة وظيفية تتسم بجميع صفات الجماعة التى لها وظيفة معينة لضرب القومية العربية أثناء انبعاثها ثم ضرب الاسلام مع ازدهار صحوته واخيراً طرح السوق الشرق أوسطية في مقابل السوق العربية التى تعنى الوحدة الاقتصادية للدول العربية بينما الأولى تعنى التفتيت والتشرذم.

المسألة لو كانت ثلاثة أو أربعة ملايين يهودى لم تكن مشكلة بل ربما إضافة جيدة مثلما يوجد أرمن وأرثوذكس وغيرهم.

وكان هذا المشروع الغربي يقوم على عدة افتراضات أولها أن الانسان الغربى له مطلق الحرية في الحركة وثانيا أن من حقة أن يصدر جميع مشاكله للآخرين فاذا كان يحتاج الى ارض فضاء فانه يستولى على امريكا الشمالية وإذا كان لديه مجرمين يصدرهم الى استراليا وإذا كان لديه بطالة فانه يصدرها الى جنوب افريقيا وفي هذا الاطار يمكن فهم وجود اسرائيل فلقد كانت هناك مشكلة يهودية وهى مشكلة فائض بشرى حولهم الغرب الى مستوطنين مقاتلين نيابة عن الحضارة الغربية وهكذا تمت الصفقة بين الغرب وبين المنظمة الصهيونية التى كان من أول مهامها نقل اليهود الى فلسطين ونقل الفلسطينيين الى المنفى.

إن اسرائيل الآن تحصل على المعونات بقدر ما تحتفظ بهويتها كدولة منفصلة عن المنطقة واذا اصبحت جزءاً من المنطقة تفقد وظيفتها وينتهى اهتمام الغرب بها ان اهداف اسرائيل التوسعية معروفة ولن تتخلى عنها حتى لو وافق الفلسطينيون والعرب جميعاً على الصلح مع اسرائيل لأنها الوظيفة التى بنيت عليها دولة اسرائيل.

وكل ما يجرى الآن من مفاوضات واتفاقيات بين اسرائيل والعرب عامة والفلسطينيين بصفة خاصة لن يودي الى سلام حقيقي لأن السلام الحقيقى سوف يؤدى بالنتيجة سواء على المدى القريب أو البعيد الى انتهاء دولة اسرائيل.

هذا رأى شخصى للدكتور عبد الوهاب المسيرى ربما لايتفق بالضرورة مع آراء غيره في التحديد الأمثل للعلاقة بين الغرب والصهيونية.

المفهوم الدينى اليهودي والحركة الصهيونية

إن العقيدة الدينية في كل المجتمعات تؤدى دوراً أساسيا في مفاهيم واتجاهات الناس ومن هنا تكشف العقيدة الدينية اليهودية تأثيرها في سلوك اليهود في فلسطين ونظرتهم للديانتين الاسلامية والمسيحية.

إن ظهور مسيح يهودي من نسل داوود يمثل أحد الأصول الراسخة في العقيدة الدينية ويمكن تعريف فكرة العقيدة الدينية اليهودية بمصطلح «مشيحوت»: يعنى المسيحانية أو الخلاص = ويأتى مفهوم المسيحانية لتعويض مشاعر النقص الذى سقط فيه بنو اسرائيل بعد الشتات الكامل في أنحاء الأرض وجاء التلمود بعد التواوره وهو مايعرف بالشريعة اليهودية وهي مجموعة فتاوى واحكام وأساطير وحكايات وخرافات وضعت لتأويل اسفار التوراه (العهد القديم) وتناقلها أحبار اليهود شفهياً على مدى قرون طويلة الى أن تم جمعها في القرن الثانى الميلادى وتراكمت عدة إضافات لتفسير معنى المسيحانية أضافها الأحبار اليهود انتظاراً لانتقال اليهود الى ارض اورشاليم وترقباً لظهور المسيح اليهودي المنتظر.

وقد فشلت عدة محاولات قام بها أدعياء بان كل منهم المسيح المنتظر وكان آخرها ادعاءات شبتاى تسفى: الذى أعلن نفسه سنة ١٦٦٤م انه المسيح المنتظر وتوجه الى فلسطين واتخذ نفسه نبياً ومبشراً وقد أثرت حركة شبتاى في تطور المسيحانية في العصر الحديث حيث تحول اليهود الى ما يعرف بالحركة الصهيونية وأصبح الاعتماد على فكرة التجمع اليهودي بالوسائل السياسية والعسكرية واتخذ التيار الصهيونى الدينى مفهوم الإيمان بمقدم المسيح بعد التجمع فى فلسطين.

وهكذا أصبح للصهيونية بالاضافة الى المفهوم السياسى، المفهوم الدينى وهو ما قاد الى التمهيد أمام الجهود الصهيونية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الى ضرورة الهجرة الى فلسطين.

وشهد القرن التاسع عشر وفي أواخره تطوراً في مفهوم المسيحانية تمثل في فتاوى ربابنى اليهود في العصر الحديث وهي الفتاوى التى سبقت الصهيونية السياسية بقيادة هرتسل ومهدت لظهورها كما ساهمت في دعم الجهود البشرية والاستعمارية في فلسطين من ناحية أخرى.

وفي إطار الحركة الصهيونية انقسم التيار الديني الى اتجاهين: اتجاه يؤمن بالطبيعة

الدينية البحتة للمفهوم كعقيدة أصحابه بالخلاص السماوى على يد المسيح اليهودى الذى ترسله العناية الإلهية ويعتمد ذلك على الرب وحده دون تدخل البشر ورغم ظهور الصهيونية السياسية بقى هذا الاتجاه موجوداً حتى الآن ممثلاً في جماعات من الدوائر المؤثرة في اسرائيل مثل حزب «إجودت اسرائيل» وحزب «بوعلى احودات اسرائيل».

واتجاه آخر قام أصحابه بتطويع المفهوم من الصورة السماوية البحتة ليسمح ببدء الجهود البشرية اليهودية نحو استعمار فلسطين وتمثل هذا الاتجاه فيما قام به بعض الحاخامات والمفسرين الدينيين اليهود الذين أعادوا تفسير المسيحانية على انها تعنى ضرورة التمهيد البشري لمجيء المسيح دون الاعتماد على العناية الإلهية وحدها، ذلك لأن الرب يساعد أولئك الذين يساعدون أنفسهم وبناء على ذلك فإن على اليهود جميعا اتخاذ الخطوات العملية التي من شأنها أن تساعد على هذا المفهوم الذى يساعد على قدوم المسيح المنتظر وقد تزعم هذا الاتجاه الثانى حاخامات دعوا الى ضرورة الهجرة الجماعية واستيطان الأرض وربط العمل الزراعى مع مفهوم المسيحانية لان الاستيلاء على الأرض سيؤدى الى ظهور ضوء الخلاص من السماء ودعوا الى الاكثار من بناء المستوطنات ووصفوا أعضاء المستوطنات الزراعية بأنهم يؤدون عمل الرب وأن عملهم هذا بمثابة تمهيد الطريق لظهور المسيح المخلص.

وبعد ظهور الصهيونية السياسية والجهود فى إقامة الدولة اليهودية واصل الاتجاه الدينى جهوده فى تبرير ودعم النشاط السياسى الصهيوني.

وجاء فى مقررات المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٨:

«لقد انقضى ما يقرب من ألفي عام ونحن ننتظر قدوم المسيح الذى يخلصنا من سبينا المرير ويجمع اخوتنا المشتتين في أركان الأرض الأربعة حيث نعيش هناك تحت رعايته».

وينادى رجال الدين اليهود أن ايماننا وأملنا دائما ولايزال هو أن مسيحنا سيأتى وسيجمع مشتتي اسرائيل الى أراضي آبائه وسوف نسكن حينئذ في أرضنا وتصبح شعباً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى وسوف تحترمنا وتمجدنا كل شعوب العالم.

لقد ربط الربانيون المحدثون بين مفهوم المسيحانية وبين الحركة الصهيونية التى اصبحت في فكرهم تمثل المسيح المنتظر وقد ظل هذا الاتجاه الصهيونى الدينى مواكباً للحركة الصهيونية يغذيها ويتغذى من وجودها على أرض فلسطين معتمدا على

إذكاء جهود الاستعمار الصهيوني البشرى بالحوافز الدينية المتعددة ومن بينها كما أشرنا فكره التمهيد بالجهد البشرى لظهور المسيح اليهودى.

وهذا الاتجاه يمثله الآن الأحزاب السياسية الدينية - حزب المفدال والحزب الدينى القومى والحركات الدينية مثل حركة كاخ وجوش إمونيم وهى حركات ظهرت بعد سنة ١٩٦٧ وتسعى الى طرد العرب واستعمار كامل للأرض العربية باعتبار ان هذا الطرد والاستعمار اتصالاً للجهود البشرية الضرورية التى تمهد لظهور المسيح اليهودى وعصر السيادة الاسرائيلية المطلقة.

حول الفكر التربوى الصهيوني

في حديثنا عن الصهيونية وتتبع خططها وأهدافها نتجه دائما الى النواحي السياسية والإعلامية وعلاقة الصهيونية بالدول الأوروبية وخاصة الدول الاستعمارية الكبرى ونغفل في كثير من الأحيان موضوع الفكر التربوى الصهيوني وتأثيره العميق في تنشأة الطفل والشاب اليهودي خصوصاً بعد أن حققت الصهيونية العالمية بنجاح أهدافها السياسية وأقامت دولة اسرائيل في فلسطين.

منذ بداية الانتداب البريطاني على فلسطين سنة ١٩٢٠ اتجهت الصهيونية للاهتمام بالفكر التربوى بجانب اهتمامها بأهدافها السياسية والدعائية والارهاب والحرب.

بينما كان الشعب الفلسطينى محروماً من إدارة شئونه التعليمية والتربوية حيث أوكلت حكومة الانتداب ذلك الى ما سمى، دائرة المعارف الفلسطينية، ووضعتها تحت إشراف الموظفين الانجليز يضعون المناهج التعليمية وكل ما يتعلق بتربية النشء الفلسطيني.

وترك الأمر للوكالة اليهودية كى تتولى الإشراف على إدارة المدارس اليهودية في فلسطين كما تشاء. وقامت المؤسسة الصهيونية بوضع برامج خاصة لتعليم النشء اليهودي الثقافة العبرية كما تريدها وتهييء الشباب وتعدهم لبناء الوطن القومي اليهودي وصولاً الى الدولة اليهودية في فلسطين.

وعند قيام دولة اسرائيل بعد ١٩٤٨/٥/١٥ أعلن عن وثيقة الاستقلال التى تضمنت مناهجاً لبناء الأمة اليهودية لتسير على أساسه وهو ما يحقق فلسفة الصهيونية العالمية.

اعتمدت الوثيقة عدداً من العناصر إطاراً ومنهاجاً لمسارها وهى الحقوق التاريخية

والدينية والقانونية في اقامة دولة اسرائيل وتضمنت:

١- أسس الدولة بالنسبة للشعب اليهودي وللسكان العرب في فلسطين.

٢- التركيز على مفهوم الوطن القومى اليهودى في فلسطين من الناحيتين العاطفية والدينية عبر تاريخ طويل.

٣- حرصت الوثيقة على ألا تبين حدود دولة اسرائيل والهدف من ذلك التحلل من اى التزام يحد من سياسية اسرائيل التوسعية.

٤- غرس مفاهيم معينة في ذهن النشء اليهودى ان فلسطين هى وطن اليهود وأرضه المغتصبة وأنه يستردها الآن من أيدي المغتصبين.

٥- إقناع الشعب اليهودى أنه أجلى قسراً من بلاده عبر التاريخ ولكنه لم ينقطع عن الصلاة والأمل في العودة ثانية الى أرضه لبناء حريته السياسية وأمانيه القومية.

وهكذا وانطلاقاً من هذه المفاهيم وضعت فلسفة تربية النشء اليهودى وتركزت في النقاط التالية:

١- أن اليهود أمة واحدة لذلك كان لابد من حصر جميع اليهود الذين هاجروا الى فلسطين من جميع أنحاء العالم في بوتقة واحدة على اساس اللغة العبرية والدانة اليهودية.

٢- أن أرض اسرائيل هى وطن هذه الأمة ولابد من العودة الى هذا الوطن والارتباط به.

٣- إعادة صياغة الأمة اليهودية وفق الروح اليهودية والثقافة اليهودية وحياً من الدين اليهودى واللغة العبرية وينطبق ذلك على جميع القوى في اسرائيل من أقصى اليمين الى أقصى اليسار.

٤- اعتبار التوراه في أصولها العبرية المصدر الأساسى للتاريخ القومى وجغرافية الوطن ومصدر ودرس اللغة العبرية والتاريخ اليهودى والأدب القومى والمحتوى الاساسى للتقاليد الروحية والأخلاقية.

٥- اعتبار الشعب اليهودى هو شعب الله المختار الذى هو فوق كل الشعوب والذى سخرت الشعوب لخدمته واعتبار اى من الحضارات والعلوم والثقافات إنما هى وحى من هذا الشعب وريادته.

٦- إيجاد المجتمع العسكرى الدائم وذلك بتدريب الشعب كله على الجندية لمدة طويلة وإدخال التدريب العسكري الى المدارس وتأسيس المنظمات العسكرية وشحن أفكار الناشئة منذ الطفولة المبكرة بروح العداء والاحتكار للعرب.

٧- الإيحاء للناشئة اليهودية بأن العرب يعملون على إبادتهم وتدمير اسرائيل وملء المناهج الدراسية بالبطولات الخارقة للشعب اليهودى وأن الله وعدهم باستخلافهم في الأرض وتذكيرهم بأيام الاذلال والمهانة والمذابح التى واجهوها على أيدى الشعوب الأخرى على مر العصور.

هذه أهم المحاور الرئيسية التى قامت عليها السياسة التربوية اليهودية في أرض فلسطين والتى هدفت الى وضع هوه سحيقة بين الانسان اليهودى والانسان العربى.

وللدلالة على هذه السياسة العنصرية نحاول التقاط بعض ما جاء في الكتب الاسرائيلية المقررة على الطلبة اليهود في الأراضى الفلسطينية المحتلة.

اهتمت الكتب الدراسية بمادة التاريخ كأساس لبناء الناشئة اليهودية وجعلت التوراه هى المصدر الرئيسي للتاريخ اليهودى وطعنت في الوقت ذاته بجميع المصادر التاريخية الأخرى وخاصة المصادر العربية وأن احتلال أرض اسرائيل على أيدى الجيوش العربية كما جاء في المصادر العربية تعتبر بالنسبة لليهود غير موثوقة وأنها دونت بعد حوالى ٣٠٠ سنة من احتلال العرب لأرض اسرائيل.

وهدفت الكتب الى التقليل من أهمية الحضارة العربية وأن العرب لم يفعلوا أكثر من النقل من الحضارات وعلوم الشعوب الأخرى. وعمدت الكتب المدرسية ايضاً الى تشويه صورة الأديان السماوية الأخرى والأنبياء غير اليهود. وهاجموا العهد الجديد (الإنجيل) الذى استبدل تعاليم موسى بتعاليم المسيح وشككوا في الدين المسيحي ووصفوه بكره اليهود ومحاربتهم.

أما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد لحقه من الهجوم والتجريح له وللدين الاسلامى بالكلمات والصور وأنه مبتدع الدين الجديد وأنه حتى يجتذب اليهود إليه أمر اتباعه ان يتوجهوا في صلاتهم نحو القدس بدل الكعبة ولكنه لما أحس بعداء اليهود لدينه اخذ يقسو عليهم كما عاد وحوّل الصلاة الى الكعبة بدل القدس. وفي كتبهم يرسموا صوره الرسول صلى الله عليه وسلم يحمل وردة في يد ويقبض على السيف بيد اخرى ودائما يصورون شعار الاسلام بمثابة سيفين في وسطهما هلال ويعلقون دائماً أن

الاسلام دين المحاربين وأن الدين الاسلامى كان خليطا من الأديان المعروفة في ذلك الوقت.

اما عن التاريخ الاسلامى فان كتبهم وفى شتى المراحل الدراسية يحاولون دائما الحط من الحضارة العربية الاسلامية والانطلاقة الاسلامية وأن تلك الانطلاقات ايقظت قلقاً عميقاً لدى الشعوب الأخرى وأن الاسلام أباد جميع القبائل والشعوب التى لم تقبل تعاليمه وكذلك أباد قسماً كبيراً من يهود الجزيرة العربية. وعندما تتحدث كتبهم عن الفتح الاسلامي للفلسطينيين في القرن السابع الميلادى بانه خرب الاستيطان الزراعى في أرض اسرائيل وتحولت النقب الى صحراء ومأوى للجمال والماعز. وأن الرومان كانوا يدافعون عن القوافل من عصابات اللصوص العرب وأن الخليفة العباسى المأمون ساعد على تفسخ اليهود وكذلك حكام دمشق من الأمويين تصرفوا بشكل سيىء سواء للمسيحيين أو لليهود وفي العهد العثماني الذى تلي العهد المملوكى تردت مكانة البلاد الفلسطينية والعربية وأصبح العرب متخلفين عن العصر الحاضر وأنهم قاموا جميعاً بإضطهاد اليهود الذين يعيشون عندهم.

وقدموا الإنسان العربي في أبشع الصور من حيث الجهل والبداوه والبطش والعنصرية.

وتصف كتبهم المملكة السعودية بأحط النعوت وأنها مدينة الرقيق والجنس وأن مصر أخذت تضطهد اليهود وتطردهم بعد أن ازدهرت في عهدهم التجارة بشكل كبير.

وأما اليمن وليبيا فاعتبرتهما الكتب المدرسية الصهيونية من أكثر دول العالم تخلفا وحرصت تلك الكتب على اخراج لبنان من الدائرة العربية والتركيز على الطائفية وأن المسيحيين يشعرون في لبنان بخطر السيطرة الاسلامية رغم أن المسلمين يشكلون أقلية هناك!!

واخيرا تقول الكتب المدرسية أنه جاء اليوم للقاء العدو المتبجح والحقير الذى أراد ان يرمينا في البحر لكى يستعمر وطننا وأن الجندى المصرى كان يرجف خوفاً من الجندى الاسرائيلي الذى كان يقبض بقوة على أذنيه ويسحبه ومن شدة الفزع توقف الصراع الاسرائيلي المصرى ورفع المصرى يديه بالاستسلام!!!

وفي استفتاء أجراه في اسرائيل العالم الامريكى هـ.تمارين حيث أعد ١٠٦٦

استمارة وزعها على ٥٦٣ فتى و٥٠٣ فتيات من مختلف الصفوف في المدارس اليهودية وتضمنت الاستمارة للاجابة عليها مايلي:

«هتف الشعب فسقط السور في مكانه وصعد الشعب الى مدينة اريحا واستباحوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والحمير بحد السيف»

يشوع ٦/١٠ من التوراه

أجب هل تعتقد أن يشوع بن نون والاسرائيليين قد تصرفوا تصرفاً صحيحاً أو غير صحيح. وهل إذا احتل الجيش الاسرائيلى خلال الحرب قرية عربية فهل هو جيد أو سيىء أن يتصرف على هذا النحو من سكان القرية كما تصرف يشوع بن نون مع شعب أريحا. اشرح السبب.

وهذه الاستمارة وزعت على مدارس تل أبيب والرملة ومستعمرة شارون ومستعمرة معوتشد – واليك الاجابة.

كتب تلميذ من شارون – كان الهدف من الحرب هو الاستيلاء على البلاد من أجل الاسرائيليين لذلك فقد تصرف الاسرائيليون تصرفاً حسنا باحتلالهم المدن وقتلهم السكان وليس من المرغوب أن يكون في اسرائيل عنصر غريب.

وكتبت فتاه من مستعمرة معوتشد:

لقد تصرف يوشع بن نون تصرفاً حسناً بقتله جميع الناس في أريحا لانه كان من الضرورى احتلال البلاد ولم يكن لديه وقت لإضاعته مع الأسرى كانت الأجوبة من هذا النوع تشكل بين ٦٦٪ و٩٥٪ حسب المدرسة والمستعمرة والمدينة.

وعن سؤال هل في عصرنا تصفية جميع سكان قرية عربية أجاب:

٣٠٪ من التلاميذ بشكل قطعى نعم.

وقد أجاب جميع التلاميذ اعتقد أن كل شيء قد جرى بشكل صحيح إذ أننا نريد قهر أعدائنا وتوسيع حدودنا ونحن أيضا قتلنا العرب كما فعل يشوع بن نون – والاسرائيليون يجب التصرف مع العرب مثل يوشع بن نون لأن العرب هم أعداؤنا.

وفي دراسة حديثة للباحث الاسرائيلي الدكتور «إيلي فورا» تنبع أهميتها من أنها صدرت أخيراً من الجامعة العبرية في القدس المحتلة وتقول الدراسة إن كتب التدريس المعتمدة في المدارس اليهودية لعبت دوراً في تصعيد الصراع العربي الاسرائيلي في الماضي ولاتزال تشكل عاملاً يحول دون التراضي السلام بين الشعبين.

وتتضمن الدراسة تحليلاً دقيقا للكتب التعليمية الاسرائيلية على مدار أربعين سنة وتشمل ستين كتابا وتقول إن كتب التعليم الاسرائيلية قادت الى فكرة مسبقة لصورة العربي، لاوصاف «غشاش» «متخلف» «لص» هي جزء من صفات ألصقت بالشخصية العربية. وقد تضمنت تلك الكتب حقائق مشوهة ومزورة أحياناً – ورغم أن جهاز التعليم الاسرائيلي شهد تغيرات ملحوظة منذ مطلع الثمانينات فتمت تنقية بعض الكتب من الفاظ تتضمن كراهية العرب بصفة عامة بقيت كتب التدريس تحوى الأخطاء والتضليل والتجاهل لحقائق الصراع العربي الاسرائيلي وتحتوى على صور ورسوم للكاريكارتير تثبت كيف تم إخضاع التاريخ لصالح السياسة اليهودية ومنها رسوم للرسول صلى الله عليه وسلم في اشكال بذيئة.

وتظهر فلسطين في كتب التاريخ في نهاية القرن التاسع عشر كبلاد صحراوية وأرض للمستنقعات تسكنها أقلية من الرعاة العرب وتصف الفلسطيني بأنه خائن – جبان متردد – مسكين بينما اليهودى ذكى قوى شجاع وتصف سكان قرية عربية أن الناس مخيفون وجوههم صفراء والذباب يتنزه عليها دون أن يحاولوا طرده وكثير منهم كانوا عمياناً وهم يمسكون بأيدى بعضهم البعض يتحسسون طريقهم بالظلمة أما الأولاد فيسيرون حفاة وعيونهم مريضة وبطونهم منفوخة وآثار لسعات الحشرات بادية على أجسادهم، وكل ذلك لكى تثبت الكتب أن فلسطين كانت أرض بلا شعب بلا وطن.

وتظهر الدراسة ان العربي كان طيلة فترة الصراع حتى عام ١٩٤٨ إنساناً ظالماً ومعتدياً وأن اليهود كانوا ضحية وتسمى الأحداث والتطورات حسب القاموس السياسي الصهيوني كثورة ١٩٣٦–١٩٣٩ أنها احداث حرب عصابات.

ونكبة سنة ١٩٤٨ غير موجودة ويتم التركيز على أسطورة انتصار الأقلية اليهودية على الأكثرية العربية وكيف نجحت اسرائيل الصغيرة في هزيمة العرب.

وتعمدت الدراسة إظهار الجيش والشرطة في جهاز التعليم الاسرائيلي لنشر صوره وتراث الأمة وتعزيز الرابطة بين الفرد والدولة.

وتوضح الدراسة أن قضية اللاجئين الفلسطينيين وردت في الكتب التعليمية بشكل سريع وعابر وسبب هروب السكان كان بأوامر من الدول العربية الذين طلبوا منهم إخلاء البلاد وتحدث عن مذبحة دير ياسين وأن الضحايا سقطوا في خضم المواجهة المسلحة وبعد تحذير سكان القرية.

ويرد في الدراسة أن خطط تهجير وتدمير القرى القريبة لم ترد في الكتب الدراسية أو تمت الاشارة اليها بعد شطب أجزاء منها.

وتشير الكتب دائما الى اللاءات العربية الثلاث في مؤتمر الخرطوم ولاتتحدث عن قرار ٢٤٢ نهائيا.

ما من شك أن دراسة الفكر التربوى الصهيونى يحتاج الى مزيد من البحث لتتضح الصورة أمام الانسان العربي عن عدوه الذى يخطط ليلاً نهاراً من أجل القضاء عليه وتدميره.

ويجب مواجهة اليهود بادعاءاتهم الكاذبة ومواجهتهم بحقائق التاريخ وبناء طفل عربي واع حتى يستطيع الوقوف في وجهه هذا السرطان الصهيوني.

التصريحات والآراء التى ساهمت في تكوين العقيدة الصهيونية

دارت حول الحركة الصهيونية مناقشات ومحاورات في الصحف والمجتمعات الغربية أدلى خلالها الكثيرون من زعماء اليهود ومفكريهم وكتابهم وفلاسفتهم وكذلك بعض المؤرخين والكتاب المسيحيين في بريطانيا وفرنسا والمانيا وايطاليا ومنهم مدنيون وعسكريون ورجال دين وقد أفرزت تلك التصريحات اكثر الآراء التى شكلت الفكر والوجدان اليهودى الذى أصبح الآن يسيطر على مسار الدولة اليهودية.

وكان من أهم ما اعتنقه اليهود نتيجة لتلك التصريحات:

أ - دعوى التفوق العرقى باعتبار اليهود شعب الله المختار.

ب - ضرورة التوسع لتحقيق اسرائيل الكبرى.

جـ - اعتناق العنف كهدف ووسيلة لتحقيق هذا التوسع.

نورد فيما يلى طائفة من تلك التصريحات

«تعالوا نعطى الشعب الذى لا أرض له ارضاً لاشعب فيها».

اسرائيل زانكويل مؤسس المنظمة اليهودية للاستعمار والأراضي ١٨٩٥. «ان هدف الصهيونية هو إقامة وطن قومى لليهود جميعهم أينما وجدوا للعودة الى فلسطين».

هرتسل رئيس المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧.

«ينبغى ان يتضمن برنامج المؤتمر الصهيوني عبارة فلسطين الكبرى أو فلسطين، والبلاد المجاورة لها وإلا كان البرنامج لامعنى له فليس بلا مكان حشد عشرة ملايين يهودى في رقعة من الأرض مساحتها ٢٥ ألف كيلو متر مربع»

العالم اليهودى ديفس تريتش ١٨٩٨

«يجب اقامة دولة اسرائيل فى فلسطين تكون يهودية بقدر ما هى انجلترا انجليزية وبقدر ما هي الأمة البريطانية بريطانية»

وايزمن الزعيم الصهيوني الكبير واول رئيس لدولة اسرائيل ١٩١٩

«ان المقصد من طلب اليهود تسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين هو أن يصبح اليهود اكثرية السكان هناك وان على العرب أن يرحلوا منها الى الصحراء»

القاضى برانديس عضو المحكمة العليا في الولايات المتحدة ١٩١٤

«نحن نبحث عن وطن والوطن لايمنح كهدية بل يصنع بالكفاح وعرق الجبين»

بن جورون ١٩١٥

«لقي الوعد صدى رائعا واستحساناً في الصحافة البريطانية يضاف الى ذلك ما حظى به من التأييد العام لدى آلاف من الكهنة الانجيليين والقساوقسة البروتستانتين وغيرهم من الرجال المتدينين في نصف الكره الغربي»

تصريح رونالد ستورس المتشرق الانجليزى اثر صدور وعد بلفور ١٩١٨.

ان المطالب الاساسية التى يجب على الصهيونية تبنها هي:

١- «اعتراف العالم بأن فلسطين أرض اليهود في الماضى ويجب أن تصبح كذلك في المستقبل.

٢- «إعطاء الفرص لإيجاد الأوضاع والأحوال اللازمة والملائمة لارجاع اليهود الى فلسطين.

٣- «تسليم الانتداب على فلسطين للدولة التى يثق فيها اليهود ثقة تامة وهى بريطانيا العظمى.

تصريح الدكتور آدر بعد تسلمه رئاسة البعثة الصهيونية في لندن ١٩١٨:

«إن فلسطين هى أرض اليهود الموعودة في الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية ويجب ان تشمل جميع الاماكن التى تحرك فيها اليهود والأماكن التى اقامت بها القبائل العبرية في ماضي الحقب. ان فلسطين هي ارض دولة اسرائيل التاريخية والدينية بحكم ارتباط الدين اليهودى بالأراضى المقدسة من المذكرة الصهيونية التى قدمت لمؤتمر السلام ١٩١٩».

«يجب ان تضم فلسطين النقب برمته ويهودا والسامره والجليل وسنجق حوران وسنجق الكرك بما في ذلك معان والعقبة وجزء من سنجق دمشق بما فيه القنيطرة وحاصبيا ان جبل الشخ هو ابو المياه في فلسطين ولايمكن فصله عن فلسطين دون تعريض حياتها الاقتصادية للخطر ويجب ان يخضع هذا الجبل خضوعاً كلياً لسيطرة الذين سوف يستفيدون منه الى اقصى حد وهم اليهود»

من كتاب تحت عنوان حدود فلسطين للزعيم اسحق زفى ١٩١٩

«إن الحقيقة الاساسية فيما يتعلق بحدود فلسطين هى أنه لابد من إدخال المياه الضرورية للرى والقوى الكهربائية ضمن هذه الحدود ويشمل ذلك مجرى نهر الليطانى ومنابع نهر الأردن وثلوج جبل الشيخ»

حددت بذلك الزعامة اليهودية أطماعها فى لبنان الجنوبى ١٩١٩

«لشرق الأردن أهمية حيوية في النواحي الاقتصادية والسياسية لفلسطين اليهودية إن مستقبل فلسطين اليهودى يتوقف على شرق الأردن فلا أمن لفلسطين إلا إذا كانت شرق الأردن قطعة منها - إن شرق الأردن هى مفتاح الازدهار السياسى لفلسطين»

من نشره لجريدة فلسطين اليهودية الرسمية ١٩١٩.

«ان خطة اليهود هى ان يصبحوا اكثرية السكان في فلسطين وانه يجب ان ينزع

كل سلاح من العرب وان يعطى لليهود حق السلاح ليدافعوا عن انفسهم ولتحرير وطنهم التاريخ»

شهادة الدكتور إيدر رئيس الجمعية الصهيونية أمام لجنة التحقيق في القدس ١٩٢١

«إن اليهود يتطلعون الى افتداء اسرائيل واجتماع الشعب في فلسطين واستعادة الدولة اليهودية وإعادة بناء هيكل سليمان وإقامة العرش الداوودى في القدس ثانية»

صفحة ٩٨٦ من دائرة المعارف البريطانية طبعة سنة ١٩٢٦ مجلد ٢٧ تحت كلمة الصهيونية

«إن اليهود يبغون أن يجمعوا أمرهم وان يتقدموا الى القدس ويتغلبوا على قوة الأعداء وأن يعيدوا العبادة الى الهيكل مكان المسجد الاقصى ويقيموا ملكهم هناك»

دائرة المعارف اليهودية المطبوعة باللغة الانجليزية.

«إنه كان مفهوماً لدى الحكومة البريطانية عند إصدارها تصريح بلفور سنة ١٩١٧ أن يصبح اليهود أكثرية سكان فلسطين الساحقة»

من تصريحات الزعماء البريطانيين نشرته جريدة التيمس والمانشستر جاردين – بلدوين – تشامبرلن – إيمرى – تشرشل – هارولد لاسكى ١٩٣٤.

عقدت اللجنة التنفيذية لمؤتمر حزب العمال البريطانى سنة ١٩٤٣ مؤتمراً في لندن قررت بالإجماع تحويل فلسطين الى دولة يهودية وإخراج سكانها العرب منها الى الأقطار المجاورة ولم يعترض رئيس الحكومة البريطانية المحافظ ونستون تشرشل على هذا القرار مما يؤكد أن جميع الأحزاب البريطانية متفقة على خطة الاجلاء الأثمة»

«إن الأمة اليهودية لن توافق ابداً على سلخ شرق الأردن عن جسد فلسطين الذى تربطها به صلات تاريخية وجغرافية واقتصادية ولايستطيع اى تصريح بريطانى أن يغير من اعتقاد كل فرد يهودى بأن الأراضى الواقعة شرقى نهر الأردن تؤلف جزءاً لايتجزأ من الوطن الأم ودولة المستقبل»

أصدرت هذا التصريح منظمة المبادئ الصهيونية الجديدة ١٩٤٦

النشيد الخاص للشباب اليهودى منظمة البيطار:

«مجال حيوى للملايين

على ضفتى الأردن

الأردن له ضفتان

«واحدة لنا وكذلك الأخرى»   ١٩٥٣

«لقد اخطأنا بقبول التقسيم ونحن الآن ندفع ضريبة ذلك بالأرواح والدماء والأموال إن واجبنا المباشر إعادة توحيد القدس القديمة والجديدة والقضاء على أضحوكة الدعاية المسماه المملكة الأردنية الهاشمية وإعادة الحكم اليهودى الى اسرائيل الكبرى بكاملها على ضفتى الأردن – إن اسرائيل الكبرى بحدودها التاريخية هى وحدها التى تقدم الحل الدائم»

تصريح لرئيس منظمة بيطار (الشباب اليهودي) ١٩٥٣٤

«نهر الليطانى هو حدودنا الشمالية وشرق الأردن حدودنا الى الشرق»

تصريح لابن جوريون حينما سئل عن حدود اسرائيل ١٩٦٠.

«ان من الواضح للاسرائيليين أن احلام تطوير النقب لايمكن ان تتحقق بدون مياه نهر الليطانى»

تصريح آدم سميث في مجلة إيسترن افيرز الصهيونية ١٩٦٧

«يجب أن يدرك العالم الخارجى أنه بالإضافة الى الأهمية الاستراتيجية التى تعلقها اسرائيل على شبه جزيرة سيناء المجردة من السلام ومرتفعات الجولان ومضايق تيران تهتم ايضا بسلسلة الجبال الواقعة في شمال وشرق إسرائيل وهى في صميم التاريخ اليهودى»

تصريح لموشى ديان ١٩٦٧.

«إنني أبحث عن العوامل والأسباب التى صانت الشعب اليهودى كشعب قومى متماسك حيث توصلت الى حقيقة دامغة وهى أن سر بقائنا كشعب متماسك هو محافظتنا على صفاتنا الروحية والقومية التى استطعنا التمسك بها تحت أسوء الظروف التى تعرض لها أى شعب على وجه الأرض ان اليهود لن ينسوا مطلقا أراضى آبائهم

وأجدادهم حيث عاشوا كشعب واحد ونزل عليهم الكتاب المقدس الذى يعتبر ذروة عظمة شعبنا.

تصريح لابن جوريون لمجلة دى شبيجل الألمانية ١٩٦٨

من المقررات التى أجمعت عليها الأحزاب اليهودية بعد سنة ١٩٦٧

«١- بالنسبة للاجئين الفلسطينيين يجب أن تحل مشكلتهم بنقلهم واستقرارهم في البلاد العربية المجاورة».

«٢- لن يعاد تقسيم القدس أو أى جزء منها الى الفلسطينيين بأى حال من الاحوال».

«٣- فى سيناء يجب أن يزال الى الأبد التهديد المصرى لحدود اسرائيل وذلك ببقائها منطقة منزوعة السلاح»

«٤- قطاع غزة يجب أن يخضع للسيطرة الاسرائيلية ويجب أن تنزع منه الأراضى الكافية لاسكان المستوطنين اليهود»

«٥- الجولان يجب أن تقام مواقع الدفاع الاسرائيلية على مرتفعاتها»

«أنتم الاسرائيليون يجب أن لاتأخذكم شفقة أو رحمة عندما تقتلون عدوكم ويجب ان نقضوا عليه حتى يدمر مايسمى بحضارة العرب التى سوف نشيد على أنقاضها حضارتنا اليهودية»

تصريح مناحم بيجين في مذكراته التى أطلق عليها اسم التمرد

«لقد اسهمت مدبحة دير ياسين وغيرها من المجازر الأخرى في تفريغ البلاد من حوالى ٦٥٠ ألف عربى ولولا دير ياسين لما قامت اسرائيل»

من مذكرات بيجن ايضاً.

تصريحات متعلقة بحركة الاستيطان الذى يشكل حجر الزاوية في الفكر الصهيونى.

«إن حركة الاستيطان يجب ان تكون مستعدة لاقامة قرى جديدة في الأراضى المحتلة لان هذه الأراضى تحتاج الى وجود اسرائيلى فيها وان اقامة المستعمرات هو الشيئ الوحيد الذى يجعل الوجود الاسرائيلي حقيقة مقبولاً بها في الأراضي المحتلة».

من تصريحات الوزير ايجال ألون.

«لقد تثقفنا على النظر للضفة الغربية وشاطئ المتوسط حتى العريش كوطن تاريخى وليس وطناً بالروح والميراث أو الكتب فقط وانما كمجال التجمع العلمى للحركة الصهيونية عن طريق الاستيطان والمراكز الاستيطانية لايمكن التخلى عنها وليس هناك قرار بإغلاق اية منطقة في وجه الاستيطان»

من تصريحات الوزير جاليلى.

«من الواجب اقامة ضواحى سكنية لليهود في جميع أراضي إسرائيل المحررة في أريحا – الخليل – رام الله – نابلس – جنين – طولكرم – قلقيليه – غزة – رفح – وغيرها

من تصريحات مناحم بيجن

ماذا يهم أمريكا من منطقة الشرق الأوسط.

أجاب رئيس الولايات المتحدة رتشارد نيكسون جملته المشهور

«حماية إسرائيل والبترول»

«إن تفتت الدول العربية الى دوليات صغيرة هى فكرة تشغل بال اسرائيل بل إنها إحدى نقاط إسرائيل الاستراتيجية التى تفكر بها دائما فتفتيت العراق وتقسيمه الى دويلات صغيرة كدولة شيعية ودولة سنية إضافة الى انفصال الأكراد يعتبر من الأهداف القديمة لاسرائيل»

مقال نشر في جريدة ها آرتس في عددها ١٩٨٢/٦/٢

الحدود العامة للدولة الاسرائيلية كما قدمته مذكرة الجمعية الصهيونية الى مؤتمر أصلح في مارس ١٩١٩

حددت المذكرة الحدود التى تريدها:

«من الشمال بجوار صيدا – جبل الشيخ – الخط الحجازى – خليج العقبة ثم الى الجنوب بما يتفق عليه مع الحكومة المصرية والى الغرب البحر المتوسط وأصرت المذكرة على ضرورة ضم جبل الشيخ لانه أبو المياه الحقيقية لفلسطين»

جاء في تقرير كوينج الصادر سنة ١٩٧٦ حيث يضع تنبؤات مستقبلية لتطبيقها على العرب في شمال اسرائيل وهي مستمدة من الفكر الصهيوني العنصرى على اعتبار الأقلية العربية الاسرائيلية عنصراً أجنبياً يجب تحييده في الحياة العامة ونزع مقوماته والغاء شخصيته القومية لأنه يشكل خطراً في المجالات السكانية والاقتصادية والسياسية ويقترح عدة تدابير أمنية وعسكرية خصوصاً مع تزايد المواليد العرب ويفرض إنقاص المعونات المخصصة للأسر العربية ودفع المتوفر للاسر اليهودية والعمل على تغيير عقلية العرب وسلوكهم وخصوصاً في التعليم والإقلال من قبولهم في مجالات التعليم العالى والجامعى والتضيق على العرب الذين يرغبون في إتمام دراساتهم في الخارج وعرقلة عودتهم الى اسرائيل.

«مفهوم الحكم الذاتى كما يراه الليكود هو إعطاء الشعب العربى الفلسطينى حداً أدنى من تصريف شؤونه الادارية دون أن يكون له حق الأرض أو سيادة فعليه عليها فالاراضى العربية المحتلة تعامل على أنها امتداد لاسرائيل»

مقررات مؤتمر بلتمور الصهيوني الذى انعقد في نيويورك سنة ١٩٤٢ ويعتبر هذا المؤتمر من المؤتمرات الهامة في تاريخ الحركة الصهيونية.

«١- إنشاء دولة يهودية في فلسطين فوراً تكون جزءاً أصيلا من العالم الديمقراطي الجديد»

«٢- رفض الكتاب الأبيض البريطاني الصادر سنة ١٩٣٩ وهو الذى وضع بعض القيود على انتقال الأراضي من العرب الى اليهود».

«٣- إطلاق الهجرة اليهودية الى فلسطين والاستيطان فيها دون عوائق».

«٤- وضع شئون الهجرة والاستيطان تحت سيطرة الوكالة اليهودية».

«٥- تشكيل قوة عسكرية يهودية تحارب تحت العلم اليهودى والاعتراف بهذه القوة من قبل الحلفاء».

التلمود عند اليهود: كتب التلمود بعد أكثر من مئتى سنة من نزول التوراه للتلمود عند اليهود قدسية ومكانة أرفع من التوراه وهو دستورهم الذى يقرر سلوكهم في الدين والأخلاق والسياسة وهو الكتاب الذى لايجوز لليهودى أن يتم تعليمه دون ان يستوعب أفكاره الجوهرية مما جاء في التلمود.

قال الأحبار اليهود في شرحهم للوصايا العشر والتعاليم السماوية التى أنزلت على موسى والأنبياء أنها تنطبق على اليهود وحدهم فلا حرج عليهم أنهم قتلوا أو كذبوا او سرقوا أو ظلموا غير اليهود وارتكبوا معهم أفظع الجرائم وأشنع المنكرات حسب ما تقتضى مصالحهم.

وقالوا أيضاً إن التلمود يعنى أن الشعب اليهودى وحده الجدير بحياة الخلود أما الشعوب الأخرى فانها أشبه شيء بالحمير وقالوا أيضاً يا معشر اليهود إنكم أنتم البشر أما الشعوب الأخرى فليسوا من البشر في شيء اذ ان نفوسهم آتية من روح نجسه اما نفوس اليهود فمصدرها روح الله المقدسة.

الطفل اليهودي:

«اما الطفل اليهودى في اسرائيل فإن أول درس يتلقاه كراهية العرب وخطورة العرب على دولته وأن اول واجب عليه هو قهر هؤلاء العرب والسيطرة عليهم ولو بإبادتهم وقتلهم - ويلقنونه بأن قتل العربى حلال هذا الدرس يتعلمه الطفل اليهودي حتى يكبر ويترعرع وتنمو معه».

تحدثت الدوائر العسكرية الاسرائيلية عن ثلاث دوائر للأمن الاسرائيلى وأن أمن إسرائيل لن يتحقق كاملا إلا بإبقاء تلك الدوائرضعيفة.

الدائرة الأولى - دول المواجهة العربية.

الدائرة الثانية - الدول التى هى أبعد من دول المواجهة.

الدائرة الثالثة - تصل الى باكستان والمغرب العربى.

ولعل تدمير المفاعل الذرى العراقى وضرب مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس والتهديد بضرب قواعد الصواريخ في إيران يثبت عمليات الدور الاسرائيلى ليس تخيلاً وإنما هو برنامج يعطي اسرائيل الحق في أن تضرب في كل هذه الدوائر الثلاث كسياسية ثابتة وهذه مسألة بالغة الخطورة.

الاستراتيجية الاسرائيلية:

حددت الاستراتيجية الاسرائيلية أهدافها بدقة ورسمت الطرائق والأساليب التى توصلها الى تلك الاهداف وعينت مراحل تحقيقها وفق الظروف المتاحة.

١- الغاية القومية هى الهدف الأسمى التى تسعى الدولة ومؤسساتها لبلوغة وهى تشكل عنصراً متطوراً تتوالد فيه الأهداف بعضها من بعض الواحد تلو الأخر كلما تحقق هدف ظهر آخر يتلوه.

٢- فرض السلام الاسرائيلى على المنطقة العربية.

٣- حماية القاعدة الاقتصادية والقاعدة البشرية في الكيان الصهيوني.

٤- الاحتلال والتوسع الجغرافى للوصول الى إسرائيل الكبرى.

٥- منع العرب من القتال بردعهم عنه أو شل قواهم بحروب وقائية وضربه استباقيه.

٦- جعل ميزان القوى يميل دائما الى صالح اسرائيل متفوقاً على الدول العربية مجتمعة.

ذكرنا بعض النماذج من التصريحات والقرارات التى داعبت خيال بعض الزعماء والكتاب والمفكرين اليهود وبعض الفلاسفة والعسكريين من المسيحيين. والتى ساهمت في تشكيل وصياغة حجر الزاوية في الفكر اليهودى المعاصر ورغم أن الكثير من تلك التصريحات قد تحقق بالفعل إلا أن المخططات الصهيونية لم تكتمل بعد وهى إنشاء اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات ومن السخف أن الأمة العربية برموز حكامها لازالت غير مقتنعة أو غير آبهة أو غير قادرة على تفهم تلك الأهداف والمخططات الاسرائيلية التى تسعى الصهيونية العالمية الى تحقيقها في هذه المنطقة مهما طالت او قصرت السنوات اللازمة لذلك.

والواقع المؤلم أننا لانعتبر دروس التاريخ ولانستفيد من أخطاء الماضي ولم نحاول او نستوعب تأثير التغيرات الجذرية التى حصلت على الصعيد الدولى خلال التسعينيات من هذا القرن وأهمها انتهاء الحرب البادرة وتفكك النظام الشيوعى وانفراد الولايات المتحدة بالزعامة العالمية وكان من المفترض أن تترك تلك التطورات بصماتها على الفكر الاستراتيجي العربى وأن تدفعة الى الاتجاه الصحيح لوضع التقديرات لاحتمالات المستقبل.

حققت اسرائيل مكاسب ضخمة بسبب حرب الخليج أهمها إبرام اتفاقيات السلام مع الفلسطينيين والأردن بالاضافة الى مصر وانتهزت اسرائيل ظروف حرب الخليج

لتحصل على المزيد من السلاح المتقدم من امريكا والى زيادة تفوقها العسكرى على الدول العربية. وسارعت بعض الدول العربية في سباق محموم لتقديم فروض الطاعة وعقد الاتفاقيات التجارية وإبرام الصفقات مع اسرائيل.

واخيراً جاءت أحداث العراق الأخيرة والتهديد الامريكي وتوتر أجواء المنطقة الى تراجع اسرائيل عن اتفاقيات أوسلو وتجميد مفاوضاتها مع سوريا.

وهكذا وعلى وجه اليقين ثبت أن اسرائيل لاتريد السلام الحقيقي مع العرب والفلسطينيين بل تريد فرض السلام الاسرائيلي وتحقيق المشروع الاستعمارى الصهيوني المستوحى من التوراه وهذا المشروع لايتحقق إلا على أشلاء الدول العربية الممزقة.

وها هي حكومة الليك الحالية تمسح جميع الالتزامات الاسرائيلية المعقودة مع الفلسطينيين وتقوم بتغيير طبيعة الأرض وتسعى الى ضم الهند والصين الى صف إسرائيل بعد أن أصبحت تركيا الصديقة الحميمة لها.

مكامن الضعف في استراتيجية المشروع الصهيوني

ملخص من كتاب مفاوضات السلام للأستاذ برهان الدجاني

لقد حققت الصهيونية نجاحات كبرى في غرس مشروعها إنشاء دولة اسرائيل وحقق هذا المشروع انتصاراً كبيراً عام ١٩٦٧ وتوسعت الدولة اليهودية. لكنها بدأت التراجع بعد حرب ١٩٧٣ حيث انسحبت من سيناء ومن مدينة القنيطرة وكلا الموقعين يمثل أقصى ما بلغته اسرائيل في فتوحاتها.

لكن النجاح العسكري الاسرائيلى كان مبطناً بتناقضية أساسية تشبه التناقضية التى عانتها انتصارات هتلر في التاريخ المعاصر. لقد اوضح المفكر الاستراتيجي الكبير ليدل هارت في كتابه عن الحرب العالمية الثانية أن جيوش ألمانيا الهتلرية تصرفت بكفاءة عالية في ميادين القتال تفوق كفاءة أعدائها وحققت انتصارات مذهلة وأن القادة العسكريين الألمان كانوا أقدر قادة فى تلك الحرب... لكن المانيا لم تكن تستطيع تحقيق النصر بسبب التناقضية الأساسية ما بين اندفاعها الحربى وهدفها الاستراتيجي فالهدف الاستراتيجي كان إخضاع أوروبا وربما بلاد أخرى غيرها الى الهدف النازى القائم على منهج العنصرية والاستعلاء القومى والاستهانة بالشعوب الأخرى وحقوقها والاستهانة بالانسان الفرد وحقوقه والإيمان الكامل بالقوة مصدراً وإدارة للحكم فمثل هذا التصور يولد مع كل انتصار تقيماً مقابلاً متزايداً لدى العدو ومقاومة مستمرة في الأراضي المفتوحة لأنه لايعطى أملاً – أى امل لأحد غير الألمان. هذه الاستراتيجية تقوم في النهاية على فرضية ان الألمان يكسبون كل مالدى الآخرين يخسرون كل ما عندهم. ولم تنجح مثل هذه الاستراتيجية سوى مرة واحدة في التاريخ وذلك عندما غزا الأوروبيون البيض من أنجلو سكسون وأسبان وبرتغاليين القارة الامريكية وأبادوا عمليا معظم سكانها واغتصبوا كل موارد حياتهم وكان لهذا النجاح أسباب متعددة منها أن امريكا الشمالية والجنوبية كانتا مسرحاً معزولاً عن العالم وسكانها قليلون وأرضها واسعة ومواردها هائلة ولم يتسن للسكان تطوير أساليب مقاومتهم ولم يجدوا من حولهم أقواما معهم.

ولتذكر التجربة الصليبية حينما أبادوا السكان المسلمين على طوال الساحل

الشمالى بالقتل والطرد والترحيل فوقعوا في التناقضية التى أوصلتهم الى حطين ومن ثم أعادتهم من حيث أتوا.

وتحاول الصهيونية الآن معالجة هذه التناقضية بأن تكتفي بفلسطين الانتدابية موطناً لدولتها، واستغلت إسرائيل حال العرب الذين يعيشون في حالة إرهاق وحيرة بعد أن أمعنت القوى المساندة لاسرائيل فيهم حرباً وتمزيقاً وتفتيتاً وبدت ظروف أفقدت الكثيرين منهم الرؤيا البعيدة، وشعب فلسطين في النهاية شعب عربي مثل بقية العرب يعبر في جناحيه الاسلامى والمسيحي عن العروبة أما يهود اسرائيل فأمرهم مختلف وغير مؤتلف وارتباطاتهم العالمية ليست كلها ودية وتطلعاتهم هى تطلعات الفاتح الغازي قد ينتقل فيها بين أسلوب وآخر لكنها تقوم على الغطرسة والتفوق

ويجب أن لايستهين أحد بالشعب الفلسطيني فهو يدرك معنى الغزو الصهيوني منذ البداية وأول من اشعل ثورة تحرير في عالمنا المعاصر خلال سنوات ١٩٣٦-١٩٣٩ وهو الذى هزم اسرائيل في معركة بيروت العظيمة وأكرهها على التراجع والانسحاب وعندما يقرر العرب ويعقدون النية الصادقة على مؤازرة هذا الشعب فسوف يسترد أرضه وحقوقه التى هى أرضهم وحقوقهم.

وجميع ما يحصل الآن من مهادنة واتصالات ومفاوضات سوف تكون نقطة الانتقال من مرحلة القتال الفلسطيني الحالى الى مرحلة جديدة وتكون الأهداف الفلسطينية وهى عودة كل الشعب الفلسطيني الى أرض فلسطين وإقامة دولة ديمقراطية موحدة تضم جميع السكان من مسلمين ومسيحيين ويهود ويفتح مجال العمل والمساهمة في مسيره الحضارة للجميع.

إن اسرائيل والصهيونية تواجهان مشاكل عديدة في المنظار المستقبلي منها الهجرة المعاكسة وهبوط نسبة التكاثر السكانى وليس مستبعداً خلال ثلاثين سنة أن يتفوق عدد العرب الفلسطينى على مجموع أعداد اليهود في العالم ويبقى الخط الدفاعى للعسكرية الاسرائيلية قوة الردع القوى - ولكن هل تضمن إسرائيل أن تظل محتكرة للسلاح النووى؟.

هذه الافكار تمثل وجهة نظر كاتبها

رأى آخر حول مستقبل ومصير الدولة اليهودية في فلسطين

مفكر يهودي يقول

لايوجد شعب يهودي ولاتوجد أمة يهودية

بل توجد ديانة يهودية

جورج عدة يهودي تونسي الجنسية له آراء غاية في العدل بالنسبة للقضية الفلسطينية وقد رفض مرارا إغراءات الهجرة الى إسرائيل كتب آرائه ومقالاته في الصحف الفرنسية سواء في تونس أو فرنسا ويتوقع جورج عدة أن إسرائيل ستزول مهما طال الزمن فلا توجد دولة عاشت على العنصرية والعنف ويطالب كل يهود العالم أن يعلموا أولادهم أن اليهودية ديانة وأن إسرائيل في طريقها للزوال.

جورج عدة يحمل الأوربيين وزر إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين وأنهم بذلك أرادوا إبعاد اليهود عن قارتهم.

ويتحدث جورج عدة في مقالته كيف كان السلام يسود تلك الأرض الصغيرة فلسطين يتعامل فيها العرب واليهود يسود بينهم الاحترام المتبادل ثم يشير الى انقلاب الأوضاع وانطلاق المذابح ضد اليهود في روسيا وبدأ تدفق الهجرة اليهودية الى فلسطين ليجد الشعب الفلسطيني نفسه مجبراً على خوض الصراع من أجل الحياة ومن أجل البقاء وحتى لايطرد من دياره وقراه وحتى قبوره.

ولم تتوقف دماء الفلسطينيين طيلة سبعين عاما عن ري تلك الأرض الموصوفة بالمقدسة والتى وطأتها أقدام أنبياء الديانات الثلاث.

ويستطرد جورج عدة علامات بأن أوربا حاولت إصلاح ما أفسده هتلر والنازية بارتكاب الخطأ الفادح بطرد اليهود من أوربا وتوطينهم بأرض لايملكونها وهي فلسطين.

استعمل الغرب منظمة الأمم المتحدة كوسيلة لإضفاء الشرعية على توطين اليهود في فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل دون استشارة أهل البلاد ورفض طلباتهم المشروعة. ولم تخرج أوربا عن عاداتها التى تمثلت سنة ١٤٩٢ بطرد اليهود أو المسلمين من أسبانيا على أيدى الملوك الكاثوليك وإبادة شعوب أمريكا الشمالية واستراليا واستعباد السود وإنشاء دولة عنصرية في جنوب أفريقيا.

وهكذا تم في عملية استئصال طرد الملايين من الرجال والنساء والأطفال الذين أجبروا على الهرب والعيش في الخيام كلاجئين وكل تلك المآسى والمظالم ارتكبت باسم الشرعية الدولية.

استوقفني تحليل جاد لأستاذة للعلاقات الدولية بقسم العلوم السياسية بجامعة فلوريدا الدولية تقول فيه من الحماقة الاعتقاد بأن ضعف العالم العربي وانقسامه وافتقاره الى التنظيم وعدم قدرته على تحدى الهيمنة الاسرائيلية سيستمر بلا تغيير فالتاريخ يعلمنا درسا مهما وهو أن الأيام دول وأن سقوط وصعود الدول يتوالى وأن أكثر الدول عرضة للسقوط هي تلك التي تفرض هيمنتها على شعوب أخرى غير شعبها ولن يقبل حوالي مائتي مليون عربي إملاءات ٥ أو ٦ ملايين إسرائيلي حتى وإن استظلوا بالولايات المتحدة فمن غير المعقول أن ترضى سوريا بالتخلي عن الجولان أو ترضى لبنان بالتخلي عن جنوبها أو يتخلى العرب والمسلمون عن القدس. فالقبول الحالي لإملاءات اسرائيل والولايات المتحدة لن يصمد عبر الزمن وستؤدى حيازة إسرائيل لقدرة نووية الى تطوير العرب لقدرة نووية حتما وسيفتح عدم الاستقرار الباب لحروب جديدة ولن يكون هناك سلام أو استقرار في الشرق الأوسط ما لم يتم التوصل الى تسوية عادلة للمسألة الفلسطينية.

تصريحات مناهضة للفكر الصهيوني ولإنشاء دولة يهودية في فلسطين

تصريح (١) :

ارنولد توينبى من أعظم مؤرخى التاريخ في العصر الحديث ،كتابه «دراسة للتاريخ» يعتبر من أهم المراجع التاريخية وتمتاز آراء توينبى بالعمق الشديد. وتحدث عن الحركة الصهيونية وقال إنها جمعت أسوء ما في الحضارة الغربية – القومية العمياء والاستعمار – ان استيلاء الحركة الصهيونية على بيوت وأملاك الفلسطينيين وتحويلهم الى لاجئين ليس أرقى من الناحية الأخلاقية من أبشع الجرائم التى ارتكبت خلال الخمسة قرون الأخيرة وهذا هو حكمى الأخير على تاريخ الصهيونية في فلسطين وقال أيضاً لو أن أى شعب آخر غير الفلسطينيين العرب ذاق ما لحقه من اعتداد صارخ وتنكيل على أيدى اى شعب آخر غير الاسرائيليين لأدرك العالم كله أن هناك ظلماً فادحاً جرى ارتكابه بحق ضحايا لم يقترفوا شيئا يستحقون عليه هذا العقاب.

لاشك أن الحكومة البريطانية التى وقعت على وعد بلفور كانت مطلعة على الأهداف النهائية للصهيونية وأن التأكيدات البريطانية المعطاة للعرب كانت تأكيدات جوفاء كاذبه.

تصريح (٢) :

قبل قيام دولة إسرائيل بفترة وجيزة حاول زعماء الصهيونية استغلال اسم وشهرة العالم اليهودى ألبرت أينشتين وعرضوا عليه أن يكون أول رئيس لدولة اسرائيل بعد إعلان قيامها سنة ١٩٤٨ إلا أن أينشتين قال قولته الشهيرة التى لم يتوقعها احد.

إن دولة تنشأ كما نشأت دولة اسرائيل جديرة بالفناء وندد بقيام هذه الدولة وتنبأ بزوالها وقال أينشتين أيضاً إن اليهود الحاليين ليسوا هم اليهود الذين عاشوا في فترة المكابين.

ورفض اينشتين ان يعمل كأستاذ زائر للفيزياء النظرية بالجامعة العبرية بالقدس.

تصريح (٣) :

نشر العالم الانجليزى المتخصص في علم أصول الانسان وأجناسة الأنثروبولوجيا «جيمس فنتون» دراسة واسعة عن نوع يهود اسرائيل في القرن العشرين أكد فيها أن ٩٥٪ منهم ليسوا من بنى اسرائيل التوراة.

تصريح (٤) :

وفي أواخر القرن الماضى ذكرت دراسة للعالم اليهودي المخضرم فليكس لوشين أن ٥٪ فقط من اليهود المحدثين يتفقون مع النمط السامى الذى عرفناه وأن اليهود الأقل اختلاطا مثل يهود تركستان يمثلون عددا بالغ الضآلة بالنسبة للمجموع العام.

تصريح (٥) :

وقال العالم الايطالى لمبروزو الشهير الذى أسس ما يسمى «علم الأجرام» أن اليهود آريون أكثر منهم ساميون وأن معظم يهود العالم هم من الخزر وليسوا من أصل سام.

تصريح (٦) :

وقال المؤلف ماكسلى المعروف إن اليهود في المناطق المختلفة ليسوا متماثلين جينياً (أى من ناحية الصفات الوراثية) وإن اليهود المحليين يمكن أن يكونوا إنتاج بيئتهم وأن كلمة يهودى صحيحة فقط كوصف اجتماعى دينى أكثر منها بتعبير وراثي.

تصريح (٧) :

الايرل ونترتون عضو البرلمان البريطانى شعر بالخجل لامتهان اليهود كرامة الحكومة البريطانية من خطف الضباط والقضاة وجلدهم وشنق جنودها وحرقهم والتمثيل بجثثهم.

وقال لا أبالغ إذا قلت إنه لو وقع من العرب خمس ما وقع من اليهود لما أبقت السلطات البريطانية لهم حجراً على حجر في بناء ولا رجلاً إلا في السجن أو القبر ولا درهما إلا وضعت يدها عليه ولاشك أن هذا كان عاملاً كبيراً في استمرار حركة

الإرهاب اليهودي واتساعها مما جعل الفلسطينيين يعتقدون بحق أنها جزء من مؤامرة بريطانية يهودية تهدف الى تبرير سياسة تهدئة اليهود عن طريق تحقيق طلبهم لتشكيل الدولة اليهودية.

تصريح (٨) :

صرح ناحوم جولدمان في كتابه «رئيس دولة بدون دولة» حينما كان رئيساً للمجلس اليهودي العالمي.

إذا طالب الفلسطينيون بوطنهم فان احداً لايستطيع حرمانهم من هذا الحق وهو ما لم يحرم منه اليهود – ان ما هو حق لليهود هو حق للفلسطينيين.

وصرح أيضاً: أن قطاع القدس يمكن أن يتحول الى منطقة مستقلة ذاتياً يتولى سكانها ويكون لها وضع دولي وقد جاء هذا التصريح بعد إعلان الكنيست بجعل القدس عاصمة أبدية لاسرائيل.

تصريح (٩) :

الدكتور ماغنس الذى اختير اول رئيس للجامعة العربية في القدس صرح سنة ١٩٤٨.

حان الوقت بالنسبة لليهود أن يحسبوا حسابا للعامل العربى باعتباره أهم ما يواجهنا واذا كانت قضيتنا عادلة فقضيتهم عادلة أيضا واذا كنا نلنا وعوداً فقد أعطيت وعود للعرب أيضاً ونحن نحب البلاد وكذلك العرب وإذا كنا نرغب بالعيش بامان وجب علينا أن نتعايش مع العرب.

تصريح (١٠) :

جاء في تقرير لجنة بيل البريطانية عام ١٩٣٧ مايلى:

«إن الحكومة البريطانية هى المسئولة عن الحالة المؤسفة»

التى وقع فيها المزارعون العرب – إن الفلاح العربى ليس غنيا ولامتعلما ولكن كونه كذلك لايبرر قط إخراجه من أرضه لإفساح المجال للصهيونيين الأغنياء المتعلمين كى يحلوا مكانه فيها.

الصهيونية والدولة العثمانية

في أواسط القرن التاسع عشر أخذت المشاريع الصهيونية تقيم مواطىء قدم في فلسطين مستغلة دعم الدول الأوروبية وضعف الدول العثمانية وتواطؤ بعض الإداريين والمسئولين العثمانيين بالاتفاق مع ممثلي الدول الغربية في فلسطين - وتمكنوا من التوسع في شراء الأراضي ولم يجدوا في بادئ الأمر معارضة من العرب ولكن ازدياد الهجرة اليهودية الى فلسطين وانتقال الأراضي الى اليهود جعل الدولة العثمانية تصدر تعليماتها الى السلطات المحلية في فلسطين بضرورة التأكيد من المشترين للأرض وضرورة أن يكون من رعايا الدولة العثمانية وليس أجنبياً مهاجراً ولكن رغم صدور هذه التعليمات للتأكيد من هوية المشترى للأرض أو العقار بدأ الوهن والتلاعب يخترق تلك التعليمات ويتضح من سجلات المحاكم الشرعية أن شراء اليهود للأرض ازداد مع تدفق الهجرة اليهودية من روسيا سنة ١٨٨٢ وقد وقف السلطان عبد الحميد الثانى موقفاً معارضاً في البدء لهذه الهجرة لكى لايخلقوا مشاكل قومية على غرار المشاكل القومية مثل القومية الكردية والقومية الأرمنية التى كانت تعانى منها الدولة العثمانية وخاصة ان معظم المهاجرين اليهود كانوا من جمعية «محبى صهيون» وأيضا بسبب إمكانية ازدياد النفوذ الأوروبى وخاصة الروسى من خلال هجرة اليهود.

تحايل اليهود ووجدوا مخرجاً للهجرة عن طريق تبعيتهم للدول الأوروبية التى كانت تتمتع بامتيازات كبيرة في الدولة العثمانية الضعيفة وقد تسرب عدد كبير من اليهود عن هذا الطريق.

وفي سنة ١٨٨٨ مارست الدول الأوروبية ضغطاً على الدولة العثمانية للسماح لليهود بالإقامة في فلسطين كافراد وليس كجماعات.

ومع عدم متابعة هوية المشترين للأرض التى لم تعد مطبقة والتى انهارت تماماً في أواخر الثمانينيات تحول اليهود لشراء الأرض الأميرية (أراض ملك الدولة) وارضي كبار الملاك من خارج فلسطين واخذ اليهود في إقامة المستعمرات (المستوطنات) في مناطق شتى من فلسطين واستخدموا الأموال الأوروبية وخاصة من أسرة روتشلد ومنتفيورى لإقامة المستعمرات الزراعية لاستيعاب المهاجرين الجدد مما أدى الى ارتفاع سعر الأرض، ولم يتوقف المشروع الصهيوني وازداد نشاطه مما جعل الدولة العثمانية سنة ١٨٩١ تمنع هجرة اليهود الروس الى فلسطين وفي هذه الفترة ظهرت الصهونية

السياسية – وفي سنة ١٨٩٦ زار هرتسل زعيم الصهيونية السلطان عبد الحميد الثاني وطلب إليه المواقعة على منح فلسطين لليهود مقابل وعود مغريه لمساعدة الدولة العثمانية مادياً ومعنوياً ولكنه لم يحصل على الموافقة.

وحين أطاحت جمعية «تركيا الفتاة» بالسلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ استفاد النفوذ اليهودي كثيراً لأن من أعضاء تلك الجمعية كان عدد كبير من يهود «الدنمة» (وهم يهود اعتنقوا الإسلام) وعاد المهاجرون اليهود يقيمون المستعمرات الزراعية التى بلغت سنة ١٩٠٩ – ٢٦ مستعمرة تضم عشرة آلاف عضو ومساحة من الأرض حوالى ٤٠٠ ألف دونم.

وزاد الضغط على حكومة الاتحاد والترقي في استنبول من المؤيدين للهجرة اليهودية الى فلسطين سواء من بعض الشخصيات العثمانية أو الدول الأوروبية.

وقد تنبه عرب فلسطين لمخاطر الصهيونية إثر انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل سنة ١٨٩٧ وظهرت الصهيونية بمطامعها الواضحة الصريحة في تحويل فلسطين الى وطن لليهود ورغم أن العرب تنبهوا الى هذه المؤامرة وقام وجهاء فلسطين وبعض المفكرين العرب بإرسال برقيات الى الصدر الأعظم في استنبول وقامت بعض المصادمات بين الفلاحين الفلسطينيين واليهود. وتصاعدت المقاومة وظهرت فكرة القومية العربية وجرى الاصطدام بين القومين العرب والأتراك وقام القائد التركى جمال باشا بإعدام العشرات من القوميين العرب وتلا ذلك إعلان الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦ وانسحاب العثمانيين من بلاد الشام.

وقد حدثت ظروف ضاغطة على الدولة العثمانية أدت الى حروب متتابعة في روسيا والبلقان أنهكت قواها واستنزفت خزينتها وأثقلتها بالديون وعندئذ تقدم عملاء اليهود بصفقة يدفعون الى خزانة الدولة ٥٠ مليون قرضاً سهلاً ويقدمون خمسة ملايين هدية للسلطان عبد الحميد نظير سماحه بتوطين اليهود في فلسطين. كما أشرنا فقد رفض السلطان الصفقة قائلا إن فلسطين ليست من أملاكه الخاصة ليساوم عليها وكان ذلك الرفض بداية المؤامرة لاسقاطه والقضاء عليه. حيث تواطأت الصهيونية مع جماعة الدونمة التركية على عزل السلطان سنة ١٩٠٩ واستمرت الأحداث حتى جاء اتفاق سايكس بيكو بتوزيع تركة الدولة العثمانية سنة ١٩١٦ وتلاه وعد بلفور سنة ١٩١٧ وتمكن الصهاينة من الثأر من السلطان عبد الحميد وحصلوا على فلسطين الذى رفض السلطان منحهم إياها.

وتذكر بعض المصادر رواية أخرى لموقف السلطان عبد الحميد غير الذى أوردناه.

كانت الدولة العثمانية تشجع الهجرة اليهودية الى بلاد الدولة العثمانية (أى تركيا ومستعمراتها في أراضى الشام ومنها فلسطين) وذلك بحجة ان البلاد باستطاعتها استيعاب ٥ ملايين يهودي بشرط عدم التجمع في بقعة واحدة يعتبرونها أرض الميعاد وأصبح الموقف أن الدولة العثمانية تسمح باستيطان اليهود ولاتسمح بإنشاء دولة مستقرة وهو موقف يضر المبدأ – ولا يتصور نتائجه او يقدر احتمالاته – وهذا الموقف هو الذى دعا السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٤ أن يبعث برسالة الى هرتسل زعيم الصهيونية في ذلك الوقت يقول فيها إن السلطان لايستطيع التنازل عن أرض فلسطين لأن هذه الأرض ليست ملكا له ولكنها ملك للشعب العثمانى (يقصد التركى) الذى حصل عليها بدماء أبنائه وقول السلطان هذا لايدافع به عن الشعب الفلسطينى ولاعن الأمة العربية ولا عن اراضي فلسطين لذاتها ولكنه يدافع عن ملكيتها للعثمانيين الأتراك الذين حصلوا علها بدماء جدودهم ولايتخلون عنها إلا بالدم لا لمعنى من معانى العدالة أو الإنسانية أو حق الشعب الفلسطيني بل لمفهوم الملكية وحده.

ورغم أن اليهود كانوا يدعون أنهم لايرغبون باكثر من مركز ادبى وزراعى وصناعى وتجارى في فلسطين ويزعمون أنهم تحت سلطة ونفوذ الدولة العثمانية مثل باقى أجناس الدولة – ولكنهم سرعان ما أنشئوا الوكالة اليهودية لجمع التبرعات وتنظيم الهجرة الى فلسطين وشراء الأرض بالخداع والتزوير او بالإغراء والإغواء.

وبعد أن استقر الحال باليهود نوعا ما بدأوا يكشفون عن اغراضهم الحقيقة وأهدافهم البعيدة.

واستمر هذا المخطط حتى الحرب العالمية الأولى واستيلاء بريطانيا على فلسطين سنة ١٩١٧ وصدور وعد بلفور وتتابع الأحداث بعد ذلك بإنشاء الدولة اليهودية وطرد الفلسطينيين من مدنهم وقراهم.

الصهيونية العالمية والفاتيكان

استغل يهود العالم عقدة الذنب بعد الحرب العالمية الثانية من أجل تأييد سياسى وقاموا بحملة واسعة القصد منها اتهام البابا بيوس الثانى عشر رئيس الكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان بالسكوت على المذابح التى ارتكبتها ألمانيا النازية أثناء الحرب وكان هدف اليهود هو إثارة عقدة الذنب لدى رجال الدين الكاثوليك لاستغلالها لمصلحة الصهيونية وهو نفس ما اثاروه عند الألمان الغربيين مما جعل ألمانيا تدفع بلايين الدولارات والمساعدات الى دولة اسرائيل.

وقد لاقت تلك الحملة الصهيونية بعض النجاح في الفاتيكان وأعلن بعض الأكراد له أنهم لم يوافقوا على موقف الباب بيوس الثاني عشر.

وبدأت الحركة الصهيونية بدعم من أمريكا تطالب بتبرئة اليهود تماماً من دم المسيح ورفع اللعنة عنهم في الصلوات وعدم تسميتهم الشعب قاتل الرب. وهكذا بدأت خطوات الصهيونية في تحقيق أهدافها السياسية وكان أهم هدف هو الاعتراف المسيحي بأن قيام دولة إسرائيل هو تحقيق الوعد الإلهى لشعبه بالعودة الى أرض الميعاد.

أما ما ارتكبه اليهود في فلسطين العربية من إراقة الدماء البريئة والاستيلاء على الأرض والأموال والبيوت وطرد أهلها منها لم يهتم المجمع المسكونى بها وأسدل الستار عليها ولم يناشد الشعوب المسيحية برفع المعاناة عن الشعب الفلسطيني.

كان موقف الفاتيكان سنة ١٩١٧ عندما أعلن وعد بلفور وبدأت الحكومة البريطانية تعمل لخلق وطن قومي يهودي في فلسطين – أبدى رغبته في تدويل الأماكن المقدسة ووضعها تحت إشراف دولى وكان هدف الفاتيكان حينئذ عدم وضع مصالح الكاثوليك تحت رعاية دولة بروتستانتية هذا من جهة ومن جهة أخرى عدم إخضاع تلك الأماكن للسيطرة اليهودية إذا ما قُدّر للوطن القومى اليهودى أن يظهر الى حيز الوجود.

وقد ظل موقف الفاتيكان والكنائس المسيحية تؤيد فكرة التدويل وهذا ما جعل الموقف الاسرائيلي معادياً للمقدسات المسيحية والاسلامية في القدس خاصة وفلسطين عامة ومنذ سنة١٩٤٨ وخلال الحملات الإرهابية اليهودية في سنوات ١٩٤٩–١٩٦٧–١٩٧٣.

انفردت فلسطين بما وهبها الله من كونها موطناً للتراث الإنساني ممثلا في الديانات الثلاث السماوية ومعنى تدويل القدس إخراج المنطقة المدولة من نطاق سيادة البلاد التى كانت تتبعها في الأصل وهذا إهدار كبير للشعب الفلسطيني من ممارسة سيادته على جزء من أرضه وفكرة التدويل أدت الى عدم اعتراف العالم بالقدس عاصمة لاسرائيل سواء بعد احتلال اليهود لجزء من المدينة أو بعد احتلال القدس بكاملها وهذا ما جعل للقدس قضية مميزة عن سائر قضية فلسطين وقد أتاحت هزيمة الدول العربية سنة ١٩٤٨ لاسرائيل ادعاء حق الفتح وان العرب رفضوا قرار التقسيم وبهذا استطاعت اسرائيل الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من أراضى فلسطين العربية.

وبعد احتلال إسرائيل لجميع القدس صدرت عدة قرارات من الجمعية العامة لهيئة الامم ومن مجلس الأمن تتعلق بوضع القدس بعد سنة ١٩٦٧ وأدانت تلك القرارات جميع الاجراءات الاسرائيلية واعتبرتها باطلة من النواحى القانونية ولكن اسرائيل لم تلتزم بتلك القرارات وهى تحضر الآن في تحويل القدس الى مدينة يهودية وتصدر من القوانين والقرارات البلدية ضد السكان العرب مما سوف يؤدى الى تقلص وجودهم تدريجياً في مدينة القدس.

واستمر موقف الفاتيكان ثابتاً بشأن القدس وضرورة تدويلها حتى سنة ١٩٦٧ حينما طالبت الكنيسة الكاثوليكية بجعل القدس مدينة مفتوحة على أن يكون فيها مجلسان أحدهما في القدس العربية والآخر في القدس اليهودية وأن تقوم الأمم المتحدة بوضع دستور للقدس تشرف على تطبيقه وأن تدار القدس بقسميها من قبل هيئة دولية وكان موقف الفاتيكان بالنسبة لاجراءات إسرائيل في القدس وتغيير معالمها الدينية والتاريخية موقفاً يتسم بالرفض.

وكانت وجه نظر الفاتيكان أن مصير المدينة التي يقدسها أتباع الديانات السماوية الثلاث يجب أن لايتبع مشيئة فريق واحد.

واذا استعرضنا الموقف التاريخى للفاتيكان من القضية الفلسطينية وقضية القدس لظهرت الأبعاد التالية:

١- لايعترف الفاتيكان بالإجراءات التى قامت بها السلطات الاسرائيلية لتغيير معالم القدس الدينية والتاريخية.

٢- لايعترف الفاتيكان بالإجراءات التى تعتزم إسرائيل أن تقوم بها لتهويد القدس الشرقية العربية.

٣- لايعترف الفاتيكان بادعاء إسرائيل أن القدس الموحدة هى عاصمتها الأبدية.

٤- يعترف الفاتيكان بحق الشعب الفلسطينى بتقرير مصيره وحق اللاجئين العرب بالعودة الى ديارهم وممتلكاتهم.

وكان البابا يوحنا بطرس الثالث عشر قد اعتذر سنة ١٩٦٠ عن دور الكنيسة الكاثوليكية في معاداة السامية وأكد ان الدين المسيحي قد نشأ في جو يهودى وجاء الباب يوحنا بولس الثاني سنة ١٩٧٨ ليؤكد تبرئة اليهود من خطيئة قتل المسيح وصلبه وتعذيبه وكان ذلك مضمون الوثيقة التى أقرها الفاتيكان سنة ١٩٨٥. ومن أخطر ما جاء في هذه الوثيقة هو مراجعة بعض النصوص الدينية في العهد الجديد (الإنجيل) وتعديل إنجيلى متى وبطرس إرضاء لليهود والأكثر خطورة إشارة المجمع البابوى الى أن المسيحيين واليهود يتقاسمون الاعتقاد في الإله يهوه (الرب اليهودى) وأن المسيح والحواريين ولدوا يهوداً.

ورغم تأييد الفاتيكان للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني فإن خضوع الفاتيكان لاسرائيل يشكل موقفاً خطيراً يزيد من قوة اليمين المتطرف اليهودي في إسرائيل.

وفي أكتوبر سنة ١٩٩٧ نظم الفاتيكان مؤتمراً لمناقشة وثيقة دينية رسمية عنوانها «جذور معاداة اليهودية في الوسط المسيحي» وعقد المؤتمر بتوصية من البابا يوحنا بولس الثانى لوضع استراتيجية التعامل مع اليهود واليهودية وفي ختام المؤتمر أعلن البابا أن المقاومة المسيحية ضد النازية لم تكن بالشكل المطلوب الذى كانت تنتظره الانسانية وأوضح أن المؤتمر يمهد الطريق لفتح جديد في العلاقة المسيحية اليهودية يركز على الشراكة بينهما.

وفي نوفمبر سنة ١٩٩٧ تم أول اتفاق من نوعه بين اسرائيل والفاتيكان حيث اتفقا على منح الكنيسة الكاثوليكية ومؤسساتها في الأراضي المقدسة وضعاً قانونياً وينص الاتفاق الذى وقعه وزير خارجية اسرائيل وسفير الفاتيكان في اسرائيل على مبدأ استقلالية الإدارة الداخلية للمؤسسات الكاثوليكية في اسرائيل وعلى تطبيق القانون الاسرائيلى على علاقاتها الخارجية وهذا يعنى تطبيق القانون الاسرائيلى على القدس الشرقية. وصرح سفير الفاتيكان في إسرائيل أن هذا الاتفاق يشكل مرحلة جديدة لتطبيع

العلاقات بين اسرائيل ودولة الفاتيكان وهذا الاتفاق يعتبر الأول من نوعه التى توقعها الكنائس المسيحية الكاثوليكية مع اسرائيل.

بابا الفاتيكان في مواجهة مع الزعماء اليهود

مؤخراً انتقد الزعماء اليهود بابا الفاتيكان بحجة عدم التوسعة بشكل كاف في إعلان أن المسيحيين يتحملون وزر اضطهاد اليهود وإشاعة الكراهية والعداء ضد السامية اثناء الهلوكوست (عمليات الإبادة الكاملة بواسطة المحارق).

جاء هذا الهجوم عقب كلمة وجهها البابا فى ندوة عقدت في الفاتيكان وكانت تتناول المواقف المعادية لليهود في المجتمع المسيحى وحضرها ٦٠ كاردينالاً وأسقفاً وقد أعفي البابا الكنيسة الكاثوليكية من أى اهتمام بأنها كانت طرفاً مشاركاً في هذا الذنب ووصف الهلوكوست بأنها هجوم ضد خطة الرب لخلاص العالم.

ورغم تلك التصريحات فإن الحاخام مارفن هير رئيس معهد سيمون ويسنتال فى لوس انجلوس – وهو متخصص في مطاردة النازيين – أعلن عدم تأثره بتصريحات البابا لأنه لم يتوسع في كلامه كما يريد اليهود خاصة في ضوء الموقف الصارم الذى اتخذه أساقفة فرنسا في محاولتهم إعلان توبتهم. حيث طلبت الكنيسة الفرنسية فى نوفمبر ١٩٩٧ الصفح لصمتها أمام عمليات الاضطهاد والترحيل التى مورست ضد اليهود من قبل حكومة فيشي.

اما سيمون صمويلز الذى يمثل معهد ويسنتال في أوروبا فكان أكثر ضراوة في انتقاده البابا عندما قال: إن الذى كان يفعله البابا بشكل أساسى هو إلقاء اللوم على قوى الظلام القديمة الخاصة بعبادة الأوثان وبهذا يبتعد عما كان متوقعاً لأنه في تلك الندوة لم يفتح الفاتيكان أرشيفه الخاص بفترة البابا بيوس الثانى عشر وهى الوثائق الخاصة بفترة الهولوكست ومن ثم لم يتم التعاون العملى في البحث عن مجرمى النازى وأضاف سيمون صمويلز مشيراً الى الدور الذى لعبه مسئولو الفاتيكان في هروب مجرمى الحرب النازيين من العدالة وتناول الدور التى قامت به الأديرة في إيوائهم كما تناولت أن الذهب الذى تم الاستيلاء عليه من يهود كرواتيا تم تهريبه الى الفاتيكان واقترح ان يسلك الفاتيكان مسلكاً عملياً بدلاً من إصدار تصريح آخر واقترح لذلك اربعة اشياء هى:

١– فتح محتويات الأرشيف أمام لجنة دولية محايدة.

٢– إدانة المصطلحات التى تتجاهل وتقلل من شأن الهولوكست.

٣- توجيه تهديد لكل المحاولات التى تريد أن تضفى البطولة على بعض الرموز الكاثوليكية التى تعاونت مع النازيين.

٤- تناول الهولوكست في كافة المناهج التعليمية في جميع المدارس الكاثوليكية واتحادات الشباب.

ومن وجهة نظر الخبراء فان الندوة التى عقدها الفاتيكان كانت جانباً من التقدم المنطقى للجهود التى بذلها البابا والأساقفة من أجل إحداث قدر كبير من التقارب بين الكاثوليكية واليهودية وكذلك هى نوع من الرغبة في التطهير لدى الكنيسة وهى تقترب من الألفية التى يأمل البابا أن يقوم فى بدايتها بزيارة الأماكن المقدسة.

حقيقة الاختراق اليهودى للمسيحية

هل استطاع النفوذ اليهودى واللوبى الصهيونى في الغرب المسيحى من تحقيق الاختراق اليهودى للمسيحية؟!

إن نفوذ اللوبى اليهودى في امريكا قوى جداً وقد اقتنع عدد كبير جداً من الأمريكان بأحقية اليهود بإقامة دولتهم في فلسطين وأصبح البروتستانت هناك يؤمنون بارتباط مجىء المسيح الثانى بقيام دولة اسرائيل الكبرى ولم يعد «ياهو» يرمز الى القوة والجبروت والسلطان كما جاء في الكتب المقدسة.

وهكذا تحولت الكنيسة البروتستانية الأمريكية البروتستانية الامريكية الى مسيحية صهيونية وبالتالى صارت الصهيونية عقيدة مسيحية وصار البروتستانت يقاسمون اليهود بالاعتقاد بإلاههم «ياهو».

إن الكاثوليك يبلغ تعدادهم حوالى مليار نسمة على مستوى العالم وأكثرهم (غربيون حوالى ٩٠٪) والكنيسة الكاثوليكية في روما تدعو الى تنظيف الذاكره المسيحية من الكتابات الظالمة للشعب العبرانى (اليهودى) وأصبح المتوقع أن يغير الفاتيكان موقفه من التدويل ومن حقوق اللاجئين الفلسطينيين وعودهم الى فلسطين.

وتقر صحيفة الفاتيكان على ضرورة مراجعة النصوص الدينية وتعديل ما يرضى مطامع اليهود وهى بالحقيقة مطامع سياسية.

ويبرز هنا سؤال هل خضع بابا روما لابتزاز اليهود؟

خصوصاً أن بعض المسيحيين يصرح بأنه لايمكن للفاتيكان التغيير في الكتاب المقدس لأن الكتب المقدسة مطبوعة في كل لغات العالم فأية طبعة يحاول الفاتيكان تغييرها لن تغير شيئا من الكتاب المقدس - ولكن مجاملة اليهود ممكن أن تتم في النظر بالتفسيرات وإيجاد صيغ جديدة لها بحيث يمكن أن تتعاطف مع اليهود.

ولكن لو برّأنا اليهود من دم المسيح فهل معنى ذلك أن اضطهاد اليهود للمسيح قد انتهى وأين ذهب ما يقولونه عن السيدة العذراء وهو كلام لايصح ان يقال على راقصة.

هناك حقيقة يجب أن نذكرها وهى أن الكنيسة الكاثوليكية تملك ٩٠٪ من الأملاك المسيحية في اسرائيل والقدس لذلك كما سبق وذكرنا عقد الفاتيكان اتفاقية مع اسرائيل لإدارة شئون الأماكن المقدسة بها وطبعاً اسرائيل لاتعطى هذا مجاناً أو تترك ذلك بسهولة وهكذا كان أول طلب لاسرائيل اعتذار الكنيسة عما أصاب اليهود ورغم أن هذا الطلب مظهره إنسانى لكنه في الحقيقة مطلب سياسي من اسرائيل.

ولايصدق احد أن اسرائيل تتمسك بالقدس من أجل بناء الهيكل حتى لو أعدت الحجارة والشمعدان الذهبى الذى يتوسطه فإسرائيل لايهمها الهيكل في قليل أو كثير لكن الدخل الذى يأتى لها من السياحة فى القدس وهو مبلغ ضخم يزيد عن دخل قناة السويس.

لذلك فهى تخلق المناخ الديني لفعل شيطاني.

الاتفاق بين الفاتيكان وإسرائيل

وقع هذا الاتفاق بتاريخ ١٩٩٣/١٢/٣٠ وهو لايشير الى القدس أو الى الأماكن المقدسة المسيحية بصورة مباشرة ولكنه يحتوى على اعتراف كل طرف بحق الطرف الآخر في ممارسة حقوقه وسلطته ويفرض الاتفاق المحافظة على الأماكن المقدسة المسيحية وتشجيع حج المسيحيين والتبادل الثقافى بين مؤسسات كاثوليكية ومؤسسات ثقافية وتربوية في اسرائيل ويتبادل الطرفان العلاقات الدبلوماسية الكاملة اثر توقيع الاتفاق ويتعهد الفاتيكان بالبقاء بمنأى عن جميع **النزعات الداخلية في فلسطين فيما يتعلق بالأراضي والحدود ويعتبر هذا الاتفاق مكسباً إسرائيلياً مهماً** وذو قيمة تاريخية لأن توقيعة جاء في مرحلة مازالت مسألة القدس غير محلولة والقدس الشرقية محتلة وإصرار اسرائيل أن القدس الموحدة عاصمتها.

إن قبول الفاتيكان بتوقيع هذا الاتفاق في ظل هذه الأوضاع ينطوي على قبوله بالوجود الاسرائيلي في القدس الشرقية حيث توجد المقدسات المسيحية.

ولم يراع الفاتيكان أن القدس الشرقية محتلة وليس من حقه أن يقدم تعهدات بشأنها قبل أن يتم الاتفاق بين الجانبين الاسرائيلى والفلسطيني على الحل النهائى.

الفاتيكان يطلب الغفران واليهود يرفضون ويواصلون الحملة ضد البابا بيوس الثانى عشر

بعد حوالى نصف قرن أصدر الفاتيكان بتاريخ شهر مارس سنة ١٩٩٨ وثيقة حول دور الكنيسة الكاثوليكية خلال الإبادة الجماعية (الهولوكوست) التى ارتكبتها النازية ضد اليهود ودعا الفاتيكان في وثيقته الى طلب الغفران والندم لأن الكاثوليك فشلوا في وقف عمليات إبادة اليهود وجاء في الوثيقة أن الكنيسة الكاثوليكية تعرب عن عميق أسفها لعدم وقف المذابح النازية ضد اليهود - ولابد ان نقر ببراعة اليهود في التأثير على الرأى العام العالمى ونقر أيضاً بمدى المثابرة والإصرار الذى استمر حوالى خمسين عاماً نجحوا بعدها في استصدار هذه الوثيقة التاريخية.

ولكن أعلن اليهود كالعادة عن عدم رضائهم واعتراضهم على تلك الوثيقة التى تحمل اسم «نحن نتذكر».

وعودة الى الوراء نتذكر أن الكنيسة الكاثوليكية اعترضت على إصدار وعد بلفور سنة ١٩١٧ وعلى هجرة اليهود الى فلسطين ولكنها أخطأت حينما قبلت بتدويل القدس وعندما تولى البابا الحالي يوحنا بولس الثانى سنة ١٩٨٥ عمل على تبرأة اليهود من خطيئة وتعذيب وصلب السيد المسيح وهذا أدى بدوره الى تقارب ملحوظ من الفاتيكان والمسيحيين مع اسرائيل واليهود. وأعلن البابا أن الفاتيكان ينوى فتح صفحة جديدة في العلاقة بين المسيحية واليهودية وهذا ما أدى الى إصدار الوثيقة المذكورة. وأعلن الفاتيكان بعد إصدار تلك الوثيقة ان تكون نهاية لسوء الفهم بين المسيحية واليهودية وان يتم التعاون بين المسيحية واليهودية من اجل إقامة عالم جديد ووصف البابا الوثيقة بأنها طلب غفران للأخطاء التى ارتكبها بعض المسيحيين فى حق اليهود ابان الحرب العالمية الثانية ولعله يشير بذلك الى البابا بولس الثانى عشر.

ما الخطيئة التى ارتكبها البابا بولس الثانى عشر التى أدت الى تحامل الصهيونية ضده والى زيادة الضغوط والابتزاز التى لازالت تمارسها ضد الفاتيكان حتى اليوم.

ونعود الى قصة الباب بولس الثانى عشر.

قضى البابا بولس الثانى عشر سبعة عشر عاماً من حياته فى الكنيسة يعمل فى ألمانيا قبل أن ينتخب للباباوية في مارس ١٩٣٩ واستمر حتى سنة ١٩٥٨.

شهد خلال فترة العشرينات والثلاثينات حتى أوشكت الشيوعية الاستيلاء على الحكم في ألمانيا ثم لم يقهرها إلا لجوء الرأسمالية الى دكتاتورية هتلر لتدميرها والقضاء عليها.

وقد يكون لديه اقتناع أن الشيوعية بوصفها دعوة إلحادية هى الخصم الأعظم للكنيسة والنازية هى الأسلوب الوحيد الذى نجح في وقف الشيوعية – وبالتالى فعلى الكنيسة أن تقف من النازية موقفاً مؤيداً أو غير معاد على الأقل وهذا ما يؤيد تصرف البابا خلال الحرب العالمية الثانية.

ورغم ذلك فقد أصدر الفاتيكان عندما اجتاحت ألمانيا وبولندا وهولندا وبلجيكا وفرنسا عدة بيانات تشير الى الحزن على الدم المراق وعندما بدأت ألمانيا تنهار والشيوعية تتقدم كان رأى البابا إعلان هدنة بين الحلفاء وهتلر وتركيز القوة ضد الاتحاد السوفيتى.

وتقول الدعاية الصهيونية إن البابا لم يتحرك عندما اشتدت النازية ضد اليهود وإن عناصر كثيرة داخل الكنيسة الكاثوليكية خصوصا ممن تعرضوا لاحتلال النازية لم توافق البابا على مواقفة المعتدلة من النازية.

ومن هنا أخذت الصهيونية تقوم بممارسة الضغط داخل الفاتيكان وملاحقة من بقى حياً من الكرادله الذين كانوا يقفون بجانب البابا في ذلك الوقت.

واستمرت الصهيونية في تكثيف الضغوط وتحميل الفاتيكان الأخطاء التى تنسبها إليه خصوصا أثناء الحرب العالمية الثانية.

ونعود الى المؤتمر الكاثوليكى العالمى والوثيقة التى أصدرها لتبرئة اليهود الحاليين من دم المسيح وأن دمه عليهم وعلى أبنائهم من بعدهم وأنهم مسئولون عن هذا الجرم حتى اليوم. والتعديل الذى أراد الفاتيكان إدخاله هو أن اليهود بعد ما يقرب من ألفى سنة ليسوا مسئولين ولا ملومين عن هذا الجرم ومن هنا جاءت موافقة الفاتيكان على تجميع اليهود في دولة واحدة.

الوثيقة التى أعلنها الفاتيكان ليعتذر عما حدث أثناء الهولوكست – كان إعلانها

غير مناسب في هذه الفترة الزمنية أوائل سنة ١٩٩٨ لأنها تزيد من غرور اسرائيل ولاتصب في مصلحة السلام في المنطقة.

ولاشك أن اعلان الوثيقة يكرس الفكرة الحنينية التى تقوم عليها جهود الدعاية الاسرائيلية بأن اليهود هم الذين تعرضوا وحدهم ومازالوا يتعرضون للاضطهاد من كل الدنيا وفي كل مكان وهذا لاشك يصرف الأنظار عما تمارسه إسرائيل من اضطهاد وترويع وتدمير في حق العرب الفلسطينيين وجنوب لبنان والجولان وتلفت الأنظار عن السياسة الليكودية الشرسة التى تفتح باب المجازر على أوسع أبوابه في الشرق الاوسط دون ان تنبه الفاتيكان الى أن العصابات الصهيونية ثم الدولة الاسرائيلية من بعدها لم تكف عن اقامة المجازر في المنطقة منذ أكثر من خمسين عاماً.

اذا كان من حق الفاتيكان أو من واجبه أن يدين المجازر التى أقامتها النازية ضد اليهود فمن واجبه أيضا أن يدين المجازر المستمرة التى يمارسها اليهود ضد عرب فلسطين.

ونحن نتساءل عما جاء في الوثيقة من نص يقول:

«ان الجريمة التى اصبحت تعرف بالمحرقة ستبقى وصمة لاتمحى من تاريخ القرن الذى يقترب من نهايته».

أليست جرائم اسرائيل في الأرض المغتصبة وطرد أهلها وصمة لاتمحى من تاريخ هذا القرن ايضا؟.

وتقول الوثيقة إن الكنيسة الكاثوليكية تطلب الغفران لبعض أبنائها الذين مارسوا الأخطاء التى ارتكبها أعضاؤها.

فهل تطلب الغفران لبعض أبنائها الذين مارسوا ضد الفلسطينيين ابشع أنواع الاستعمار وتوجوها بإقامة دولة اسرائيل؟.

الزعماء اليهود الذين قامت دولة اسرائيل
على أكتافهم

هل كان الزعماء اليهود الذين قامت دولة اسرائيل على أكتافهم وتلوثت ايديهم بدماء آلاف الضحايا من الشعب الفلسطيني من رجال السياسة أم من ابطال حرب العصابات ومن عتاة المجرمين الدوليين.

لاشك أن هدف هؤلاء الزعماء كان القيام بالعمليات الإرهابية وتشكيل العصابات المسلحة ضد السكان الفلسطينين واللجوء الى أحط الأعمال الوحشية وتنفيذ سياسة الأرض المحروقة ضد القرى والمدن الفلسطينية ومخيمات اللاجئين واعتناق سياسة قتل العربي أينما وجد دون تفرقة بين رجل وامرأة وطفل – كان هدفهم الأول تفريغ الأرض من سكانها العرب وإشاعة الرعب والدمار وبقر بطون الحوامل وتقطيع أوصال الأطفال والشيوخ ونسف البيوت وحرقها.

حققت تلك السياسة الهمجية أهدافها وهجر السكان بيوتهم وقراهم ومدنهم وتحول الملايين من الفلسطينين الى لاجئين في داخل البلاد وخارجها.

ونعود الى دفاتر التاريخ التي تحدثت عن أعمال بعض هؤلاء الزعماء.

إيجال آلون:

ولد في فلسطين وتخرج في إحدى المدارس الزراعية وفي سن الشباب قاد عملية التجسس والتخريب لحساب البريطانيين في سوريا ولبنان وتولى قيادة المنطقة الجنوبية العسكرية في سنة ١٩٤٨ وعقب قيام الدولة الصهيونية ارتدى قناع السياسة وانتخب في الكنيست وتولى وزارة العمل ثم نائبا لرئيس الوزراء وتخصص في استيعاب المهاجرين وهو أكثر الزعماء اليهود ترويجاً لفكرة الحدود الآمنة وهو صاحب مشروع شهير عقب حرب ١٩٦٧ عرف باسم مشروع آلون وهو كسلفه الذين ارتقوا الى المناصب القيادية في اسرائيل بعد أن خلعوا ملابس القتلة وسفاكي الدماء.

ليفي أشكول:

ثالث رئيس وزراء اسرائيلي تأثر في شبابه بأفكار بن جورين وانضم لحزب العمل وهاجر الى فلسطين سنة ١٩١٤ والتحق بالفريق اليهودي سنة ١٩١٨ وشارك في عملية تهريب السلاح الى فلسطين وعاش ٣ سنوات في برلين أثناء حكم النازي كرئيس لإدارة

الاستيطان التابع للوكالة اليهودية وبعد عودته تولى قيادة الهاجاناه التى ارتكبت فظائع يندى لها الجبين وارتقى في المناصب حتى أصبح رئيساً للوزارة سنة ١٩٦٣.

ديڤيد إليعازر:

ولد في يوغوسلافيا وهاجر الى فلسطين سنة ١٩٤٠ واشترك في «البالماخ» وقاد قواتها لاحتلال القدس سنة ١٩٤٨ واشترك في عدة عمليات تخريبية ضد الفلسطينيين العزل من السلاح وهو الجزار الذى أصدر الأمر بإسقاط الطائرة الليبية فوق سيناء.

جاييم بارليف:

وزير التجارة والصناعة ورئيس الاركان الاسرائيلي الذى أقيم بعهده خط بارليف الشهير على ضفاف قناة السويس - انضم الى البالماخ واشترك سنة ١٩٤٢ بعملياتها القذرة التى استهدفت إخلاء الأراضي من سكانها العرب بالقوة.

موشى ديان:

من أبرز الإرهابيين الصهاينة ولد في فلسطين وانضم للهاجاناه وبدأ تاريخه القذر ضد العرب وشارك في عدة عمليات انتقامية وفقد عينه اليسرى في سوريا إبان الغزو البريطانى لسوريا وعمل في المخابرات البريطانية بالقدس وفي حرب ١٩٤٨ قاد القوات الصهيونية في وادي الأردن.

وقاد القوات التى استولت على مدينتى اللد والرملة وقام بسلسلة الفظائع ضد السكان المدنيين وبدأ نجمه يصعد بعد حرب ١٩٥٦ وسافر الى ڤيتنام ليدرس طرق مقاومة الشعب الفيتنامي للجيش الأمريكي وأصبح بعدها هذا الجزار مسئولا عن تنفيذ سياسة اسرائيل تجاه الاراضى العربية باستخدام أساليب العقاب الجماعي ونسف المنازل وتبنى سياسة الردع العنيفة ضد الفدائيين ومن أبرز أعماله خطة مذبحة قبية عندما كان رئيساً لهيئة الأركان والتى راح ضحيتها أكثر من سبعين شهيداً من النساء والأطفال واشتهر بأنه لص الآثار التى سرقها من سيناء ومن مناطق مختلفة في فلسطين.

عزرا وايزمن:

أحد مؤسسى سلاح الطيران الاسرائيلي وانضم كغيره من المجرمين الى الهاجاناه سنة ١٩٣٩ ثم التحق بسلاح الطيران الاسرائيلي، وتولى قيادة الطيران الاسرائيلي وهو

الذى اعد خطة تدمير الطائرات المصرية أثناء حرب ١٩٦٧ وتولى عدة مناصب وزارية وهو الآن رئيس دولة اسرائيل.

جولدا مائير:

من أكثر القيادات الاسرائيلية تطرفا وشاركت في عمل منظمات متعصبة وتدرجت في المناصب حتى أصبحت رئيسة وزراء اسرائيل.

أثناء الانتداب البريطاني مارست المحاماة وكانت عضواً في الوكالة اليهودية وكان اسمها جولدا مايرسون غيرته الى جولدا مائير واستطاعت أن تجمع مئات الملايين من الدولارات من يهود أمريكا لشراء السلاح للتنظيمات اليهودية في فلسطين وهى صاحبة الجملة الشهيرة

أين هم الفلسطينيون؟ لايوجد احد في فلسطين بهذا الاسم.

إسحق رابين:

أصابعه ملوثة بالدماء لقى مصرعه على يد أحد المتطرفين ولد في القدس وانضم الى البالماخ عند تكوينها واشترك مع القوات البريطانية عندما غزت سوريا سنة ١٩٤١ تولى وزارة الدفاع ورئاسة الوزارة وهو الذى أعطى أوامره بتكسير عظام أيدى أطفال الانتفاضة وهو الذى وقع اتفاقية السلام مع منظمة التحرير الفلسطينية.

شيمون بيريز:

يدعى أنه حمامة سلام رغم أنه لص وقاتل انضم الى الهاجاناة سنة ١٩٤٨ وأصبح من قيادات حزب العمل وسمى فى إسرائيل بانه مهندس تسليح الجيش الاسرائيلى ولعب دوراً هاماً في تحويل اسرائيل الى دولة نووية.

وختم حياته السياسية بارتكاب مجزرة قانا في جنوب لبنان وفي زمنه تم ضرب مقر الفلسطينيين في تونس وساهم في نسف فندق الملك داود بالقدس وفي قتل الكونت برنادوت الوسيط الدولى كانت صوره توزع في أوروبا باعتباره احد المطلوبين للعدالة في السنوات الاولى من عمر دولة إسرائيل.

تيودور هرتسل

ويطلق عليه اسم «ابو الصهيونية»

ولد تيودور هرتسل في مدينة بودا بست سنة ١٨٦٠ وتعلم في مدرسة حركة التنوير الفلسفية اليهودية وكانت في مقرراتها بعيدة عن المنهج الديني في الدراسة.

في سنة ١٨٧٨ انتقلت أسرته الى مدينة فيينا حيث حصل هرتسل على الشهادة الجامعية في القانون من جامعة فيينا، مارس بعدها الكتابة المسرحية ثم تحول الى كاتب صحفي وانتقل الى باريس حيث صدم بالجو المعادي للصهيونية السائد هناك ومنذ ذلك التاريخ بدأ هرتسل يتحسس طريقه لإيجاد حل للمشكلة اليهودية وأصدر روايته «جيتو» أعلن فيها أن التقارب والاستيعاب الفردى لحل المشكلة اليهودية غير ممكن وان التقارب بين المسيحية واليهودية هو الاحتمال الأمثل لحل المشكلة اليهودية وخلال محاكمة الضابط اليهودى الفرنسي الفرد دريفوس واتهامه بالخيانة كان يسمع صوت الشارع الفرنسى نادى «الموت لليهود» ومن هنا جاءت فكرة هجرة اليهود وتجميعهم في وطن معين خاص بهم على أنه الحل الأمثل للمشكلة اليهودية وأخذت تظهر الى الوجود فكرة الصهيونية السياسية واعتقد هرتسل أن معاداة السامية كانت سمة العصر في ذلك الوقت وأصدر كتابه الصهيونية سنة ١٨٩٦ وأعلن فيه أن مشكلة اليهود ليست فردية بل مشكلة شعب وأن العالم لن يتقبل اليهود كشعب إلا إذا اصبح لهم وطن خاص بهم. وآمن هرتسل ان ذلك الوطن لن يتحقق الا بمساعدة القوى العظمى في العالم وان القضية اليهودية أصبحت قضية سياسية.

بدأ في جمع التبرعات من أثرياء اليهود وأنشأ أول منظمة سماها المنظمة الصهيونية وتحدث عن الدولة المرتقبة بأنها ستكون على النمط الأوربى تعتمد على التقدم الحضارى الغربي والتكنولوجيا الحديثة.

أصبحت آراء هرتسل هي المؤثر الأعظم في تكوين العقلية اليهودية الصهيونية. التجمعات اليهودية في شرق أوروبا تحمست لآراء هرتسل بينما كانت القيادات والزعامات اليهودية أقل حماساً ورغم ذلك دعا هرتسل الى عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا سنة ١٨٩٧ وكان أول تجمع يهودى يتم على غير الأساس الدينى بل باسم القومية اليهودية وفي هذا المؤتمر أعلن هرتسل أن الصهيونية سوف تسعى الى انشاء وطن قومى لها في فلسطين وأصبح أول رئيس للمنظمة الصهيونية

العالمية وفي نهاية المؤتمر صرح هرتسل بما يلى:

«ربما يضحك العالم اذا قلت إن الوطن القومى اليهودى في فلسطين قد ولد الآن وأنه خلال خمس سنوات أو خمسين سنة قادمه سوف تنشأ دولة اسرائيل في فلسطين»

بدأ هرتسل محاولاته للاتصال بالشخصيات الهامة مثل امبراطور ألمانيا القيصر وليم الثانى والخليفة العثمانى عبد الحميد ولكنه لم يجد التشجيع الكافى فانتقل الى بريطانيا التى عرضت عليه إنشاء وطن قومى لليهود في مستعمرة أوغندا بشرق أفريقيا وتزامن ذلك العرض مع المذابح اليهودية في روسيا سنة ١٩٠٣ فقبل هرتسل فكرة الوطن العرقى في أوغندا كملجأ مؤقت ولكن المنظمة الصهيونية العالمية رفضت ذلك رفضا قاطعا مما أدى الى انهيار تلك الفكرة.

توفى هرتسل سنة ١٩٠٤ ونقلت رفاته سنة ١٩٤٩ الى اسرائيل حيث دفن في مدينة القدس.

ويعتبر هرتسل كأحد أعظم الصهيونيين اليهود الذين ادت أفكارهم وآراؤهم الى إنشاء دولة اسرائيل وتعتبر أفكار هرتسل من أهم الكلاسيكيات الصهيونية التى كان لها بالغ الأثر في تشكيل الحركة الصهيونية الحديثة وتطورها.

ومن أقوال هرتسل في كتابه «دولة اليهود».

«سنقيم هناك في آسيا جزءاً من حائط لحماية أوروبا يكون عبارة عن حصن منيع للحضارة الغربية في وجه الهمجية».

«يجب ان يتم بناء الدولة اليهودية بقوة السلاح والعنف الجماعى المنظم لان مبدأ العنف أساسى في السياسة الصهيونية لتحقيق غاياتها بإنشاء الوطن اليهودى في فلسطين».

وفي معرض رده على سؤال: هل كانت الرقعة المطلوبة لاقامة الدولة اليهودية تمتد حتى بيروت؟ ام تتعداها؟ فأجاب سنطلب ما نحتاجه وتزداد المساحة المطلوبة مع ازدياد عدد المهاجرين.

حاييم وايزمن

زعيم الحركة الصهيونية وأول رئيس لدولة اسرائيل

ولد حاييم وايزمن عام ١٨٧٤ في مقاطعة روسيا البيضاء إحدى ولايات الدولة الروسية وكان والده من زعماء اليهود في تلك المقاطعة. انتقل حاييم وايزمن الى مدينة منسك عاصمة المقاطعة حيث درس الكيمياء واللغة العبرية وبدأ يتقبل الفكرة الصهيونية حيث انجذب اليها بشغف كبير، رغم أن الحكومة القيصرية الروسية كانت تقاوم الحركة الصهيونية بشدة وعنف.

ويعتقد وايزمن أن الحركة الصهيونية في حقيقتها وجوهرها نشأت في روسيا وأن طلائع اليهود الذين هاجروا الى فلسطين كانوا من منسك وشكلوا العمود الفقرى للكيان اليهودى في فلسطين.

أكمل وايزمن دراسته العالية في ألمانيا وهناك حاول تنشيط الحركة الصهيونية إلا أنه فشل بسبب الحركة القومية التى كانت تسود ألمانيا بعد عهد بسمارك ورغبة اليهود الألمان في الاندماج بالشعب الألمانى. وعاد وايزمن الى منسك وفي سنة ١٨٩٥ تابع دراسته العليا في جامعة برلين وهناك التقى بعدد من الطلبة اليهود القادمين من جنيف – ميونخ وغيرها من المدن وكانوا جميعا من المهتمين بالحركة الصهيونية والإيمان بفكرة العودة الى فلسطين. ومن بين هؤلاء الطلبة نشأ زعماء كبار الحركة الصهيونية.

وفي سنة ١٨٩٨ انتقل وايزمن الى سويسرا حيث التقى بهرتسل في المؤتمر الصهيونى وأصبح وايزمن يمثل يهود روسيا في المؤتمرات الصهيونية.

وخلال المدة من ١٨٩٥–١٩٠٤ استطاع وايزمن أن يصل الى مركز الزعامة للحركة الصهيونية والشعب اليهودى وعمل جاهداً لإنشاء صندوق المال القومى (الكرن كايمت) لشراء أراضى فلسطين.

ولما اشتد اضطهاد اليهود في روسيا أخذ وايزمن يشجعهم ويحرضهم بفكرة الهجرة الى فلسطين.

المفاوضات الأولى مع الإنجليز:

عرضت بريطانيا على اليهود منطقة ذات حكم ذاتى فى أوغندا واعتقد هرتسل أن هذه خطوة عملية مؤقتة أما وايزمن فقد انتقد الفكرة بشدة ورفضها رفضاً قاطعا وساعده

في ذلك المتدينين الروس. وبعد فشل مشروع أوغندا سافر وايزمن الى بريطانيا وبدأ يسعى لدى الشخصيات البريطانية لكسب عطفهم مع الآمال اليهودية بالعودة الى فلسطين.

ومنذ ١٩٠٦-١٩١٤ زادت علاقة وايزمن بالزعماء البريطانيين وعلى رأسهم اللورد بلفور وأخذت الدعوة الصهيونية تؤتي أكلها في بريطانيا.

أول زيارة لوايزمن لفلسطين كانت سنة ١٩٠٧ ثم أتبعها عدة زيارات وكان عدد اليهود قد تزايد في فلسطين ومعظمهم يقيم في القدس والخليل وطبريا وصفد ويافا وحيفا.

وعند نشوب الحرب العالمية الأولى عاد وايزمن الى بريطانيا وكان قد تجنس بالجنسية البريطانية وبدأ المحاولات الجادة والعملية مع زعماء بريطانيا بشأن الهجرة اليهودية وإنشاء الوطن القومي والدولة اليهودية.

لعب وايزمن دوراً هاماً في إزالة الخلافات بين وجهات النظر المتباينة لبعض الزعماء الصهيونيين في أوروبا وأمريكا وتمكن من توحيد الجهود لتحقيق أهداف الصهيونية وسافر الى أمريكا واستطاع جمع مبالغ مالية ضخمة من التبرعات لشراء الأراضي في فلسطين وأنشأ صندوق الكرن هيسود لهذا الهدف.

وأهم إنجاز استطاع وايزمن أن يحققه أن اليهودية والصهيونية شيىء واحد ونجح في ذلك الى حد بعيد.

ثم قام بدعوة المنظمات اليهودية لعقد اجتماع في سويسرا لانتخاب أعضاء الوكالة اليهودية بعد أن أقرها صك الانتداب البريطاني على فلسطين.

وهكذا استطاع هذا الداهية أن يوحد يهود العالم من صهيونيين وغير صهيونيين ويوجه كل قوة اليهود الى الأمل المنشود في فلسطين.

ومن الأهداف التي حققها وايزمن تطوير الجامعة العبرية في القدس وإنشاء مبانٍ جديدة لها وتشكيل مجلس خاص يشرف عليها حيث تم افتتاحها رسمياً سنة ١٩٢٥ بحضور اللورد بلفور صاحب الوعد المشئوم.

وعند صدور الكتاب الأبيض لعب وايزمن دوراً هاماً في مقاومته سواء في بريطانيا أو الولايات المتحدة وبذل جهداً مع الزعماء البريطانيين من أصدقائه لتحويل الكتاب

الأبيض الى وسيلة تهدئة لوقف القتال في فلسطين والحرب العالمية الثانية تقترب من بدايتها. وهكذا خدعت بريطانيا العرب باسم الكتاب الأبيض.

وهكذا استطاع وايزمن تبني موقف يهود العالم وبمساعدة الأصدقاء البريطانيين وعلى رأسهم بلدوين - تشمبرلن - الجنرال سمطس وغيرهم من إحباط اتجاه حكومة فلسطين الأمر الذى مكن اليهود من الحصول على الأرباح العظيمة في السنوات التى اعقبت ذلك الكتاب.

وبفضل ذلك تدفقت الهجرة اليهودية الى فلسطين.

لعب وايزمن دوراً هاماً في إقناع الولايات المتحدة بإرسال النجدات والطائرات والمعدات لمساعدة الحلفاء في مصر ضد روميل وقد قلبت تلك المساعدات الأوضاع وتنفس يهود فلسطين الصعداء لعودة المبادرة بيد الحلفاء وهزيمة روميل.

عاد وايزمن الى فلسطين سنة ١٩٤٧ وانقطع للعلم حيث اسهم مختبره في رخبوت في اختراع العديد من الاكتشافات الكيماوية وخصوصا في مجال الدواء وقد نسب لويد جرج في مذكراته أن مساعدات وايزمن كعالم كيماوى ومساهمته في المجهود الحربى البريطانى بتطوير مادة الاستون، وان عبقريته ساهمت في تحسين الوضع العسكرى البريطانى.

وقد اعلن وايزمن امام لجنة التحقيق سنة ١٩٤٧ بما يلى:
«انصافاً للتاريخ واعترافاً بالواقع فان اليهود مدينون للأبد لبريطانيا العظمى في إنشاء الوطنى القومى اليهودى والتمهيد لإنشاء دولة إسرائيل»

وعند صدور قرار تقسيم فلسطين سعى وايزمن ونجح لحمل أعداد كبيرة من الخبراء والإداريين والفنيين اليهود في بريطانيا وأمريكا بالهجرة الى فلسطين للمساهمة في بناء الدولة الوليدة.

ولما أعلنت دولة اسرائيل في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ انتخب وايزمن كأول رئيس لها. ومات وايزمن وهو مازال رئيسا للدولة.

اتفاقية وايزمن - فيصل ٣ يناير سنة ١٩١٩

هنالك عدة تساؤلات حول هذه الاتفاقية وهل كان الأمير فيصل مرغماً لتوقيع تلك الاتفاقية وبسبب ضغط الحكومة البريطانية لحضه على التوقيع أو أنه وقعها لمحاولة

إرضاء بريطانيا حتى تفى بوعودها باستقلال البلاد العربية. وهل صحيح أن فيصل وقع هذه الاتفاقية وهو يجهل المكاتبات التى تمت بين والده الملك حسين ومكماهون ممثل بريطانيا في مصر.

وأخيراً هل صحيح أن هنالك قسط وتغيير في بعض نصوص الاتفاقية وأن لورنس لعب دوراً في هذا الشأن. إن اخطر وأبرز ما في الاتفاقية أن التنازلات التى قدمها فيصل في جعل فلسطين وكأنها كيان منفصل عن بقية البلاد العربية وأصبحت قضية البلاد العربية في جانب وفلسطين في جانب آخر.

جاء في الاتفاقية الموقعة من الأمير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية والدكتور حاييم وايزمن ممثل المنظمة الصهيونية العالمية.

أن الطرفين يدركان القرابة والصلات القديمة بين العرب والشعب اليهودى ويتحققان أن أضمن الوسائل لبلوغ غاية أهدافهما الوطنية والتعاون في تقدم الدول العربية وفلسطين.

اتفق الطرفان أن تسود أقصى درجات النوايا الحسنة والتفاهم وأن يتم بعد مؤتمر السلام تحديد الحدود النهائية بين الدول العربية وفلسطين وعند إنشاء دستور إدارة فلسطين تتخذ الإجراءات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية (وعد بلفور) المؤرخ سنة ١٩١٧ ويجب ان تتخذ الاجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين على مدى واسع واستقرار اليهود في الأرض وممارسة الزراعة ويجب أن لايسن قانون يتدخل في ممارسة الحرية الدينية والعبادات والعقائد.

الأماكن الإسلامية توضع تحت رقابة المسلمين.

تقوم لجنة من الخبراء بدراسة الامكانيات الاقتصادية في فلسطين وتقدم المنظمة الصهيونية مساعداتها للدولة العربية لاستثمار الموارد الطبيعية والاقتصادية.

أى نزاع ينشأ بين الفريقين يجب أن يحال الى الحكومة البريطانية للتحكيم.

وقد طلب فيصل إضافة التحفظات التالية وكتبها باللغة العربية.

يجب أن يحصل العرب على استقلالهم التام وأى تعديل أو تحويل يجعل هذه الاتفاقية ملغاة ولاقيمة قانونية لها.

وأخيراً قال وايزمن لم خطر ببال البعض أن رجالا أمثال بلفور وتشرشل ولويد جورج كانوا متدينين في أعماق قلوبهم ومؤمنين بالتوراة وبأن عودة اليهود الى فلسطين مسألة واقعية وحقيقية لذلك فإنهم جعلوا ينظرون إلينا نحن الصهيونيين ممثلين لفكرة يحترمونها احتراما عظيما.

وقال إن مواقف بريطانيا من الحركة الصهيونيين تتمثل فى احتضانها لتلك الحركة وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها - إن لندن هى الطريق الذى يوصل الى فلسطين.

ديفيد بن جوريون
من أبرز زعماء الحركة الصهيونية

ولد بن جوريون في بولندا سنة ١٨٨٦ ونشأ في مدرسة يهودية اسسها والده وكان صهيونيا متعصباً. وفي سن ١٨ سنة عين مدرساً فى إحدى المدارس اليهودية في العاصمة وارسو وانضم الى منظمة العمل الصهيونية.

وصل بن جوريون الى فلسطين سنة ١٩٠٦ وانضم الى إحدى الكيبوزدات الزراعية وتوجه سنة ١٩١٣ الى استنبول لدراسة القانون ثم عاد الى فلسطين أثناء اندلاع الحرب العالمية الأولى وقام جمال باشا بترحيلة بالقوة خارج فلسطين حيث توجه الى نيويورك عن طريق الاسكندرية وعاد قبل نهاية الحرب سنة ١٩١٨ الى فلسطين ضمن الفرقة اليهودية بقيادة جابوتنسكى التابعة للجيش البريطانى.

ثم انضم الى مؤسسة الهستدروت وأصبح رئيسا لها سنة ١٩٣٥ وكذلك انتخب عضواً في الوكالة اليهودية وأصبح رئيس اللجنة التنفيذية فيها - وقاد فصائل الهاجاناه في حرب ١٩٤٨ بعد أن اصبح رئيسا لها واهتم بالبحث عن السلاح واستجاب له الأمريكيون وباعوه أسلحة بأكثر من مليون جنيه استرلينى هربها قبل بداية حرب سنة ١٩٤٨ الى فلسطين بجانب ما كانت توفره مخازن الجيش البريطانى في فلسطين من سلاح وعتاد. واهتم بن جوريون قبل بداية حرب ١٩٤٨ بتحصين القدس وما حولها من مستعمرات وعزز دفاعات المدينة بقوات من الهاجاناة على أساس سرعة السيطرة على المناطق والأحياء العربية وبالفعل أصبحت المستعمرات اليهودية محصنة كمواقع دفاعية لاستخدامها عندما تحين اللحظة الى قواعد هجومية وقد تسلم من جوريون خلال الهدنة

الأولى سنة ٤٨ معدات عسكرية حديثة وبعض الطائرات وقال لقد كانت الهدنة مفيدة جداً للاسرائيليين وجاءت في وقتها المناسب.

وعند إعلان دولة إسرائيل سنة ٤٨ انتخب بن جوريون أول رئيس لحكومة اسرائيل وركز اهتمامه على تشجيع الهجرة والاستيطان وإنشاء المستعمرات الجديدة واهتم في تعمير منطقة النقب.

وفي سنة ١٩٥٣ استقال من الحكومة وانتقل الى احدى الكيبوزدات في النقب ولكنه عاد سنة ١٩٥٥ وتولى وزارة الدفاع ثم رأس الحكومة للمرة الثانية.

اهتم كثيراً بتنمية العلاقات مع ألمانيا رغم كل الاعتراضات الصهيونية واستطاع الحصول على أموال ضخمة أخذت تتدفق على اسرائيل وهى ما أسهمت كثيراً في بناء الدولة اليهودية.

وفي سنة ١٩٥٦ وكان رئيسا للوزارة الاسرائيلية شنت القوات اليهودية هجومها المعروف على مصر وكان هدفه القضاء على القوة العسكرية المصرية قبل أن تستوعب السلاح الروسى الذى أخذ يتدفق عليها من تشكوسلوفاكيا سنة ١٩٥٥ وكان من أهدافه كذلك فتح الملاحة خلال مضيق تيران والوصول الى إيلات.

في سنة ١٩٦٣ استقال ثانية من رئاسة الوزارة وأفسح المجال لخلفه ليفى أشكول وفى سنة ١٩٦٥ انشأ بن جوريون حزب رافى ثم ضمه الى حزب الماباى فيما بعد.

وفى سنة ١٩٧٠ انسحب بن جوريون نهائيا من الحياة السياسية وعاد الى النقب وتوفى سنة ١٩٧٣.

يعتبر بن جوريون من أشهر وأهم الزعماء الاسرائيليين في العصر الحديث ومنذ سنة ١٩٣٠ حتى إنشاء دولة اسرائيل كان بن جوريون على رأس زعماء المجتمع الصهيونى تعصباً واهتماماً في بناء الدولة اليهودية ومن أهم إنجازاته تكثيف الهجرة اليهودية الى فلسطين وبناء المزيد من المستعمرات والمدن اليهودية وعند توليه الوزارة سنة ١٩٤٨ قام بتوحيد جميع المنظمات الإرهابية والعسكرية اليهودية ودمجها معاً في جيش الدفاع الاسرائيلى.

من أقوال بن جوريون:

١- إن مستقبل إسرائيل الاقتصادى وموقعها الدولى يتعلق في العلاقات التى تقيمها اسرائيل في أفريقيا وآسيا.

٢- الحل النهائى لما يسمى القضية الفلسطينية لايمكن أن يحل إلا بالحرب ولكى ننتصر في الحرب يجب ان نتفوق على الدول العربية تفوقا عسكريا ساحقاً.

٣- لن يكون هناك أمن لإسرائيل بدون الهجرة فهى التى تخلق واقعاً استيطانيا في الأراضي المحتلة.

٤- يصف الشعب الاسرائيلى بأنه تجمع محاربين وسيظل معبأ ومستفزاً ومجتهداً بكل طاقاته وإمكاناته البشرية والاقتصادية والاجتماعية لحماية وجوده ضد امة ستظل تطالب باستعادة حقها المغتصب.

٥- عند إنشاء الدولة اليهودية سنة ١٩٤٨ قال إن الدولة التي نريدها ليست الهدف النهائى وليست المحطة الأخيرة لتحقيق أهداف الصهيونية بل هى أداة للتنفيذ ووسيلة لبلوغ الهدف.

٦- بعد حرب ١٩٥٦ قال إننا وصلنا بعد عشرات السنين الى أولى مراحل استقلالنا فى قسم من بلادنا الصغيرة وأن خلق الدولة لاينتقص بحال من الأحوال الحدود التاريخية لأرض إسرائيل.

٧- أظهر اهتماماً كبيرا في سرعة الاستيطان بالقدس وسرعة البناء والإسكان وقال يجب ان نستقدم اليهود الى القدس الشرقية بأى ثمن وتوطين عشرات الآلاف فى وقت قصير ولو في الاكواخ - المهم أن يتواجد اليهود هناك.

٨- يقول بن جوريون: من الآن فصاعدا على اليهودى ألا ينتظر التدخل الاجنبى لتحديد مصيره بل عله أن يلجأ الى الوسائل الطبيعية والعادية مثل الفانتوم والنابالم وان الجيش هو خير مفسر للتوراه.

أثناء انعقاد المؤتمر الصهيونى سنة ١٩٤٢ فى نيويورك والمعرف باسم مؤتمر بلتمور وحضره ٦٠٠ من زعماء يهود العالم المؤيدين للحركة الصهيونية كان بن جوريون من أبرز الحاضرين مع وايزمن وناحوم جولدمان.

وسيطر الخلاف أثناء المؤتمر بين وايزمن وبن جوريون حول أساليب الهجرة فبينما وايزمن يفكر بهجرة الآلاف تلو الآلاف خوفا من تعثر المفاوضات مع الانجليز

كان بن جوريون يفكر ويصر على هجرة الملايين ويتصورها أن تشمل ربع يهود العالم أو اكثر ونجح في جعل المؤتمر يوافق على الهجرة الجماعية لإرساء دعائم الدولة اليهودية.

عندما كان بن جوريون يرأس منظمة الهاجاناة اجتماع مع قادة المنظمة سنة ١٩٣٩ وحدد لهم مهمات الهاجاناة كما يلي:

١- الخروج من المستعمرات والقيام بالدفاع المتحرك ومحاربة العدو.

٢- تشكيل جيش يكون بمقدوره محاربة الجيوش العربية النظامية مجتمعة.

٣- إنشاء صناعة سلاح تتسم بالفاعلية.

٤- الحصول على أسلحة ثقيلة.

وقد نشطت الهاجاناة برئاسته وخاصة في السنوات السابقة لحرب ١٩٤٨ حيث تم شراء مصانع سلاح من أمريكا ووصلت الى فلسطين تحت ستار تجهيزات صناعة وتم شراء دبابات وسفن وطائرات ومدافع بقيت خارج فلسطين حتى تم مغادرة القوات البريطانية النهائى للبلاد سنة ٤٨ وتوصلت تحت قيادته مصانع الهاجاناة من صنع الألغام والقنابل اليدوية وذخائر البنادق والأسلحة الخفيفة ومدافع الهاون.

مناحم بيجن

سفاح مذبحة دير ياسين

ولد مناحم بيجن فى بولندا سنة ١٩١٣ودرس القانون في جامعة وارسو وفي سنة ١٩٣٨ التقى بالزعيم الصهيونى المتطرف جابوتنسكى واعتنق آراءه المتطرفة وانخرط في صفوف الجيش البولندى عند اندلاع الحرب العالمية الثانية نقله السوفيت الى روسيا ومنها فر الى ايران فالعراق ثم دخل فلسطين سنة ١٩٤٢ متسللاً اليها من الأردن بعد ان عمل فى صفوف قوات الحلفاء. التحق بالأرجون وسرعان ما تربع على قمة الأرجون تسفاى ليؤمى (المنظمة العسكرية القومية) وكانت تلك المنظمة من اكثر المنظمات اليهودية تطرفا ضد العرب وترى أن اسرائيل الكبرى حقاً مشروعاً لليهود وأنها أرض وعدها الله لشعبه المختار اتخذت تلك المنظمة شعار إسرائيل من النيل الى الفرات.

وركز بيجن على استقطاب العناصر شديدة التطرف وصهرها في تنظيم عسكرى هدفه الأول تفريغ الأرض من أصحابها العرب تحقيقا لنبؤه القدماء.

وكانت مجزرة ديرياسين في ١٩٤٨/٤/٩ التى اقترفتها منظمة الأرجون بقيادة بيجن من أشهر اعمالها الإجرامية ضد الفلسطينين وعلى أثر الضجة التى أثيرت بعد تلك المذبحة وغيرها من المذابح الأخرى صرح بيجن معللاً **أنه لولا دير ياسين لما قامت دولة اسرائيل** وهو يعنى ذلك أن تلك المذبحة أوقعت الرعب في قلوب الفلسطينيين في كافة أنحاء فلسطين حيث أخذوا يتزاحمون للفرار والخروج من البلاد وأفسحوا المجال لليهود لاستلام الأرض فارغة من سكانها.

وبقيام دولة اسرائيل اندمجت منظمة الأرجون في جيش الدفاع الاسرائيلي اسوة ببقية المنظمات الإرهابية الاسرائيلية الأخرى وعلى رأسها الهاجاناه.

وقام بيجن بعد قيام الدولة بالاتفاق مع بعض الصقور بتأليف حزب حيروت المتطرف وتبنى حزبه برنامج أستاذه جابوتنسكى وتصدر المعارضة في اسرائيل وجنح الى أقصى اليمين وأخذ نجمه يتصاعد ودأب على شن الهجمات ضد العرب الفلسطينيين أينما وجدت الفرصة.

وكان الخط الاستراتيجى لمناحم بيجن يقوم على النقاط التالية:

١- إنجاز عمل عسكرى يستهدف كل التراب الفلسطينى.

٢- العمل الدائم لتدمير القوى والأنظمة العربية.

٣- التحالف مع الإمبريالية الدولية لتنفيذ المصلحة المشتركة بينهما.

وفي ١٣ سبتمبر سنة ١٩٧٣ تم تأليف تكتل الليكود بين ممثلى حيروت والأحرار وحركة العمل من أجل إسرائيل الكاملة.

وفى يونيو ١٩٧٧ تولى رئاسة الحكومة الاسرائيلية. وفي عهده جاءت زيارة السادات للقدس في نوفمبر سنة ١٩٧٧ ثم محادثات السلام في الاسماعيلية حيث تقدم بمقترحات رفضتها الحكومة المصرية - ثم انتهى المطاف بمباحثات كامب ديفيد واتفاقية السلام بين مصر واسرائيل.

وكان من اهم نتائج زيارة السادات الى القدس ثم عقد اتفاقية السلام بين مصر واسرائيل في كامب ديفيد انفراط عقد التحالف العربى الذى كان يضم بصفة خاصة مصر وسوريا والفلسطينيين وبدأت الانقسامات بين الدول العربية وصارت أكثر عمقاً وتحولت الى صراعات عربية - عربية فيما بعد وقد أشرنا سابقاً الى البنود الأساسية لاتفاق كامب ديفيد فيما يتعلق بفلسطين وفى عهده صدر قانون ضم الجولان رسميا الى إسرائيل.

اسحق شامير
أحد أقطاب الإرهاب اليهودى في فلسطين

يعتبر إسحق شامير أحد تلاميذ الإرهاب اليهودى فلاديمير جابوتسكى الذى اعتنق العنف المطلق لتحقيق أهداف الصهيونية بالاستيلاء على الأراضى الفلسطينية وإنشاء دولة إسرائيل.

وهذه النزعة الفاشية العسكرية هى التى كونت العصابات الصهيونية الإرهابية في فلسطين في سنوات الثلاثينيات والأربعينيات. وكانت منظمة شتيرن ويرأسها إسحق شامير قد انفصلت عن منظمة الأرجون سنة ١٩٣٩ والأرجون كانت قد انفصلت عن الهاجاناة بزعامة بيجن سنة ١٩٣٥.

تخصصت منظمة شتيرن وأعضاؤها عدة مئات بالتعصب الأعمى والاغتيالات

وتفننت في تنفيذ العمليات الإرهابية ضد العرب وكذلك ضد القوات البريطانية قبل مغادرتها فلسطين سنة ١٩٤٨ وقد اتخذت عصابة شترن تكتيكا خاصا بحيث يقوم أفرادها بالعمليات المطلوبة منهم ثم يعودون الى حياتهم اليومية.

ومن أبرز الأعمال التى تفخر بها منظمة شتيرن بزعامة شامير اغتيال الكونت برنادوت الوسيط الدولى الذى عينته الأمم المتحدة لحل النزاع العربى الاسرائيلي.

وكذلك قتل اللورد موين وزير الدولة البريطانى في القاهرة أثناء الحرب العالمية الثانية ومحاولة اغتيال المندوب السامى البريطانى في فلسطين السير هارولد ماك مايكل وقتل وتعذيب الضباط والجنود البريطانيين ونسف عدة دوائر للبوليس والأمن في فلسطين.

وكان إسحق شامير يعارض فكرة اقامة دولة فلسطين في الأردن عاصمتها عمان الى جانب الدولة اليهودية في فلسطين وعاصمتها القدس ويعتقد ان هذه سوف تكون تسوية مؤقتة وليست سهلة التنفيذ وان الأفضل إقامة حكم ذاتى فى جزء من يهودا أو السامرة كما ورد في اتفاق كامب ديفيد بين إسرائيل ومصر.

وعندما أصبح شامير زعيماً لحزب الليكود صرح بأنه لايوجد اختلاف كبير بين مواقف حزبه وحزب العمل وخصوصا أثناء الانتفاضة الفلسطينية حيث يؤيد الحزبان ضرورة إعادة النظام في مناطق الحكم الذاتى المقترحة الى نصابه حتى باستعمال القوة وكذلك عدم موافقة الحزبين على إقامة دولة فلسطينية مستقلة وعدم التخلى عن القدس كعاصمة أبدية لاسرائيل وأن الحزبين يوافقان على أن حل المشكلة الفلسطينية يجب ان تكون للسكان وليس للأرض، وادعى شامير وكان قد تولى رئاسة الحكومة الاسرائيلية سنة ١٩٨٧ وبعد قيام الانتفاضة سنة ١٩٨٨ أن الانتفاضة محاولة لتصفية دولة اسرائيل ويجب القضاء عليها بمنتهى القوة من دون تردد وبحزم وتصميم رغم أن القيادة الفلسطينية الموحدة لم تعلن ابداً أن هدفها تصفية دولة اسرائيل وتحرير كامل التراب الفلسطينى.

لماذا قتلت عصابة شتيرن بقيادة إسحق شامير الكونت برنادوت؟

الكونت برنادوت وهو أحد افراد العائلة المالكة السويدية ورئيس الصليب الأحمر السويدى وعينته الأمم المتحدة للتوصل الى تسوية على أساس التقسيم الذى اقرته الأمم المتحدة.

تقدم برنادوت بعدة مقترحات لتسوية النزاع العربى الإسرائيلى فقد تعرض لموضوع الهجرة اليهودية المتدفقة الى فلسطين وطالب بوجوب تنظيمها وتحديدها واقترح إجراء بعض التعديلات في قرار التقسيم مثل ضم النقب الى الدولة العربية وضم منطقة الجليل الى الدولة اليهودية على أساس إيجاد اتصال بين الدول العربية من خلال منطقة النقب بحيث تربط بين مصر والسعودية والأردن. وطالب بإدخال جميع القدس ضمن الدولة العربية مع منح الطائفة اليهودية استقلالا ذاتيا لشئون البلدية مؤكداً ان القدس يجب أن تبقى تحت السيادة العربية وكذلك طالب بعودة مدينة يافا من خلال جيب الى الدولة العربية.

اعتبر اليهود الكونت برنادوت عقبة في سبيل تحقيق أهدافهم التوسعية وخصوصا بالنسبة للقدس وفرض قيود على الهجرة اليهودية.

وكانت جماعة شتيرن بقيادة شامير هى الأكثر عنفاً واعتراضاً وبدأت الاعداد للتخلص من الوسيط الدولى وبحث شامير تفاصيل الخطة لتنفيذ عملية الاغتيال. وتم تنفيذ ذلك في ضواحى مدينة القدس.

ملاحظة:

فى سنة ١٩٧٧ كان شامير وزيراً للخارجية في وزارة بيجن وعند تعيينه كرمه بيجن بصفته رئيس عصابة شتيرن الإرهابية بإصدار طوابع بريد اسرائيلية تحمل صورته — فعل ذلك بيجن وهو مدرك تماماً ماضيه الدموى.

أرييل شارون
سفاح صبرا وشاتيلا

ولد شارون عام ١٩٢٨ بفلسطين في مزرعة جماعية «موشاف» وكان أبوه فلاحاً هاجر الى فلسطين من روسيا وأمه ممرضة وانضم فى مطلع شبابه الى شرطة القرى اليهودية وارتبط اسمه بالعديد من المجازر ضد العرب وبدعمه القوى للنشاط الاستيطانى اليهودى في الأراضي المحتلة. وفي حرب ١٩٤٨ أصيب شارون بطلقات في بطنه وخصيته وبعد الحرب عين رئيسا لاستخبارات المنطقة الشمالية العسكرية وفي سنة ١٩٥٥ سيق شارون الى محاكمة عسكرية إسرائيلية ووجهت اليه تهمة ارتكاب سلوك لايليق بضابط.

رأس شارون الوحدة ١٠١ التى كان هدفها ذبح وقتل أكبر عدد من العرب حدود وداخل اسرائيل **وكان بن جوريون يناديه يا اريل أنت لاتصلح إلا للقتل** ونحن نريد مثله أكثر من المثقفين.

وفي حرب ١٩٦٧ كان شارون أحد قادة القوات الاسرائيلية التى انطلقت داخل سيناء وسقط في أيديه آلاف الأسرى المصريين ورفض اعتبارهم أسرى وأجهز على أعداد كبيرة من الجرحى.

وشارون هو مهندس الغزو الاسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ فى عهد وزارة بيجن وهنالك حدثت أبشع جرائمه وهو مذبحة صبرا وشاتيلا حيث دخلت قواته مع ميليشيات الموازنة اللبنانية المخيم الفلسطينى في صبرا وشاتيلا وبدأت في ذبح الأطفال والنساء والشيوخ وبلغ عدد القتلى أكثر من ثلاثة آلاف، وأجبر عام ١٩٨٣ على الاستقالة من منصب وزير الدفاع بعد أن حملته لجنة التحقيق في حرب لبنان مسئولية غير مباشرة في مذابح صبرا وشاتيلا وكما وصفته مجلة تايم الأمريكية «إنه رجل يضع الأفعى في فراش طفل» ويقول لقد أخبرت الأفعى ألا تقتل الطفل، وهذا بالضبط ماحدث في صبرا وشاتيلا.

وبقى شارون بلا وزارة بين عام ١٩٩٠-١٩٩٢ حيث نسق حملة استيطانية دفعت الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش الى تجميد ضمانات قروض لاسرائيل بقيمة عشرة مليارات دولار لتمويل استيعاب المهاجرين.

وشارون يؤمن الى حد الهوس أن لا مكان للفلسطينيين على كافة أرض فلسطين وأنه يجب تهجيرهم الى الدول العربية المجاورة سواء بالقوة أو بالاتفاق.

ويؤمن شارون بأن الاستراتيجية الاسرائيلية يجب أن تنطلق من الهجوم لا الدفاع وممارسة الإرهاب علناً ضد العرب.

ويؤمن أن اليهود هم شعب الله المختار وأن العرب هم حثالة المجتمعات وأن قتلهم وحرقهم وذبحهم واجب وطنى اسرائيلى. ويؤمن كذلك بأن السلام ستدفع إسرائيل وحدها ثمنه وإن الذين ينادون بالسلام مع العرب حمقى ويصلون الى حد الخيانة.

ويصرح شارون دائما وقد اختار الانتقام من العرب حتى آخر عمره ان الجسد

العربى مطرز بالشقوق والحفر والأنفاق وأن قدرة الجيش الاسرائيلى تستطيع دائما كشف العورات العربية.

إن شارون أكبر سفاح في تاريخ اسرائيل - صحيح أن السفاحين في اسرائيل كثيرون وصحيح ايضاً أن كثيراً من القادة السياسيين وبناة دولة اسرائيل هم في الأصل قادة في المنظمات الارهابية وجاءوا الى الحكم وايديهم ملطخة بدم العرب.

قام شارون بعملية تهريب يهود الفلاشا من اثيوبيا بالاتفاق مع الرئيس جعفر النميرى وتولى الوساطة بينهما عدنان قاشافجى وتمكن حتى ١٩٨٤ من نقل ثمانية آلاف أثيوبى يهودى الى اسرائيل.

وجاء أخيراً إعلان قرار رئيس وزراء اسرائيل نتنياهو بتعيين أرييل شارون وزيراً للخارجية هو رسالة الى السلطة الفلسطينية والشعب الفلسطينى ومعناه أن نتنياهو اختار الماضى وأمن اسرائيل والمذابح.

ملاحظة:

١- ان جدة شارون كانت الداية التى سحبت بيجن الى الحياة في أرض الشتات وكان جد شارون صديقاً حميما لوالد بيجن.

وقد أصبح شارون معبودا لسفاح محترف مثل بيجن وقد تحالفا معاً في أول حكومة تشكلها كتلة الليكود سنة ١٩٧٧.

٢- في مذكراته يروى شارون أن الرئيس أنور السادات استدعاه ليضع نموذجاً للرى في مزرعته في ميت أبو الكوم وذلك بعد توقيع معاهدة الصلح مع إسرائيل وبعد إنجاز المهمة داعب شارون السادات قائلا سيأتى يوم ونطالب بهذه المستوطنة التى زرعناها في ميت ابو الكوم فرد عليه السادات في هذه الحالة سندمرها كما دمرت مستوطنة ياميت قبل انسحابكم من سيناء.

القوانين التى سنتها إسرائيل
بغرض الاستيلاء على الأراضى العربية

لقد سنت حكومات الكيان الصهونى عشرات القوانين بغرض الاستيلاء على أراضي المواطنين العرب وتم ذلك بعدة طرق:

١ - **قانون الطوارئ:** وصدر عام ١٩٤٩ وتم بموجبة مصادرة الأرض العربية في مناطق الحدود وكانت نسبة السكان العرب ٨٠٪ وتشمل مناطق الجليل الأعلى والمثلث والنقب بحجة المحافظة على أمن الدولة وأمكن انتقال أخصب الأراضى العربية الى حكومة اسرائيل.

٢ - **قانون الأراضي البور:** خوّل هذا القانون وزير الزراعة الاستيلاء على الأرض التي لن يتم زرعها خلال مدة معينة وتتلخص اللعبة أن الحاكم العسكرى الاسرائيلي كان يرفض إعطاء تصاريح للمزارعين العرب خارج حدود البلدة التى يقيمون بها وبهذا يتم نزع ملكية تلك الأراضى ومنحها للمزارعين اليهود.

٣ - **قانون أملاك الغائب:** صدر سنة ١٩٥٠ وقد اعتبر كل عربى غادر قريته الى قرية أخرى تحت ضغط الظروف غائباً وتتم مصادرة أملاكه وبموجب هذا القانون فقد العرب اكثر من ٣٠٠ ألف دونم وضعت تحت تصرف الهيئات اليهودية.

٤ - **الاستيلاء للأغراض العسكرية:** صدر سنة ١٩٥٢ وهو يجيز مصادرة الأراضى اللازمة للمشروعات العسكرية وبهذا القانون تم الاستيلاء على أراض واسعة من أملاك العرب الفلسطينيين.

٥ - **قانون نسف القرى:** بحجة التضييق على المواطنين الفلسطينيين وحملهم على ترك البلاد وممن الأمثلة نسف قرية إقرت القريبة من الحدود اللبنانية.

وهدم قرية كفر برعم القريبة من الحدود اللبنانية وتدمير قرية اليحانة قرب الحدود

السورية وقد صودرت أراضى تلك القرى بموجب قانون استملاك الأرض الذى أقره الكنيست فى سنة ١٩٥٣ وصودرت أراض أخرى فى منطقة المثلث وتم ترحيل بدو منطقة النقب وبلغ مجموع القرى التى تم الاستيلاء على أراضيها ٢٣ قرية عربية وتم طرد سكانها.

٦- قانون ضريبة التحسينات: يقضى بفرض ضريبة جديدة على المزارعين العرب قيمتها ٥٠٪ من قيمة التحسين بحجة تزويدهم بالتكنولوجيا الزراعية الحديثة وأدى ذلك بكثير من المزارعين الى ترك أراضيهم بسبب ضيق ذات اليد.

٧- قانون طرد الغرباء من اراضى الدولة: وأدى ذلك الى طرد المزارعين الفلسطينيين من أراضى الدولة التى كانوا يستغلونها منذ العهد التركى وعهد الانتداب البريطانى لأنهم لايملكون الوثائق التى تثبت ملكيتهم للأرض. وتم مصادرة حوالى ١٥٠ الف دونم من ١٧ قرية عربية بموجب هذا القانون.

٨- قانون أراضى التدريبات العسكرية: وفى سنة ١٩٨٢ أغلقت السلطات الاسرائيلية حوالى ٣٥ ألف دونم في منطقة المثلث و٢٥ ألف دونم من أراضى قرية شفا عمرو وذلك بحجة تخصيصها للتدريبات العسكرية.

مشروعات المياه الإسرائيلية المستقبلية

لاشك أن حاجة إسرائيل الى المياه تزداد عاما بعد عام وهذا ما يجعل مراكز البحث الاسرائيلى تسعى باستمرار للوصول أو البحث عن مصادر إضافية للمياه. ومن المتوقع أن تواجه اسرائيل عجزاً مائياً كبيراً إذا استمرت تعتمد على مصادر المياه الحالية والاسرائيليون يأخذون فى حسابهم هذه المشكلة أيضاً بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط برمته وفي تقديراتهم الى أن الطلب التقديرى على المياه في المنطقة الذى كان ٧٣٫٢ بليون متر مكعب سنة ١٩٨٥ سوف يصل الى ٩٢ بليون متر مكعب عام ٢٠٠٠ والى نحو ١٤٩ بليون عام ٢٠٢٠.

والواقع أن الفكر الصهيونى في البحث المستقبلى عن المصادر المائية الإضافية قد شمل عدداً من الخيارات حتى سنة ٢٠٢٠ منها مشروعات تحلية لعدم اعتمادهم في ذلك على جيرانهم ولأن اسرائيل التى يبلغ إجمالى إنتاجها القومى حسب المصادر

الاسرائيلية نحو ٦٠ بليوناً من الدولارات ربما يمكنهم من تحمل تكاليف التحلية ولو بأسعار مرتفعة حيث تبلغ تكاليف تحلية المياه طبقاً لأرقام البنك الدولى بما بين ٦ر١ -٧ر٢ دولارات للمتر المكعب - إلا أن اللجوء الى التحلية يتضمن استيراد الطاقة فضلاً عن تدبير مساحات من مياه البحر النظيفة ويتطلب أى مشروع للامداد بمياه التحلية بطاقة قدرها ٢٥٠ مليون متر مكعب سنويا استثماراً يصل الى بليون دولار.

بيد أن الأمر الذى يقض مضاجع الاسرائيليين أن المشروعات من هذا القبيل سوف لاتعطى احتياجات إسرائيل في العقدين القادمين.

وتذهب المصادر البحثية الاسرائيلية الى أن الطلب المقدر للاحتياجات الاسرائيلية للمياه التى كانت في عام ١٩٨٥ قد بلغت ٩ر١ بليون متراً مكعباً سوف تصل في عام ٢٠٠٠ الى ١ر٢ بليون متر مكعب وتصل عام ٢٠٢٠ الى نحو ٦ر٣ بليون متر مكعب (ويدخلون في تقديراتهم هذه احتياجات الفلسطينيين) ومن ثم فإن جهود التحلية لن تكفى لسد هذه الزيادة الكبيرة في الطلب على المياه.

ومن المشروعات الأخرى التى لجأت إسرائيل لدراستها مشروعات توصيل البحر المتوسط بالبحر الميت والبحر الأحمر بالبحر الميت ولكن سرعان ما تبين أن هنالك بعض المشكلات الفنية من مزج مياه البحر الأبيض المتوسط بالبحر الميت.

تتلخص في أن عمليتى البلورة والتسوية تتسببان في تكون كميات كبيرة من الجبس في الماء مما يعمل على تغيير التوازن الكيميائى في البحر الميت والإمكانيات السياحية والعلاجية فضلاً عن قيام صناعات إسرائيلية أخرى وأردنية تعارض إقامة مثل هذه المشروعات بالاضافة الى أن عملية التحلية تكون اقتصادية فقط بالقرب من مراكز هذه المشروعات ومن هنا صارت الطريقة المثلى من ناحية الجدوى فى استيراد المياه التركية.

وتشير المصادر الاسرائيلية دون مواربة الى أن استيراد المياه من تركيا قد يصبح بالنسبة لاسرائيل من الأمور التى لايمكن الاستغناء عنها لأنها من أقل المشروعات انطواء على العنصر السياسى عما عداها من مشروعات.

ويتلخص هذا الاتجاه في صادرات تركيا من المياه المحمولة بحراً في سفن عملاقة وتمثلت الفكرة في حمل المياه بأكياس في عبوات بلاستيكية عائمة ضخمة

تكون سعة الواحدة مليون متر مكعب لتتجه صوب منطقة غزة ومنها الى اسرائيل بمستوى سعر لايتجاوز ٢٥ سنتاً للمتر المكعب.

على ان هناك خياراً تركيا آخر تضعه إسرائيل ضمن حساباتها وهو مشروع خط أنابيب السلام: وهو ما كان قد اقترحه الرئيس التركى الراحل أوزال عام ١٩٨٦ يهدف الى إمداد تسعة من دول الشرق الأوسط (ولم تكن اسرائيل من بينها) بنحو ٢٫٢ بليون متراً مكعباً من المياه عبر خطين من الأنابيب أحدهما يبلغ طوله ٢٦٥٠ كيلومتراً الى مكه وجدة وآخر طوله ٣٩٠٠ كيلو مترا يصل الى دولة الإمارات وكان المفترض أن يأتى الماء من منابعه من نهرين في جنوب شرق آسيا هما جيهان وسيهان بتدفق سنوى مشترك ١٤ بليون متر مكعب ونظراً لأن هذا المشروع كات تكتنفه مشكلات تكنولوجية وأخرى سياسية وتاريخية فقد أحجمت عنه الدول البترولية في الخليج وفضلت اعتمادها على التحلية.

وهناك مشاريع أخرى اشتركت في دراستها أمريكا لسحب المياه من نهرى جيهان وسيهان لتنتهى في عمان ودمشق وكانت التكلفة التقديرية بين ٤–٥ بلايين دولار.

ثم جاء الاختيار الخاص بشق قناة السلام التى شاركت في إعداده اسرائيل ويتكون على مرحلتين الأولى التفاوض مع تركيا وسوريا والعراق حول كمية المياه التى يمكن تحويلها من نهرى جيهان وسيهان الى الفرات على مسافة ٢٤ كيلو متراً والمرحلة الثانية تستخدم عامل الجاذبية لتحويل المياه من سد أتاتورك في أعالى الفرات من خلال خطوط أنابيب وقنوات الى سوريا والأردن وإسرائيل.

ومما تقدم تتضح أهمية الخيار التركى في معادلة المياه الاسرائيلية المستقبلية سواء تغيرت الأوضاع السياسية بين العرب وإسرائيل أم لم يصبها التغير خلال العقدين الزمنيين القادمين في أغلب الاحتمالات.

المستوطنات اليهودية في فلسطين

كلمة مستعمرات استبدلت بكلمة مستوطنات

بداية الاستيطان اليهودى في فلسطين كان سنة ١٨٨١ حينما اتجه بعض اليهود الروس الى فلسطين هربا من إضطهاد الحكومة القيصرية الروسية واخذت الهجرة اليهودية تأخذ طابع الاستيطان مع بداية الموجة الثانية من سنة ١٩٠٣ - ١٩١٣ وكان أغلب مهاجرى هذه الموجة من طبقة العمال يمولهم بعض الأثرياء اليهود الذين أقاموا المستوطنات الأولى في فلسطين مستعمرة بتاح تكفا (ملبس) - مستعمرة ريشون ليتسيون (عيون قاره) وبعض المراجع تعتبر عيون قارة أول مستعمرة أنشئت في فلسطين ومراجع اخرى تعتبر ملبس اول مستعمرة واعتقد أن المستعمرين أنشئتا في وقت متقارب مستعمرة الخضيرة مستعمرة روشبينا واستغلوا عدم معارضة الدولة العثمانية بقيادة حكومة الاتحاد والترقى التى سمحت لهم بشراء الأرض من كبار الإقطاعيين من خارج فلسطين.

أما الموجة الثالثة التى اتسمت بالأعداد الكبيرة من المهاجرين اليهود فقد بدأت وتضخمت بعد احتلال بريطانيا لفلسطين وإصدار وعد بلفور وفتح أبواب فلسطين على مصراعيها لتدفق الهجرة اليهودية - وكان إنشاء المستوطنات الجديدة وتوسيع المستوطنات القائمة هو الهدف الأساسى الذى ترتكز حوله نوايا الصهيونية العالمية بهدف تحويل فلسطين الى وطن قومي لليهود وتحقيقاً لهذا الهدف اصدرت حكومة الانتداب البريطانية القوانين واللوائح والأوامر وأخذت المسيرة اليهودية في قضم الأرض العربية الفلسطينية قطعة وراء قطعة.

تنبه الشعب الفلسطينى للخطر المحدق بوطنه وأخذ يقاوم هذا المخطط بإمكانياته المحدودة أمام أعتى قوتين في العالم الامبراطورية البريطانية والصهيونية العالمية وقام بعدة ثورات وهبات دفع ثمناً لها آلاف الضحايا والشهداء وكان مطلبه الرئيسى إيقاف تدفق الهجرة اليهودية ومنع الاستيطان اليهودى في البلاد - وكان هذا الطلب يقابل دائما بالرفض من قبل الحكومة البريطانية لأن العمود الفقرى لقيام دولة اسرائيل كان أساسه الهجرة والاستيطان والاستيلاء على الأرض الفلسطينية بكافة السبل وبحماية القوانين الجائرة التى أصدرتها حكومة الانتداب.

فشلت جميع المحاولات الفلسطينية والعربية والدولية لوقف طوفان الاستيطان

اليهودى أو على الاقل الحد من انتشاره وتمكنت الصهيونية العالمية بمساعدة الدول الغربية والولايات المتحدة الامريكية اكتساح جميع الحواجز والقوانين والاتفاقات الدولية وأخذ بناء المستوطنات يتسع ويتمدد ويصادر حق الحياة والوجود للشعب الفلسطينى.

ويلاحظ دائما أن إقامة المستوطنات ارتبط بالخطط العسكرية الصهيونية قبل إنشاء دولة اسرائيل وبعد قيامها وذلك في تعيين توعيتها وطريقة بنائها وموقعها ولو بحثنا عن المستوطنات الاسرائيلية لرأينا أغلبيتها الساحقة بنيت في مواقع استراتيجية تسيطر على طرق المواصلات الهامة أو منافذ ومعابر تهدد سكان المدن الفلسطينية وكانت المستوطنة الاسرائيلية تشبه الحصن المستقل القادر على الصمود وبه الاحتياط الكافى من المؤن والذخيرة ووسائل الحياة.

أقيمت عدة أنماط من المستوطنات في الأراضى الفلسطينية وأهما وأشهرها:

الكيبوتر: وهى كلمة عبرية معناها لم الشمل وهى قرية جماعية أراضيها ومبانيها وأدواتها كلها ملك جماعى لأهل القرية والحياة فيها مشتركة وقد برز هذا النوع خلال الموجة الثالثة في أعقاب الحرب العالمية الأولى من سنة ١٩١٨-١٩٢١

الموشاف: معناها بالعبرية المستعمرية وهى قرية يملكها صغار الملاك الذين يملكون الأرض وتعتمد على مجهودهم الفردى في زراعتها وإدارتها وظهر هذا النوع خلال الهجرة اليهودية الأولى من سنة ١٨٨٢-١٩٠٤.

وهناك أنواع أقل شيوعاً وهى عادة نقط استيطان تسبق الاستيطان الدائم.

وهناك منظمة الناحال التى تتولى تدريب الشباب المهاجر تربية عسكرية وإقامة معسكرات لتؤهل الشباب وتعلمهم أيضا وسائل الزراعة.

لم يتوقف بناء المستوطنات أو يتباطأ رغم الاتفاقات التى أبرمت بين اسرائيل والفلسطينيين وأصبح الوجود الفلسطينى للأرض المحتلة في السنوات الأخيرة يشبه نتوءات متفرقة من تقطعة الطرق والمستوطنات التى تتحكم فيها إسرائيل ولو نظرت الى خريطة فلسطين الآن لرأيتها تعج بالنقط السوداء وتغطى كافة الاتجاهات من الأراضى الفلسطينية وهذه النقط ترمز الى المستوطنات.

أقامت اسرائيل حتى سنة ١٩٨٢ - ٢٠٥ مستوطنات داخل الأراضي العربية في قطاع غزة والضفة الغربية وفي الأراضي الفلسطينية داخل اسرائيل نفسها.

٧٩ مستوطنة في الضفة الغربية وغور الأردن.

١٤ مستوطنة في الجولان السورى المحتل.

١٠ مستوطنة في قطاع غزة.

١٠٢ مستوطنة في الأراضى التى احتلتها اسرائيل سنة ١٩٤٨ وخاصة منطقة الجليل التى اقيم فيها وحدها ٦٤ مستوطنة.

وفى عام ١٩٩٧ كان عدد المستوطنات الاسرائيلية قد ازداد وتضخم وأصبح كما يلي:

١٨٦ مستوطنة في الضفة الغربية يسكنها ١٤١ ألف نسمة.

٢٠ مستوطنة في قطاع غزة يسكنها ٦ آلاف نسمة.

٤٣ مستوطنة في الجولان يسكنها ٢٠ ألف نسمة.

أما المستوطنات التى أقيمت حول القدس الشرقية (العربية) فقد بلغ عدد سكانها سنة ١٩٩٧ – ١٧٠ ألف نسمة ومنذ إعلان أوسلو صادرات اسرائيل ٧١ ألف دونم لإقامة مستوطنات فوق أرضها.

وتحاول اسرائيل إنقاص الوجود الفلسطيني قدر الإمكان ويتم ذلك بالاضافة الى بناء المستوطنات ومد الطرق والاستيلاء على الأراضي الفلسطينية متذرعة بشتى القوانين والأوامر والأحكام القضائية الجائرة والسيطرة على مصادر المياه وعرقلة بناء المساكن وتهديم المساكن القائمة والضرائب الباهظة ورفض إعطاء رخصاً للبناء أو الحيلولة دون التنمية الاقتصادية في المناطق العربية والتلاعب بالعمالة الفلسطينيية مما أدى الى بطالة واسعة في المناطق العربية.

ربما تكون إسرائيل قد توقفت مؤقتا عن تحقيق حلم إسرائيل الكبرى كما رسمه الصهاينة الأوائل من النيل الى الفرات واكتفت بالأراضى الفلسطينية جميعها وأراضى الجولان وجنوب لبنان التى تملكها حاليا. ويظهر أن اسرائيل اتجهت الى محاولات أخرى للسيطرة على المنطقة مثل التفوق الاقتصادى والتكنولوجى دون اللجوء الى الحرب مع بقاء ميزان القوى دائما يميل الى مصلحتها مع بذل كل الجهود بالاشتراك مع الولايات المتحدة الامريكية لإبقاء العرب في موقع الضعف والتخلف.

إسرائيل هى الدولة الوحيدة في العالم التى لم يرسم لها حدود دائمة فهوس العظمة التى تعيشه اسرائيل والتى يجعلها تفعل كل شيء وبأى ثمن لكى تبقى صاحبة الصوت الأقوى والأعلى فى المنطقة العربية.

والتاريخ لايزال يذكر بالعار المفارقة المشينة التى تمارسها أمريكا والدول الغربية وهى أن موت اسرائيلى داخل الأراضى الفلسطينية يعتبر عملا إرهابيا الذى يوجب العقاب الصارم بينما مذبحة «قانا» الشهيرة التى راح ضحيتها مئات المدنيين ليست إلا حقاً ودفاعاً عن النفس تمارسه إسرائيل.

وبعد أن هز الحجر في الانتفاضة الفلسطينية المجتمع الاسرائيلى ولفت نظر العالم للممارسات الاسرائيلية وأخذت القضية الفلسطينية تطفو على السطح ولم تعد منسية. أخذت طريقه المفاوضات والاتفاقات السرية تحل محل الانتفاضة وظهرت أوسلو و١ وأوسلو٢ ، ونحن الآن نحصد ما ارتكبناه في ظلام أوسلو وضاعت فرصة الانتفاضة التى لن تتكرر الآن وأصبحنا نستجدى أمريكا التى لاتنظر الى منطقة الشرق الاوسط وفلسطين إلا بالمنظار الاسرائيلى وأصبحت القضية الفلسطينية تتركز الآن فقط في تحقيق أمن اسرائيل.

وكلنا ينتظر عطف أمريكا لتنفيذ الوضع المتردى والخطط التى تنفذها اسرائيل خطوة وراء خطوة.

عقب الانتهاء من كتابة هذا البحث حول المستوطنات الاسرآئيلية في فلسطين أعلنت الحكومة الاسرائيلية في منتصف شهر اغسطس سنة ١٩٩٧ عن خطة جديدة تعتزم تنفيذها بهدف تكثيف المستوطنات اليهودية في القدس الشرقية وتشمل الخطة توسيع ١٦ مستوطنة حول القدس الشرقية وأكد البيان أن مستوطنة جبل «أبو غنيم» سوف تضم ١٨ ألف وحدة سكنية في مرحلتها الأولى والثانية وأخيراً قال البيان إن خطط الحكومة الاسرائيلية لتكثيف الاستيطان في الأرض الفلسطينية تصل تكلفتها الى ٢ر٣ مليار دولار.

المخطط الصهيونى لتكثيف الاستيطان في الأراضى الفلسطينية والعربية المحتلة

هذا المخطط الاسرائيلى يستهدف تكريس الاحتلال الإسرائيلى في الضفة الغربية وجنوب قطاع غزة والجولان وبالتالى تهويد تلك الأراضى وخلق أمر واقع يصعب جداً تغييره أو حتى التفاوض بشأنه.

وهو الى جانب ذلك يكرس إمكانية التدخل العسكرى الاسرائيلى ضد المناطق التى فى حوزة الفلسطينيين في حالة وجود أى تهديد تعتقد إسرائيل أنه يهدد أمنها.

ونذكر كيف أصرت اسرائيل على بقاء ٤٠٠ يهودى فى وسط مدينة الخليل لتكون دائماً سبباً للتدخل العسكرى ضد مائة ألف فلسطينى يعيشون في المدينة.

وحسب إحصاء ١٩٩٨ يوجد لاسرائيل في المناطق المحتلة ٢٠٥ مستوطنات موزعة كالآتى:

في الجولان السورى المحتل ٣٧ مستوطنة يسكنها ١٤ ألف مستوطن وهنالك مشروع لبناء ألفى منزل في الجولان.

في الضفة الغربية ١٥٠ مستوطنة يسكنها ١٤٥ ألف مستوطن.

في جنوب غزة ١٨ مستوطنة يسكنها ٤ آلاف مستوطن.

والتخطيط المستقبلى حتى عام ٢٠١٠ بهدف أن يصل عدد المستوطنات في الأراضى المحتلة الى ٢٥٠ مستوطنة تضم بين ١-٢ مليون يهودى اغلبهم في غور الأردن وحول المدن الفلسطينية خاصة في القدس.

وتشكل المواقع الاستطيانية ثلاثة أحزمة رئيسية تقسم الضفة الغربية طوليا الى ثلاث شرائح:

الشريحة الأولى وتمتد بطول غور الأردن – الشريحة الثانية على امتداد المرتفعات الشرقية للضفة الغربية وتمتد من الجنوب الشرقى لبيت لحم وحتى بيسان شمالاً – الشريحة الثالثة فإنها تمتد من القدس جنوباً وحتى جنين شمالاً بمحازاة حدود ٤ يونيه ١٩٦٧ وتتقاطع هذه الأحزمة الطولية من المستوطنات عرضيا تقسم الضفة الغربية الى شطرين منفصلين أحدهما شمال القدس الكبرى والآخر يشمل القدس والمنطقة جنوبها.

وبهذا التخطيط اصبح الفلسطينيون محاصرين في ثلاث مناطق هى:

نابلس – رام الله – الخليل.

وقد أضيف الى هذه الأحزمة والكتل الاستيطانية خط استيطانى جديد داخل الأراضى المحتلة (الخط الأخضر) ويشمل ١٥ مدينة وقرية والثانى في الضفة ويشمل ٤٥ مدينة وقرية يمتد من قباطية وحتى باقة الشرقية ويشمل عدد من قرى لواء جنين.

أما الاستيطان في القدس فإن الهدف هو إحاطتها بحزامين من المستوطنات بحيث تتحول القدس الى عاصمة كبرى تتلاحم فيها مدينة القدس من خلال المستوطنات مع مدن رام الله فى الشمال وبيت لحم فى الجنوب ومستوطنات أريحا فى الشرق ومستوطنات عتسيون في الغرب.

والمستهدف أن يقفز عدد اليهود فى القدس الشرقية من ١٥٥ ألف يهودى حاليا الى ٧٥٠ ألفا عام ٢٠١٠ – ويهدف هذا المخطط الى ممارسات الجيش الاسرائيلى والمستوطنيين اليهود فى إزعاج العرب الفلسطينيين وحثهم بمختلف الوسائل الترغيب والترهيب على ترك أراضيهم لضمها الى اسرائيل.

وتحاول اسرآئيل ان تعالج مشاكل امنها من خلال تطبيق استراتيجية تنفذها على كل من السياسة الخارجية والسياسة الدفاعية وتتمثل فى ثوابت الأمن الاسرائيلى.

١– لا لإقامة الدولة الفلسطينية. ٢– لا لمناقشة قضية القدس.

٣– لا لايقاف عمليات الاستيطان.

٤– لا للانسحاب الكامل من الجولان والضفة الغربية

٥– لا للتخلى عن الحزام الأمنى في جنوب لبنان بلا ضمانات أمنية.

٦- لا لعودة اللاجئين الفلسطينيين.

٧- لا لامتلاك أية دولة عربية لسلاح نووى.

٨- لا لأى خلل في الميزان العسكرى القائم حاليا بين العرب واسرائيل لصالح العرب.

٩- لا لحرمان إسرائيل من مطالبها المائية فى الأنهار العربية.

١٠- لا لضغوط أمريكية على اسرائيل لقبول ما يتعارض مع متطلبات أمنها واهدافها وغاياتها القومية العليا.

ولتحقيق أهدافها الاستراتيجية تحاول إسرائيل الحصول على جميع أسرار التكنولوجيا المتاحة في العالم بل والمنتظر أن تتاح مستقبلاً وجارى اعمال البحث والتطوير بشأنها.

تفاصيل خطة توسيع المستوطنات الإسرائيلية بالضفة والقدس

بناء ١٤ ألفا و٦٠٠ وحدة سكنية فى ٩ مستوطنات.

جاء في وكالات الأنباء تفاصيل خطة بناء وتوسيع المستوطنات الاسرائيلية في القدس وباقى مناطق الضفة الغربية تستهدف بناء ٣٠ ألف وحدة سكنية تنفذها وزارة السكان على مراحل وقد تمت الموافقة على بناء ١٤ ألفا و٦٥ وحدة سكنية منها وتنتظر باقى الوحدات تصديق وزارة الدفاع الاسرائيلية للبدء في إنشائها بعد موافقة لجنة التخطيط الخاصة بالضفة الغربية على ذلك.

تشمل الخطة مضاعفة عدد الوحدات السكنية فى ٩ مستوطنات على النحو التالى:

* بناء ٥٦١ وحدة سكنية فى مستوطنة «معاليه أفرايم» وبمنطقة غور الأردن والتى تشمل حاليا ٤٠٠ وحدة سكنية.

* بناء ٩٢٠ وحدة فى مستوطنة إفرات التى يوجد بها ١١٥٠ وحدة سكنية حالياً.

* بناء ٦٣٣٠ وحدة سكنية في مستوطنة بيتار عيليت غرب بيت لحم.

* بناء ٢٢٠٠ وحدة سكنية فى مستوطنة جيفع بنيامين الى جانب ٩٢١ وحدة تمت الموافقة بالفعل على إنشائها.

* ١٣٠٠ وحدة سكنية فى مستوطنة وجيفعات زئيف.

* ٨٣٠٠ وحدة سكنية فى مستوطنة ومعالية أوديم التى يقطنها حالياً ٢٠ ألف نسمة

* ٦٧٤١ وحدة سكنية فى مستوطنة عوفريم.

* مضاعفة الوحدات السكنية في مستوطنة الفى منشئة.

* ٣٦٩٠ وحدة سكنية فى مستوطنة أرئيل التى تضم حاليا ٣٣٠٠ وحدة.

تعليق:

هل الطريق الذى تسلكه السلطة الفلسطينية والدول العربية فى تعاملها مع اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية هو طريق إنقاذ الوطن الفلسطينى هل المهم أن يعترف بنا العالم ويتعامل معنا ويستقبلنا فى المحافل الدولية ليستمع الى حديث الحقوق الضائعة والعدالة الغائبة ويستمع منا عن التعنت الاسرائيلى وعن الانتهاكات الاسرائيلية والممارسات الاسرائيلية اذا كان الأمر كذلك فنحن «نستاهل» كل ما حدث لنا وما سيحدث.

سادة الارهاب

اثبت الصحفى السويدى بيورن كوم بالدليل القاطع والوثائق التاريخية أن اليهود هم أول شعب مارس الارهاب المنظم في التاريخ.

لقد قام اليهود القدماء بعمل تنظيم سرى لاغتيال رجال الحكم الرومانى في فلسطين وأشاعوا الرعب والفوضى فى المنطقة بهدف السيطرة عليها ويصف كتاب الصحفى السويدى اليهود بأنهم شعب برع فى مجال الارهاب وتقدم فى مجال الجاسوسية.

ويرى الكاتب أن الممارسات الاسرائيلية الحالية ضد الفلسطينيين لاتختلف كثيراً عن فظائعهم ضد الكنعانيين تحت الحكم الرومانى وأوضح أن الوكالة اليهودية التى

انشأتها المنظمة الصهيونية العالمية سنة ١٩٢٠ كان لها جهاز خاص للتجسس وهو جهاز كانت له فروع فى جميع الدول العربية والأوروبية.

وفي سنة ١٩٣٧ تحول جهاز التجسس بقيادة بن غوريون الى منظمة مستقلة تماماً وتحولت بدورها سنة ١٩٤٠ الى أخطبوط سرى يضم مخربين وعملاء بجميع مدن وقرى فلسطين.

وركزت هذه المنظمة جهودها على شن حملات سريعة للإرهاب وإشعال حروب صغيرة في العالم العربى.

ونلاحظ على الارهاب اليهودى أنه بدأ قبل نشأة دولة إسرائيل ثم تطور بعد نشأتها فصار إرهابا للدولة يأخذ شكل العنصرية والتوسع ويصيب احياناً اليهود انفسهم.

وفي سنة ١٩٤٠ عمد القادة الصهاينة فى الهاجانا - وكان رئيسها بن غوريون- الى إثارة المشاعر ضد الانجليز الذين قرروا إنقاذ اليهود المهددين من هتلر باستقبالهم فى جزيرة موريس وحين رست الباخرة التى تنقلهم فى ميناء حيفا يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٤٠. لم يتورع هؤلاء القادة عن تفجير الباخرة فقتل فى الحادث ٢٥٢ يهودياً بريئاً وعدد من أعضاء الطاقم الانجليزى. وبعد الحادث بثمانية عشر عاماً كتب موسى شاريت رئيس الوزارة الاسرائيلية يقول فى تقويم الحادث «من الضرورى احياناً التضحية ببعض الأفراد من أجل إنقاذ عدد أكبر».

وهناك مثل آخر هو ما حدث لليهود الاسرائيليين في العراق وكانوا فى الأربعينيات قد ترددوا فى تسجيل أنفسهم فى قوائم الهجرة لاسرائيل ولم تتورع الخدمة السرية أن تلقى ضدهم القنابل لكى تقنعهم بأنهم فى خطر ولكى تدفعهم دفعاً الى الهجرة ولم يتغير هذا المنهج الإرهابى حتى الآن.

منذ عدة أسابيع قبل نهاية عام ١٩٩٧ صدر فى إسرائيل كتاب بعنوان «هويتنا اليهودية» من تأليف الكاتب اليهودى المعروف موشى شامير ولقى الكتاب رواجاً شديداً حتى إن الصحف اليهودية كتبت تقول إن كل يهودى متدين ووطنى أو باحث فى جذور الايديولوجيا اليمينية فى إسرائيل يجب ان يقرأ الكتاب.

والكتاب يشمل عدة فصول تكفى قراءة عناوينها لمعرفة ما فيها من كراهية العرب - الشعور بالتفوق على كل أجناس العالم - كراهية اليسار - العنصرية تجاه الأغيار (اى كل من هو غير يهودى ويسمونه «جوييم»).

وفي الكتاب عدة عبارات وجمل يجب أن نقرأها لنفهم مشاعر الاسرائيليين ومنها على سبيل المثال:

العرب قذرون، وغير اليهود كذابون، اليسار الاسرائيلي يدمر الدولة، وأما عن ارتباط المسيحية والاسلام بالقدس فيقول الكاتب «إن كل ما جاءوا بعدنا واعترفوا بقدسية المكان جاءوا كلصوص أو فى أحسن الأحوال سرقوا ميراث اليهودية وقسموا الغنائم فوق انقاض الخرائب اليهودية المقدسة ويقول ايضاً إنه بسبب المسيحية والإسلام أصبح ما يقال عن قداسة مدينة القدس لايمثل إلا تعبيراً خاطئاً غير دينى فى اساسه معادياً لكل ما هو يهودى وهدفه السيطرة والتوسع فالدول القائمة فى الشرق الأوسط هى مجموعة دول دكتاتورية حققت لنفسها الثراء بالسرقة وكل يهودى هو فى موقع الدفاع أما العرب فهم... قذرون بيوتهم قذره وشوارعهم قذره وهم يدعون أن لهم علاقة بالقدس وهذا غير صحيح والعرب المقيمون فى القدس والمولودون فيها هم وأباؤهم واجدادهم ليست لهم علاقة بالقدس.

صحيح أنه ليس كل اليهود والاسرائيليين مثل موشى شامير ولكن من يصدقونه يزداد يوماً بعد يوم ويرددون أقواله ويقيمون سياساتهم على أساسها.

هؤلاء هم الجيران عبر الحدود الذين يدعون أنهم دعاة سلام.

الذاكرة لن تموت

يصعب الأمر علينا جميعاً ونشعر بالحزن والأسى كلما جاء ذكر العنف الإسرائيلى والمذابح والمجازر البشرية ضد السكان المدنيين التى دبرها ونفذها زعماء العصابات الصهيونية قبل إنشاء دولة إسرائيل وتابع التنفيذ فيما بعد أهم الشخصيات اليهودية التى حكمت اسرائيل بعد إنشائها.

لم يكتف اليهود بجرائمهم ضد المدنيين داخل حدود فلسطين بل تعدى ذلك الى الأقطار العربية المجاورة فى لبنان وسوريا والأردن ومصر. ولن ينسى الشعب المصرى مذبحتا بحر البقر التى راح ضحتيها ستة واربعون طفلاً وأبو زعبل وضحيتها سبعون قتيلا وثمانية وتسعون جريحاً ولن ينسى لبنان الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على أراضيه وآخرها مذبحة قانا التى قتل فيها مائة من الأبرياء المدنيين وفى سوريا هاجمت القوات الاسرائيلية عدة قرى قرب سعسع وادى الهجوم الى مقتل مائتى شخص وجرح أعداد كبيرة وفي الأردن هاجمت القوات الاسرائيلية قرية عرندل على الحدود مع فلسطين

حيث قتل تسعة من افراد الشرطة وتسعة عشر من المدنيين ومهاجمة عدة قرى أردنية بقنابل النابالم ومقتل ستة وخمسون شخصاً.

لاشك ان العنف أحد أهم ركائز الفكر الاسرائيلى وتاريخ اسرائيل منذ بدأ التفكير والتخطيط للاستيلاء على فلسطين مليء بالجرائم والمذابح التى اقترفت ضد السكان المدنيين وتم قتل الألوف من الأطفال والنساء وكبار السن.

وسيظل التاريخ شاهداً على تلك الجرائم التى ارتكبها ولايزال يرتكبها الصهاينة على الأرض العربية حتى الآن.

وجميع الزعماء اليهود وعلى رأسهم حاييم وايزمن أول رئيس لدولة اسرائيل وبن جوريون ورابين وبيجن وغيرهم مقتنعين بأن العامل الذى يقرر مصير اليهود فى فلسطين هو القوة اليهودية التي تعتمد على العنف وفى تصريح لمناحم بيجن يقول «أنا أحارب إذن أنا موجود». ويحدد شيمون بيريز مفهوم قوة الردع الإسرائيلية فيقول يجب أن يكون لاسرائيل القوة القادرة على إفناء العدو ان لم يرتدع. واستمرت اسرائيل فى تطوير مفهوم الردع الى أن وصل الى العنف المطلق حتى قيل إن اسرائيل عبارة عن «جيش له دولة».

الهجوم على المدنيين العزل من السلاح بدأ مبكراً فأثناء ثورة سنة ١٩٢٩ والتى عرفت بثورة البراق بين العرب واليهود تسللت جماعة يهودية مسلحة الى حى صغير منعزل فى مدينة يافا يدعى تل الريش واقتحموا بيت الشيخ عون وذبحوه هو وزوجته وأولاده وأحفاده.

وسجل الأعمال الارهابية الاسرائيلية حافل بالأحداث الرهيبة التى يتعذر هنا إحصاؤها ونكتفى بذكر أبرز تلك الأحداث ويلاحظ أن قطاع غزة قد حظي بنسبة كبيرة من الغارات الاسرائيلية منذ سنة ١٩٤٨-١٩٥٦.

مذبحة دير ياسين:

كان وقوع تلك المذبحة فى ٩ ابريل سنة ١٩٤٨ نقطة تحول فى تاريخ الصراع العربى الفلسطيني والاسرائيلي وقد صرح مناحم بيجن الذى قاد القوات الاسرائيلية فى تلك المذبحة «لولا دير ياسين لما قامت دولة اسرائيل».

بدأت الجريمة حيث قامت عصابة الأرجون بقيادة بيجن ووحدة من عصابة

شتيرن وبتخطيط من الهجاناة بمباغتة سكان القرية الآمنة وهى قرية صغيرة مسالمه تقع فى قضاء القدس ولايزيد عدد سكانها عن ٧٠٠ نسمة وكانت محاطة بعدد من المستعمرات (المستوطنات) اليهودية وتركز الهجوم من ثلاث جهات وتوقع اليهود سقوط القرية الصغيرة بدون قتال. رفضت القرية الاستسلام رغم أن عدد المدافعين عنها لايزيد عن سبعين شخصاً يحملون السلاح الخفيف وحاول المدافعون طلب النجدة من القرى المجاورة والجيش البريطانى الذى كان يعسكر بالقرب من قريتهم ولكن لم تصلهم اية مساعدة. دافع سكان القرية حتى نفذت ذخيرتهم وكان اليهود يتقدمون داخل القرية من بيت الى بيت وتم اخماد المقاومة الباسلة وبدأت عملية الذبح والتقتيل ثم التمثيل بجثث الضحايا سوء الجرحى أو الموتى على السواء وجمعت النساء وكان بينهم ٢٥ امرأة حاملاً حيث بقرت بطونهن وتم ذبح ٥٢ طفلاً وفقدت القرية بين رجل وامرأة وطفل ٣٠٠ قتيلاً وجمع الارهابيون ما تبقى من النساء والبنات العربيات وجردوهن من ملابسهن ثم قاموا بوضعهن فى عربات مكشوفة طافت بهن شوارع القدس باعتبارهن سبايا وفى بئر واحد عثر على اكثر من مائة جثة.

مذبحة قبيه:

جاء في تقرير رئيس هيئة الرقابة الدولية التابعة للأمم المتحدة أنه بتاريخ ١٤–١٥ أكتوبر سنة ١٩٥٣ انتقل الى قرية قبية القائم بأعمال اللجنة الدولية (لجنة الهدنة) وجد ثلاثة وأربعين بيتاً قد نسفت تماماً منها مبنى المدرسة ومحطة المياه ومركز البوليس ومكتب التليفون وكانت الجثث تتناثر حول تلك المبانى ممزقة بالرصاص وكان هناك عدد من القتلى داخل البيوت المهدمة مما يدل أن الارهابيين اليهود أرغموهم على البقاء في بيوتهم قبل نسفها وكان بين الجثث أطفال ونساء وشيوخ عدا ٢٥ شخصا مصابين بجراح مختلفة حتى المواشى والأبقار لم تسلم من القتل حيث تم اعدام عشرات الأبقار ومئات الأغنام التى كانت القرية تهتم بتربيتها – وكان يقود العملية الارهابية إيريل شارون السفاح الاسرائيلى المعروف وبلغ عدد القتلى اكثر من ٦٦ شخصاً.

مذبحة اللاجئين الفلسطينيين فى معسكر بريج بمدينة غزة:

قام بهذه العملية بعض الأعضاء السابقين من عصابات شتيرن وأرجون لم ينضموا للجيش النظامى الاسرائيلى خصيصاً للقيام بمثل هذه الأعمال الإرهابية بدأ الهجوم يوم

١٩٥٥/٢/٢٨ على منازل وأكواخ المعسكر وكانت هيئة إغاثة اللاجئين الدولية هى التى تتولى الإشراف عليه. قام المهاجمون بالقاء القنابل من نوافذ البيوت على اللاجئين وهم نيام ولما حاولوا الهرب هوجموا بالأسلحة الاتوماتيكية وقتل في هذه الهجمة أكثر من ثلاثين عربياً وجرح بإصابات خطيرة ٢٧ آخرون وعشرات اصيبوا بجراح مختلفة.

مذبحة خان يونس ٢ نوفمبر ١٩٥٦ :

أثناء العدوان الثلاثى (حرب ١٩٥٦) قامت قوات الجيش الاسرائيلى يوم ٣ نوفمبر ٥٦ بمهاجمة مخيم مزدحم باللاجئين مجاور لمدينة خان يونس وأطلقت النيران عشوائيا على المخيم بعد أن حاصرته وقتل من المدينة أكثر من ٢٧٥ شخصا بين رجل وامرأة وطفل.

وكانت مدينة خان يونس قد تعرضت لهجوم آخر بتاريخ ٣١ مايو سنة ١٩٥٥ حاول فيه اليهود قطع الطريق بين خان يونس ورفح ولكن بسالة المدافعين أجبرت اليهود على الانسحاب ومعهم أعداد من القتلى والجرحى حيث امتدت آثار الدماء لمسافات طويلة ولكنهم تمكنوا من تفجير مستشفى الرحمة ومركز البوليس قبل انسحابهم.

مذبحة غزة ٤-٥ أبريل ١٩٥٦ :

بدأ اليهود هجومهم في عملية تمويه بإطلاق النار على منطقة دير البلح حيث تعسكر بعض القوات المصرية التى ردت بإطلاق نيران كثيفة وانسحب الجنود الاسرائيليون وكانت هذه العملية لتغطية خطة إسرائيلية بالهجوم على مدينة غزة وقذفها بالمدافع بدون تمييز على تجمعات اللاجئين والسكان واستمر القصف حوالى اربع ساعات وكانت الحصيلة مقتل ٦٠ منهم ٢٧ امرأة و٢٩ رجلاً و٤ أطفال.

وفي عملية أخرى بقطاع غزة اجتاز اليهود خطوط الهدنة لمسافة ٣ كيلومترات وقسموا أنفسهم الى عدة جامعات بعضهم هاجم محطة توليد المياه وأخرى هاجمت محطة السكة الحديدية وثالثة قامت ببث الألغام لمنع وصول الإمدادات.

وقتل في العملية بعض الجنود المصريين وجرح عدد آخر ولما حاولت بعض السيارات العسكرية ملاحقة المعتدين تفجرت الألغام فى السيارة الأولى وقضت على من فيها من الجنود المصريين واضطرت بقية السيارات الى التوقف.

وكانت الحصيلة ٣٩ قتيلاً و٣٣ جريحاً.

مذبحة كفر قاسم:

مع بدء حرب ١٩٥٦ في نهاية أكتوبر فرضت السلطات الاسرائيلية حظر التجول على كل السكان العرب في إسرائيل ابتداء من الساعة الخامسة مساء ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٥٦ وكان سكان قرية كفر قاسم لايزالون فى الحقول لمتابعة زراعاتهم ورعاية مواشيهم ولم يعلموا شيئا عن إعلان منع التجول الذى فرض وعند وصولهم أثناء العودة الى قريتهم بعد الساعة الخامسة مساء استوقفهم الجنود الاسرائيليون عند مدخل القرية وأطلقوا عليهم النيران فبلغ عدد القتلى من الرجال والنساء والأطفال ٤٧ شخصا بتعمد ووحشة.

مذبحة صبرا وشاتيلا:

كانت المذبحة التى وقعت فى مخيمى صبرا وشاتيلا من أخطر ما تعرض له الفلسطينيون الآمنون وتمت المذبحة نتيجة مؤامرة أطرافها الجيش الاسرائيلي وميليشيات الكتائب اللبنانية وقوات سعد حداد التابعة لجيش الاحتلال الاسرائيلى في جنوب لبنان.

في يوم ١ سبتمبر سنة ١٩٨٢ رحل آخر المقاتلين الفلسطينيين عن بيروت لكى يجنبوا المدينة المزيد من المعاناة والقصف والدمار وفى يوم ٩ سبتمبر رحلت القوات الامريكية التابعة للقوة المتعددة الجنسيات رغم أن المدة المتفق على بقائها فى بيروت لم تنته بعد.

وفي يوم ١٦ سبتمبر تمكنت القوات الاسرائيلية من السيطرة على بيروت وعزلت الأحياء عن بعضها وأغلقت جميع الطرق المؤدية الى العاصمة بيروت وفي اليوم التالى كانت مجموعة من القوات الاسرائيلية تضم ١٥٠ دبابة و١٠٠ حاملة جنود ١٤ عربة مدرعة تحمل مجموعة من المدافع و٢٠ جرافة (بلدوزر) قد أحاطت تماماً بمخيمى صبرا وشاتيلا.

وبدأ تحرك القوات والميلشيات المتواطئة نحو مدخل المخيمين ولما كانت الكهرباء مقطوعة عن بيروت قامت القوات الاسرائيلية بإلقاء المشاعل المضيئة وتسليط الكشافات لإنارة الطرق أمام الغزاة وهكذا بدأت مداهمة السكان الآمنين وبلغ ضحايا المذبحة مايزيد على اربعة آلاف ضحية عدا الجثث التى التقطتها الجرافات وحملتها الشاحنات الى اماكن مجهولة ولم يكن بين الضحايا جثة واحدة يرتدى صاحبها الزى العسكرى ولايتسع المجال هنا لسرد المآسى البشعة التى صاحبت تلك العملية.

هذه صور لبعض المذابح التى اقترفها اليهود ضد المدنيين الفلسطينيين العزل من السلاح الى جانب ما قامت به المخابرات الاسرائيلية من تعقب العديد من الشخصيات الفلسطينية وقتلهم أينما وجدوا ومنهم كمال ناصر - كمال عدوان - يوسف النجار - غسان كنفانى - على سلامة - محمود الهمشرى - محمد بوديه - محمود صالح - حسين أبو الخير - وائل زعيتر ماجد أبو شرار - منذر أبو غزاله - خليل الوزير (ابو جهاد) عدا من قتلوا داخل الأراضى المحتلة.

وبعد،،

ونحن نختزن خمسين عاماً من الحروب والكراهية والإرهاب والتقتيل هل يمكن أن يحل كل ذلك بكتابة معاهدة سلام وهل يمكن أن ينتزع المواطن العادى وخصوصا الفلسطيني هذه المراره من داخله. صحيح أصبح السلام مطلباً عالمياً ولكن السلام لايتحقق بدون عدل.

فهل تحقق العدل؟...... لا أظن.

تعذيب ٨٥٪ من الفلسطينيين المعتقلين في السجون الإسرائيلية

أعرب قضاة المحكمة العليا في إسرائيل عن استيائهم من أن الحكومة الاسرائيلية والكنيست يتهربان من سن قانون يحدد صلاحيات الشاباك (البوليس السرى) في ممارسة التعذيب بأساليب استثنائية مع المعتقلين الفلسطينيين.

اشترك في نقاش هذا الموضوع تسعة من قضاة المحكمة العليا بسبب ستة التماسات ضد شرعية هذه الأساليب. واستمر النقاش لمدة ٤ ساعات. قال ممثل الدولة المحامى شاى نيتسان ودافع عن موقف الدولة أن استخدام هذه الأساليب مسموح به بسبب أن قانون العقوبات ينص على الظروف الاستثنائية بما يعنى إعفاء الشخص من المسئولية الجنائية إذا كان العمل الذى قام به ضروريا بصورة فورية لتجنب خطر جسيم ولاتوجد وسيلة أخرى لتجنب هذا الخطر.

ولكن القضاة لفتوا الانتباه الى أنهم غير مقتنعين بإمكان منح الظروف الاستثنائية سلفا.

كانت منظمة بيت سليم الاسرائيلية لحقوق الإنسان قد عرضت تقريراً في مؤتمر صحفي عقد في القدس، جاء في التقرير أن تعذيب الفلسطينيين محل التحقيق في منشآت الشاباك هو إجراء عادى ويومى.

وفي كل سنة يتم التحقيق مع عدد يتراوح ما بين ألف و١٥٠٠ فلسطيني ويتم استخدام العنف ضد ٨٥٪ منهم. عنوان التقرير «التعذيب كعادة» ويطرح بالتفصيل أساليب التعذيب التى يمارسها الشاباك تجاه المعتقلين. ومنها طريقة الشبح وهى ربط الأيدى والأرجل بالقيود الى كرسى صغير يميل الى الأمام ويغطى رأس المعتقل معه بكيس ملوث في معظم الاحيان ويجبر على الاستماع الى موسيقى صاخبة بواسطة مكبرات الصوت. وطوال فترة التحقيق لايسمح للمعتقل بالنوم وفي عطلتى الجمعة والسبت يمكن أن يحصل المعتقل على قسط من النوم لتعاد الكرة من جديد يوم الاحد وهكذا كما يوجد اسلوب آخر يتم فيه إجلاس المعتقل وظهره الى منضدة ويتم شد زراعيه وهى مثنية الى الخلف مما يسبب ألما شديدا وأحيانا يبقى المعتقل على هذا الوضع لمدة ساعات كذلك أسلوب الهز حيث يتم هز المعتقل من قميص وهزه يعنف للأمام والخلف بسرعة شديدة وقد لقى أحد المعتقلين في عام ١٩٩٥ حتفه بسبب هذا الاسلوب ويتم ايضا ضرب المعتقلين صفعا وجر المعتقلين على الأرض والتهديد بقتل المعتقل موضع التحقيق وذكر أسماء معتقلين آخرين لقوا حتفهم أثناء التحقيق معهم ويشير التقرير أضا الى أنه طوال عدة شهور من التحقيق يمنع المعتقلون من استبدال الملابس ويقدم لهم الطعام في المراحيض كما أن غرف الاعتقال صغيرة مكتظة.

ويقول التقرير إن الشاباك والدولة يبرران أساليب التعذيب بأنها تتم مع معتقلين تصفهم بأنهم قنابل موقوتة أى أنهم يمتلكون معلومات إذا تم انتزاعها منهم يصبح بلا مكان منع وقوع عمليات انتحارية وقتل جماعى الامر الذى سيمس أمن اسرائيل.

انتهت مناقشات قضاة المحكمة العليا دون الوصول الى حل.

نشرت صحيفة ها آرتس الاسرائيلية في ١٩٩٨/٩/١٧ نقلاً عن إحصاءات يهودية موثوقة تتعلق بالفترة بين ١٩٨٧/١٢/٩-١٩٩٨/٨/٣١ أى حوالى عشر سنوات وجاء فيها مايلى:

١- في الأرض المحتلة بلغ عدد القتلى الفلسطينيين ١٤٣٩ فرداً.

وعدد القتلى اليهود ١٥٨ فرداً.

٢– داخل اسرائيل بلغ عدد القتلى الفلسطينيين ٥٥ فرداً.
وبلغ عدد القتلى الاسرائيليين ٢٣١ فرداً.

٣– اما في فترة السنوات الخمس الأخيرة منذ توقيع اتفاقية أوسلو وحتى ١٩٩٨/٨/٣١ فكان بيانها كالآتي:

١– في الأراضي المحتلة بلغ عدد القتلى الفلسطينيين ٣١٥ فرداً.
وبلغ عدد القتلى الاسرائيليين ٦٨ فرداً.
٢– داخل إسرائيل بلغ عدد القتلى الفلسطينيين ١٧ فرداً.
وبلغ عدد القتلى الاسرائيليين ١٦١ فرداً.

وبهذا يصل عدد القتلى الاسرائيليين في العقد الماضي ٣٨٩ فرداً مقابل ١٤٩٤ فلسطينياً.

هذا بالإضافة الى ٤٨٠٠ فلسطينيا طردوا من أراضيهم وتم اعتقال ١٨ الف فلسطيني يتعرض معظمهم للتعذيب بوسائل وحشية وذلك طبقاً لتقارير الهيئات الدولية لحقوق الإنسان وتم تدمير ٥٨٠ منزلاً كإجراء عقابي وبلغ عدد القتلى من الأطفال الفلسطينيين ٢٧٧ طفلا خلال تلك الفترة سقطوا برصاص الاحتلال الإسرائيلي.

المذابح اليهودية التى ارتكبها اليهود بفلسطين في سطور

١٣ أبريل ١٩٤٨ : مذبحة قرية ناصر الدين قرب مدينة طبريا ولم يبق على قيد الحياة من سكانها إلا اربعون بين امرأة وطفل تمكنوا من الفرار الى القرى المجاورة.

٥ مايو ١٩٤٨ : هاجمت الهجاناة قرية بيت الحورى قرب نهر الأردن وسقط أكثر سكانها بين قتيل وجريح.

١٣ مايو ١٩٤٨ : هاجم اليهود قرية بيت دراس فى منطقة غزة وفعلوا ما فعلوه في دير ياسين وبعد قتل السكان هدموا جميع بيوت القرية بالديناميت والمدفعية.

٣١ مايو ١٩٥٠ : مأساة عرب وادى عربة في صحراء النقب حيث اضطرهم اليهود بالقوة الى مغادرة أراضيهم ودفعهم الى الصحراء القاحلة بدون ماء أو طعام حيث مات العديد منهم بسبب الجوع والعطش.

٧ فبراير ١٩٥١ : هاجم اليهود قرية شرفات قرب القدس حيث تسللوا الى القرية وبثوا الألغام والمتفجرات حول المساكن مما أدى الى سقوط شهداء من الرجال والنساء والأطفال بالإضافة الى أعداد من الجرحى.

٩ فبراير ١٩٥١ : اعتدى اليهود على قرية فلمه قرب مدينة اللد، وهاجموها بالمدافع الرشاشة وقتل عدة أشخاص من السكان.

١١ يوليو ١٩٥١ : تسلل اليهود الى قرية خربة النجار قرب منطقة اللطرون وقتلوا السكان أثناء الليل.

٢٥ سبتمبر ١٩٥١ : دخلت قوة إسرائيلية الى قرية غور الصافى وهدموا عدة بيوت وقتلوا من فيها من السكان.

٢٩ يناير ١٩٥٣ : هاجمت قوة عسكرية كبيرة قريتي فلمة ورنتيس واستعملت مدافع المورتر ورشاشات خارقات الدروع والقنابل اليدوية وبث الألغام واستمر الهجوم أكثر من أربع ساعات أسفر عن مقتل عدة اشخاص وهدم عدة بيوت.

٢٨ مارس ١٩٥٤: هاجمت قوة اسرائيلية قرية نحالين قرب بيت لحم وأحاطت بها من ثلاث جهات وأمطرتها بكافة أنواع السلاح ولما خفت القوات الأردنية لنجدة القرية انفجرت الألغام تحت سيارتهم وقتل قائد النجدة وأربعة جنود بجانب عشرة قتلى من القرية و١٤ جريحاً بجراح بالغة وهدم عدة بيوت.

١٤ اغسطس ١٩٥٤: تسللت قوات نظامية يهودية في داخل قطاع غزة ونسفت محطة المياه التى تمد سكان غزة بماء الشرب ودمرت المضخات والمبنى والبئر.

٢٨ فبراير ١٩٥٥: هاجمت قوة كبيرة يهودية وتقدمت داخل قطاع غزة وأعادت نسف محطة المياه ولما حاولت بعض القوات التصدى للقوة المهاجمة اصطدمت بالألغام التى بثتها القوات المهاجمة وقتل في هذا الهجوم ٢٥ جندياً عربياً.

٣١ مايو ١٩٥٥: دخلت قوات نظامية إسرائيلية تدعمها الدبابات أطراف مدينة خان يونس وهاجمت مركز البوليس ومعسكر الكتيبة المتمركزة قرب المدينة ولكن استبسال القوة العربية أجبر اليهود على التراجع.

١٤ اغسطس ١٩٥٤: أعادت القوات اليهودية المصحوبة بالدبابات الهجوم على خان يونس وتصدت لها قوات الحرس الخاص ورغم الفارق فى التسليح استطاعت رد الهجوم.

٢٠ سبتمبر ١٩٥٥: هاجمت قوة يهودية منطقة العوجه المنزوعة السلاح وقبضت على مندوب الأمم المتحدة الكابت سيزلاند السويسرى.

٢٨ اكتوبر ١٩٥٥: توغلت قوات اسرائيلية داخل الأراضي المصرية في منطقة الكونتلا قوامها ٢٠٠٠ جندى وضربت المنطقة بنيران الهاون والرشاشات بمساعدة عدد من الطائرات.

٢ نوفمبر ١٩٥٥: باغتت قوات إسرائيلية تقدر بحوالى ٣٠٠٠ جندى منطقة الصابحة على الحدود المصرية ونشب قتال عنيف مع الحامية المصرية وكانت عملية واسعة والنطاق وتكبد فيها الاسرائيليون خسائر تقدر بنحو ٢٠٠ قتيل وعدد من الأسرى وكميات من الأسلحة.

١٢ ديسمبر ١٩٥٥: هاجم الاسرائيليون شواطئ بحيرة طبريا الشمالية وقتلوا أكثر من خمسين سورياً وأخذوا ٢٨ أسيراً وقد استشهد عدد من العسكريين أمام القوات الاسرائيلية المتفوقة.

٢١ أغسطس ١٩٥٦: اجتازت قوات نظامية من الجيش الاسرائيلى خط الهدنة داخل منطقة جنين وصبت نيرانها على قرية أم الريحان وتصدى لها الحرس الوطنى وأرغمها على الانسحاب.

٢ ابريل ١٩٥٦: دخلت قوات اسرائيلية خط الهدنة في منطقة خان يونس وهاجمت بعض الفلاحين الذين ردوا عليهم بالمثل مما أدى الى مقتل جندى إسرائيلى وجريحين ولم تحدث خسائر في الجانب العربى.

٥ ابريل ١٩٥٦: قامت مدفعية الميدان الاسرائيلى بقصف وسط مدينة غزة الآهله بالسكان ونتج عن ذلك خسائر كبيرة بين المدنيين ٦٠ قتيلاً و٢٧ سيدة و٢٩ رجلا و٤ أطفال و٩٢ جريحاً منهم ٣٢ سيدة و٥٣ رجلاً و٨ أطفال.

١٣ سبتمبر ١٩٥٦: جرى اعتداء يهودى على مخفر شرطة غرندل قرب وادى عربة معزز بالطائرات واستشهد بالحادث خمسة من رجال الشرطة واثنان من الحرس الوطنى وثلاثة من المدنيين وأصيب ثمانية أخرين بجراح وتم نسف المخفر والمدرسة القريبة وأصيب الاسرائيليون بعدة إصابات غير معروفة.

٢٥ سبتمبر ١٩٥٦: شن اليهود هجوماً واسع النطاق على قريتى وادى فوكين وحوسان الأردنيتين وتصدى لهم الحرس الوطنى وتطورت المعركة الى الالتحام بالسلاح الابيض وتكبد اليهود خسائر فادحة وأخذت سيارات الاسعاف اليهودية تنقل الجرحى وجثث القتلى وبعد المعركة عثر على عشر جثث أخرى للاسرائيليين.

١٠ اكتوبر ١٩٥٦: شنت مجموعة من القوات اليهودية مؤلفة من كتيبتين مشاة وكتيبتين محملتين بالسيارات المدرعة هجوماً على الجيش الأردنى والحرس الوطنى قرب قلقيلية وكانت تساند القوة كتيبة مدفعية خفيفة وهاونات ومدفعية ميدان وعشر طائرات نفاثة وتمكنت القوات

العربية من إيقاف الهجوم والقيام بهجوم مضاد وجاءت نجدات الى القوات العربية وبلغت خسائر اليهود أكثر من ستين قتيلا وعدد كبير من الجرحى وخسائر في المصفحات والمدفعية وخسر العرب ٢٥ شهيداً و١٣ جريحاً.

٣١أكتوبر – ١–٢نوفمبر: هجوم على مدينة رفح بمساعدة مدفعية الأسطولين الانجليزى والفرنسى أسفر عن احتلال المدينة والاعتداء على معسكرات اللاجئين ونهب اليهود كل شيئ فلم يتركوا متجراً او سيارة أو أثاثاً او حيوانات أليفة وطيوراً وأبقاراً الا نهبوها حتى طعام أطفال اللاجئين أخذوها ولم يكتفوا بالسرقة بل استباحوا الحرمات وهتكوا الأعراض وبلغ عدد القتلى من اللاجئين اكثر من ٣٠٠.

٢ نوفمبر ١٩٥٦: دخلت القوات الاسرائيلية مدينة العريش وأسرفت في القتل كعادتها وبلغ عدد القتلى أكثر من ٢٥٠ شخصاً.

سؤال وجواب

س : أى الدول في الشرق الأوسط لديها أسلحة نووية؟

جـ : اسرائيل فقط.

س : أى الدول في الشرق الأوسط ترفض التوقيع على معاهدة منع انتشار الاسلحة غير التقليدية وترفض أيضاً دخول المفتشين الدوليين لأرضها؟

جـ : اسرائيل فقط.

س : أى الدول في الشرق الأوسط استولت على أراض لدول أخرى بالقوة المسلحة واستمرت فى احتلالها في تحد لقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن؟

جـ : اسرائيل فقط.

س : أى الدول في الشرق الأوسط دأبت على خرق حدود دولية لاراضى دولة أخرى ذات سيادة وتجاورها مستخدمة في ذلك الطائرات والمدفعية والدبابات؟

جـ : اسرائيل فقط.

س : أى الدول من حلفاء أمريكا في المنطقة اعتادت منذ زمن ولم تزل على إرسال بعثات من مخابراتها الى دول اخرى لاغتيال أعدائها السياسيين؟

جـ : إسرائيل فقط.

س : أى الدول في الشرق الأوسط اعترف فيها علنا قواد عسكريون بأنهم قد أمروا بإعدام أسرى في زمن الحرب؟

جـ : إسرائيل فقط.

س : اى الدول في الشرق الأوسط ترفض أن تحاكم عسكرييها الذين اعترفوا علنا بإعدام أسرى حرب مجردين من السلاح؟

جـ : إسرائيل فقط.

س : أى الدول في الشرق الأوسط كانت سببا في تحويل مواطنين الى لاجئين ورفضت عودتهم الى ديارهم وأراضيهم؟

جـ : إسرائيل فقط.

س : أى الدولة في الشرق الاوسط ترفض أن تدفع تعويضات لأناس صادرت اراضيهم وممتلكاتهم؟

جـ : إسرائيل فقط.

س : أى الدول في الشرق الأوسط اغتيل ممثل هام للأمم المتحدة على أرضها؟

جـ : اسرائيل. (الكونت برنادوت).

س : في أى الدول من الشرق الأوسط أصبح زعيم عصابة إرهابية رئيساً لوزرائها؟

جـ : إسرائيل. (شامير)

س : أى الدول في الشرق الأوسط هاجمت سفينة حربية امريكية في المياه الدولية فأغرقت السفينة وادت الى قتل ٣٣ وجرح ١٧٧ من البحارة الامريكان؟

جـ : اسرائيل. (السفينة ليبرتى).

س : أى الدول في الشرق الاوسط جندت جاسوساً اسمه جوناثان بولاريد ليسرق لها

وثائق سرية من أمريكا ثم قدمت بعضها هدية لروسيا مقابل فتح أبوابه للمهاجرين لليهود؟

جـ : إسرائيل فقط.

س : أي الدول في الشرق الاوسط تجرؤ بالضغط على أمريكا لكى تمنح بولاريد عفواً بعد منحه الجنسية الاسرائيلية؟

جـ : إسرائيل فقط.

س : أى الدول لها أقوى لوبي في الولايات المتحدة ويؤثر في صنع القرار في أمريكا؟

جـ : إسرائيل فقط.

س : أى الدول في العالم ليس لها حدود معروفة ومعترف بها؟

جـ : إسرائيل.

س : من الدولة التى سمحت قوانينها رسمياً بتعذيب الأسرى والمعتقلين للحصول على اعترافاتهم؟

جـ : إسرائيل فقط.

س : أى الدول فى الشرق الأوسط بلغت تحدياتها لقرارات الأمم المتحدة حتى الآن ٦٩ قراراً من قرارات مجلس الأمن غير ٢٩ قراراً آخر ضدها لم يوقفها إلا الفيتو الأمريكى؟

جـ : إسرائيل فقط.

س : أى الدول في الشرق الأوسط تخطط لنسف وإزالة مواقع إسلامية مقدسة وتتحدى ألف مليون مسلم؟

جـ : إسرائيل فقط.

س : من الدولة الوحيدة في العالم التى أنشئت على أنقاض شعب سلبته أرضه بالقوة وطردته من مدنه وقراه؟

جـ : إسرائيل فقط.

الحمائم والصقور
في إسرائيل

في أعقاب حرب سنة ١٩٦٧ بين العرب واسرائيل أخذت تبرز في الصحف ووسائل الاعلام الاسرائيلية كلمتان مستعارتان من عالم الطيور وهما الحمائم والصقور واعتبرت الصحف الاسرائيلية كل زعيم أو مسئول اسرائيلى يفضل اتباع الطرق السلمية والدبلوماسية مع العرب «بالحمامه» وكل زعيم أو قائد عسكرى يعارض سياسة الاعتداء والمرونة ويفضل اللجوء الى الردع العسكرى «بالصقر».

وكان الأمريكان أول من استعمل هذين الاصطلاحين بنفس المعنى مع كوبا وأثناء الحرب في فيتنام.

وبعد أن استولت إسرائيل على كل الأراضى الفلسطينية سنة ١٩٦٧ احتدم الخلاف بين الحمائم والصقور – الحمائم يقولون بإعادة جزء من تلك الأراضى الى العرب مقابل السلام الدائم والصقور يفضلون عدم إعادة شبر واحد من أرض اسرائيل كما أطلقوا عليه. والحقيقة أننا لو أمعنا النظر في فلسفة الصهيونية لوجدنا أن الفرق غير واسع بين الفكرتين وأن الحمائم سرعان ما تتحول الى صقور وأحياناً يتحول ريش الصقور الى ريش حمامة.

إن أساس الفكرة الصهيونية إبقاء جميع أرض فلسطين ضمن السيطرة الاسرائيلية وعدم السماح للفلسطينيين بحق تقرير المصير أو إقامة دولة مستقلة. إن بناء المستوطنات وإنشاءها في كافة الأراضي الفلسطينية وجلب يهود العالم الى اسرائيل هذه الأمور لايختلف فيها أصحاب الفكرتين الحمائم والصقور ولكن الخلاف الذى يظهر ويطفو على السطح في بعض الأحيان إنما في كيفية مواجهة هذه الأمور فالحمائم لهم رأي في نوعية السيطرة الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية تختلف قليلاً عن نظرة الصقور.

الحزبان الكبيران في اسرائيل حزب العمل وتجمع الليكود يمثلان ظاهرياً الحمائم والصقور. فحزب العمل قبل مبدأ الأرض مقابل السلام وهذا ما يرفضه حزب الليكود ويطالب بالسلام مقابل السلام. وأخيراً الأمن مقابل السلام.

الفئتان كما أشرنا يتفقان على تأييد الاستيطان في المناطق المحتلة والفرق فقط في أسلوب التنفيذ – وما تم إضافته من مستوطنات أو توسيع مستوطنات قائمة فى أثناء حكم حزب العمل لايقل على ما تم بناؤه فى زمن الليكود إن لم يزد عليه.

وكذلك إصدار القوانين المتعلقة بالأرض ومصادرتها والبناء وأمن اسرائيل والعقاب الجماعى وهدم البيوت فلا يختلف الأمر بين الحزبين وفى تمثيلية بارعة يحاول حزب العمل الظهور أمام أنظار العالم الخارجي بأنه غير متعنت بينهما حزب الليكود وحلفاؤه يتحدثون بصراحة عن أهدافهم وخططهم وهم بالحقيقة يريدون أخذ كل شيء مقابل لاشيء وكلا الحزبين يصر على استعمال كلمة تقديم تنازلات بدل كلمة انسحاب من الأراضى المحتلة ويطلقون على الأراضي الفلسطينية اصطلاح جملة الأراضي المحررة (أى انسحاب يسمونه إعادة انتشار).

ويجب أن لاننسى أن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تعتبر العمود الفقري لتوجيه وبلورة السياسة الاسرائيلية تجاه الفلسطينيين والعرب سواء كان الحاكم من الصقور أو الحمائم.

إن كافة الإيماءات الاسرائيلية بوجود اختلافات داخل الشعب الاسرائيلي نحو تصور التسوية مع الفلسطينيين والعرب هو بالحقيقة على جانب كبير من التضليل ولافرق بين شيمون بيرز ونتنياهو وبراك في الاتفاق على أهداف إسرائيل القومية وجميعهم يعتبرون الأراضي الفلسطينية اراضى اسرائيلية محررة والجميع يرفضون تقسيم القدس وإعادة الجولان ووقف بناء المستوطنات وفرض القوانين الجائرة على الفلسطينيين.

والحمائم تحاول إضفاء مسحة من التساهل المحدود مقابل المواقف المتشددة للصقور ولكن الحقيقة أن الخلاف حول الأسلوب وليس الهدف أن الصقور والحمائم هما وجهان لعملة واحدة هذه العملة هما الصهيونية بكل ما تمثلة من معايير وأهداف.

وفي محاولة لعقد مقارنة بين حزبى العمل والليكود ننقل فيما يلى بعض أفكار وآراء كل من اليهود براك زعيم حزب العمل وبنيامين نتنياهو زعيم حزب الليكود.

من الأفكار التى يؤمن بها براك:

١- لايجوز أن نسيطر على شعب غريب ولذلك نؤيد اتفاق أوسلو الذى يفصل بين الشعبين الاسرائيلى والفلسطيني.

٢- لايجوز إقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة كاملة في الأراضى العربية المحتلة لأن ذلك يشكل خطراً على وجود إسرائيل.

٣- لايجوز التخلي عن المجتمع اليهودى في مدينة الخليل والأماكن المحيطة بها.

٤- لاتوافق على اقتلاع أية مستوطنة أو أن نتوقف عن بناء مستوطنات جديدة وتوسيع المستوطنات القائمة.

٥- لانستطيع رسم خريطة دقيقة لاسرائيل في الوقت الحالى.

٦- لا حق لعودة اللاجئين الفلسطينيين للأراضي الاسرائيلية او المحتلة.

٧- عرفات والسلطة الفلسطينية تتحمل مسئولية التظاهرات والإضراب وعدم مقاومة الإرهاب بقوة ولم يستطع السيطرة على أفراد الشرطة.

٨- الحل الدائم يجب أن يبقى القدس موحدة وقابلة للتوسع وعاصمة أبدية لاسرائيل.

٩- جميع المستوطنات حتى في الأراضى الفلسطينية يجب أن تبقى تحت السيطرة الاسرائيلية.

١٠- إجراء تنسيق بشأن المياه بشرط ان تبقى مصادرها تحت السيطرة الاسرائيلية.

وهذه بعض الأفكار التى يؤمن بها نتنياهو:

١- عداء العالم العربي لاسرائيل لايزال واسعا للغاية والعرب غير مقتنعين بالسلام الحقيقى مع إسرائيل.

٢- تبقى قدراتنا للوصول الى سلام مع جيراننا قائمة بفضل تفوق قواتنا المسلحة وفى اللحظة التى يختل فيها التوازن العسكرى على الدول العربية سيتحطم كل تقدم سياسى يمكن ان نكون قد حققناه.

٣- السلام وحده لايوفر الأمن لاسرائيل فالقوة العسكرية هى الشرط للسلام وإبراز قوة الردع بوضوح شديد هو وحده الكفيل بالمحافظة على السلام وإقراره.

٤- نتفق مع أوسلو مع مراعاة سياستنا وخطوطنا الأساسية وأوسلو لم تصمم جيداً بالنسبة للبعد الأمنى لاسرائيل وهى حافلة بالثغرات ولايمكن أن يستمر الجانب الاسرائيلي في العطاء والجانب الفلسطيني في الأخذ.

٥- لايمكن قبول الحل السياسى بأى ثمن ومن المحتمل أن لانصل الى سلام حقيقى في عهدنا ونترك ذلك للأبناء وعليهم إيجاد الحلول.

٦- قيام دولة فلسطين يشكل اخطاراً ملموسة بالنسبة لدولة إسرائيل.

٧- ان ما يحمله نتنياهو من شحنات الحقد والكراهية والغدر للفلسطينيين وما يحمله من أدوات القهر والتعذيب والإبادة يطلقها الآن في حملة مسعورة وبمباركة تامة من الولايات المتحدة الأمريكية.

٨- الحل الدائم يجب أن يبقى القدس الموحدة والموسعة عاصمة أبدية لاسرائيل وأن تبقى جميع المستوطنات في الأراضى العربية المحتلة تحت السيطرة الاسرائيلية.

٩- السوريون يرغبون في تحقيق النموذج المصرى وهذا لانقبل به والجولان غير سيناء وتحقيق أمن اسرائيل هو ما يهمنا المحافظة عليه بأى ثمن.

١٠- هناك التهديد الاسلامى الذى يطالب بمواصلة الجهاد وحق العودة وهذا لايخيفنا وانا متفائل بأن اسرائيل تستطيع خلال الأعوام المقبلة ان تزيد من قوتها العسكرية وقوتها الصناعية والاقتصادية وتتحول الى عنصر جبار شديد الأهمية وسوف تصبح إسرائيل خلال ١٥ عاماً من أغنى دول العالم ويتضاعف فيها دخل الفرد مع مضاعفة عدد السكان وستتحول اسرائيل الى مشارك أساسى من الدرجة الأولى في الأسرة الدولية.

والشروط التى يضعها المعتدلون في اسرائيل (الحمائم) للموافقة على إقامة دولة فلسطينية.

١- ان لايكون لها القدرة على إبرام اتفاقيات أو أحلاف عسكرية خصوصاً مع إيران والعراق.

٢- ان لايكون لها الحق بامتلاك أسلحة ثقيلة كالدبابات والطائرات والصواريخ.

٣- أن لايكون لها الحق في امتلاك مجالها الجوى.

٤- أن لايكون لها الحق فى ادخال آلة حفر لضخ المياه وسحبها.

٥- ان لايكون لها الحق في إدخال مليونين من اللاجئين مثلاً.

٦- ان لايكون لها الحق في إقامة صناعة يمكن ان تهدد الصناعة الاسرائيلية.

هل يعنى ذلك الموافقة على إقامة دولة فلسطينية؟

في حوار أجرته الإذاعة البريطانية مع بعض أقطاب حزبى العمل والليكود عن التصور الاسرائيلي للسلام - سألوا يوسى بيلين مهندس اتفاقية أوسلو الأول وأحد الشخصيات الهامة في حزب العمل الاسرائيلي وعضو الكنيست.

أليس صحيحاً أن عمليات الاستيلاء على أراضي العرب واغتصاب بيوت الفلسطينيين واعتقالهم وبناء المستوطنات والاستيلاء على المياه كل ذلك تم في عهد حكومة حزب العمل ولم يخترعه نتنياهو؟ وأكثر من ذلك ألم يتم الاعتداء على المدنيين من النساء والأطفال في جنوب لبنان وهم يحتمون بمبنى الأمم المتحدة فى قانا وتم قتلهم بوحشية بجيش حزب العمل وبقرار من وزير الدفاع في حكومة حزب العمل؟ فأجاب بأن ذلك صحيح وحدث فعلاً وهكذا لا فرق بين الليكود والعمل وكل ما أضافه يوسى بيلين أن سياسة نتنياهو القائمة على مبدأ السلام مقابل السلام تمثل قمة الغباء السياسى.

وأجاب السيد جولدن سفير إسرائيل في الأمم المتحدة ومستشار نتنياهو السابق وهو واحد من أصحاب العقول المقفولة على احلام اسرائيل العظمى إن مطالبة العمال الفلسطينيين بالخروج من غزة كل يوم للعمل داخل إسرائيل غير مقبول ومعقول والأفضل لهم ان يتوقفوا عن هذه المطالبة وكأنه يريد ان يقول إن على الفلسطينيين أن يموتوا جوعاً داخل القفص الذى اسمه غزة الذى يتكدس فيه البشر من الفلسطينيين بلا طعام ولاحقوق ولاأبسط المواثيق المنصوص عليها في بعض الدول.

وأجاب السيد جولدن أيضا يجب أن نعامل الفلسطينيين بحزم وإلا انتزعوا منا البلاد ولا يجب أن نعطيهم شيئا مقابل السلام وأرى انه لن يكون هناك سلام لان كره العرب لنا قوى جداً.

وأجاب بنيامين آلون عن تصوره فقال الضفة لاسرائيل وأن هناك خطأ جسيم يتردد مثل القول بأن السلام هو الذى يحقق الأمن لاسرائيل وهذا غير صحيح.

هذا هو السلام الاسرائيلى كما يفهمه الحمائم والصقور في العمل والليكود في السلطة وفي الشارع.

في تصريح لإسحق رابين أثناء توليه رئاسة الوزارة الاسرائيلية وفي نفس الوقت كان رئيساً لحزب العمل الذى يصنف بأنه حزب المعتدلين أو الحمائم كما يحلو لهم القول:

«إن الهدف الأول والأساسى في سياسة إسرائيل الأمنية هو أن تضمن عدم تغيير نسب القوة العسكرية بيننا وبين القوة العربية الشاملة التى قد تشترك في الحرب لغير مصلحتنا وفي المفهوم العالمى فإن الأمن القومى هو قضية نسبية أما بالنسبة لنا نحن الاسرائيليين فليس الأمن القومى عنصراً نسبياً مطلقاً لان وجودنا المادى بالذات متوقف عليه أى في حالتنا يصبح الفحوى الكامل لعبارة أمن مطلق مطابق لمفهوم الوجود ذاته تماماً».

أما نتنياهو وهو رئيس تجمع الليكود ورئيس وزراء اسرائيل ومن أشد الصقور حماسة قال في حوار له مع صحيفة هاآرتس نشرته مجلة مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.

أجاب على سؤال يتعلق بجدوى استمرار إسرائيل في سياسة الحائط الحديدى منذ الانتفاضة بقوله «إننا نعيش في منطقة الشرق الأوسط في عهد الحوائط الحديدية وتساعدنا هذه الحوائط على كسب بعض الوقت ونأمل أن تشهد المنطقة بعض التغيرات التى تقلل من ارتفاع هذه الحوائط ولكن يتعين علينا من أجل إكمال هذه المسيرة أن نخلق في العالم العربى حالة من التفهم مفادها أنه من العبث التفكير في زوالنا من المنطقة ويجب أن يقتنع العرب بأن اسرائيل ليست بمثابة كيان صليبي مستحدث أو أن مصيرها الى زوال. وأثار أن الحكومات السابقة ارتكبت خطأ جسيماً حينما تصورت ان مقدور السلام أن يوفر لنا الأمن وانا أعتزم تغيير هذا الاتجاه وإذا كانت اتفاقيات السلام تساعد على تحقيق الأمن فالقوة العسكرية هى شرط السلام.

تحقيق الحلم الإسرائيلى بين
حزبى الليكود والعمل

يعتقد بعض الكتاب والمحللين السياسيين أن القرارات الاستراتيجية في إسرائيل يتخذها رئيس الوزراء وحكومته والحقيقة أن الأهداف الاستراتيجية السياسية مخطط لها بأسلوب دقيق محكم لايتغير بتغير الأشخاص أو الحكومات والتغيير الوحيد يحصل في أسلوب التنفيذ واجتهاد كل حكومة أو حزب وطريقة تحقيق تلك الأهداف ضمن إطار الاستراتيجية المخططة والتى تحظى بإجماع النخبة السياسية والأحزاب عليها.

ان ما يقوم به الحزبان الرئيسيان في إسرائيل «الليكود والعمل» من تطبيق تلك السياسات يتبع أولا توزيع الأدوار ومن تصعيد المواقف التفاوضية للحصول على أكبر كمية من التنازلات.

ويمكن تخليص الاستراتيجية الاسرائيلية التفاوضية منذ سنة ١٩٨٥ بالملامح التالية:

١- رفض العودة الى خطوط الرابع من يونيو سنة ١٩٦٧ بالنسبة للضفة والجولان والقدس.

٢- رفض الاعتراف بحق الشعب الفلسطينى في تقرير المصير وإقامة دولة مستقلة

٣- رفض التراجع عن ضم القدس والجولان.

٤- رفض التوقف عن بناء المستوطنات أو إزالة أى جزء منها.

٥- رفض مشاركة دولية أو عقد مؤتمر دولى للسلام في الشرق الأوسط.

٦- وضع حد أدنى متفق عليه لتحقيق الأمن الاسرائيلي.

٧- تأمين مصادر المياه بما يحتاجه التوسع الاسرائيلي واستيعاب المهاجرين الجدد.

٨- محاولة الوصول بالدول العربية الى الاعتراف الكامل بإسرائيل وأن تكون المفاوضات مباشرة مع الأطراف العربية وأن يتبع ذلك إقامة علاقات طبيعية وتعنى التمثيل الدبلوماسى الكامل وفتح الحدود والانفتاح التام فى كافة المجالات وخاصة المجال الاقتصادى باختصار الوصول الى التطبيع الكامل مع العرب.

وكان حزب الليكود (الائتلاف اليمينى) قد أخذ المبادرة فى توزيع الأدوار سنة ١٩٩١ واستجاب لرغبة الولايات المتحدة فى تحقيق تسوية سلمية للصراع العربى الاسرائيلى التى تمر بها الأمة العربية بعد حرب الخليج الثانية على أمل فرض السلام الاسرائيلي – واضطرت منظمة التحرير الفلسطينية للدخول في عملية السلام الأمريكية الاسرائيلية بعد أن خسرت رهانها بهزيمة العراق الساحقة وتوقف الموارد المالية لاستمرار الانتفاضة والتنظيمات الفلسطينية.

وانعقد مؤتمر مدريد في أكتوبر سنة ١٩٩١ واخذ مظهراً شكلياً في مراسم الافتتاح وبعد ذلك بدأت المفاوضات المباشرة وضمنت اسرائيل تأييد الولايات المتحدة وعدم الضغط عليها لتقديم تنازلات فيما يتعلق بالأمور الجوهرية كالحدود والمستوطنات.

واستمرت المفاوضات في اطار صيغة مدريد دون إحراز أى تقدم حيث رفضت اسرائيل الاستجابة لأى مطلب من مطالب الوفد الفلسطيني.

وجاءت حكومة حزب العمل في يونيه ١٩٩٢ وبدأت مبادرة جديدة في توزيع الأدوار بالسماح بالتفاوض المباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية مقابل تنازلات ضخمة قدمتها المنظمة فيما عرب «باتفاق المبادئ» الفلسطيني الإسرائيلى الذى وقعه الجانبان في سبتمبر ١٩٩٣ وجاءت بعد ذلك معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية سنة ١٩٩٤.

وأخيراً جاءت حكومة الليكود برئاسة نتنياهو لتنسف ما تم الاتفاق عليه في أوسلو ١، ٢ وحتى اتفاق الخليل الذى تم بمشاركة أمريكا رفض أيضاً. ويمكن تلخيص سيناريو السلام في ذكر المكاسب والمخاسر التى تحققت.

خسائر الفلسطينيين:

١– تمكنت إسرائيل من احتواء منظمة التحرير الفلسطينية والسيطرة عليها بعد أن قدمت المزيد من التنازلات.

٢– القضاء على الانتفاضة الفلسطينية والحد من كل أشكال الكفاح المسلح الفلسطيني.

٣– ضمان تعاون الشرطة الفلسطينية مع القوات الاسرائيلية في فرض الأمن ومطاردة واعتقال العناصر المناوءة للسلام الفلسطيني الاسرائيلي.

٤- إظهار وإبراز السلطة الفلسطينية وكأنها تقوم بالمشاركة في حفظ الأمن الاسرائيلي وتخفيف الضغط عن القوات الاسرائيلية.

٥- عدم حصول السلطة الفلسطينية على أية صلاحيات حقيقية سواء لمنع الحصار أو مصادرة الأراضي وهدم المنازل والاعتقال والسجن مما أدى الى سوء الحالة الاقتصادية وتفشى البطالة وأعمال القمع الوحشى ضد الفلسطينيين.

٦- عدم السماح بأى تحركات أو زيارات لمناطق الحكم الذاتى الفلسطيني إلا بموافقة الإدارة الاسرائيلية مما حول السلطة الفلسطينية الى موظفين إداريين في ظل سلطة الاحتلال.

٧- السيطرة التامة على كافة المعابر الى الضفة وغزة والدخول اليها بتأشيرات إسرائيلية.

٨- اعادة انتشار القوات المسلحة الاسرائيلية داخل مناطق الحكم الذاتى بعيداً عن الكثافة السكانية وتخفيف الأعباء التى كانت تقوم بها.

وتشير وزيرة الاقتصاد الفلسطيني الدكتورة غائبة مليحس الى الخسائر الاقتصادية الفلسطينية بما يلى:

١- تراجع الناتج المحلى الفلسطيني بنسبة تصل الى ٢٤٪ خلال النصف الأول من عام ١٩٩٦.

٢- تراجع نصيب الفرد الفلسطيني من الناتج المحلى الاجمالى من ١٢٠٠ دولار عام ١٩٩١ الى ٨٠٠ دولار اى ما يعادل ٥٪ من نصيب الفرد الاسرائيلي.

٣- تراجعت قيمة الصادرات الفلسطينية من ٤٠٠ مليون دولار فى المتوسط في مطلع التسعينيات الى اقل من نصف هذا المعدل في عام ١٩٩٦.

٤- انخفضت نسبة التكوين الرأسمالى الفلسطيني من نحو ٣٠٫٤٪ من اجمالى الناتج المحلى عام ١٩٩٠ الى ١٦٫٧٪ عام ١٩٩٥ ثم الى أقل من ٧٪ خلال النصف الأول من سنة ١٩٩٦.

٥- ارتفع معدل البطالة من متوسط ١٨٪ في مطلع التسعينيات الى حوالى ٣٠٪ في الضفة الغربية و٥٠٪ في قطاع غزة والى أكثر من ٧٠٪ في مخيمات اللاجئين خلال النصف الأول من سنة ١٩٩٦.

٦- ارتفع العجز المقدر في الموازنة الحكومية لعام ١٩٩٦ من نحو ٧٥ مليون دولار الى اكثر من ١٩٥ مليون دولار فى موازنة ١٩٩٦.

وهذه الأرقام تبدو واضحة فيما وصلت اليه حالة الاقتصاد بالمعاناة لأفراد الشعب الفلسطيني وفى ظل سياسة الحصار المحكم والإغلاق المستمر للضفة والقطاع الى جانب الممارسات القمعية.

ولاشك أن الخسائر الفلسطينية تنعكس في المقابل الى مكاسب إسرائيلية وفي دراسة أجراها البروفسور إيلى ساجى من جامعة تل ابيب تقول فيها الاحصائيات والأرقام من مصادرها الاسرائيلية الموثقة ان اسرائيل استفادت في الفترة مابين عام ١٩٩٠ الى عام ١٩٩٥ في ظل مناخ السلام وتوقيعها لإعلان المبادئ أوسلو ٢،١ مع الفلسطينيين وايضاً معاهدة السلام مع الأردن كالآتى:

* ارتفع معدل النمو للناتج المحلى الاجمالى من ٣،٨٪ من عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٨٩ الى ٦٪ عام ١٩٩٥.

* ارتفع نصيب الفرد الاسرائيلى الى الناتج المحلى من نحو ١٠،٩٥٠ دون عام ١٩٩٠ الى ١٥،٥٠٠ دولار عام ١٩٩٥.

* انخفضت نسبة الدين الخارجى الاسرائيلى الى الناتج المحلى الإجمالى من ٨٠٪ عام ١٩٨٥ الى حوالى ٢٣٪ عام ١٩٩٥.

* زاد حجم الاستثمار في اسرائيل من ٤،٨ مليار عام ١٩٩٠ الى ١٢ مليار دولار سنة ١٩٩٥ أى حوالى ثلاثة أضعاف وهناك حوالى ٥٠ شركة دولية قد بدأت او في الطريق لأن تبدأ في إقامة مشروعات لها في إسرائيل منذ بدء عملية التسوية السلمية.

* ارتفع حجم الصادرات الاسرائيلية من ١٥،٥مليار دولار عام ١٩٩٠ الى نحو ٢٨ مليار دولار عام ١٩٩٥ نتيجة لحالة الاستقرار المنتظرة وإقبال الدول الأسيوية والافريقية في التعامل مع إسرائيل بعد مقاطعتها تعاطفاً مع العرب.

* انخفضت نسبة الانفاق الإسرائيلي على الأمن الى الناتج المحلى من ١٢٪ عام ١٩٩٠ الى حوالى ٨٪ عام ١٩٩٥ بعد أن كانت قد وصلت عام ١٩٨٥ الى حوالى ١٤٪ ووصلت عام ١٩٧٧ الى ١٧٪ وبلغت عام ١٩٧٥ اكثر من ٢٠٪.

* هبطت نسبة التضخم من نحو ٣٤٪ عام ١٩٨٤-١٩٨٥ الى نحو ٢٪ سنويا في الفترة من ١٩٩٠-١٩٩٥.

* زادت نسبة الهجرة الى إسرائيل خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى اثر توقف الانتفاضة الفلسطينية.

* ويمكن اعتبار هذه المكاسب الإسرائيلية مما يقوى الجانب الاسرائيلي ويضعف الموقف الفلسطيني.

* ونعود الى مبدأ توزيع الأدوار بين الحزبين الرئيسيين في اسرائيل حزب العمل وحزب الليكود وأنهما يعملان في إطار الاستراتيجية الاسرائيلية ليحققا الحلم الاسرائيلى وأن اهم ركائز تحقيق ذلك الحلم هو إضعاف الموقف الفلسطيني الى الحد الأدنى والوصول الى القضاء على الطموحات والآمال الفلسطينية.

الفجوة التكنولوجية بين القوة العسكرية الإسرائيلية والقوة العربية

لاشك أننا نجد دائما أن القوة العسكرية التقليدية الاسرائيلية تحتفظ بصفات معينة وهى الإبقاء على قوة عسكرية صغيرة الحجم نسبيا وتقليص مدة الخدمة العسكرية للأفراد وخفض عدد قوات الاحتياط ولكن بالمقابل يبرز الاهتمام بزيادة عدد القوات المدرعة سواء من ناحية الكم أو النوع وتحسين ذخائر المدفعية والاستمرار في تطوير القوات الجوية بإحلال مقاتلات جديدة بدلا من الطائرات القديمة وإدخال أنظمة تسليح متطورة للقاذفات مثل صاروخ «دليلة – أى – ار» المصمم لضرب أجهزة الرادار وشبكات الدفاع الجوى وقد قاربت الطائرة إف – ١٥ الامريكية لتصبح عصب القوات الجوية الاسرائيلية وهى من أحدث الطائرات الأمريكية وأقواها – واهتمت اسرائيل بشراء طائرات الاستطلاع الامريكية المتقدمة – «اى – ٨– س» والتى يمكنها القيام بأعمال المراقبة والرصد والتتبع لحركات المركبات والهيليوكبتر وإدارة وتوجيه عمليات تصويب الأسلحة الى أهدافها من مسافة تزيد على ٩٣ ميلاً كما تم التوسع في استخدام طائرات الهليوكبتر الهجومية – وبالنسبة للسلاح البحرى بدأت اسرائيل في زيادة عدد الغواصات الحديثة والتوسع في شراء وبناء زوارق الصواريخ من طراز إيلات – ورامات.

أخذت اسرائيل توجه معظم ميزانيتها العسكرية لدعم الصناعات العسكرية والأبحاث ومن الجدير بالمعرفة أن ميزانية إسرائيل العسكرية تزيد عن الميزانيات العسكرية للدول الأربع المحيطة بها مجتمعة.

وتهتم اسرائيل بتطوير برامجها العسكرية الاستراتيجية فالعمل مستمر في برامج الفضاء وقد تم إطلاق القمر الصناعي الاسرائيلي الثالث أوفيك - ٣ وهذا القمر يتمتع بقدرات تكنولوجية متقدمة في مجال التجسس العسكرى وأعمال المراقبة والكشف والتتبع وأجرت إسرائيل أولى تجاربها للجيل الثانى من صاروخها المضاد للصواريخ البلاستيكية والذى يطلق عليه «أرو-٢» وتمتلك إسرائيل صواريخ أرض أرض متقدمة من طراز أريحا-١ واريحا-٢ والذى يصل مداه الى ١٦٥٠ ك.م واريحا-٣ المنتظر إنتاجه قريبا ويتوقع ان يصل مداه الى ٢٧٠٠ ك.م.

ومما تقدم يتضح أن البناء الاسرائيلى في مجال التسليح يرمى إلى إحداث نقلة نوعية بارزة في القوة العسكرية الاسرائيلية على مختلف الأبعاد وترمى الى الوصول الى التفوق المطلق ضد التهديدات الكامنة والمحتملة والمتصورة لدى القيادة الاسرائيلية وهذا يتم بالتعاون الاستراتيجي الوثيق مع الولايات المتحدة الأمريكية حتى تستمر إسرائيل في المحافظة على الفجوة النوعية والكمية التكنولوجية بينها وبين الدول العربية مجتمعة.

لاشك أن اسرائيل تمتلك اسس ومبادئ التكنولوجيا المتقدمة في صناعة الألكترونات الدقيقة وأنظمة الاتصالات ومنظومة القيادة والسيطرة والمعلومات فضلاً عن اشتراكها في برامج الدفاع الاستراتيجي وبرامج تطوير الاسلحة الأمريكية مما أتاح لها التعرف على تكنولوجيا وتقنية حديثة غير ميسرة للدول العربية.

وتقدم إسرائيل في علوم وتكنولوجيا الفضاء جعلها تطلق عدة أقمار صناعية سواء للاتصالات أو المعلومات أو التجسس.

وتنفرد إسرائيل في المنطقة بامتلاكها هذا التقدم والمستوى في تكنولوجيا الفضاء مما حقق لها عمقاً استراتيجيا للإنذار والكشف عن جميع تحركات القوات العربية بالإضافة الى كشف ومتابعة إطلاق صواريخ أرض - أرض من الدول العربية وغير العربية المجاورة.

الفجوة في الأسلحة التقليدية:

إسرائيل لديها اكتفاء ذاتى في إنتاج الأسلحة والذخائر الذكرية والطائرة بدون طيار متعددة الأغراض وإنتاج الصواريخ والدبابات المتطورة «ميركافا-٣» وتقوم بإنتاج معدات

توجيه الطائرات وأجهزة القيادة الحديثة فضلاً عن وجود منظومة متكاملة للدفاعات المضادة للصواريخ.

الفجوة في الاسلحة غير التقليدية:

تقوم إسرائيل بإنتاج الأسلحة النووية والبيولوجية والكيماوية بالاضافة الى امتلاكها للعديد من وسائط الإطلاق سواء بالصواريخ أو الطائرات أو المدفعية متعددة المدى.

ويمكن إضافة مصادر أخرى للتفوق والقوة العسكرية الاسرائيلية وهى الصراعات الداخلية في الدول العربية سواء بسبب الأصولية الدينية أو الخلافات الداخلية أو بسبب النزعات الانفصالية لدى بعض الجماعات المتواجدة داخل بعض الدول العربية.

فتواجه كل من الجزائر ومصر مستويات مختلفة من العنف الذى تمارسه الجماعات الإسلامية ضد النظام الحاكم وضد المخالفين لهم في الرأي.

بينما نجد في حالتى تركيا والسودان والعراق أن العناصر المتمردة تسعى للحصول على الاستقلال الذاتى كحد أدنى أو تطالب بالاستقلال وتكوين دولة مستقلة كحد أقصى. وفي لبنان ورغم انتهاء الحرب الأهلية التى استمرت كصراع عرقى طائفي إلا أن مظاهر الحرب الأهلية لازالت مستمرة في الجنوب اللبنانى وفي الصومال لازال الوضع متوتراً وقابلاً للانفجار وفي المغرب العربى لازالت مشكلة الصحراء والبوليساريو لم تحل للآن وضعف الكثافة السكانية في دول الخليج العربى جعلها تعش في أحضان امريكا وبعيدة عن أى قرار عربى مؤثر.

وتقف أمريكا بكل قوتها ونفوذها ضد تمكين سوريا وإيران حتى باكستان من الحصول على أسلحة أو مواد تمكنها من إنتاج صواريخ حديثة.

أخيرا تمكنت باكستان من انتاج قنبلة ذرية وصواريخ أو قنابل نووية وذلك حتى تبقى اسرائيل منفردة في امتلاك الأسلحة غير التقليدية - وتتبنى الولايات المتحدة في الوقت الراهن الحيلولة دون ان تغير في التوازن الحالى للقوى في منطقة الشرق الأوسط وقد بذلت ولازالت جهوداً مكثفة لدى روسيا وكوريا الشمالية والصين لمنع تزويد إيران وسوريا بما يساعدهما على تطوير تكنولوجيا السلاح غير التقليدى.

وقد عمدت أمريكا الى تعطيل مشروع تطوير الصاروخ «كوندور - ٢» بين مصر والعراق والأرجنتين حتى توقف المشروع نهائيا.

تأثير التسويات على معادلة التوازن الاستراتيجى مع إسرائيل:

أ – تأثير التسوية الفلسطينية / الاسرائيلية.

١– يتيح لإسرائيل بصورة مباشرة أو من خلال السلطة الفلسطينية القضاء على نشاط المقاومة والانتفاضة سواء داخل أو على حدود إسرائيل وهذا يسمح لاسرائيل التفرغ لإعادة تنظيم وبناء قواتها المسلحة.

٢– يعطى لاسرائيل الفرصة والمبرر للتعاون مع الدول الأخرى (خاصة الخليجية والمغرب العربي) مما يوفر لاسرائيل الحصول على معلومات وبيانات استراتيجية وامكانية إثارة القلاقل الداخلية في تلك الدول بحيث تخرجها من معادلات التوازن الاستراتيجي العربي.

ب – تأثير التسوية الإسرائيلية الأردنية.

لقد أدى الاتفاق الأردنى الاسرائيلى الى التعاون بين البلدين في العديد من المجالات وأدى الى توسيع شقة الخلاف الفلسطينى الأردنى والسورى الأردنى وقد أدت هذه التسوية الى خروج الأردن من معادلة التوازن الاستراتيجي العربية في مواجهة إسرائيل وإتاحة الفرصة لإسرائيل للتركيز على الجبهات العربية الأخرى وإتاحة فرص جديدة لأعمال التجسس وجمع المعلومات والمراقبة.

وأدى ايضاً الى تهديد العمق السورى من الناحية الشرقية والى توفير المياه للقوات الاسرائيلية المتمركزة بالقرب من الأردن وتسهيل إمكانيات الإعاشة والشئون الإدارية لإسرائيل.

جـ – تأثير التسوية المصرية الإسرائيلية.

لاشك ان معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية أخرجت اسرائيل من عزلتها وأصبحت حقيقة مؤكدة في قلب العالم العربى وفتحت الباب أمام عشرات الدول وخصوصا الأفريقية للاعتراف بدولة اسرائيل وكسرت طوق المقاطعة الاقتصادية وتقلص الطوق الذى يحيط بدولة إسرائيل بخروج أكبر دولة عربية وأصبح الطريق ممهدا نحو التسوية الاسرائيلية الفلسطينية ثم معاهدة السلام الأردنية الاسرائيلية وهكذا اختل التوازن العسكرى الاستراتيجى كثيراً بين اسرائيل والعرب.

وأدت تلك التسويات بين مصر والأردن والفلسطينيين وإسرائيل الى بدء التقارب

بين اسرائيل وبعض دول الخليج العربى مثل قطر وعمان وأخذت بعض الشركات الاسرائيلية طريقها لإقامة بعض المشاريع في تلك الدول مثل تحلية مياه البحر ومد خطوط البترول – وهكذا أصبح لإسرائيل منفذ اقتصادى هام في السوق الخليجية وأصبح لها ايضاً امكانيات استخبارية في دول الخليج.

ونتيجة لتلك التسويات أصبح الموقف السورى يقف وحده مصطدما بالتعنت الاسرائيلى وتصلب موقفها مدعومة بموافقة من الولايات المتحدة الأمريكية.

وفقدت سوريا أكثر الأوراق التى تدعم وقفها التفاوضى مع اسرائيل ولم يبق بجانبها إلا لبنان والضغوط التى يمارسها حزب الله في الجنوب اللبنانى وبات الموقف السورى وعلى المدى المتوسط غير قادر على فرض أى حل رغم موافقته على قبول معاهدة سلام مع اسرائيل مقابل الأرض.

استطاعت إسرائيل عقد عدة محالفات واتفاقيات استراتيجية مع:

١– مذكرة التعاون العسكرى بين اسرائيل وروسيا المنعقدة سنة ١٩٩٥.

٢– اتفاق التعاون العسكرى التركى الاسرائيلى سنة ١٩٩٦.

٣– اتفاق التعاون العسكرى الأردنى الإسرائيلى وبمساعدة من الولايات المتحدة الأمريكية.

٤– اتفاق التعاون الاستراتيجى العسكرى بين الولايات المتحدة واسرائيل سنة ١٩٩٦.

تطوير العلوم والهندسة في نظم التعليم الاسرائيلية

منذ عام ١٩٦٦ ركزت إسرائيل على تطوير العلوم الهندسية بحيث أتت في مقدمة الدول التى تتميز بمستوى عالٍ للنشاط العلمى، معتقده أن التطور العلمى شرط مهم لتعزيز كيانها باعتباره مفتاح التطور الاقتصادى والقوة العسكرية.

وقد انعكس هذا في أن أربعة عشر من كل ألف يعملون في اسرائيل يحملون درجات علمية في العلوم والهندسة وقد ساعد هذا التطور على قيام اسرائيل بتدريب علمائها في الخارج في بعثات الى الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وهولندا الى جانب هجرة ٣٠٠٠ عالم وفنى من ذوى المهارات العالية ممن لهم خبرة في تكنولوجيا الدفع الصاروخي وعلوم الطيران والهندسة النووية في الولايات المتحدة الى اسرائيل إضافة الى العلماء اليهود الذين هاجروا الى اسرائيل من دول أوروبا الغربية والشرقية وعلى ذلك فإن اسرائيل تمتلك خبرة وذخيرة كافية من المهارات المتمثلة في العلماء والمهندسين والفنيين مكنتها من التفوق في التكنولوجيا والبرامج العسكرية المتقدمة.

وهكذا تمكنت إسرائيل ليس فقط امتلاك السلاح النووى ولكن منظومة كاملة من أسلحة الدمار الشامل وهى تعمل بالاتفاق والتعاون مع الولايات المتحدة على منع الدول العربية والإسلامية من امتلاك الأسلحة المتطورة وعلى رأسها السلاح النووى وتعمل الدولتان الـرسرائيلية والأمريكية على تجريد الأمة العربية من كل عناصر قوتها العسكرية المتطورة.

وتصرح إسرائيل بأنها ستعمل على منع الدول العربية من امتلاك أسلحة نووية حتى لو تطلب ذلك أن تقوم بعملية عسكرية كما حدث حين دمرت المفاعل النووى العراقى سنة ١٩٨١.

لو أخذنا في الاعتبار عدد السكان وأجرينا مقارنة بين العرب مجتمعين واسرائيل سوف نصدم للتفوق الهائل الذى تتمتع به إسرائيل فهى تتفوق بمعدل عشر مرات في الأفراد العلميين وأكثر من ثلاثين مرة في الإنفاق على البحث العلمى والتطوير وأكثر من خمسين مرة في وصلات الإنترنتيت وأكثر من سبعين مرة في النشر العلمى وقرابة ألف مرة في براءات الاختراع هذه القفزة الهائلة في اسرائيل لها دلالات غاية في الأهمية لانها ترشح اسرائيل لدور **القوة الكبرى المهيمنة في المنطقة** وقد استطاعت ان تخترق

القلاع التى كانت يوما ما مؤيدة للحق العربى، فعلاقاتها تنمو باضطراد مع الصين والهند واليابان التى أصبحت أهم شريك اقتصادى لاسرائيل بعد الولايات المتحدة الأمريكية وبدأت مغازلتها لليونان.

وهذا الاختراق جاء نتيجة للتطور العلمي الهائل في إسرائيل الذى أقنع تلك الدول بأن لديها ما تعطيه وما تقدمه من فوائد لهم.

والمصالح لاتعرف المجاملات والعلاقات الوثيقة التى أخذت تنمو بين إسرائيل والدول الأخرى جعلت تلك الدول تغض الطرف عن ممارسات اسرائيل القمعية والوحشية في الأراضى الفلسطينية المحتلة، لأن ما يهم تلك الدول مصالحها الخاصة والمنفعة التى تعود عليها من ارتباطها باسرائيل.

ان الثورة العلمية والتكنولوجية التى تسود العالم اليوم لم تعرفها البشرية من قبل وان ماحدث خلال الثلاثين عاماً الأخيرة يعد أعمق وأخطر من كل التغيرات التى حدثت منذ ظهور الإنسان على الأرض.

أصبحت معدلات النمو في البحث العلمى تتضاعف كل عشر سنوات واصبح عدد العلماء يتضاعف بشكل مذهل وأصبح العالم يواجه اختراعاً جديدا كل دقيقتين.

إن الإصلاح الاقتصادى وحده في البلاد العربية لايحقق النهضة إذا لم يصاحبه تطوير البحث العلمى والتكنولوجيا - لأن البحث العلمى هو الذى يوفر للإصلاح الإقتصادى قدرته على الصمود والتجديد والدخول في حلبة المنافسة العالمية خصوصاً أن المعرفة العلمية تمثل ٨٠٪ من اقتصاديات العالم المتقدم.

من المؤسف أن العالم العربى لايزال يمارس ما يسمى بنقل التكنولوجيا أو استيرادها من الخارج ولم يهتم حتى الآن بالقدرة على تطوير العقل العربى على التفكير والإبداع.

ان تطوير البحث العلمى وإعطاءه الأولوية لايحتمل الانتظار بعد ان اتسعت الهوة والفجوة كثيراً بين العرب وإسرائيل.

البدء في العمل ليس سهلاً ويحتاج الى جهاد طويل وجهد متواصل وامامنا تجارب الصين والهند والباكستان والأرجنتين والبرازيل.

إذا تقاعس العالم العربى الآن والأبواب بدأت تضيق والدول المتقدمة أخذت تحظر نقل التكنولوجيا المتقدمة.

إن كل وزارة في إسرائيل لها مستشار علمى كبير فهل هناك أية وزارة إنتاجية بين الوزارات العربية لها مستشارون علميون؟ وهل هنالك مستشار علمى لأية قيادة في العالم العربى ؟.

إن الشرعية الدولية وعدالة القضية العربية لاتلعب في صراعنا مع الدولة العنصرية الإسرائيلية إلا دوراً شديد الهامشية.

إن القوة الاقتصادية إذا ما تنامت على أسس علمية وصحية سليمة سوف تكون أمضى في التأثير من الأسلحة الأخرى في مواجهة العدو الاسرائيلى ونورد فيما يلى بعض الإحصائيات التى تتعلق بالشرق الأوسط طبقا لتصنيفات صندوق النقد الدولى وتضم إسرائيل وإيران وكل الدول العربية فيما عد شمال أفريقيا.

فى عام ١٩٧٦ بلغ مجموع صادرات الشرق الأوسط ٩٫٢٩٩ مليار دولار أمريكى ووصل في أحدث إحصاء سنة ١٩٩٥ الى ١٥٦٫٦١ مليار دولار.

وكانت سنة ١٩٩٦٧ صادرات إسرائيل ٥٥٥ مليون دولاراً بنسبة ٦٪ وصادرات مصر ٥٦٦ بنسبة ٦٪ وسوريا ١٥٥ مليوناً بنسبة ١٫٧٪ في عام ١٩٩٥ بلغت الصادرات الاسرائيلية ١٩٫٤٦ مليار دولار بنسبة ١٢٫٢٪ من كل المنطقة أما الصادرات المصرية فقد زادت لتصبح ٣٤٤٥ مليون دولار وزادت صادرات سوريا الى ٣٥٦٣ مليون.

أما واردات المنطقة فكانت ٦٢٧٥ مليون دولار في عام ١٩٦٧ وحصة كل من مصر وسوريا واسرائيل ١٢٫٦-٤٫٢-١٢٫٣ على الترتيب أما في عام ١٩٩٦ وبياناته متوافرة على عكس الصادرات فقد استوردت المنطقة ماقيمته ١٥٣٫٧٥ مليار دولار بلغت حصة مصر منها ٨٫٥٪ وسوريا ٣٫٥٪ اما اسرائيل فكانت حصتها ٢٠٫٦٪ اى مايقرب من مثلى حصة مصر وسوريا مجتمعتين.

وقد نجحت إسرائيل في امتلاك قوة ذاتية في مجال إنتاج وتصنيع الأقمار الصناعية المخصصة للاستطلاع الاستراتيجى وعمليات التصنت والاتصالات الهاتفية واللاسلكية وبهذا أصبحت المنظومة الدفاعية الاسرائيلية ترتكز على أربعة عناصر:

١- الأقمار الصناعية للاستطلاع الاستراتيجى والإنذار المبكر.

٢- وحدات التحكم الأرضية المرتبطة بالأقمار الصناعية.

٣- الوسائل الاعتراضية للهجمات الصاروخية بواسطة الصاروخ السهم.

٤- الهجوم المضاد بواسطة الصواريخ الاسرائيلية أريحا ١ - أريحا ٢ - أريحا ٣ القادرة على حمل رؤوس نووية والطائرات البعيدة المدى F16 F15

التحد الحضارى بيننا وبين إسرائيل يرتكز على عدة عوامل:

١- الجانب السياسى وهى الممارسة الحقيقية للديمقراطية ووجود أحزاب فعلية.

٢- الجانب الاقتصادى: قدرة الاقتصاد على إشباع الحاجات الأساسية للجماهير وهو مايسمى التنمية البشرية وتوسيع الفرص والخيارات أمام الناس وليس التنمية لحساب القلة.

٣- التحدى التكنولوجى وهل نستمر ننقل التكنولوجيا من الغير أم نعمل على تخليق التكنولوجيا والاضافة اليها؟.

٤- التحدى الثقافى كيف نتعامل مع الآخرين وإيجاد الثقة بالنفس والقيم لدى المجتمع.

وهل نستطيع مواجهة التحديات المختلفة ونسبة الأمية في الشعب العربى حوالى ٦٠٪ ؟ وهل نستطيع في هذه الحالة أن نكسب المعركة؟.

ترسانة إسرائيل من الأسلحة التقليدية وأسلحة الدمار الشامل

آخر إحصاء نشرته بعض المعاهد المتخصصة من ترسانة الأسلحة الاسرائيلية التقليدية وأسلحة الدمار الشامل صدر آخر عام ١٩٩٧.

الأسلحة التقليدية:

١- يضم سلاح الطيران الإسرائيلى ١٢١٤ طائرة من مختلف الطرازات منها ٧٠٠ طائرة قتال من أحدث طائرات اف - ١٥ - واف - ١٦ بأجيالها المختلفة - بخلاف طائرات الفانتوم والسكاى هوك المطورة والكافير - ١١٦ طائرة هليوكبتر هجومية.

سلاح الدبابات:

يضم ٤٢٠٠ دبابة من طرازات ام - ٦٠ بأجيالها وسنتوريون وميركافا بأجيالها و٨٤٠ مدرعة مختلفة.

سلاح المدفعية:

يضم ٤٦٤٠ قطعة مدفعية ما بين مجنزرة وذاتية الحركة وصاروخية وعديمة الارتداد وهاونات بخلاف ٥٠٠ مدفع صغير.

أسلحة الدمار الشامل:

الكيماوى - البيولوجى - النووى

الكيماوى والبيولوجى

أخذت اسرائيل منذ إنشائها سنة ١٩٤٨ في تحويل الصناعات الكيماوية ذات

الاستخدام المدنى كالأدوية والدهانات والعطور والبلاستيك الى عدد من المجمعات الكيماوية العملاقة لإنتاج المواد الكيماوية الأساسية كحامض الفسفوريك والنيتروجلسرين والكلورات وساهمت الاستثمارات الفرنسية والأميركية في إقامة هذه المجمعات ولم تكن اسرائيل بحاجة الى خبرات علمية بهذا المجال فكان لديها نخبة من العلماء في مجال الكيمياء حتى إن حاييم وايزمن أول رئيس لدولة اسرائيل كان في الأساس عالم كيمياء وقامت إسرائيل بتأهيل العديد من الكوادر العلمية والفنية المتخصصة في المراكز البحثية والجامعات على مدى عدة سنوات مثل مركز التخنيون بكلية الهندسة التطبيقية في حيفا وجامعتى بن غوريون وتل أبيب وكذلك معهد رخبوت الذى يعد أهم المراكز المتخصصة في استخدامات الكيمياء للأغراض العسكرية — وبدأت اسرائيل فى إنتاج الأسلحة الكيماوية منذ أوائل الخمسينات وتقول التقديرات إن المخزون الكيماوى لدى إسرائيل يتراوح حجمه بين ٤٠٠ و٥٠٠ طن من الغازات الحربية كغازات الدم والأعصاب والغازات الخانقة والكاوية وهى معبأة في ألغام وذخائر مدفعية وقنابل.

أما بالنسبة للأسلحة البيولوجية فإن المعامل الاسرائيلية نجحت في استحضار ٨ أنواع من الأسلحة البيولوجية تسبب أمراضاً وبائية فتاكة منها الطاعون والتيفوس والكوليرا والتهاب الأغشية المخية والكلب غير أنه لاتوجد أرقام محدودة بحجم مالدى إسرائيل في مخزون الأسلحة البيولوجى.

أحد الاسرار الخطيرة التى تخفيها إسرائيل
حول أبحاثها الكيماوية والبكترولوجية

جاء في كتاب المنشق الإسرائيلى فكتور اوستروفسكى «الجانب الآخر من الخديعة» وكان احد ضباط الموساد في إسرائيل ثم هرب ويعيش حاليا متخفياً في كندا.

جاء في كتابه عن عمليات مطاردة الفلسطينيين الذى يخترقون الحدود ليقوموا بأعمال تخريبية داخل اسرائيل وكانوا غالبا مايتعرضون للقتل خلال المطاردة إنما كانت هناك حالات يتم فيها القبض على بعضهم أحياء هذا بينما يعلن عن مقتلهم في الإذاعة. وكانوا في الحقيقة يقادون الى موقع قرب مدينة نس زيونا الصغيرة قرب تل أبيب. وكان هذا الموقع في الحقيقة معمل سرى يجرى فيه بعض العلماء اليهود التجارب على هؤلاء الأسرى باعتبارهم **حيوانات تجارب** حيث يتم اختبار بعض

الفيروسات الجديدة والمضادات عليها بما يوفر على الأبحاث الاسرائيلية ملايين الجنيهات.

السلام النووى:

سعت إسرائيل منذ نشأتها الى امتلاك أسلحة ردع نووية وانتهجت كل السبل بمساعدة أمريكا والدول الغربية لتصبح الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط تمتلك السلاح النووى وأن تحول دون أية دولة أخرى في المنطقة من امتلاك سلاح نووى ونذكر هجومها سنة ١٩٨١ على المفاعل العراقى لإجهاض أية محاولة للعراق لامتلاك سلاح نووى.

أنتجت اسرائيل قنبلتها النووية الأولى سنة ١٩٦٦ وانتهجت استراتيجية «الردع بالشك» أى ردع جيرانها عن التفكير في مهاجمتها من خلال شكهم بامتلاكها سلاحاً نووياً.

وعندما أصبح مخزونها من القنابل النووية يغطى كافة الأهداف التى تسعى الى تدميرها في المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط غيرت إسرائيل استراتيجيتها لتصبح «الردع باليقين» أى عن طريق اقتناع القوى الاقليمية المحيطة بها عن التفكير بمهاجمتها أو التعرض لها. واستطاعت إسرائيل ممارسة الابتزار السياسى تحت مظلة الرعب النووى.

والتقديرات تشير أن اسرائيل تمتلك ٢٠٠ قنبلة نووية عيارية أى أن القنبلة الواحدة تعادل قوة القنبلة التى ألقيت على هيروشيما فبلغت قوتها الانفجارية ٢٠ ألف طن.

كيف أنتجت إسرائيل السلاح النووى:

بعد قيام دولة إسرائيل شكلت وزارة الدفاع الاسرائيلى لجنة علمية للدراسات النووية ثم انشأت مؤسسة الطاقة النووية وأوفدت بعثات علمية الى الخارج لدراسة الفيزياء النووية وأنشأت قسما خاصاً لأبحاث النظائر المشعة في معهد رخبوت وفي مطلع ١٩٥٣ وقعت إسرائيل مع فرنسا اتفاقية مشتركة للتعاون الذرى وأعقبتها معاهدة أخرى مع الولايات المتحدة سنة ١٩٥٥ وأتيح للعلماء الاسرائيليين الاطلاع على أسرار صناعة القنبلة الذرية الأمريكية.

وعندما نجح الاسرائيليون في إنتاج الماء الثقيل بطريقة كيماوية بدلاً من الطريقة الكهربائية التي كانت تحتكرها النرويج – وقايضت إسرائيل فرنسا في اتفاقية سرية أبرمت سنة ١٩٥٧ للحصول على مفاعل نووى مقابل تزويدها بتكنولوجيا إنتاج الماء الثقيل. وبدأ إنشاء المفاعل في منطقة ديمونه بصحراء النقب واستمر تطوير المفاعل وأنشأت إسرائيل «مسرعات نووية» وهى وحدات تستخدم لتسريع النيترونات وقصفها داخل المفاعل النووى مكملة للمفاعلات النووية ثم أنشأت معامل أخرى في حيفا ونحال سوريك ومعمل للفيزياء في القدس وكانت اسرائيل تحصل على اليورانيوم من فرنسا وجنوب أفريقيا وفي سنة ١٩٦٦ أنتجت اسرائيل قنبلتها النووية الأولى وفي فترة السبعينيات زادت اسرائيل من قدرة المفاعل في نحال سوريك وكذلك قدرة مفاعل ديمونه وفي التسعينيات لجأت اسرائيل الى الحد من إنتاج القنابل العيارية وأخذت تتوسع في انتاج رؤوس نووية تكتيكية تتيح لاسرائيل ضرب اهداف محددة مجاورة لها أو تجمعات عسكرية دون أن يمتد أثر الضربة اليها.

وقد ساعد حصول إسرائيل على جهاز **السوبر كمبيوتر** من الولايات المتحدة على تصنيع الأسلحة النووية التكتيكية دون إجراء تفجيرات.

وتجمع المعاهد الاستراتيجية الدولية أن اسرائيل تملك أسلحة نووية تجعل منها القوة النووية السادسة في العالم بعد الدول الخمس الكبرى.

وهناك بعض الاختلافات فيما تملكه إسرائيل من السلاح النووى وهو بين ٢٤٨ –٢٧٢ قنبلة نووية عيارية ورغم اختلاف التقدير فإن هناك اتفاقاً في أن اسرائيل لديها أعيرة مختلفة من الأسلحة النووية تبدأ من كيلوطن واحد الى ٢٠ كيلوطن كما أن لها ذخائر نووية يمكن إطلاقها من المدفعيات عيار ١٥٥ مليمتر. وهناك تقديرات تشير الى أن اسرائيل لاتقتصر ترسانتها على الأسلحة الانشطارية وإنما تضم أيضا **قنابل هيدروجينية اندماجية**.

القدرات الصاروخية:

تحتوى ترسانة الصواريخ الإسرائيلية ١٢ منصة و٢٠٠ صاروخاً من طراز لانس الامريكي ويصل مداه الى ١١٠ كم كما تحتوى على ٣٠٠ صاروخاً من طراز أريحا I الذى يبلغ مداه ٥٠٠ كم وأريحا II ويصل مداه الى ١٢٥٠ كم وقامت إسرائيل بتجربة ناجحة لإطلاق صاروخ أريحا II وهو يحمل ألف كيلوجرام أو قوة نووية ٢٠ ك طن.

وتجرى الآن تجارب على صاروخها الفضائى «شافيت» الذى استخدمته في اطلاق أقمارها الصناعية أفق ١-٢-٣ يصبح صاروخا أرض - أرض طويل المدى.

وبخلاف الصواريخ تملك إسرائيل طائرات جديدة من طراز إف ١٥ القادرة على حمل قنابل نووية وتبلغ مداها ثلاثة آلاف كيلومترا دون حاجة الى التزود بالوقود من الجود.

وحصلت إسرائيل على الصواريخ المضادة للصواريخ وهى من نوع الأنظمة الدفاعية وبذلك أصبح في استطاعة اسرائيل ضرب الدول المجاورة وإحباط أى صاروخ بفضل صواريخها المضادة للصواريخ وهذا ما يزيد اختلال التوازن في المنطقة.

وحصلت إسرائيل من الولايات المتحدة على بطاريات صواريخ باتريوت المضادة للصواريخ وعلى التمويل اللازم لإنتاج الصاروخ وجيتس المضاد للصواريخ

ومن المتوقع أن يبدأ إنتاجه خلال السنوات القادمة.

ونعود الى التاريخ لنذكر أن بريطانيا أعطت اسرائيل وعد من لايملك لمن لايستحق. فرنسا أمدتها بالبنية الأساسية لترسانتها النووية وروسيا أمدتها بالعقول البشرية والعلماء والسكان والولايات المتحدة قدمت ولاتزال تقدم الغطاء المادى والسياسى وأسلحتها حتى الأسنان. أمانيا بدأت تزودها بأحدث أنواع الغواصات بعد أن أغرقتها بالتعويضات المادية بحجة التكفير عن مذابح النازى.

أحدث الأسلحة التى تملكها اسرائيل
في ترسانتها العسكرية

تبدأ في مجال الفضاء الخارجي حيث نجحت إسرائيل في اقتحام هذا المجال وأصبحت تملك منظومات تسليح تنفرد بها يمكن تسميتها بالنظام الفضائي المتكامل فهي تستطيع إنتاج وإطلاق الأقمار الصناعية سواء للاتصالات أو أعمال التجسس مع إمكانية السيطرة والتحكم الأرضى في تلك الأقمار الى جانب حصولها على البيانات والمعلومات الخاصة التى تستقبلها في محاطتها الأرضية.

وأصبحت اسرائيل تملك سلسلة أقمار الاستخدام العسكرى من طراز أوفيك والقمر الصناعى عاموس للاتصالات بالاضافة الى قمر الملاحة البرية ودراسة الأرض والطقس. كل ذلك أتاح لاسرائيل مزايا عديدة أهمها الحصول على المعلومات البالغة الدقة والموثقة بالصور الفضائية الى جانب تأمين الاتصالات الخاصة بقيادة القوات الاسرائيلية.

وأخطر ما في هذه الأنظمة المتطورة أنها تتيح الفرصة لتغذية الأسلحة الذكية مثل تلك التى استخدمتها الولايات المتحدة في حرب الخليج حيث تقدم المعلومات الدقيقة عن أهدافها سواء قبل الاطلاق أو أثناء طيرانها نحو أهدافها. وهكذا أصبحت إسرائيل تملك عيوناً ذكية تحدد أهدافها بدقة متناهية. وقامت إسرائيل بتزويد طائراتها طراز إف ١٦ بتلك الأنواع من الصواريخ الذكية.

والشيء الجديد والمخيف أن قدرات اسرائيل الجوية مكنتها من توفير الفرص الملائمة للاشتباك عن بعد مع وسائل الدفاع الجوى المعادية اى بمعنى آخر تستطيع القاذفات والمقاتلات الاسرائيلية أن تطلق أسلحتها ضد أهدافها بلا خوف من رد الفعل وذلك لإنها ستكون خارج مدى أسلحة الدفاع الجوى وتوصلت اسرائيل الى تحويل قنابلها وصواريخها التقليدية الى قنابل وصواريخ ذكية بتزويدها بالمستشعرات المختلفة وخاصة الحرارية.

وتقوم حاليا بإنتاج بعض نظم التسليح الجوى الموجه بالليزر وتقوم كذلك بتطوير طرازات من الطائرات الموجهة بدون طيار تتفق مع المهام المستقبلية سواء كانت للإنذار المبكر أو لتأمين الضربات الجوية او معاونة القوات البرية والبحرية الى جانب اشتراكها في أنظمة الدفاع ضد الصواريخ البالستية.

وأصبحت إسرائيل تمتلك منظومة كاملة من الصواريخ متوسطة وبعيدة المدى القادرة على حمل أسلحة نووية وكيماوية.

وتعمل الآن لإنتاج القنابل الانشطارية والى إنتاج الرؤوس النووية التكتيكية وتمتلك اسرائيل برنامجاً متكاملاً لإنتاج الأسلحة الكيماوية والبيولوجية.

وقامت إسرائيل بتطوير العديد من الأسلحة التقليدية مثل الدبابات وقطع المدفعية وجميع أنواع الذخائر وأجهزة الرؤية سواء النهارية أو الليلية.

وقد تم تصنيف إسرائيل عالمياً على أنها من الدول المتقدمة عالمياً في مجال الصناعات الألكترونية وإنتاج اجهزة الاستطلاع والتصنت للإعاقة والتشويش.

ورغم كل ما تقدم وللحقيقة فإن إسرائيل لم تصل الى ما وصلت اليه من هذا التقدم المذهل وما أصبحت تملكه من قدرات وإمكانيات لكى تحولها الى أسطورة لأننا نعلم أنه لولا الدعم الأمريكى ولولا سماح الولايات المتحدة لاسرائيل بالحصول على كل جديد وكل مبتكر من فكر وتكنولوجيا وحصولها على أدق الأجهزة المتطورة والمعقدة أولا بأول لما استطاعت أن تصل الى ما وصلت اليه الآن.

ملف إسرائيل من أسلحة الدمار الشامل

لايزال مفتوحا

مازال البرنامج النووى الاسرائيلى يحوطه الغموض والسرية وقد دلت الأقمار الصناعية الروسية والفرنسية إن إسرائيل قامت بتطوير مالايقل عن ٢٠٠ رأساً نووياً حربياً تخزنها كخيار أخير في حالة التعرض لخطر الإبادة.

ويقع موقع المفاعل ومصنع معالجة البلاتونيم في الجنوب وبالتحديد في ديمونة بصحراء النقب ومصنع اختبار الأسلحة النووية في الوسط في سوريك - أما موقع التجميع ففى «بوديفات» ويتم تصنيع الأسلحة في بير يعقوب ويتم تخزينها في «عيلبون».

وتوجد قاعدة الصواريخ ووسائل الردع النووى في «كفار زخريا» في تلال يهودا وتتلائم طبيعة المنطقة لإقامة التحصينات تحت الأرض التى تتكون من طبقات من الحجر الجيرى وتكثر فيها الكهوف وبدأت أعمال الإنشاء في هذه المنطقة عام ١٩٧٦ وصارت القاعدة جاهزة بعد عدة سنوات ولاتزال أعمال التطوير والتوسيع مستمرة ويتكون

الجزء القديم من القاعدة من أربعة مباني خرسانية وتؤدى الى تحصينات تحت الأرض تحوى صواريخ أريحا ١ وقنابل الجاذبية التى تحملها الطائرات إف ٤ وإف ١٦ – أما في اتجاه الجنوب الشرقى فإنه تقوم أحدث قاعدة لتخزين صواريخ أريحا ٢ المتطورة وتم انتاجها في أوائل التسعينيات وتحيطها شبكة طرق تؤدى الى خمسين موقعا حصينا تحت الأرض وهذا يفترض أن خمسين صاروخا من أريحا ٢ مخزنة هناك – أما الأسلحة الاستراتيجية فانها توجد فى سفوح تلال يهودا في وسط اسرائيل وهى محاطة بجدار سميك للغاية وبأشجار كثيفة وساحات خضراء حتى وسط الصحراء القاحلة وذلك لإخفاء المنشآت من الطرق المتآخمة – وتتنوع الترسانة الاسرائيلية النووية من قنبلة في شكلها التقليدى المتطور التى يمكن اسقاطها من الطائرات القاذفة وكذلك رؤوس نووية يمكن تركيبها في مقدمات الصواريخ البلاستيكية من طراز اريحا ١، اريحا ٢ بالاضافة الى الدانات النووية التى يمكن اطلاقها من مدافع الهاوتزر البعيدة المدى بالاضافة الى الألغام النووية ويوجد لدى اسرائيل منظومة متكاملة من وسائل الاتصال وأصبح الآن باستطاعة الصاروخ أريحا ٢ المعدل حمل رأس نووية لمسافة ٤٥٠٠ كم.

ملف إسرائيل

أحلام الصهيونية واضاليلها

هذا الكتاب ملف اسرائيل – أحلام الصهيونية وأضاليلها – أصدره المفكر الفرنسى المسلم رجاء جارودى سنة ١٩٨٢ خلال الاجتياح الصهيونى للبنان ومحاصرة بيروت. ولم يجد المؤلف ناشراً واحداً في فرنسا أو أوروبا يقبل طبع الكتاب بتأثير الضغوط التى مارسها الصهاينة على كبريات دور النشر في أوروبا وأخيراً طبعة لبنانى شاب مقيم في باريس باللغة الفرنسية وترجم فيما بعد الى اللغة الإنجليزية.

بدأ جارودى كتابه بقوله **«إنك تستطيع في فرنسا أن توجه الانتقاد الى العقيدة الكاثوليكية أو تهاجم الإلحاد والقومية وإدانة نظام الحكم في شتى أنحاء العالم ولكنك لاتستطيع أن تقترب من تحليل الصهيونية او انتقاد دولة اسرائيل لأنك تخضع حينئذ لمسائلة القانون وللملاحقات القضائية»**.

وقسم جارودى كتابه الى ثلاثة أجزاء:

١ – الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية.

٢- الصهيونية واليهودية.

٣- إسرائيل التوراتيه ودولة إسرائيل الصهيونية.

في الجزء الأول أوضح جارودى الفارق الأساسى بين اتجاه بعض اليهود دينياً الى اقامة مركز ثقافى وروحى لهم في فلسطين دون أن يكون استعمار فلسطين نفسها من أهدافهم وهؤلاء أطلق عليهم الصهيونية الدينية - وبين الصهيونية السياسية التى أسسها هرتسل الملحد الذى عمد الى استغلال الدين اليهودى والاعتماد على التزييفات الكثيرة عبر التاريخ للكتب اليهودية الدينية لكى ينشئ دولة استعمارية صهيونية في فلسطين.

كانت الصهيونية الروحانية بعيدة كل البعد عن أى برنامج سياسى ولم يكن الاتجاه الديني الصوفى يلقى أية معارضة من المسلمين ولم يثر أى خلاف بين الطوائف اليهودية وبين السكان العرب فى فلسطين. ولكن اليهود في نظر اليهودية السياسية هم «أمه» وانهم شعباً واحداً في أى مكان يقطنون ويجب أن يجمعهم وطن واحد وأخذت تخلط بين الدين والقومية. وفسرت الصهيونية السياسية وعد بلفور أن إقامة الوطن القومى معناه إنشاء دولة يهودية في فلسطين وإلغاء كل وجود للسكان الأصليين.

والصهيونية أخذت تسخر الدين لخدمة السياسة وتناهض أى معترض ينتقد السياسة الصهيونية ومن يفعل ذلك يتهم بمعاداة السامية وأخذت تنتقى من التوراة ماتراه مناسباً لتزوير مقاصدها السياسية وتمويهها. ففي الوقت الذى تنفق فيه إسرائيل ٣٠٪ من صافي دخلها وناتجها القومى على جهازها العسكرى تستند الى ما تنتقيه من التوراة لتبرير أمرين الأول التوسع المستمر في الحدود والثانى الطرق التى تتبعها الدولة في التقتيل والارهاب. وفي ظل عدم رسم الحدود تستعين دائماً بالتوراة لاضفاء الشرعية سلفا على أى عدوان مبيت أو لتبرير أى إلحاق أو ضم للأراضى. وقد أضفت إسرائيل القداسة على المذابح التى اقترفتها وتقترفها من أجل ضروريات القضية مثل تدمير المدن والقرى ودك بيروت بالقنابل ومذابح مخيمى صبرا وشاتيلا لتكمله المذابح السابقة في دير ياسين وقبيه وغيرها وقد حاولت الصهيونية بموجب المذكرة التى قدمتها الى مؤتمر السلام العالمى سنة ١٩١٩ أن تثبت ان قيام دولة اسرائيل في فلسطين يتم بموجب الحق الإلهى الذى يعطى الأرض للاسرائيليين لامتلاكها والسيطرة عليها.

وهذا التزيف للتاريخ يفترض أن العبرانيين هم الشاغلون الأوائل لفلسطين بينما فلسطين زخرت بشعوب كثيرة غيرهم قبلهم وبعدهم ولايستطيع اليهود المطالبة بوضع

استثنائى لهم في سياق هذا التاريخ الطويل إلا أن الصهيونية تخضع أحداث الماضى للتلاعب والتحريف المنظمين حينما لايبقى في الكتب المدرسية الاسرائيلية ما يشير الى تاريخ فلسطين سوى الكلمات العابرة أما بقية التاريخ فلا أثر له كما أن شيئا لم يحدث فوق هذه الأرض منذ الألف الثالثة قبل الميلاد حتى مجيء العبرانيين ثم لاشيء أيضاً حتى إنشاء دولة اسرائيل والصهاينة يستكملون ادعاءاتهم لوجهين تاريخيين.

١- حولوا فلسطين الى صحراء تاريخية عدا فترة الوجود العبرى فيها وحولوها كذلك الى أرض بلا شعب.

٢- وبعد طمس الاستمرارية التاريخية للأرض الفلسطينية ابتدعت الصهيونية (تماماً كالمعادين للسامية) تواصلاً عنصريا للشعب اليهودى وأنه رفض الاندماج بالشعوب الاخرى انتظاراً للعودة الى أرض الجدود كما لو أن اليهود الحاليين هم الأحفاد والورثة الطبيعيون لإسرائيل الأزمنة التوراتية.

ونذكر تصريح جولدا مائير سنة ١٩٦٩ بأنه لاوجود للفلسطينيين وليس حقيقياً أننا جئنا لطرد شعب من أرضه لانه لم يكن موجودا أصلاً ومن وجد في تلك الأرض يجب أن يعامل كما عامل المهاجرون الى أمريكا الهنود الحمر.

ويجب أن نذكر أيضا أن تلك الصحراء المزعومة بأرض فلسطين كانت تصدر الحبوب والبرتقال وقد زادت مساحات بساتين البرتقال من سنة ١٩٢٢ الى سنة ١٩٤٢ سبعة أضعاف وإنتاج الخضروات تضاعف عشرات المرات من سنة ١٩٢٢-١٩٣٨ ولو قارنا هذا التقدم في الإنتاج بالمساعدات المذهلة التى تدفقت على اسرائيل من الخارج يتضح عدم حدوث أدنى معجزة إسرائيلية في مجال الإنتاج.

والحقيقة أنه لم يكن للعنصر اليهودى من وجود أصلاً فيما عدا هذيان هتلر والصهيونية لأن اليهود كانوا خلال جميع مراحل التاريخ أحد مركبات الفئات السكانية التى لم تشكل أصولاً عرقية.

إن الأكثرية الساحقة من اليهود الروس والبولانديين ينحدرون من «الخزر» وهم شعب من جنوب آسيا واليهود لم يكونوا سوى قبيلة من العديد من القبائل العربية أو السامية التى استقرت فى غربي آسيا. ونخلص من ذلك أنه لايوجد عنصر يهودي ولا أمة يهودية بل مجرد ديانه يهودية.

والحقوق التاريخية المزعومة التى يرددها الصهاينة لم تحقق لليهود احتلال فلسطين بل يعود الاحتلال الى ثلاثة مواقف جوهرية:

١- وعد بلفور سنة ١٩١٧ ٢- قرار تقسيم فلسطين ١٩٤٧.

٣- الفترة الفاصلة بين قرار التقسيم وانتهاء الانتداب البريطانى في ١٩٤٨/٥/١٥.

حينما استولى الجيش الصهيونى بمساعدة البريطانيين على أراض كانت مخصصة للعرب الفلسطينيين وما تبع ذلك من محاولة تفريغها من السكان عن طريق إرهاب منظم ومذابح بين السكان الفلسطينيين، ومن الخطأ القول إن نشوء دولة اسرائيل قد تم على يد منظمة الأمم المتحدة بل نشوءاً قد قام على سلسلة من الأمر الواقع عبر عنف الهاجانا والأرجون وشتيرن وهكذا اسدل الستار على تمثيلية الحقوق التاريخية والصهيونيون لايملكون من الحقوق التاريخية أكثر مما كان يملكه الصليبيون الذين تم طردهم جميعاً سنة ١٢٩١ ميلادية.

الصهيونية والاستعمار:

إن الصهيونية السياسية المجردة من بهارج الأسطورة التاريخية التى تزعم أنها قامت على أساسها لاتعدو أن تكون في جوهرها ظاهرة استعمارية واختلافها الوحيد عن الاستعمار التقليدى كالانجليزى والفرنسى مثلا إن المقصود هنا ليس استغلال السكان او تصرف منتجات الدولة المستعمرة ونهب المواد الأولية والاستعمار الصهيونى يرمى الى تجريد السكان من الأراضي وطردهم منها واضطرارهم للرحيل او البقاء عاجزين سياسياً بسبب تطبيق التميز العنصرى والشعارات الصهيونية السياسية تنادى أرض يهودية - عمل يهودى - دولة يهودية.

وإذا كان الألمان قد ظلموا اليهود فهل يعقل أن ترتكب مظلمة أخرى بطرد شعب من أرضه بينما هو لم يشترك أبداً في الجريمة الهتلرية ضد اليهود وكان الأحرى أن تقطع قطعة من أمانيا للناجين من المذابح على سبيل التكفير والتعويض.

خرافة الهولوكست:

كلمة هولوكست معناها التضحية الدينية في تقديم القرابين او الأضحيات الى الآلهة. فهل جريمة هتلر ضد اليهود تتسم بهذا المعنى الدين أم هى قضية سياسية

بعيدة المدى واستغلت الصهيونية كلمة هولوكست لكي تصل الى عزل ضحايا اليهود عن بقية ضحايا الحرب العالمية الثانية التى بلغت ٦٠ مليوناً من الرجال والنساء والمدنيين بشكل خاص لقد أبيد ثلاثة ملايين بولونى وستة ملايين سلافى غير محارب فلماذا التفريق بين الضحايا اليهود وغيرهم؟ ولماذا الإصرار دائما على ان اليهود هم وحدهم ضحايا النازية؟ وما شأن العرب لتنتزع أرضهم وتعطى لليهود تعويضا لهم؟.

وهذا شأن الصهيونية السياسية دائما فهى تتمسك بالاستثناء والتفرقة تعزيزاً للفكرة القائلة إن اليهود لايستطيعون العيش في أمان في الشتات (ديا سبورا) ولكن في دولة منفصلة فقط.

أليس العديد من الدول المنفصلة لحقها الاجتياح او الخراب؟ ولكن الغزاة لم ينهبوا أهلها أرضهم وليس صحيحاً أن مشروعات الصهيونية العالمية قد أنقذت اليهود من النازيين بل تم ذلك بفضل انتصارات ستالينجراد والعلمين ولولا ذلك لباتت فلسطين بالدولة اليهودية أو بدونها رهينة الإرهاب النازى.

ونتيجة لترويج الصهيونية العالمية لوهم الاستثناء والتميز أصبحت اسرائيل في عزله داخل منظمة هيئة الأمم المتحدة حيث لم تكن لتتحدى كل شيئ لولا الدعم غير المشروط وغير المحدود من الولايات المتحدة الأمريكية ولذلك تعمد الصهيونية العالمية الى إذكاء معاداة السامية وفي التهويل بالتهديد العربى في الشرق الأوسط وأخذت أمريكا تساندها دائما لتبقى القوة العسكرية المتفوقة على جميع الدول العربية مجتمعة.

خرافة رسالة المستعمرين:

دأب المستعمرن لتبرير كل ما يقومون به من الاستيلاء على أراضي الشعوب الأخرى والتحكم في مقدراتها تارة باسم الدين وأخرى لمساعدة الشعوب المتأخرة على النهوض والارتقاء.

والصهيونية السياسية الاستعمارية تقرأ التوراة وتنتقى منها وتقتطع ما تشاء حيث اختارت ثلاث خرافات رئيسية هى خرافة الشعب المختار والهبة المعطاه لهذا الشعب في أرض كنعان وأخيراً خرافة إسرائيل الكبرى المقتصرة على اليهود. وهذا الاختيار تعتبره الصهيونية السياسية سند ملكية او إرثاً سياسياً حتى انهم يربطون منجزات مملكة داود وسليمان بتدبير كونى من الله.

ولكن الحقيقة أن مجمل سياسة دولة إسرائيل الداخلية والخارجية مستمد من الخاصيتين الأساسيتين للصهيونية السياسية باعتبار هذه الأخيرة ظاهرة استعمارية متخفية في زى عقائدى – إن عنصرية الصهيونية السياسية نظام شديد التماسك تستمد منه إسرائيل تشريعها وتطبيقاتها لكل قوانينها.

وحتى تدافع الصهيونية السياسية عن أهدافها هب هرتسل بضراوة يهاجم اندماج اليهود في مجتمعاتهم وذلك دفاعاً عن الفكرة القائلة بأن اليهود غير قابلين للاندماج بغيرهم وبالتالى يجب عليهم الانعزال من أجل تشكيل دولة منفصلة وكان هرتسل على أتم معرفة بأن اللاسامية ضرورية للصهونية السياسية بغية حمل اليهود على الفرار لاسرائيل اعتماداً على حملات الاضطهاد لتنشيط الهجرة ومن الغريب سماع الدعاية الصهيونية التى تقول إن دولة اسرائيل هى الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط وإن الحرية فيها تصل الى اقصى مداها. ولكن هذه الحرية لا تتوافر داخل المؤسسة اليهودية وهذا ينطوى على تمييز عنصرى كما هو حاصل في جميع الدولة الاستعمارية حيث كان الجنس الأبيض هو الحاكم والمسيطر.

واكثر التميز العنصرى في إسرائيل يتركز في:

١ – الأحوال الشخصية   ٢– قانون العودة

وقد اتخذ قانون العودة لصالح اليهود فقط بحيث يصبح اليهودى القادم من الخارج مواطناً إسرائيلياً حالما تطأ قدمه أرض مطار تل أبيب بينما يجوز اعتبار الفلسطينى المولود في فلسطين من أبوين فلسطينيين متشرداً وترى المؤسسة الصهيونية أن في هذا الأمر لايوجد أى تميز عنصر ضد الفلسطينيين بل هو إجراء لصالح اليهود ومستقبل دولتهم.

وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد أصدرت قراراً سنة ١٩٧٥ باعتبار الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتميز العنصرى ولو تتبعنا قوانين الزواج والجنسية اليهودية فإن سليمان لم يكن يهودياً طبقا للقانون الجارى تطبيقه حاليا في اسرائيل لأن أمه كانت حبشية وكذلك الحال بالنسبة للملك شاول لأن امه كانت كنعانية ويمكن اعتبار الملك داوود أيضا غير يهودى لأن ام جدته كانت مؤابية.

وقد استخدمت إسرائيل قانون الطوارئ الذى أصدره الإنجليز في فلسطين سنة ١٩٤٥ والذى يعطى الحاكم العسكرى بحجة الأمن في تعليق جميع حقوق المواطنين

بما في ذلك حرية الانتقال ويكفى أن يعلق الجيش منطقة ممنوعة لدواعى الأمن أو ما يسمى أمن الدولة حتى يصبح متعذراً على العربى أن يتوجه الى أرضه دون ترخيص وإذا رفض إعطاؤه هذا الترخيص تعتبر الأرض بوراً ويحق حينئذ لوزارة الزراعة أن تضع يدها على الأرض البائرة بغية تأمين زراعتها.

قوانين الاغتصاب:

- جهاز نزع ملكية الفلاحين فى ١٩٤٨/٦/٣٠م.
- القرار بشأن املاك الغائبين في ١٩٥٠/٣/١٤م.
- قانون حيازة الأراضى في ١٩٥٣/٣/١٣م.

بالإضافة الى عشرات الإجراءات الرامية الى إضفاء الشرعية على السرقة بإجبار العرب على ترك أراضيهم لكى تقوم عليها المستوطنات وأدى ذلك الى تدمير القرى العربية بمنازلها ومدافنها وقبورها وفي عام ١٩٧٥ وضع إسرائيل شاحاك الوزير الاسرائيلى قائمة باسماء ٣٨٥ قرية عربية دمرت وسويت للأرض بواسطة البولدوزر من أصل ٤٧٥ قرية كانت عام ١٩٤٨.

وهكذا أصبحت الأرض اليهودية والتى لم تكن تتجاوز ٦٫٥٪ عام ١٩٤٧ اصبحت اليوم تمثل ٩٣٪ من أراضى فلسطين منها ٧٥٪ ملك للدولة و١٤٪ يملكها الصندوق القومى اليهودى.

إن توطين اليهود في فلسطين لايسير بنجاح ملحوظ وذلك بسبب أن الصهيونية السياسية وعدت بتوفير السلامة لليهود في إسرائيل إلا أن هذه الحجة لم تكن أبداً مقنعة بسبب تتابع الحروب وعدم توفر الأمن في الداخل.

وقد عمل الصهاينة على تفجير أعمال العنف ضد اليهود لإجبارهم على الرحيل الى فلسطين وهذا ما حصل مع اليهود العراقيين.

إن تحديد حدود دولة إسرائيل مرفوض حتى الآن حتى تبقى مسألة الحدود مرنه مطاطه وكما قال بن جوريون علينا أن ننشىء دولة ديناماكية تتوجه دائماً نحو التوسع.

إن إثارة البسالة العسكرية الاسرائيلية وما يمتلك الجيش الاسرائيلي حاليا من تجهيزات عسكرية هائلة نجد ان مجموع جنود مصر وسوريا والأردن ولبنان خلال حرب

١٩٤٨ كان أقل من ٢٢ الفاً مقابل ٦٥ ألف جندى اسرائيلى وفكرة الحرب الوقائية كانت دائما تراود النظام الصهيونى ففى سنة ١٩٥٥ أعلن مناحم بيجن في الكنيست الاسرائيلى أن الحرب الوقائية ضد الدول العربية ضرورية لأمن إسرائيل ويجب إطلاقها دون تردد فهى الوسيلة لتحقيق أهدافنا وهى تدمير القدرة العربية وتوسيع أراضينا.

وفي تصريح للوزير الاسرائيلى مردخاى بنتوف سنة ١٩٧٣ جاء ما يلى «كل القصص حول خطر الابادة كانت مخترعة وملفقة ومضخمة بقصد تبرير ضم مناطق عربية جديدة وهذا ما أكده مراراً عزرا وايزمن والجنرال بليد. أن الحجج التى أثيرت لغزو لبنان وتبرير ذلك بمحاولة اغتيال السفير الاسرائيلى في لندن اتخذتها اسرائيل لخوض حرب جديدة وعلى بعد مائتى متر من مقر القيادة الاسرائيلية في بيروت وتحت أنظارها ليلاً قام أعوان المحتل الاسرائيلى بمجزرة جماعية تم فيها ذبح اولىء: الذين كان الزعماء الإسرائيليون يهدفون الى إبادتهم.

الخلاصة:

ليس للدولة اليهودية حينما زرعت أية مشروعية تاريخية ولاتوراتية ولا قانونية كذلك ليس لها أخلاقية في تصرفها بالداخل والخارج فهى عنصرية – توسعية – إرهابية والعقيدة المكونة للصهونية السياسية هى شكل من أشكال العنصرية والعرقية والاستعمار. إن الدولة التى تقوم على سلسلة من أعمال العنف والإرهاب لم تنشأ إلا بموجب قرار غير شرعى من هيئة الأمم المتحدة (المحكومة يومئذ بقوى غربية استعمارية) صادر بفعل ضغوط ورشاوٍ مخجله.

كما أن هذه الدولة لم تعش نتيجة عملها الذاتى وبقوتها النابعة منها بل بواسطة تدفق الأموال والسلاح من الغرب مثل الصليبيين في سالف الزمن.

إن الحل الوحيد الذى يشرف الجميع ويوفر السلامة والأمن للجميع هو قبول الطرفين بجميع قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين ومنذ القرار الأول المتعلق بالتقسيم الذى يعين حدوداً دقيقة للدولتين الاسرائيلية والعربية ويعترف القرار الثانى بدولة إسرائيل ولكن الساسة الإسرائيليين يعرقلون التطبيق لأنه لو تم سوف يجمد المشروع الاسرائيلى الصهيونى القائم على بسط النفوذ والاستمرار في التوسع.

إن تحقيق هذه التسوية السلمية المطفئة لشرارة حرب عالمية ثالثة محتملة هو من مسئوليات المجموعة الدولية ولايحتاج الأمر الى اللجوء الى العنف بل تخفيض

معدل المساعدات المتدفقة على اسرائيل لأن اعتمادها على الخارج في مجالات الاقتصاد والمال والتسلح هو الأساسى.

حينئذ فقط يفتح المجال أمام اندماج هذه الدولة فعلياً بالقارة الآسيوية بعد أن تكون قد كفت عن مسلكها العنصرى الاستعمارى وتحقيق الأمنية التى يتعايش فيها أبناء ملة ابراهيم من يهود ونصارى ومسلمين دونما أية تفرقة عنصرية.

إن اهم ما يجيز كتاب جارودى هو الكم الهائل من الاستشهاد بنصوص ووثائق تدعم أفكاره ويضم الكتاب كمية هائلة من المعلومات ويقول في نهايته إنه مازال عرضا مؤقتاً قابل للمراجعة والتنقيح طبقا لاكتشاف عناصر جديدة، فهنالك أطنان من المحفوظات الالمانية التى تم الاستيلاء عليها ونقلت الى الولايات المتحدة ولم يتم جردها بعد بالكامل وهناك محفوظات أخرى في روسيا بدأت تفتح بعد أن كانت محرمة على الباحثين ومن ثم فمازال هناك عمل ضخم ينبغى القيام به شريطة عدم الخلط بين الأسطورة والتاريخ أو الإدعاء بالوصول الى النتائج قبل البحث كما حاول نوع من الإرهاب الفكرى ان يفرض حتى الآن.

نظـرة

على كتاب نتنياهو مكان تحت الشمس

في كتابه «مكان بين الأمم» أو مكان تحت الشمس يفصح نتنياهو عن الفكر المعاصر الذى يسود المجتمع الإسرائيلى وعن خططه وأهدافه المستقبلية المبينة على حق القوة في النهاية ولاقوة للحق وهي السياسة التى ترسم طريق السلام الذى تنتهجه اسرائيل ويقول أن سلامنا هو سلام الردع سلام القوة اليهودى الى الأبد.

والسلام الذى يقبله نتنياهو هو التسليم التام بوجود إسرائيل دون شروط ووقف التعاظم العسكرى لدى الدول المحيطة بإسرائيل بصفة خاصة وجميع الدول الاسلامية بصفة عامة وقبول اسرائيل في المنطقة بوصفها القوة الأعظم دون تحفظ – دون أية إشارة الى العرب الفلسطينيين وحقوقهم ومصيرهم.

أصدر نتنياهو كتابه سنة ١٩٩٥ قبل انتخابه رئيساً لوزراء إسرائيل وضمنه أيدولوجيته وقناعاته الأساسية وتتركز حول فكرة أن أكثر الدول وليس العرب وحدهم في حالة تآمر تاريخى ومستمر ضد اليهود وإسرائيل وأنه ينبغى التصدى لهذه المؤامرة بكل

الوسائل المتاحة العنيفة والسياسية حتى يكتشف المتآمرون حقيقة وهم أن هناك شعبا فلسطينيا له حقوق في أرض اسرائيل والتي يحددها نتنياهو بالأرض الكائنة على ضفتي نهر الأردن غربية وشرقية على السواء بمعنى انه يعتبر الأردن أرضاً إسرائيلية محتلة من العرب يجب تحريرها.

وفي برنامجه الإنتخابى اعتبر اتفاقيات أوسلو السلمية خيانة للصهيونية واليهود وقاد حركة ضد رابين متهماً إياه بتدمير اسرائيل لاعترافه بمنظمة التحرير الفلسطينية وموافقته على دخول السلطة الفلسطينية الى غزة والضفة الغربية.

وعندما تولى السلطة حاول نتنياهو أن يظهر نفسه بأنه يمثل الوسط بين المتشددين (المتطرفين) والمعتدلين في ائتلافه الحاكم وذلك لكى يجد مبرراً لمراوغته في تنفيذ الاتفاقات المبرمة مع الفلسطينيين واستئناف المفاوضات مع سوريا للجلاء عن الجولان مقابل السلام الكامل وهو يحاول كسب الوقت أمام الضغوط الدولية والعربية وجميع التحليلات التى تجد بعض العذر لنتنياهو على أساس أنه يقع تحت ضغوط شديدة من المتطرفين وأنه يحاول التوفيق بين المتطرفين والمعتدلين هذه تحليلات يجانبها الصواب لأنها تخالف التكوين الفكرى والنفسى والسياسى لنتنياهو والبيئة العنصرية التى نشأ فيها وهو فى الحقيقة من اكثر العناصر المتطرفة في المجتمع الاسرائيلى.

إن نتنياهو يتخذ من «المكراه» ومعناها جملة أساطير صاغها كهان اليهود في تواريخ متباعدة وهي في مجموعها تشكل الأساس الدينى لمجمل التراث اليهودي في التاريخ يتخذها أساساً لتاريخ فلسطين منذ الأزل.

ونتنياهو يروى التاريخ مقلوباً فالعرب هم الذين استلبوا أرض اسرائيل وليس اليهود الذين استلبوا فلسطين. ويقول إن الصراعات والاضطرابات في المنطقة لاعلاقة بها بوجود اسرائيل فهى صراعات عربية عربية.

ويثنى نتنياهو على تصريحات هرتسل التى تتحدث عن الحلم الصهيونى وأن وقود القاطرة الصهيونية يتألف لا محالة من عنصرين:

الأول: إحياء الأسطورة القادرة على بث روح الماضي أو ما يسمى التركيز على الأرض المسكونة بروح الأجداد.

الثاني: عنصر واقعي وعملي يتمثل بالدعم اليهودى العالمى مادياً وسياسياً لتحقيق الحلم.

وتحدث نتنياهو عن نابليون حين وصفه بأنه كان شريكاً بالرغبة في رؤية اليهود عائدين الى وطنهم وعن الساسة البريطانيين الذين أعلنوا عن تأييدهم للنهضة القومية اليهودية ومراكزهم المهمة في الإدارة البريطانية العليا مثل بالمرستون – دزرائيلى – سولبرى – ماتشستر – تشرشل ومن رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية وليم ماكتلى – تيودور روزفلت – وليم بنت – وقد اكتفوا جميعهم بأن خلاص البشرية الروحى لن يتحقق إلا بعد تجميع الشتات اليهودى.

وقال أيضا إن الصهيونية سواء بالنسبة لليهود أو المسيحيين هي: «تحقيق بنوءة تاريخية قديمة».

ويصور نتنياهو حرب ١٩٤٨ كعدوان واقع من خمسة جيوش عربية ضد بلد صغير (إسرائيل) وينسى أن أهم المدن الفلسطينية سقطت بإيدى اليهود قبل ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ وهو تاريخ دخول الجيوش العربية لفلسطين وتلك المدن هى طبريا – صفد – بيسان – سمخ – حيفا – عكا – يافا – أجزاء من القدس – النقب.

والجزء اليهودى المقرر بالتقسيم احتلته القوات اليهودية قبل ١٥ مايو أيضا وكذلك تم تشريد حوالى ٤٠٠ ألف فلسطيني وطردهم من بيوتهم قبل دخول الدول العربية الى فلسطين.

وفي كتابه يظهر للعلن إمكان استخدام أسلحة غير تقليدية فى النزاع العربي – الاسرائيلي وأن اسرائيل تمتلك قوة هائلة وهو لايرى فائدة من إخفاء الخيار النووى.

ويتحدث عن الإرهاب العربي الذى يقتل الزعماء الذين يبرمون صلحاً مع اسرائيل وأن الزعماء الآخرين يخشون مصير الرئيس المصرى أنور السادات والرئيس اللبنانى بشير الجميل.

ويستعرض بكل وقاحة التنازلات التى قدمتها الصهيونية للعرب

– عام ١٩١٩ تنازلت الصهيونية عن حقها في مياه نهر الليطانى!!

– عام ١٩٢٢ سكتت الصهيونية عن اقتطاع ٨٠٪ من اراضى الوطن القومى لمملكة شرقى الأردن.

- عام ١٩٧٩ تنازلت اسرائيل عن صحراء سيناء.

- عام ١٩٨٩ سلمت اسرائيل طابا للمصريين.

ويقول نتنياهو إنه أصبح واضحاً أن المنطلبات القومية لاسرائيل تستوجب استمرار السيطرة على الجدار الواقى المتمثل في الجولان والضفة الغربية وأن قيام دولة فلسطين سيؤدى فى النهاية الى قيام حرب حتمية.

ومن الثوابت التى يؤمن بها نتنياهو - أن تدوم السيطرة الاسرائيلية على مصادر المياه في المناطق المحتلة جميعها.

مراقبة مستمرة تمنع إغراق الضفة والقطاع بالعائدين الفلسطينيين أو طالبى العودة.

إتخاذ إجراءات صارمة بشأن وحدة مدينة القدس وأنها العاصمة الأبدية لاسرائيل وأن ما يجب أن يبقى تحت السيطرة الاسرائيلية - الأمن - الأرض - المياه والدمج بين هذه العناصر بالنسبة لإمكانية الإخلال السكانى بالنسبة للعرب واليهود في اسرائيل وخشية ازدياد الكثافة السكانية العربية فإن نتنياهو لايتورع عن استخدام سلاح الطرد الجماعى للسكان ويبدأ بالمداهمات وتفجير البيوت والاستيلاء على الأرض وطرد السكان منها والتضييق الاقتصادى - ويدعو نتنياهو الى منح قروض لإنشاء أسر يهودية ومساعدة النساء الذين يعانون من صعوبات الإخصاب وتقديم المساعدات المتميزة للعائلات التى تريد زيادة عدد أولادها.

هذه بعض أفكار وأيديولوجيات وقناعات نتنياهو كما وردت في كتابه

«مكان بين الأمم»

الاعتداء الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦
إسرائيل - بريطانيا - فرنسا
وكيف انعكس على الساحة الفلسطينية

صور من الأعمال الوحشية والمذابح التى ارتكبتها القوات الإسرائيلية عندما احتلت قطاع غزة في ١٩٥٦/١٠/٣١.

مدينة رفح: ما إن دخلت طلائع القوات الاسرائيلية مدينة رفح في ١٩٥٦/١٠/٣١ وكان يساندها بعض القوات الفرنسية والإنجليزية حتى بدأت في التنكيل والقتل دون تمييز بين طفل أو امرأة او عجوز ثم جمعت الشباب في فناء المدرسة الحكومية ومدرسة اللاجئين وبدأوا يضربونهم بالهروات فوق رؤوسهم حتى وقع أكثرهم صرعي واعدوا سيارات نقلت الجثث الى منطقة الرمال وأمر الأحياء بحفر القبور الواسعة لدفن الموتى ثم قاموا بقتل الاحياء وفي يوم ١٩٥٦/١١/٣ كانت الجثث تملأ الطرقات والجرحى ينزفون في البيوت وبلغت القسوة بشاويش اسرائيلى أن دخل بيتاً عربياً فقتل طفلين أمام أمهما ولما سئل عن الداعى لذلك أجاب إن زوجته طلبت منه أن يقتل أربعين عربيا فتمكن من قتل ٣٨ وعز عليه أن لايحقق رغبة زوجته فقتل الطفلين.

مدينة غزة: تعرضت يوم ١٩٥٦/١١/٢ الى قصف من الطائرات الفرنسية والاسرائيلية ودخلت القوات الاسرائيلية والدبابات ترفع شعارات الجيش المصرى فظن السكان أن المصريين جاءوا لنجدتهم ولكن ما إن وصلوا وسط المدينة حتى فتحوا الرشاشات فاردوا أكثر من ٣٠٠ شهيد واقتحموا المحلات التجارية ونهبوا ما فيها ثم احتجزوا الرجال وعصبوا عيونهم ونقلوهم بالسيارات وفي يوم ١٩٥٧/٣/٢٤ اكتشفت بالصدفة جثثهم المتآكلة مدفونة خارج غزة - وقد تفنن اليهود فى أساليب التعذيب فكان الرجل يعرى وتربط يداه ورجلاه بالحبال ويطرح على الأرض ثم تطلق الكلاب البوليسية تنهش لحمه وقد أدى نهب المدينة الى أزمة حادة في المواد الغذائية.

ثم أخذ اليهود يقتحمون معسكرات اللاجئين وبدأوا بمعسكر جباليا وأخذوا يطلقون النيران مما أدى الى مقتل مئات.

ولما دخلت القوات الاسرائيلية بيت حانون لم يجدوا إلا بعض الشيوخ فقتلوهم عن آخرهم.

وفي مدينة خان يونس: أخذت سفن الأسطولين البريطانى والفرنسى تقصف المدينة تمهيداً لدخول القوات الاسرائيلية التى بدأت جرائمها بالهجوم على المستشفى وقتل جميع من فيه ثم ساقوا الأطباء وبعض الممرضات الى ساحة المدينة وأردوهم بالرصاص وتركوهم في العراء دون دفن.

ثم بدأوا يجمعون بين خمسة أو عشرة أشخاص ويطلقون عليهم الرصاص دفعة واحدة.

وفي دير البلح اقتحموا عيادة المعسكر وكان يرفع عليها الصليب الأحمر وعلم الأمم المتحدة وجمعوا الممرضات والممرضين وأطلقوا عليهم النار جميعهم.

وفي معسكر النصيرات: دخلت القوات الاسرائيلية بحجة تفتيش المعسكر بحثا عن الأسلحة ولكنهم نهبوا كل ما أمكن حمله ثم اعتقلوا حوالى ٣٠٠ شاب بين موظف ومدرس وتلميذ وعامل ونقلوهم الى السجون ولم يعد الكثير من هؤلاء الى أهلهم.

وفي معسكر البريج: أثناء تفتيش المعسكر جرت عدة محاولات للاعتداء على الأعراض بجانب السلب والنهب وإطلاق النيران العشوائية.

تقرير لجنة التحقيق المنبثقة عن هيئة الامم سنة ١٩٧٦
انتهاك حقوق الانسان في الأراضى الفلسطينية المحتلة

من تقرير قدمته لجنة التحقيق المنبثقة عن هيئة الأمم المتحدة قدم في الدورة ٣١ للجمعية العامة سنة ١٩٧٦ جاء فيه:

لقد دأبت اللجنة الخاصة منذ وضعت تقريرها الأول عام ١٩٧٠ على القول في جميع تقاريرها بأن جذور المشكلة التى تمس حقوق الإنسان لسكان الأرض المحتلة تكمن في السياسة التى تتبعها حكومة إسرائيل بهدف تنفيذ عملية ضم هذه الأراضي وأشارت اللجنة الى الممارسات المباشرة وغير المباشرة وأخطر التدابير المباشرة إنشاء المستعمرات الاسرائيلية وفقا لخطط الحكومة التى كانت أقرت من قبل ونقل المواطنين الاسرائيليين الى هذه المستعمرات ومن أمثلة التدابير غير المباشرة التى اتخذتها الدولة المحتلة لقمع كافة التظاهرات والاحتجاجات ضد الاحتلال بما في ذلك أعمال القمع من قبيل هدم المنازل وحظر تصدير المنتجات الزراعية.

وفى تقرير اللجنة الأول المقدم سنة ١٩٧٠ وبموجب وثائق قدمتها اللجنة في تقريرها الى الجمعية العامة:

١ – تغير الطبيعة القانونية والتشكيل الجغرافى والتركيب السكانى والمعالم المادية والدينية للأرض المحتلة.

٢ – الحالة غير الطبيعية التى يعيش فيها السكان تحت الاحتلال العسكرى وتحت السلاح.

٣– وصف حالة السجون والمعتقلين.

٤– التعليم وما ناله من تدهور وتحريف.

٥– مصادرة الأملاك ونزع ملكيتها.

٦– الاعتقال الجماعى والحجز الإدارى والتعذيب.

٧– التعدى على الحريات والشعائر الدينية والأعراف الخاصة بالأسرة.

٨– إجلاء السكان وترحيلهم وطردهم وتشريدهم ونقلهم وإنكار حقهم في العودة.

٩- الاستغلال غير المشروع للثروات الطبيعية في الأراضى المحتلة.

١٠- نهب الممتلكات الأثرية والثقافية.

إن تطبيق العقوبات الجماعية أدى الى حرمان عشرين ألف فلسطينى من منازلهم التى تم هدمها أو نسفها.

تقرير إسرائيلى يتحدث عن الأوضاع في قطاع غزة صدر سنة ١٩٨٧

عرف التقرير باسم «نبشستى» أعدته مجموعة بحث اسرائيلية ونكتفى هنا بالجانب الاقتصادى من التقرير يقول التقرير من المعروف أن أى احتلال في العالم يحمل الدولة القائمة بالاحتلال عبئاً مالياً هذا اذا كانت تراعي القانون الدولى واتفاقيات جنيف لأن الاحتلال له قوانين يتعامل على أساسها العالم ولكن اسرائيل لاتستنزف من قطاع غزة مصاريف الاحتلال فقط بل إنها فوق ذلك تحقق مكاسب ماليه أيضا.

وأهم العناصر في التقرير المذكور:

- إن اسرائيل تحاصر غزة اقتصادياً ولاتسمح لها بالتجارة ولا الاستثمار ولا النمو فهى تخنق إمكانيات الحياة فيها فيضطر عشرات الألوف من العمال الذهاب الى اسرائيل صباح كل يوم والعودة في المساء حيث يقومون بكل الأعمال الشاقة والمتدنية فتتوفر العمالة الاسرائيلية لما هو أهم ويأخذ العمال العرب أحط الأجور فالبديل الوحيد هو الموت جوعاً فهو أرخص عمل في العالم وليس لهم تأمينات أو علاج.

- إن كل ما يشتريه أهل غزة بما فيهم طبعا هؤلاء العمال وأسرهم التعيسة لابد أن يكون من إنتاج اسرائيل لأنه محظور عليهم الحصول على أى إنتاج آخر وهم يبيعون لهم أقل منتجات اسرائيل قيمة ويحددون ثمنها كما يشاؤون فغزة سوق أسرة لدولة معينة سوق تعدادها أكثر من ثلاثة أرباع مليون.

- إن إنتاج أهل غزة الزراعى اساساً أو من الحرف التقليدية غير مسموح لهم بتصديره إلا من خلال اسرائيل وتستفيد اسرائيل من ذلك الى جانب أنها تعرضه في العالم على أنه إنتاج اسرائيلى كالبرتقال وغيره.

- إن من يريد أن يضع طوبة في مكان ما عليه أن يحصل على ترخيص

والترخيص من الصعب جداً الحصول عليه لأن اسرائيل لاتريد أى نمو لزيادة التكدس البشرى، والترخيص عليه رسوم باهظة.

هذه السياسات أقسى على أهل غزة من طلقات الرصاص وجريمة الاحتلال الاسرائيلى مستمرة لأن اسرائيل تريد خنق شعب بأسره وجعله يموت موتاً بطيئاً.

لاشك أن السياسة اليهودية متمثلة في نتنياهو تحضر لنقض الاتفاق مع الفلسطينيين حتى لو تم عقده وذلك بربط مجموعة من الشروط الأمنية التى تعطه مجالاً واسعاً للتراجع عن الانفاق كما اعتاد بالنسبة للاتفاقات السابقة وهذه الشروط الأمنية هي:

١- القبض على المتهمين فى أعمال عنف وإرهاب ومحاكمتهم وفق قائمة يتم بلورتها مع الجانب الأمريكى.

٢- قيام لجنة أمريكية فلسطينية بمراجعة الخطوات المتخذة لمحاكمة المتهمين الفلسطينيين في أعمال العنف قبل إطلاق سراح أى متهم في هذه القضايا.

٣- وضع خطة بالتعاون مع الجانب الامريكى لمحاربة المنظمات الإرهابية وتدمير بنيتها التحتيه.

٤- قيام لجنة أمريكية فلسطينية للاجتماع دورياً لمراجعة الخطوات المتخذة نحو محاربة الخلايا الإرهابية.

٥- قيام الفلسطينيين بوضع إطار قانونى لتجريم حيازة الأسلحة والذخيرة غير المرخصة.

٦- وضع نظام دقيق ومحكم لجميع الأسلحة غير المرخصة.

٧- اصدار قانون حظر جميع أشكال التحريض على العنف والارهاب.

٨- إنشاء لجنة فلسطينية إسرائيلية أمريكية لمتابعة حالات التحريض المحتملة ورفع توصيات بشأن مواجهتها.

٩- استئاف التعاون الأمنى الثنائي بشكل كامل بين الجانب الاسرائيلى والجانب الفلسطيني.

١٠- انشاء لجنة فلسطينية اسرائيلية أمريكية لتقويم المخاطر الأمنية الحالية والتعامل مع الصعوبات التى تعيق التعاون الأمنى.

١١- قيام الفلسطينيين بتقديم قائمة الى الجانب الاسرائيلي بأسماء أفراد الشرطة الفلسطينية. والحقيقة التى تكشف عنها هذه القائمة الطويلة هى أنها تضع الوضع الأمنى الفلسطينى بكامله في أيدى الاسرائيليين حتى لو غطتها في بعض الاحيان بيد الأمريكيين خاصة أنها موجهة فقط الى الجانب الفلسطينى دون الجانب الاسرائيلى - فالجانب الفلسطينى مطالب بجمع الأسلحة غير المرخصة واصدار تشريعات تحظر تداولها بينما لايطبق هذا على الأسلحة التى فى أيدى المستوطنين الاسرائيليين كما أنهم مطالبون بحظر وتجريم التحريض على العنف ولاينسحب هذا على الجانب الاسرائيلى الذى يزخر بالتحريض على العنف في وسائل الإعلام اليمينية الاسرائيلية بل إن المدارس الاسرائيلية ذاتها فيها كل ما يغرس التعصب والكراهية للعرب.

كيف تخطط إسرائيل لإدارة عمليات التفاوض مع العرب وبصفة خاصة مع الفلسطينيين

النظرية الإسرائيلية للتفاوض مع العرب والتى تأسست على خبرة طويلة بدأت مع مفاوضات الهدنة بعد الصراع المسلح بين اسرائيل والعرب سنة ١٩٤٨ وأعقب ذلك مفاوضات فصل القوات مع مصر سنة ١٩٧٣ وفصل القوات مع سوريا سنة ١٩٧٣ أيضاً ثم مفاوضات كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية سنة ١٩٧٩ وجاء مؤتمر مدريد سنة ١٩٩١ وتوالت المفاوضات الاسرائيلية الفلسطينية ولازالت مستمرة وتم خلال هذه الفترة المفاوضات الاسرائيلية الأردنية وإبرام معاهدة السلام بينهما.

الاستراتيجية الإسرائيلية للتفاوض تمر بمراحل رئيسية:

المرحلة الأولى: وتسمى المرحلة التمهيدية يتم فيها التعرف على نوايا وتوجهات الجانب الآخر ومدى قدرته على إدارة التفاوض وتحمل النتائج والوصول الى قرارات.

المرحلة الثانية: إدارة عملية التفاوض ويشترك فيها عادة أقطاب النخبة الحاكمة والأجهزة المختصة ورئيس لجنة الأمن والشئون الخارجية في الكنيست وترتكز هذه المرحلة على حجم المعلومات التى توافرت وموقف الخصم وموقف الحليف الاستراتيجى لإسرائيل وهو أمريكا.

المرحلة الثالثة: حيث يتم إعداد وفد التفاوض على ضوء وضوح توجهات الخصم ولايخلو أى وفد تفاوضى إسرائيلى في أى نوع من المفاوضات أياً كان موضوعها من احتوائه على خبراء في السياسة والشئون العسكرية والاقتصادية والقانونية وتكون المفاوضات تحت إشراف مباشر من رئيس الوزراء وعادة يضاف الى الوفد الرسمى المفاوض مجموعة استشاريين وخبراء يختارهم مجلس الوزراء لمعاونة الوفد الرسمى

وتقديم المشورة الفنية المتخصصة ومراقبة التزام المفاوض الاسرائيلى بالاستراتيجية المستهدفة من التفاوض - وتهتم إسرائيل اهتماما خاصاً بدراسة شخصية المفاوض الآخر وخصائصه ومدى قوته ونقاط ضعفه ونواياه وأهدافه وأسلوبه في الإقناع أو الإغراء ومدى تصلبه والتزامه بمواقفه.

وتشترك مراكز البحوث والأجهزة العلمية المختلفة بجانب الأجهزة العلمية المختلفة بجانب الأجهزة المعاونة من الدول الحليفة وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية في استكمال تلك الدراسات وتعتمد إسرائيل في اختيار وفد التفاوض على نجاح مراحل التفاوض المختلفة وتعتبر كل خبير اسرائيلي يمثل واجهة حضارية لاسرائيل ومنفذ أمين لاستراتيجية التفاوض وممارسة الحد الأقصى والحد الأدنى لما يمكن قبوله ورفضه ومدى إظهار التشدد والمرونة تجاه الخصم.

وتقوم إسرائيل بالتدريب والتأهيل العلمى للمفاوض أو المستشار أو الخبير الإسرائيلى والذى يشمل حدود الأهداف المراد تحقيقها ومنها اتقان اللغة العربية باعتبارها لغة الخصوم المنتظرة.

وتسمح اسرائيل بالمساندة الكاملة من كل أجهزة الدولة وتطويعها لخدمة وفد التفاوض والسماح لهم بالاطلاع على كافة المستندات والوثائق التى تبرر حسم القضايا التفاوضية لصالح أهداف اسرائيل.

ويأتي خلال مرحلة التفاوض مبدأ توزيع الأدوار وتنوع أساليب تلك الأدوار بين التعنت والقبول وبين الجمود والمرونة بما يتيح القدرة على التلون والتكيف حسب الموقف التفاوضى.

وتهتم إسرائيل بان يكون المفاوض على إلمام مبكر بالقضايا التفاوضية التى سيتم التفاوض بشأنها على كل اتجاه وجعل المفاوض على دراية تامة بالمتغيرات الدولية والإقليمية لتناسب التوقيت الزمنى للتفاوض وتدرس اسرائيل دائما مدى حاجة المفاوض على الجانب الآخر الى السلام والوصول بحلول إيجابية خلال التفاوض وتهتم بجماعات الضغط والتأييد الإقليمي والعالمى وتهتم بإطالة مدة التفاوض لتصل الى إغراق المفاوض الآخر بالتفصيلات وغالبا ما يضم وفد التفاوض الاسرائيلى بعض العسكريين السابقين الذين لديهم إلمام بالنواحى العسكرية.

وفي أى تفاوض مع العرب كان هدف إسرائيل الأساسى الوصول الى اتفاقية

سلام شامل وإقامة علاقات طبيعية وليس مجرد إنهاء حالة الحرب وهذا ما حصل مع المصريين والأردنيين والفلسطينيين.

وفي جميع اللقاءات التفاوضية الاسرائيلية مع العرب وخصوصا مع الفلسطينيين كانت تصر إسرائيل مع مبدأين اساسيين الأول رفض إسرائيل الانسحاب الكامل من الأراضى المحتلة والثانى رفض طلب الفلسطينيين القاطع بالسماح لهم بممارسة حق تقرير المصير – ونذكر هنا أن قوات متعددة الجنسيات معظمها أمريكية تقيم بصفة دائمة في سيناء المصرية بعد انسحاب القوات الاسرائيلية منها ولاتستطيع مصر طلب تلك القوات إلا بموافقة اسرائيل وكذلك استمرت إسرائيل باحتلال بعض الأراضى الأردنية تحت ستار كلمة «تأجير».

وفي جميع مراحل التفاوض وفي مساراته المختلفة وخصوصاً مع الفلسطينيين كانت تعتمد اسرائيل على أسلوب المفاوضات السرية المباشرة كما حصل في أوسلو ١، ٢ بالخروج بعيداً عن جلسات وفود التفاوض التى كانت تعقد في واشنطن كما حصل تماما في مفاوضات كامب ديفيد وأتباع اسلوب اللقاءات السرية.

ودائما يتركز مفهوم المفاوضات الاسرائيلية العربية وخصوصاً الفلسطينيين على مصطلح الأمن كبمرر للتوسع الإقليمى وضمان التفوق العسكرى على العرب ككل – وأخيراً اعتماد عملية التفاوض مع كل طرف عربى من أطراف التسوية على حدة ورفضها الكامل للربط بين الأطراف الأخرى، وهى بذلك تعتمد على استراتيجية الحل المنفرد مع كل دولة عربية لوحدها.

ومن جميع ما تقدم يمكن تلخيص المبادئ والركائز التى تستند إليها الاستراتيجية التفاوضية الاسرائيلية الى الحقائق التالية:

المفهوم الاسرائيلى للسلام مع العرب يعنى:

١– الوصول دائما الى اتفاقيات سلام منفردة مع كل طرف على حده وبالشروط الاسرائيلية.

٢– الاحتفاظ دائما بقدرة فائقة للردع بأسلحة غير تقليدية متمثلة بالأسلحة النووية.

٣– تطوير السلاح الإسرائيلي بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية بما يسمح بالتفوق النوعى للأسلحة التقليدية على العرب مجتمعين.

٤- اعتقاد إسرائيل وأمريكا أن مشاعر العداء بين العرب واسرائيل يمكن أن تزول تدريجيا طالما استمر التفوق الاسرائيلى الساحق اقتصادياً وعسكريا على العرب وهو ما تسعى إليه اسرائيل خلال المفاوضات مع العرب.

٥- الاهتمام البالغ بالتخطيط العلمى ومراكز البحوث والتقدم التكنولوجي بالمساعدة الأمريكية تساند أيضاً المفاوض الاسرائيلى وهذا ما يجعل أى تغير وزارى أو تغير بالاشخاص لايؤثر على استراتيجية التفاوض.

٦- ترمى اسرائيل بالتخطيط البعيد المدى تحقيق أكبر قدر من المصالح القومية والأهداف وفي المقابل نجد الدول العربية تفرض عليها المواقف سواء في الفعل وتوقيته ومكانه أو فى قوة هذا الفعل.

٧- تعتمد إسرائيل على غلبة المصالح الذاتية والقضايا الفرعية للدول العربية والخلافات العربية العربية.

يبتعد العرب دائما عن التخطيط المدروس البعيد المدى الذى يستطيع ان يواجه المخططات الإسرائيلية ويمنع استغلال القدرة العربية ويوجهها الاتجاه الصحيح. وهذا ما تستغله إسرائيل الى أبعد مدى.

أن الترتيبات الأمنية من وجهة النظر الإسرائيلية ترمى بالنسبة لسوريا استمرار احتلال الجولان لتأمين شمال إسرائيل مع حرمان القوات السورية من أية مزايا استراتيجية التى تتيحها مرتفعات الجولان وتأمين المياه من الهضبة السورية والمحافظة على نقاط وثوب في اتجاه سوريا والأردن - وبالنسبة للجبهة اللبنانية ربط الانسحاب من جنوب لبنان بالقضاء التام على الوجود الفلسطينى المسلح والمليشيات المختلفة وإيجاد منطقة منزوعة السلاح بعمق ٤٠ كيلومتراً وتأمين مياه الليطانى والحاصبانى - وفيما يتعلق بالضفة الغربية وغزة يعتبر الحد الأدنى للنوايا الاسرائيلية تجاه تلك القضية من أصعب الأمور لارتباط التنازلات الإسرائيلية بالحل الشامل وتلك التنازلات تتمثل في استمرار الوجود العسكرى الإسرائيلى والوجود الاستيطانى ووجود حزام أمن اسرائيلى حول الكيان الفلسطينى المقترح مع ضم أجزاء متعددة من أراضى الضفة القريبة في مناطق قلقيلية والقدس الشرقية وطول الحدود الأردنية إضافة الى نزع سلاح الضفة الغربية وضمان عدم قيام أية قوة عسكرية للكيان المقترح الذى سيمنح حكما ذاتيا فقط وبقاء حرية المرور والاتصال بالمستوطنات الإسرائيلية بالضفة وغزة والتوسع في تطبيع العلاقات الاقتصادية

الخاصة لصالح إسرائيل - وإبقاء موضوع القدس خارج المفاوضات وعدم طرحه بأى شكل وبقاء القدس عاصمة موحدة لدولة إسرائيل مع منح الأماكن المقدسة الاسلامية والمسحية شكلاً من أشكال الإدارة الذاتية ربما للأردن أو السعودية والفاتيكان.

والمفهوم الاسرائيلى للحكم الذاتى يتركز في ثلاثة اتجاهات:

١- يطبق الحكم الذاتى على السكان فقط ويتولى الفلسطينيون شئونهم المحلية الخاصة بهم وتبقى الأراضى تحت سيطرة جيش الدفاع الإسرائيلى.

٢- تشكيل إدارة إسرائيلية فلسطينية لشئون المياه والهجرة والجمارك.

٣- الضمانات الدولية التى تتمسك بها إسرائيل فيما إذا تم التوصل الى نتائج مع الأطراف العربية هو وجود قوات دولية على الحدود الجديدة التى ستنسحب إليها القوات الإسرائيلية بهدف مراقبة المناطق المنزوعة السلاح وعدم انفراد أى طرف بمفرده حق سحب تلك القوات كما حصل مع مصر في اتفاقيات سيناء.

٤- إقامة محطات إنذار محايدة (أمريكية أساساً) في المناطق التى يتم الانسحاب منها لتوفير سرعة الإنذار ضد أى هجوم عربى.

خمسون سنة لذكرى نكبة فلسطين

وإنشاء دولة إسرائيل

بعد مرور خمسين عاما من إنشاء دولة إسرائيل يأتى السؤال الهام هل توقف المشروع اليهودى وتحققت احلام الصهيونية العالمية؟ وهل توقف الهدف الاسرائيلى عند هذا الحد؟.

لو رجعنا الى أرض الواقع لرأينا أن المشروع الصهيونى كما تريده الصهيونية العالمية لم يكتمل بعد وأن حلم إسرائيل الكبرى لايزال يحتل الموقع الأول في أهداف الصهيونية ويعنى ذلك الاستيلاء على بقية الأرض الفلسطينية وتهويد القدس ورفض الجلاء الكامل عن الجولان السورى والتضييق الخانق على الشعب الفلسطينى لكى يرحل عن مدنه وقراه في الضفة وغزة وتسير خطى هذا الهدف بخط ثابت منذ أن استولت إسرائيل على الضفة والقطاع.

ومن الواضح أن الأنظمة العربية التى وقعت اتفاقيات سلام مع اسرائيل:

١- كامب دفيد ١٩٧٨-١٩٧٩ قد التزمت بجانب اعترافها الكامل بالكيان الصهيونى كدولة تعهدت ضمناً بالامتناع عن أى عمل لتحرير فلسطين أو تقديم مساعدة حقيقية للشعب الفلسطينى وتعهده كذلك بالمحافظة على أمن اسرائيل.

٢- اتفاقات أوسلو ١ سنة ١٩٩٣ وأوسلو ٢ سنة ١٩٩٤ بين الفلسطينيين وإسرائيل

٣- ثم اتفاقية السلام الأردنية الاسرائيلية في وادى عربة (العقبة) سنة ١٩٩٤

وبالإضافة لهذه الاتفاقيات التى فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية على الأطراف العربية تقوم أمريكا اليوم بتجاوز البلاد المحيطة بإسرائيل وتضغط وتضرب دولا عربية أخرى أو إسلامية مثل العراق وليبيا وإيران ومرشحة الآن باكستان.

لماذا وقعت نكبة فلسطين منذ خمسين عاماً وهل كان من المحتم قيام دولة إسرائيل وطرد الشعب الفلسطينى من أرضه؟

يقول اليهود إن اسرائيل قامت لأن الشعب اليهودى عاد الى وطنه الأم بعد أن تفرق في الشتات لأكثر من ألفى عام.

والعرب يقولون إن قيام دولة إسرائيل كان نتيجة مؤامرة سياسية اتفق فيها الصهاينة مع القوى الاستعمارية مما أدى الى نجاح المخططات الاستعمارية والصهيونية وأمكن قيام دولة اسرائيل.

ويقول الأستاذ أحمد بهاء الدين السياسى القومى المصرى

«إن الصدام الذى وقع على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ وما قبلها وما بعدها لم يقع بين عدة آلاف من الجنوب العرب والاسرائيليين إنما كان الصدام بين أوروبا بقوتها الحضارية والمادية وسلطتها السياسية من جهة وبين العرب بنظمهم المفككة الإقطاعية وتخلفهم الحضارى من جهة أخرى».

«كانت الصهيونية باختصار شديد تمثل الغرب بكل قوته ومعرفته العلمية والحضارية بينما كان الشعب العربى مختنقاً من الاستعمار الغربى ومن الأذناب المحليين ومن مماليك القرن العشرين فى صورة جديدة»

كانت المواجهة بين المجتمع العربى بأبنيته الاقتصادية المتواضعة وابنيته الاجتماعية والثقافية المتخلفة وبين قوى تمتلك خبرات الحضارة الأوربية المتقدمة في التخطيط والتنظيم وتهيئة البيئة الدولية.

هل كان ارتباط الشعب الفلسطينى التاريخى بأرضه يمكنه أن يواجه تلك القوى والتصدى لها ويحول دون تحقيق أهدافها؟

منذ ١٨٩٧ بدأت المنظمات الصهيونية بمساعدة الدول الاستعمارية تعمل لتحقيق هدف إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين فأخذت تنشىء مؤسسات شراء الأراضى متسلحة بالأموال الضخمة وبناء المستوطنات بطرق وأماكن محكمة وأنشأت المؤسسات العسكرية لحماية المهاجرين الجدد – ومع بدء الانتداب البريطانى بدأت الأموال والخبرة الصناعية تتدفق على فلسطين بتشجيع من حكومة الانتداب وبعد أن كانت رؤوس الأموال العربية عام ١٩٢٨ تمتلك ٦٥ ٪ من المؤسسات الصناعية انخفضت النسبة الى ٢٩ ٪ سنة ١٩٣٩ لصالح الصناعة اليهودية المدعمة. وشملت الصناعة اليهودية ٨٠ فرعاً مختلفاً حين اقتصرت الصناعة الفلسطينية على ١٩ فرعاً فقط.

وفي سنوات الأربعينيات كان في فلسطين ٤٩ ألف عامل صناعى يهودى مقابل ٩ آلاف عامل صناعى عربى.

واخذت المعاهد والمؤسسات التعليمية والصناعية تنشأ وأهمها معهد وايزمن سنة ١٩٣٤ وبدأت الصحافة اليهودية تزهر وبلغ عدد الصحف سنة ١٩٤٨– ١٩ صحيفة.

والواقع أن إعلان دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨ كان عبارة عن اللمسات الأخيرة لإنشاء تلك الدولة. وعدد الجيوش العربية التى دخلت فلسطين سنة ١٩٤٨ كان أقل من ربع عدد القوات الاسرائيلية المواجهة له والتى كانت تمتاز بقوة العتاد والتنظيم والدعم الخارجى. ولعب الدور البريطانى دوراً هاماً في إنشاء الدولة اليهودية بوضع العقبات وسن القوانين أمام أى تقدم للشعب الفلسطينى.

هل كان بإمكان الشعب الفلسطيني أن يقيم دولة تقف بالتوازى مع الدولة اليهودية بكل المقومات التى أشرنا إليها – وهل كان الكيان السياسى الفلسطينى قادر على مجابهة الخطط الصهيونية المدعمة من حكومة الانتداب البريطانية.

وعندما أعلنت حكومة عموم فلسطين في أواخر سنة ١٩٤٨ رفضت هيئة الأمم الاعتراف بها دولياً – حتى الدول العربية رفضت دعمها والوقوف بجانبها.

وقد ساعد تخلف الوعى السياسى الفلسطينى والتنافس الحزبى وإنشاء أحزاب سياسية متباعدة في أهدافها مما أدى الى عدم وقوف القوى الفلسطينية صفا واحدا أمام الكارثة المرتقبة.

كانت روح المقاومة ثابتة وموجودة لدى جماهير الشعب الفلسطيني والإصرار عل الثورات وتقديم التضحيات جسدتها الانتفاضات المتتالية ولكن معظم القيادات في أصعب لحظات التحدى عجزت عن تجاوز خلافاتها وكذلك وقوف أكثر الدول العربية موقف المتفرج ووضع العقبات وعدم مساندة الشعب الفلسطينى أدى الى نكبة فلسطين.

بمناسبة الاحتفال بقيام دولة اسرائيل ومرور ٥٠ عاماً على إنشائها عرض التلفزيون الاسرائيلى عدة برامج تسجيلية ولأول مرة يظهر بها الجانب الخفى من قيام هذه الدولة ولم يقدم كعادته الأساطير والبطولات للرواد الأوائل وإنما عرض وقائع اقتلاع وطرد الشعب الفلسطينى من أرضه ويتعاطف مع معاناة الفلسطنيين ومنتجو هذه التسجيلات وهم فريق من الأكاديميين المتخصصين أقروا أنهم حاولوا تقديم الوقائع بموضوعية بمعنى أنهم قدموا الأحداث الحقيقية التى ربما تهز الإسرائيليين الذين تربوا على

حواديت تبرر الفظائع التى ارتكبت بحق الفلسطينيين. فإنشاء دولة إسرائيل يمثل عدالة لليهود ولكنها عدالة مقرونة بظلم بشع لحق الفلسطينيين.

ويقول بعض المؤرخين اليهود إن إسرائيل بعد أن بلغت نضجا يسمح لها بمواجهة الزيف الذى سبق أن أسبغته على وقائع تحقيقها للمشروع الصهيونى لم تعد تخشى إظهار بعض الحقائق عن دور المليشيات الصهيونية قبل قيام الدولة وما قامت به من مذابح واقتلاع الفلسطينيين من مئات القرى.

هل هى صحوة ضمير؟.

ملاحظة على هامش احتفال اليهود بالعيد الخمسين على إنشاء دولة إسرائيل يحاول الفكر العربى ان يبنى تحليلاته وأفكاره بالاستناد الى كلمة «المؤامرة» أى أن جميع ما أصابنا من تخلف وهزيمة طيلة خمسين عاما يعود الى مؤامرة حاكتها الدول الاستعمارية بالاتفاق مع الصهيونية العالمية - وأن الأنظمة العربية الحاكمة وجماهير الأمة العربية لم يكن باستطاعتها أن تفعل شيئا أمام تلك المؤامرة الدولية. وتحت هذا الشعار أخذت الأنظمة العربية تتنصل من مسئولياتها وغابت الديمقراطية وحقوق الانسان وتخلفت التنمية وتقهقر الاقتصاد وضعف المجتمع العربى ولم يستطع اللحاق بأسباب التقدم - وهكذا أقنعنا أنفسنا بأننا ضحايا تلك المؤامرة.

أخذت عدة دول وشعوب مختلفة كانت أقل تحضراً من الشعوب العربية تقترب من الغرب وتحاول اللحاق جدياً بركب الحضارة.

ونحن نقف على حافة الطريق ونكتفى بالصراخ من الذئب الذى لن يستطيع اقتحامنا لو استطعنا أن نجعل أسوارنا تعلو يوما بعد يوم عندما تتبين الشعوب العربية مدى القوى الكامنة لديها وتقوم بالعمل الجاد ويمتلك المواطن العربى عقله وحريته وينتصر العمل المثمر على الحوار الأجوف وأن الحق ليس له قيمة بدون القوة - وأن لا قوة بدون التقدم العلمى والحرية الفكرية عندئذ يبدأ المسار الحقيقى للتخلص من فكرة المؤامرة.

التوزيع الكلى للفلسطينيين اللاجئين وغير اللاجئين

إحصاء سنة ١٩٩٨

يظهر الإحصاء أدناه أن عدد اللاجئين الفلسطينيين بلغ خمسة ملايين لاجىء موزعين في جميع أنحاء العالم المختلفة بمن فيهم أولئك الذين يعيشون تحت سيادة السلطة الفلسطينية وأولئك الذين يعيشون تحت الحكم الاسرائيلى في أراضى سنة ١٩٤٨ بعد أن تم تهجيرهم داخلياً وانتزاعهم من أراضيهم وبيوتهم الأصلية.

ورغم مرور أكثر من خمسين عاما على الكارثة الفلسطينية فإن آمال الشعب الفلسطيني وتطلعاته تلح باستعادة دياره وأملاكه وحصوله على حقوقه واستقلاله.

ورغم استمرار هذه المأساة الإنسانية فلايزال الفلسطينى أينما وجد يحلم بالعودة الى وطنه وبلده وأرض أجداده منذ مئات السنين.

صراعنا مع إسرائيل بدأ بالأرض واستمر الصراع حول الأرض وسيبقى صراعنا حول امر واحد لاغير وهو الأرض وكل ماتبقى تفاصيل لا أهمية لها.

التوزيع الكلى للفلسطينيين اللاجئين وغير اللاجئين ١٩٩٨		
مكان اللاجئين	التعداد الكلى	عدد اللاجئين من التعداد الكلى
اسرائيل	٩٥٣٫٤٩٧	٢٠٠٫٠٠٠
قطاع غزة	١٫٠٠٤٫٤٩٨	٧٦٦٫١٢٤
الضفة الغربية	١٫٥٩٦٫٥٥٤	٦٥٢٫٨٥٥
الأردن	٢٫٣٢٨٫٣٠٨	١٫٧٤١٫٧٩٦
لبنان	٤٣٠٫١٨٣	٤٠٨٫٠٠٨
سورية	٤٦٥٫٦٦٢	٤٤٤٫٩٢١
مصر	٤٧٫٧٨٤	٤٠٫٤٦٨
السعودية	٢٧٤٫٧٦٢	٢٧٤٫٧٦٢
الكويت	٣٧٫٦٩٦	٣٤٫٣٧٠
دول خليجية أخرى	١٠٥٫٥٧٨	١٠٥٫٥٧٨
العراق – ليبيا	٧٤٫٢٨٤	٧٤٫٢٨٤
دول عربية أخرى	٥٫٥٤٤	٥٫٥٤٤
الأمريكتان	٢٠٣٫٥٨٨	١٧٣٫٠٥٠
دول أخرى	٢٥٩٫٢٤٨	٢٢٠٫٣٦١
المجموع الكلى	٧٫٧٨٨٫١٨٦	٤٫٩٤٢٫١٢١

الفصل الثالث

القدس – المقدسات الإسلامية في فلسطين – الإجراءات الإسرائيلية لتهويد مدينة القدس

مأساة القدس ألهمت الشاعر
الأبيات التالية

يــا قــدسُ مــا مــرت عــلــيّ ســحــابــةٌ
إلا وقــلــت لــهــا بــقــلــب مــكــلــم
بــالله مُــرّي يــا ســحــابــة فــوقــهــا
وعــلــى ربــاهــا يــا ســحــابــة سلّــمــي
أبــعــدتُ عــنــكِ وفــي الــفــؤادِ مــرارةٌ
والــعــيــن كــادت مــن فــراقــك تــنــعــمــي
والــعــيــن بــعــدك لاتــرى الــدنــيــا ســوى
لــيــلٍ عــبــوس فــي نــهــار مــظــلــم

يا قدس يا مدينة الأحزان
يا دمعة كبيرة تجول في الأجفان
من يوقف العدوان
عليك يا لؤلؤة الأديان
من يغسل الدماء عن حجارة الجدران
من ينقذ الإنجيل
من ينقذ القرآن
من ينقذ المسيح ممن قتلوا المسيح
من ينقذ الإنسان

بمناسبة زيارة ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير سعود بن عبد العزيز (الملك سعود لاحقا) سنة ١٩٣٤ لفلسطين خاطبه الشاعرَ قائلا:

المسجد الأقصى أجئتَ تزورهُ   أم جئتَ من قبلِ الضياع تودعه

بيت المقدس

مدينة القدس

قال الله سبحانه وتعالى:

«سبحان الذى اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير»(١)

صدق الله العظيم

وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

«لاتشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى»

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال «البيت المقدس بنته الانبياء وسكنه الانبياء ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه بنى أو أقام فيه ملك.

مقدمة:

ستظل القدس هي التحدي الأكبر الذى يواجه الأمم العربية والشعوب الإسلامية، فبقدر المحافظة على عروبة القدس يكون حجم الإرادة العربية وهى ما تفتقر إليه الآن، ومادامت أمتنا العربية تعتمد على الإدانة والاحتجاج والشجب وعقد المؤتمرات واتخاذ القرارات والتمسح بالمؤسسات الدولية وهى ما دأبت عليه منذ بداية المأساة الفلسطينية في أوائل هذا القرن حتى يومنا هذا. واسرائيل مستمرة في تنفيذ مخططاتها في التوسع والتشييد والاستيلاء على الأرض وتشجيع الهجرة وتقول دع العرب يحتجون ويصرخون ودعونا نبنى ونشيد وهكذا لن يطول الزمن ويأتى اليوم لنترحم على أطلال فلسطين وذكريات المسجد الاقصى.

إن جميع المراجع التاريخية أثبتت ان القبائل العربية خرجت من شعاب الجزيرة العربية منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ومن بطونها قبائل اليبوسيين التى بنت مدينة القدس وتوجد نصوص مصرية فرعونية قديمة ترجع الى ألفى سنة قبل الميلاد تشير الى وجود الكنعانيين في القدس وتكشف عن الحضارة المتقدمة التى حققها الكنعانيون واستمر الكنعانيون في حكم القدس حتى غزاها تحتمس الثالث فرعون مصر

(١) سورة الإسراء – أية ١

سنة ١٤٧٩ق.م ويمضي التاريخ في حركته فبعد الكنعانيين جاء العموريون (الأموريون) وهم قبيلة عربية أيضاً وهم أول من بنى سوراً للمدينة.

وكلمة أورشليم هى الاسم الكنعانى للمدينة المقدسة ومعناها مدينة السلام وفي سنة ١٢٥٠ ق.م خرج بنو إسرائيل من مصر وتمكنوا من احتلال أريحا ولكنهم فشلوا في دخول القدس التى دافع عنها اليبوسيون وهى كما أشرنا قبائل كنعانية، وفي محاولة ثانية استطاع اليهود دخول القدس ولكن اليبوسيين تمكنوا من طردهم منها. وفي سنة ١٠١٩ق.م استطاع داوود الاستيلاء على المدينة وجاء بعده سليمان وفي عهده تم بناء المعبد وهيكل سليمان وبعد انقسام المملكة اليهودية دخلت القدس تحت حكم الأشوريين سنة ٧٠١ ق.م ثم توالى على غزوها الكلدانيون سنة ٥٨٧ق.م حيث قتلوا اعداداً كبيرة من اليهود وساقوا البقية الى الأسر في عاصمتهم بابل وتم هدم الهيكل بالكامل وبعدهم جاء حكم الفرس ثم الحكم اليونانى فالرومانى وكان قد أعيد بناء المعبد فدمره الرومان كما قاموا بتدمير مدينة القدس برمتها.

وفي سنة ٦٣٦ ميلادية دخلت المدينة تحت الراية الإسلامية وأصبحت تعرف ببيت المقدس واستمرت القدس عربية وكان الرومان قد أطلقوا على القدس اسم ايليا بدلاً من أورشاليم وبقى اسم إيليا حوالى ٢٠٠ سنة حتى جاء الامبراطور قسطنطين الذى اعتنق المسيحية وأعاد اليها اسم أورشاليم ولكن بقى اسم إيليا مستعملاً حتى الفتح الإسلامى.

وفي سنة ١٩١٧ دخل الجيش البريطانى فلسطين وبدأ إعداد البلاد لتكون وطناً قومياً لليهود حتى استطاع الصهاينة الاستيلاء على فلسطين والقدس سنة ١٩٦٧ ورفعوا راياتهم فوق أسوارها وفوق الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية.

ومن هذا السرد المختص لحقائق التاريخ نجد أن الموجات اليهودية التى دخلت فلسطين لم تجدها خالية بل كانت آهلة بالسكان زاخرة بالحضارة والتقدم وأن وجود اليهود في فلسطين كان دائماً طارئاً ولفترات قصيرة. وأن العرب استمروا يحكمون القدس باستثناء فترات قصيرة خضعت فيها القدس للحكم الصليبى ثم عادت لحكم الأيوبيين والمماليك وأخيراً الحكم التركى وبقيت القدس عربية حتى استولى عليها اليهود كما ذكرنا سنة ١٩٦٧.

ومنذ أن استولى اليهود على القدس وهم يحاولون التنقيب في منطقة الحرمين

الأقصى والصخرة بحثاً عن بقايا هيكل سليمان اعتقاداً منهم أنه يقع تحت الحرمين ورغم أنهم لم يجدوا أى أثر حتى الآن فإنهم مستمرون في اعمال الحفر والتنقيب مما أصبح يهدد أساسات المسجد الأقصى وهى خطة متعمدة ربما ترمى الى تدمير المسجد الاقصى والصخرة المشرفة وهذا صوت ناقوس بدأ يدق فهل يصحو الضمير العربى والضمير العالمى ويستيقظ لإيقاف هذه المأساة.

بدأت السلطات الإسرائيلية مخططاً مرسوماً لإزالة الطابع العربى عن المدينة المقدسة وواصلت عمليات التهويد واستخدمت في ذلك أساليب العنف والإرهاب والقتل وتشريد المواطنين العرب أصحاب الأرض ومصادرة أراضيهم وقامت كذلك بالاستيلاء على أرض القرى العربية المحيطة بالقدس وأنشأت فيها المستوطنات لمحاولة خنق المدينة من كافة الاتجاهات وهى تحاول الآن إتمام تطويق القدس وغلق الدائرة حولها ببناء المستوطنتين الجديدتين في جبل «أبو غنيم» الواقع بين القدس وبيت لحم ورأس العامود قرب المسجد الأقصى.

وقام الإسرائيليون باقتحام المحكمة الشرعية في القدس سنة ١٩٩١ وسرقوا جميع الوثائق التى تتعلق بالأملاك الوقفية والأراضى الأميرية والشهادات التى تؤكد عروبة القدس وللأسف لاتوجد حركة عربية جديدة تعمل لإنقاذ تراث القدس وجمع الوثائق المبعثرة وكلما طال الزمن والانتظار ربما يؤدى ذلك الى فقدان واندثار وضياع وسرقة المزيد من وثائق المدينة المقدسة.

وحبذا لو قام العرب بإنشاء مركز متخصص لتحقيق التراث وجمعه ونشر الإحصاءات ومراجعة مراكز الدراسات في أوروبا وأمريكا لإثبات المزيد من الحقائق من أجل تأكيد عروبة القدس عبر التاريخ.

حول قضية القدس

محاولة استشراف المستقبل بشأن ملف القدس قبل الحديث عن مستقبل القدس السياسى نعود لنتتبع الخطوات التى قامت بها إسرائيل لنزع عروبة القدس وتحويلها الى مدينة يهودية وتزايد الخطر المحدق بالمدينة المقدسة.

إن هذه المدينة المقدسة تعرضت خلال تاريخها الطويل لأكثر من عشرين

حصاراً وتم تدميرها أكثر من سبع عشرة مرة وبعد أن تمكن الاحتلال الاسرائيلى من السيطرة الكاملة على القدس الشرقية بعد هزيمة ١٩٦٧ أصبحت تلك المدينة المستهدف الرئيسى للمخطط الاسرائيلى بجعلها عاصمة إسرائيل الموحدة بتمكين المستوطنين والمستعمرين اليهود من الاستيطان في داخل القدس العربية وضواحيها والعمل على طرد السكان الفلسطينيين وترحيلهم تدريجيا بكافة السبل وأهمها مصادرة أراضيهم وتضييق الخناق عليهم وأصبح الخطر الداهم عند بدء مفاوضات الحل النهائى أن لايجد الفلسطينيون قدساً يتحدثون عنها ويفرض عليهم الحل العنصرى التى تخطط له إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

ان ٦٦٪ مما يسمى بالقدس الموحدة هي بالواقع أراض احتلت بالقوة من الضفة الغربية وضمت الى القدس عنوة وقسراً. حتى الحى اليهودى بالقدس القديمة كان يهودياً بالاستئجار لأن غالبيته يخص عائلات مقدسية قديمة بصفة أوقاف إسلامية. وكذلك القدس الغربية فإن الأملاك التابعة لليهود فيها قبل سنة ١٩٤٨ لم تتعد في مجموعها ٢٠٪ والباقى يخص فلسطينيين مسلمين ومسيحيين وهيئات دولية مسيحية – وكان ذلك القطاع الغربى من القدس يضم العائلات الفلسطينية الأكثر ثراء.

وقد أدخل الاحتلال الاسرائيلى الى القدس الغربية أراض تابعة لقرى فلسطينية قام بتدميرها بعد احتلالها مثل دير ياسين – لفتا – عين كارم – المالحه – الشيخ بدر وغيرها وأقام عليها أغلبية مبانى الحكومة الاسرائيلية بما فيها الكنيست بعد أن نزع ملكيتها وشرد أهلها.

ولم تسمح إسرائيل لفلسطينى واحد بالعودة الى أرضه أو بيته في القدس الغربية.

واسكن الاسرائيليون أكثر من ١٧٠ ألفا من اليهود في القدس الشرقية حتى يتماثل عددهم مع الفلسطينيين العرب.

وأصبح عدد اليهود في القدس الشرقية والغربية حوالى ٤١٥ ألفا حاليا سنة ١٩٩٨ وبلغت المستوطنات حول القدس ١٥ مستوطنة وتقوم اسرائيل حاليا سنة ١٩٩٨م بإنشاء مستوطنة جبل «أبو غنيم» ومستوطنة رأس العامود وبهذا يتم إحاطة القدس العربية بطوق كامل من المستوطنات وعزل المسجد الأقصى عن بقية القدس.

وهكذا نرى أن عملية التهويد بعد أوسلو تجرى بسرعة وبكثافة وتستمر عملية الاغتصاب بوضع اليد على الأراضى العربية خصوصاً بحجة الأغراض العسكرية.

وهكذا أخذت إسرائيل تشوه معالم القدس العربية حتى لايبقى ما يتم التفاوض عليه في المرحلة النهائية.

وعند بدء المفاوضات النهائية سيجد المفاوض الفلسطيني نفسه في إطار غير متكافئ مع المفاوض الإسرائيلي خصوصاً أن اتفاق واى بلانتيشن قد أوجد مناخاً يعطى انطباعاً أن إسرائيل متعاونة ومتجاوبة في عملية السلام وهذا المناخ سوف يؤثر بشدة على نتيجة المفاوضات النهائية بالنسبة لمدينة القدس.

لاشك أن المواقف الفلسطينية الاسرائيلية تتناقض تناقضاً تاماً وميزان القوى يميل بشكل واسع جداً لصالح اسرائيل فهى تضع يدها على المدينة المقدسة وتعمل على تغيير معالمها العربية ولاننسى أن الولايات المتحدة الامريكية سوف تنقل سفارتها الى القدس في العام الحالى سنة ١٩٩٩م.

ومما يزيد في صعوبة المفاوض الفلسطيني بوصفه الجانب الأضعف أن المواقف العربية والإسلامية تتضارب حول قضية القدس وخصوصا الموقف الأردني. بينما الموقف الاسرائيلى الذى تؤيده أمريكا بشدة ثابت ومعلن باستمرار وهو أن القدس مدينة موحدة وعاصمة أبدية لإسرائيل ولن تقبل دولة إسرائيل خلال أى تفاوض الحديث عن موضوع تقسيم القدس أو تدويلها.

المواقف العربية المترددة – تنادى أن القدس الشرقية يجب أن تكون عاصمة للدولة الفلسطينية وتترك القدس الغربية لاسرائيل باعتبار أن القدس الشرقية أراض محتلة ضمن الضفة الغربية ويجب أن يسرى عليها ما يسرى على أراضي الضفة الغربية.

وهناك اتجاه آخر أن تظل القدس مدينة موحدة جغرافياً ومقسمة سياسياً حسب الأحياء اليهودية والعربية بحيث تمارس إسرائيل السيادة على الأحياء اليهودية وتمارس الدولة الفلسطينية سيادتها على الأحياء العربية ويتم التعاون بين الجانبين لتطوير هياكل المدينة.

والاتجاه الثالث أن توسع حدود مدينة القدس بحيث تشمل أربعة أمثال مساحتها الحالية بإضافة مساحات متساوية من اسرائيل والضفة الغربية وإدخال أعداد متساوية من السكان من كلا الجانبين فيما يسمى بالقدس الكبرى.

ويخضع كل جانب كما في الاتجاه السابق الى إسرائيل والدولة الفلسطينية.

واتجاه رابع لاعتماد صيغة السيادة المشتركة على المدينة ويديرها مجلس بلدى شامل ومجالس محلية للمناطق وينزع سلاح المدينة.

واتجاه خامس التفريق بين البلدة القديمة داخل الأسوار والمناطق الواقعة خارجها بحيث تخضع المدينة القديمة لمجلس عالمى يمثل الأديان الثلاثة والمناطق خارج الأسوار الفلسطينية تخضع للدولة الفلسطينية، والاسرائيلية تخضع لإسرائيل.

هذه بعض الأفكار المطروحة لحل مشكلة القدس ولكن أى من هذه الأفكار يخضع خضوعاً تاماً لموافقة إسرائيل بالدرجة الأولى فهى كما قلنا الجانب الأقوى الذى يسيطر سيطرة كاملة على شقى القدس العربى واليهودى ويأتى الموقف الأمريكى المنحاز دائماً الى الجانب الاسرائيلي والموقف الأوروبى الذى لايقف بعيداً عن الموقف الأمريكى وإن تظاهر بعكس ذلك.

ويأتى الموقف المتخاذل والمتردد للدول العربية والعالم الإسلامى وموقف الفاتيكان.

والأمة العربية كالعادة مشغولة بقضايا هامشية أو واقعة تحت ضغوط دولية مفروضة عليها.

ولم يعد موضوع القدس يحتمل بيانات جديدة للشجب والإدانة فالوقت لم يعد يتسع لذلك.

وما لم يبلور العالم العربى والاسلامى موقفا استراتيجيا موحداً يكون سنداً قويا للمفاوض الفلسطينى فقل على القدس السلام.

والمهم الآن إنشاء صندوق خاص لتمويل القدس ومساعدة المؤسسات والمقاومة الفلسطينية فيها.

وعلى مدى العصور قاومت مدينة القدس العربية قوافل الاحتلال وبقيت عربية وسوف تبقى عربية بإذن الله مادامت المقاومة مستمرة والايمان يعمر قلوب الشعوب الاسلامية والعربية ويحرضهم للوقوف أمام هذه الغزوة الاستعمارية الصهيونية للحفاظ على ثالث الحرمين المسجد الأقصى المبارك فهذا هو الحق وسوف ينتصر بإذن الله.

القدس وماتضمه من مقدسات

مسجد الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى

تضم القدس العديد من المقدسات منها الحرم القدسي الشريف الذى جاءت الإشارة إليه صراحة في صدر سورة الاسراء والتى قال فيها الله عز وجل «سبحان الذى اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير».

وقد شرع في بناء الصخرة المشرفة عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى الخامس سنة ٦٨٥ ميلادية (٦٨ هجريه) ورصد لبنائها خراج مصر لمدة سبع سنوات وعهد بذلك الى اثنين من رجاله الموثوقين بالإشراف على عملية البناء وتم بناء قبة الصخرة المشرفة سنة ٧٢ هجرية ٦٩١ ميلادية.

وهذا البناء الضخم مثمن الأضلاع - والثمانية تنقسم الى قسمين الواحد فوق الآخر تتوسطه رقبة تحمل القبه الذهبية التي تغطى الصخرة المشرفة فى كل ضلع من أضلاعه الثمانية وتواجه الجهات الأصلية الأربع بابا ارتفاعه ٣ر٤ مترا وعرضه ٢ر٦ متراً ولم تتغير مقاييس الأبواب منذ عصر عبد الملك بن مروان وعلى كل باب من القسم العلوى من الجدار نافذتان يمر منهما الضوء الى الداخل.

أما الصخرة المشرفة ذاتها فهى قطعة غير منتظمة من الحجر الجيري وترتفع عن أرضية المسجد نحو متر ونصف وحولها سياج من الخشب المنقوش من عهد الملك ابن عبد العزيز بن عثمان الأيوبى ولمسجد الصخرة أربعة أبواب تواجه الأبواب الأصلية وهى أبواب مزدوجة مصنوعة من الخشب المصنع بالحديد وكانت قبة الصخرة المشرفة مغطاة بالذهب في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وترتكز قبة الصخرة على رقبة مستديرة يحملها صف من القناطر في دائرة تتكون من اثنى عشر عموداً مستديراً وأربع دعائم مربعة بحيث تتلو أحد الدعامات كل ثلاثة أعمدة عرض كل ضلع من الأضلاع نحو ثلاثة أمتار مكسوة بالرخام.

والمسجد الأقصى شرع في بنائه عبد الملك بن مروان أيضاً وهو يقع الى الجنوب من مسجد الصخره وعلى بضعة مئات من الأمتار وتم البناء سنة ٧٠٥ ميلادية وطرأ على المسجد تغيرات متعددة بسبب الزلزال والأمطار وحاول الصليبيون تحويله الى كنيسة وجاء صلاح الدين الأيوبى بعد التخريب الذى حدث زمن الصليبيين وأعاد ترميم

الجامع وأتى بأجمل منبر خشبى تم صنعه في مدينة حلب وكان آية من آيات الزخرفة الإسلامية ولسوء الحظ احترق هذا المنبر الجميل عندما حاول اليهود حرق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩ ميلادية وتعاقب الملوك والسلاطين والأمراء على ترميم المسجد وإصلاحه ولم تتوقف عمليات الإصلاحات حتى سنة ١٩٤٥ وبذل المجلس الإسلامى الاعلى في القدس جهوداً كبيرة في سبيل ذلك واستمرت عمليات الترميم في عهد المملكة الأردنية الهاشمية حتى سنة ١٩٦٧ خصوصا بعد أن بدأت المياه الجوفية في التأثير على أساساته.

وتسمى جميع الأماكن التى يقع فيها المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وما بينهما وحولهما من منشآت حتى الأسوار هي التى تدعوها الحرم القدسي ومساحته تقريباً ٢٦٠ ألف متراً مربعاً وتبلغ تلك المساحة حوالى خمس مساحة القدس العربية وتسميته بالحرم القدسى تعود لأنه في نظر المسلمين كافة يعتبر أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى النبى عليه الصلاة والسلام.

واصبح الناس يزوورن الحرم القدسى ويطوفون حول الصخرة ويعتبر مسجد الصخرة من أجمل الآثار التى خلدها التاريخ.

وتقع قبة المعراج غرب مسجد قبة الصخرة الى الشمال الغربى وهى مبنى كبير مثمن الاضلاع تعلوه قبة حجرية مضلعة قائمة على ستة عشر عموداً مستديراً من الرخام تعلوها رؤوس رخامية من أنماط مختلفة كل عمودين متلاصقين وعلى كل من جانبى باب القبة عمود من الرخام ذو رأس رخامية وقد بنيت قبة المعراج تذكاراً لعروج النبى صلى الله عليه وسلم الى السموات العلا ومنقوش على محرابها الآية الأولى من سورة الاسراء.

وقبة النبى وتقع غرب قبة الصخرة الى الشمال فى مواجهة الجدار الغربى للمسجد بينه وبين قبة المعراج ويعرف أيضاً باسم قبة جبريل عليه السلام ومنقوش عليه من الخارج «أنشأ هذا المحراب مولانا الكبير محمد بك صاحب لواء غزه» ويقول السيوطى: إن موقع هذا المحراب هو موضع صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يؤم الأنبياء والملائكة في ليلة الاسراء وفوق قبة المحراب قبة مفتوحة الجوانب محمولة على ثمانية أعمدة من الرخام على شكل دائرة.

وهناك رواية تقول: إن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام أبا الأنبياء بنى المسجد

الأقصى كبناء مقدس بعد بناء المسجد الحرام (الكعبة المشرفة) في مكة بأربعين سنة ويؤكد ذلك حديث نبوى شريف «عن أبى ذر رضى الله عنه قال «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض فقال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الأقصى وبينهما أربعون عاما».

وتذهب بعض التفاسير الى أن الذى بنى الأقصى هو يعقوب بن اسحق وليس سيدنا ابراهيم وأن سليمان طوره وجدده.

أما المسجد الأقصى الحالى «البناء المتعارف على تسميته بالمسجد الاقصى فتنسبه بعض الروايات والمصادر الى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد بنى من الخشب مربع الشكل أمر به سيدنا عمر مسجداً لرجال الفتح يؤدون فيه صلاتهم». وعندما انتهى عبد الملك بن مروان من بناء مسجد قبة الصخرة شرع في بناء المسجد الأقصى في مكانه الحالى وتوفى عبد الملك قبل إتمام البناء فأتمه الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) (٧٠٥-٧١٥م) واحضر الفيسفاء من القسطنطينية الى دمشق ومنها الى بيت المقدس وخرج البناء على الطراز الباسيليكى الذى يتناسب مع الابنية الواسعة وعلى غرار المسجد الأموى في دمشق ويقال إن أبواب المسجد الأقصى أيام الأمويين كانت مصفحة بالذهب والفضة وان أبا جعفر المنصور أمر بخلعها وصرفها دنانير تنفق على المسجد. ويقال في رواية أخرى إنه خشى على المسجد من البهرجة الزائد وهكذا فإن أقرب الروايات الى الحقيقة أن عبد الملك بدأ بناء المسجد وأن ابنه الوليد أتمه.

وقد تأثر المسجد بالهزات الأرضية ولم يبق من هيئته الأصلية إلا أجزاء قليلة وأعيد البناء في العهود العباسية والفاطمية والصليبية والأيوبية والمملوكية والجزء الأكبر من المسجد في شكله الحالي الذى نراه اليوم هو من عمل وإعمار الخليفة الفاطمى الظاهر لاعزاز دين الله وأما الأقواس السبعة التى تقابل الأبواب وتصنع الرواق الشمالى للمسجد فقد أقامها الملك عيسى بن أيوب سنة ٦١٤هـ - ١٢١٧م وقام العديد من سلاطين الأيوبين ثم المماليك ثم العثمانيين بإجراء إصلاحات وإعمارات كثيرة إلا أن إصلاحات الناصر صلاح الدين الأيوبى ومن بعده الملك عيسى بن الملك العادل أخو صلاح الدين هى التى بقيت واضحة وتشكل الشكل الحالى للمسجد الأقصى.

وفي سنة ١٠٩٩ سقطت القدس فى أيدى الصليبيين وكما يقول تشارلز

جولستون في كتابه «القدس التراجيديا والملهاة» الصادر سنة ١٩٧٨ يعتبر وصمة لاتمحى في تاريخهم ففى منطقة حائط البراق وصل الدم الى ركب الخيل لدى تقدم الغزاة نحو المسجد الأقصى وعبثت أيديهم بالحرم القدسى الشريف وبساحة المسجد الأقصى وحول الصليبيون بعض المساجد الى الكنائس ومنها قبة الصخره الذى صار كنيسة باسم «هيكل السيد» وجعلوا قسماً من المسجد الأقصى كنيسة واتخذوا القسم الآخر سكناً للفرسات الاسبتالية ومستودعاً لذخائرهم.

السور الذى يحيط بمدينة القدس وهو سور متين محيطه ميلان ونصف الميل طوله من الشمال ٣٩٣٠ قدماً ومن الشرق ٢٧٥٤ قدماً ومن الجنوب ٣٢٤٥ قدماً ومن الغرب ٢٠٨٦ قدماً وأما ارتفاعه فيتراوح ٣٨ قدماً و٤٠ قدماً.

ولهذا السور أربعة وثلاثون برجاً وسبعة ابواب. باب الأسباط من الشرق وباب العمود وباب الساهرة من الشمال. الباب الجديد بالشمال الغربى وباب الخليل من الغرب وباب النبى داوود وباب المغاربة من الجنوب.

وترتفع القدس حوالى ٢٥٠٠ قدم عن سطح البحر و٣٥٠٠ قدم عن الغور والبحر الميت ويملك العرب من مساحتها البالغة ٢٠١٩٩ دونماً ٥٨٪ بينما يملك اليهود ٢٥٪ والباقى طرق ومرافق وكان قد أطلق عليها منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد عدة أسماء.

يبوس – أروسالم – اورشاليم – إيليا – بيت المقدس – القدس ويملك العرب من مساحة البلدة القديمة ٨٩٪ واليهود ١١٪ وكان عدد سكان القدس سنة ١٩٤٧ – ١٦٤ ألف نسمة منهم ٦٥ ألفا من العرب ٩٩ ألفاً من اليهود ليست القدس مدينة صناعية هامة ولكن ترتكز أهميتها في مركزها الدينى وكونها عاصمة فلسطين ومركز إدارة الانتداب البريطانى وجميع الدوائر التى تشرف على البلاد. ومواردها الزراعية ضعيفة لقلة المصادر المائية المتاحة والاعتماد الهام لسكان القدس كان السياحة وكان يؤمها في كل عام أفواج كبيرة من السياح من الدول المسيحية من كافة أنحاء العالم.

والمقدسات الدينية في القدس تتركز في الأماكن والمزارات المسيحية والإسلامية – أما مقدسات اليهود فهى بالدرجة الأولى حائط المبكى وبضع كنائس ومزارات ثانوية مثل قبة راحيل وبعض المقابر.

وربما يتساءل المرء لقلة المقدسات اليهودية الدينية في القدس رغم انهم يدعون

أنها مدينة يهودية الأصل وأن صلتهم بها لم تنقطع على مر الدهور والحقيقة كما سبق وأوربنا أن إقامتهم في فلسطين كانت لمدد قصيرة ومتقطعة.

وقال بتاجيا الذى زار القدس في القرن الثاني عشر للميلاد إنه لم يجد فيها سوى يهودى واحد وقال موسى ابن نحمان الذى زارها في القرن الثالث عشر الميلادى إنه لم يجد فيها سوى عائلتين يهوديتين وفى عام ١٩٨٨ لم يزد عدد اليهود في القدس عن ١٥٠ فرداً ولم يبدأ تدفق اليهود في مدينة القدس إلا في أواخر القرن التاسع عشر ونشاط الحركة الصهيونية. ويتبع محافظة القدس (لواء القدس) ستة وستين قرية وأهمها بيت حنانيا - بتير - بيت صفافا - دير ياسين - دير عمرو - سلوان - شعفاط - صور باهر - العيزرية - عين كارم - لفتا - قلنديه - القسطل - القبيبة - أبو ديس.

القرارات الدولية التى تحكم وضع القدس القانونى:

القدس بموجب قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ كانت كياناً مستقلاً تخضع لإدارة دولية طبقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ الصادر ٢٩ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٤٧ وقد وضع لها نظام اداري خاص بعد أن ضمت إليها بعض القرى والبلدان المجاوره «ابو ديس شرقاً» و«بيت لحم» جنوباً وعين كارم غرباً وفي القرار المذكور تقرر أن تكون القدس مدينة حيادية مجردة من السلاح حتى إن مجلس الامن اصدر في ٢ مايو (آيار) سنة ١٩٦٨ قراراً يمنع إسرائيل من إقامة عرض عسكري في القدس وتعاقبت قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ففى القرار رقم ٣٢٥٣ تعرب الجمعية العامة عن استيائها وقلقها بسبب الإجراءات التى اتخذتها اسرائيل لتغيير وضع القدس وتعلق أنها باطلة وغير مشروعة وكان ذلك في ٤ يوليو سنة ١٩٦٧ (تموز) وجاءت القرارات التالية للجمعية العامة بنفس المعني وجاء قرار مجلس الأمن رقم ٢٥٢ الصادر في سنة ١٩٦٩ عدم اعترافه بالأراضى المكتسبة بالغزو العسكرى وفي سنة ١٩٨٠ رفض مجلس الأمن جعل إسرائيل القدس عاصمة لها.

وقررت اتفاقية أوسلو تأجيل البت في موضوع القدس الى المرحلة الأخيرة من المفاوضات وعدم إجراء أى تغيير في وضع القدس حتى يتم التفاوض حولها. ثم بدأ الموقف الأمريكى يتغير ويتجه الى التأييد المطلق لاسرائيل واستعمال حق الفيتو والتسليم بجميع ما تتخذه إسرائيل من تغيير المعالم في القدس وما حولها وآخرها قرار الكونجرس الأمريكى في مجلسيه بنقل السفاره الامريكية من تل ابيب الى القدس سنة ١٩٩٩.

المقدسات الإسلامية في فلسطين

لقد خص الله أرض فلسطين بقبلة الإسلام الأولى المسجد الأقصى المبارك وفى حائط المسجد الأقصى ربط رسول الله صلى الله عليهم وسلم البراق ليصعد الى السماء حيث فرض الله الصوات الخمس.

حلت الكارثة بأرض فلسطين بعد أن سيطر اليهود عليها وأبادوا العديد من المدن والقرى بما فيها من مساجد ومعابد ومقدسات وأضرحة الصحابة والشهداء ومقابر العلماء واولياء الله الصالحين وفداحة هذه الكارثة أن النكبة لم تحل بالفلسطينيين وحدهم ولكنها عمت العالم الإسلامى بأسره بعد أن حفظها التاريخ وديعة فى أعناق المسلمين الذين قدموا آلاف الضحايا والشهداء لتبقي القدس على مدى التاريخ ترفرف فوقها الأعلام الاسلامية وأخشى أنه رغم ما بذل من تضحيات وتوالى عليها من حروب للحفاظ على تلك المقدسات وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك أن يستطيع اليهود بوسيلة ما أن يدمروا ثالث الحرمين ويقضوا على هذه البقعة الإسلامية المقدسة.

ونستعرض هنا خلاصة موجزة لتاريخ تلك المقدسات. وقد شرحنا في حديث سابق تاريخ المسجد الأقصى المبارك وحائط البراق.

وننتقل الى مدينة الخليل وتقع جنوبى القدس وفيها المسجد الإبراهيمى الشريف والغار المحتوى على قبر نبي الله إبراهيم الخليل وزوجته ساره وأضرحه وقبور أبنائه النبيين اسحق ويعقوب ويوسف والحرم الإبراهيمى يعتبر من أهم الآثار والأبنية الإسلامية الجليله.

وفى بلدة حلحول القريبة من الخليل يوجد مقام نبى الله يونس وعليه مسجد أثرى تقام فيه الصلوات.

وفي بلدة بيت جبرين غربى الخليل يوجد ضريح تميم بن أوس الدارى الصحابى الجليل وعليه أيضاً مسجد أثرى تقام فيه الصلوات.

وفى قرية بنى نعيم شرقى الخليل يوجد مقام نبى الله لوط عليه السلام وفيه كذلك مسجد أثرى تقام فيه الصلوات.

وفي قرية عمواس دفن الصحابى الجليل «أبو عبيده بن الجراح» ومعاذ بن جبل وفي مدينة الرملة قبر الفضل بن العباس ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ومسجد أثرى تقام فيه الصلوات.

ومنذ فتحت الجيوش العربية الإسلامية فلسطين استشهد فيها نفر من صحابة رسول الله في معارك اليرموك وأجنادين ودفنوا في أرض فلسطين وانتشرت قبورهم في سهولها وسائر أرجائها. وفي بلده سلمة قرب يافا يرقد ضريح الصحابى سلمة بن هشام المخزومى وبقربه مقبره لعدد من شهداء معركة أجنادين وتعرف باسم مقبرة النحام ومنهم عبد الله بن عبد المطلب وطليب بن عمير وأبان بن سعد بن العاص وتميم بن الحارث السهمى والحارث بن أوس وهشام بن العاص وغيرهم.

وفي قرية يبنا بين يافا والمجدل (عسقلان) يوجد ضريح الصحابى عبد الله بن سعد بن أبى السرح أمير مصر في عهد خلافة عثمان بن عفان وفي المجدل (عسقلان) مسجد الحسين بن على رضى الله عنها وفيه المقام الذى كان فيه رأسه ويختلف العلماء فيما اذا كان الرأس بقى في عسقلان او انتقل الى مسجد سيدنا الحسين في القاهرة.

وفي مدينة غزة ضريح هاشم عبد مناف جد الرسول عليه السلام وفي مقبرة باب الرحمة في القدس توجد قبور جماعة من الصحابة منهم شداد بن اوس وعبادة الأنصارى وكان أول قاض مسلم في فلسطين.

وفي مقبرة مأمن الله (بالقدس) توجد قبور واضرحة آلاف الشهداء من قتلى المسلمين أثناء الحروب الصليبية وقد عبث بها اليهود وأقاموا الشوارع فوق عظام الشهداء. وفى عين جالوت قرب بيسان استشهدت طائفة كبيرة من أبطال المسلمين أثناء المعارك ضد التتار.

ومع استمرار الثورات والحروب التى خاضها اهل فلسطين ضد عدوان الإنجليز واليهود خلال عشرات السنين استشهد فيها آلاف من رجال فلسطين وشبابها المجاهدين. والى جانب المساجد والجوامع في فلسطين توجد مئات المقامات والزوايا والتكايا وهى منتشرة في مدن فلسطين وقراها.

ومن أشهرها في القدس الخانقاه الصلاحية التى أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبى وزاوية الشيخ جراح والزاوية النقشبنديه وزاوية المغاربه والزاويه الهنديه وفي مدينة الخليل يوجد عدد من الزوايا الصوفية منها زاوية الشرفاء وزاوية الرفاعية وزاوية القواسمة وغيرها.

وفي يافا يوجد عدد من الأضرحة لأولياء الله منها ضريح سيدنا على وضريح العجمى وضريح الشيخ مؤنس وضريح الشيخ مراد وضريح روبين.

وفي الرملة يوجد ضريح النبى صالح عليه السلام وفى طبريا اكتشف ضريح الصحابى «أبو هريره» رضى الله عنه ومن المساجد الهامة التى احتلها اليهود مساجد يافا - حيفا - عكا - وصفد - وطبريا - الناصرة - بيسان - سمخ - قيساريه - الرملة - اللد - المجدل - الفالوجة - بئر السبع - بيت جبرين وقد دأب اليهود على هدم المساجد والمعابد الإسلامية ونبش المقابر وإزالة معالمها في كثير من المدن والقرى.

ومن كبار الصحابة الذين زاروا القدس والمسجد الاقصى عمر بن الخطاب - سعد بن أبى وقاص - عبد الله بن عمر - عبد الله بن عباس - محمود بن ربيع الأنصارى.

ومن الأئمة الكبار الذين ترددوا باستمرار على بيت المقدس الأمام سفيان الثورى إمام اهل العراق - الإمام الأوزاعى عبد الرحمن بن عمرو فقيه أهل الشام - الإمام الليث بن سعد عالم مصر وإمامها - والإمام الشافعى الذى ولد في غزة وأحد الائمة الأربعة ومن كبار أصحاب الطرق الصوفية الإمام الطرطوشى وحجة الإسلام الإمام الغزالى والأمام «أبو بكر بن العربى الأندلسى».

وفي أكثر المدن الفلسطينية أنشأ ملوك المسلمين وسلاطينهم في مختلف العصور مدارس أثرية إسلامية مثل المدرسة المأمونية ومدرسة قايتباى والمدرسة العمريه والرصاصيه والمدرسة العلميه الدينية في جامع الجزار بعكا وفي جامع الجزار توجد المكتبة الإسلامية وتحتوى على كثير من الكتب الدينية واللغوية والتاريخية ومخطوطات أثريه نادرة في علوم التفسير وكان يؤمها طلاب العلم من مختلف المدن الفلسطينية وكانت توجد مكتبات إسلامية في معظم مدن فلسطين تحتوى الكثير من الكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون وقد أمسى كل ذلك تحت سيطرة اليهود.

وعلى مر العصور درج خلفاء بنى اميه وبنى العباس والسلاطين والأمراء والمماليك على زيارة بيت المقدس بصفة مستمرة ومتابعة إصلاح المسجد الأقصى والصخرة المشرفه.

قصة حائط البراق أو حائط المبكى
كما يسميه اليهود

إن أحد أخطر أكاذيب اليهود المتعلقة بالمسجد الأقصى أن لهم ملكية فيه وهي أكذوبة حائط المبكى إذ يزعم اليهود أن حائط المبكى هو الجزء الذى تبقى من هيكلهم المزعوم وبالتالى يطالبون بملكيته وبأحقيتهم ببعض أجزاء حرم المسجد الأقصى. وحقيقة الأمر أن حائط المبكى ما هو إلا حائط حرم المسجد الأقصى ويشكل الجزء الجنوبى من حائط الجدار الغربى عند أحد أبواب المسجد الأقصى وهو باب المغاربة، أى إنه جزء من احد الجدران المستطيلة الأربعة التى تحدد مساحة الحرم وبالتالى فهو جزء لايتجزأ من الحرم الشريف.

وقد نشأت تلك الأكذوبة تدريجياً فقد كان اليهود ممنوعين من دخول القدس طوال قرون طويلة ثم ادى تساهل المسلمين وتسامحهم الى السماح لليهود بالدخول الى القدس ثم السماح لهم تحت الإلحاح الشديد بالوقوف أمام حائط البراق للبكاء أمامه وظل الأمر كذلك حتى جاء الانتداب البريطانى ووعد بلفور فتحركت المطامع اليهودية للاستيلاء على هذا الجدار الغربى وادعو ملكيته وأطلقوا عليه حائط المبكى بدلاً من الاسم التاريخى وهو حائط البراق وقد أدى هذا الادعاء الى حدوث مواجهات دامية ضد الجاليات اليهودية وأهمها ثورة سنة ١٩٢٩ وهو مادفع الحكومة البريطانية الى إرسال لجنة خاصة للتحقيق فى ملكية الجدار عرفت باسم لجنة شو وأفادت اللجنة فى تقريرها الذى قدمته الى وزارة المستعمرات أن السبب المباشر للاضطرابات هو المظاهره اليهودية التى سارت نحو حائط البراق في ١٥ أغسطس (آب) سنة ١٩٢٨ حيث رفعت العلم اليهودى وقالت لجنة شو إن موضوع حائط البراق ليس من اختصاصها وخارج عن صلاحياتها وأوصت بإرسال لجنة أخرى لبحث موضوع الحائط.

وقررت عصبة الأمم سنة ١٩٣٠ إرسال لجنة محايدة مكونه من سويدى

وهولندى وسويسرى وزارت اللجنة فلسطين وصدر قرارها في العام التالى ليؤكد على المحافظة على الوضع الراهن للحائط المذكور ويؤكد ان الحائط من املاك الأوقاف الاسلامية وان للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربى ولهم وحدهم الحق العينى فيه لكونه يؤلف جزءاً لايتجزأ من مساحة الحرم الشريف. وكذلك إن للمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن امام الحائط وامام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط وأضافوا أن أدوات العباده التى يضعها اليهود بالقرب من الحائط لايجوز بحال من الأحوال أن تنشىء أى حق عيني لليهود في الحائط أو في الرصيف المجاور له. وقد اقترن تقرير اللجنة بموافقة مجلس عصبة الأمم وإقراره كما أقرته حكومة بريطانيا بصفتها الدولة المنتدبة على فلسطين وأصدر ملك بريطانيا على أساس هذا التقرير مرسوماً ملكيا باسم مرسوم الحائط الغربى سنة ١٩٣١ يؤكد تقرير اللجنة.

وظل الأمر كذلك حتى احتلال اليهود للقدس سنة ١٩٦٧ فحاولوا مرة أخرى الاستيلاء على هذا الجدار وقاموا بهدم حارة المغاربة – وهى وقف إسلامى – المواجهة لساحة الحائط وهدموا المسجدين المجاورين هناك وكل ما يجاورهما من أوقاف المسلمين ثم صادروا ساحة الحائط وقاموا بعمل حفريات عديدة بها في محاولة لإثبات أنها من بقايا الهيكل القديم وكل تلك الحفريات باءت بالفشل.

إن الحائط لايزال حتى الآن من الناحية القانونية ملكاً للاوقاف الإسلامية إن القدس الشريف والمسجد الاقصى لهما نفس المكانه من القداسة في قلوب المسلمين بعد مكة ومسجدها الحرام والمدينة المنورة ومسجد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقدس هي المدينة المقدسة التى وطيء أرضها معظم الأنبياء والمرسلين وقد أمر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن الرحال تشد اليه كما تشد الى المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنوره.

وكما ورد في رواية ابن عباس:

بيت المقدس بناه الأنبياء وسكنه الانبياء ما فيه موضع شبر إلا وصلى فيه نبى. ويبلغ طول حائط البراق حوالى ٤٨ متراً وارتفاعه ١٧ مترا وهو مبنى من الأحجار الفخمة وقد تم ترميم الحائط عدة مرات أيام الأيوبين والمماليك ويظهر ذلك من اختلاف نوعية الأحجار. والمعروف أن سبب تسمية الحائط بالبراق نسبة الى الدابة التى حملت الرسول صلى الله عليه وسلم حين أسرى به ويوجد في داخل غرفة صغيرة –

تجويف - يعتقد المسلمون بأن الرسول ربط فيه البراق ليلة الإسراء والمعراج والحائط يشكل جزءاً من أساسات المسجد الأقصى.

ويدعى اليهود أن حائط البراقجزء من جدران الهيكل الثالث الذى بناه هيرودس سنة ١٨ قبل الميلاد وجاء طيتس الرومانى سنة ٧٠ ميلادية ودمره عن آخره. ورغم جميع محاولات اليهود لإثبات هذا الادعاء والحفريات التى قاموا بها لم تثبت أى دليل مادى يعزز ذلك واكتفى اليهود بالذهاب الى الحائط للنوح والبكاء باعتباره أثراً دينياً مقدساً.

وبعد استيلاء اليهود على الحائط سنة ١٩٦٧ قاموا بتوسيعه حتى وصل طوله الى ٨٣ متراً.

وأثناء الانتداب البريطانى على فلسطين حاول اليهود تقديم مبلغ ميلون جنيه انجليزى ذهب لرئيس المجلس الإسلامي الأعلى الحاج أمين الحسينى والى مدير الأوقاف الإسلامية مقابل التنازل عن الحائط ورفض العرض رفضاً قاطعاً رغم إغرائه المادى في ذلك الوقت.

يطول بنا الحديث عن مدينة القدس التى لعبت دوراً هاماً في حياة الأديان الثلاثة وشهدت الإسراء معجزة الإسلام وهى أولى القبلتين وثالث الحرمين.

ونتوجه بالسؤال التالى الى كافة العرب والمسلمين في أرجاء العالم. هل يكفى رفع شعارات الاحتجاج والصراخ والبكاء لكى تعود القدس عربية؟؟

هيكل سليمان

المحاولات الأولى لبناء الهيكل:

كان اليبوسيون على عادة الكنعانيين جميعاً قد بنوا بيتاً (هيكلاً) للإله شالم على أحد مرتفعات القدس حيث كانت مدينة يبوس على الطرف الشرقى الجنوبى من حرم المسجد الأقصى الحالى - وقد حاولت قبائل العبرانيين البسيطة تقليد أهل البلاد المتحضرين ففكر داود في بناء بيت (هيكل) للرب في القدس وعلى مرتفع على الطريقة الكنعانية وكانت غايته أن يضع فيه تابوت العهد الذى يضم الوصايا التى نزلت على موسى - ولكن الآلهة كما تقول التوراة لم تمكنه من ذلك لأنه أراق دماء كثيرة في حروبه ولأنه اغتصب أرض الموقع المزمع البناء فوقه.

وكان تابوت العهد الرمز الاساسى لعبادة يهوه، وكان يتنقل مع الإسرائيليين في تحركاتهم المتكرره. ونقله داود باحتفال كبير الى القدس بعد أن كان في قرية إسدود على ساحل فلسطين الجنوبى بعد استنقاذه من أيدى القبائل الفلسطينية التى كانت تحتل أكثر الساحل الفلسطينى وهكذا توقف بناء الهيكل في عهد داود.

تسلم سليمان الحكم بعد أبيه داود وكان حكمه أكثر ازدهاراً ورغم أن حكمه امتد جهات سيناء وسوريه إلا أنه لم يسيطر على فلسطين كلها ولم يكن اليهود أكثرية فيها – ورغم أن التوراة تورد أرقاماً ضخمة لأعداد اليهود فإن الوثائق الأثرية التى عثر عليها لاتؤكد تلك الأرقام.

اشتهر سليمان ببناء «بيت الرب» أو الهيكل على غرار بيت بعل، عند الكنعانيين واختار له مكاناً مرتفعاً على طريقة الكنعانيين، وتم بناء الهيكل رغم معارضة أحبار اليهود واستعان في بنائه بحيرام ملك الفنيقيين الذى أمده بخشب الأرز اللازم وبالمعماريين والبنائيين.

وتكاد المصادر التاريخية تجمع أن سليمان أقام مع الهيكل قصوراً ملكية له ولنسائه وسخر الناس تسخير العبيد وفرض عليهم الضرائب الباهظة مما أدى الى التذمر الشديد والى انقسام مملكة العبرانيين التى لم تعش أكثر من سبعين عاماً الى مملكة اسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب.

وبالنسبة للمكان المرتفع الذى بنى عليه سليمان هيكله والتى يحاول الصهيونيون بكافة الطرق من الحفر والتنقيب لعلهم يجدون أثراً لذلك الهيكل.

وبحجة الكشف عن التاريخ اليهودى ومكان الهيكل أخذت السلطات الاسرائيلية تقوم بعدة عمليات من الحفر والتنقيب في أماكن متعددة خاصة الملاصقة للحرم الشريف وللحائط الجنوبى والحائط الغربى من منطقة الحرم وقامت نتيجة لذلك بهدم مئات المبانى والبيوت والمحال التجارية وإزالة حى المغاربة بكامله ولاتزال الحفريات مستمرة رغم احتمال تصدع الأماكن الإسلامية المقدسة وفى مقدمتها المسجد الأقصى المبارك وقد فشلت جميع هذه المحاولات حتى الآن ولم يكتشف إلا آثار من الحجارة لجامع أموى قديم قرب حائط البراق.

وفي السنوات الأخيرة أخذ اليهود يكثفون الحفريات والتنقيب وأطلقوا اسم جبل الهيكل على مكان المسجد الأقصى ويحاولون نشر هذا الاسم الجديد ليأخذ مكانة لدى

المؤرخين والكتاب ويتحول الى حقيقة كما حصل فى اسم حائط البراق الذى حوله اليهود الى حائط المبكى مدعين أنه من آثار الهيكل القديمة بينما الحقيقة أن حائط البراق هو جزء من الحائط الغربى للمسجد الأقصى ويتبع الأملاك الإسلامية وهو المكان الذى عرج منه الرسول صلى الله عليه وسلم الى السماء هذا ما أكسبه اسم حائط البراق.

ويقول هـ . ج ولز المؤرخ البريطانى المعروف أن المجد الذى بلغه سليمان لم يكن إلا ملكا صغيراً خاضعاً لغيره في مدينة صغيرة ولم تمض سنوات قليلة على موته حتى تمكن فرعون مصر من الاستيلاء على القدس ونهب معظم ثروتها ومعالم ازدهارها وكثير من الكتاب يشكون في قصص التوراة فى سفرى الملوك والأيام ويقولون إن الكتاب اليهود المتأخرين قد اضافوها وبالغوا فيها بدافع من الكبرياء الوطنى ان هيكل سليمان اذا أمعنا النظر في مقاييسه يمكن إدخاله في كنيسة صغيرة لبلد صغير - وكان طول الهيكل من الداخل ١٠٠ قدم وعرضه ٣٥ قدماً. والهيكل نفسه فإن جميع الحفريات الأثرية لم تعثر له على بقية وتقول دائرة المعارف البريطانية (مجلد ١٣ ص ٦) انه ليس من المؤكد أن الهيكل كان فى حرم المسجد الأقصى خاصة أن تيطس القائد الرومانى عندما هدم المدينة سنة ٧٠ م لم يترك شيئا قائما فيها وطمست سائر معالم المدينة فالبحث عنه اذن عبث في عبث حتى لو كان مكانه فى الحرم الشريف.

ولم يجد الأثريون أثناء بحثهم وتنقيبهم فى فلسطين أية آثار إسرائيلية والسبب أن الاسرائيليين الذين دخلوا فلسطين كانوا بدواً بسطاء لا ثقافة لهم ولا حضارة ولم يطل حكمهم في البلاد لينشأ لهم تراث يذكر في الفن أو البناء أوالحضاره وما أقاموه كان بمساعدة الفينقيين وقد اندثر بفعل التخريب.

ويقول بعض المؤرخين إن هيكل سليمان لم يكن معبداً لجميع اليهود إلا في عهد سليمان ومن بعده وجه اليهود الاسرائيليون وجهوههم نحو معبدين الأول شمال القدس والثانى في دان - تل القاضى شمال فلسطين.

ولم يكن اليهود ينظرون الى هيكل سليمان نظرة القداسة التى يتظاهر بها الصهيونيون الآن ولم يتورع جيش مملكة السامرة أثناء غزوه لمملكة يهوذا بالقدس من هدم أجزاء من المعبد ونهب ما فى الهيكل من كنوز الذهب والفضة وقد اتخذت مملكة إسرائيل هيكلاً خاصا في الساحة بجوار نابلس.

وزال حكم قبائل الجماعات اليهودية في فلسطين بعد حكم دام بضعة مئات من السنين وظل الكنعانيون والعموريون وغيرهم من القبائل العربية خلال تلك المدة سكان فلسطين الأصليين يقيمون في البلاد جيلاً بعد جيل على الرغم من تعاقب الغزاة - ويحاول الاسرائيليون ومن يشايعهم أن يوهموا العالم بأن تاريخ فلسطين قبل الفتح الاسلامى إنما هو تاريخ شعب عبرى يملأ جوانبها وأزمانها - ورغم أن العلم الحديث كشف النقاب عن زيف تلك الاوهام فان المؤرخين الغربيين لم يزالوا متأثرين بالادعاءات الصهيونية وربطها بحقائق التوراة والإنجيل.

والحقائق التاريخية تشير الى أن هدريان الرومانى أزال كل آثار الهيكل عام ١٣٥م إثر ثورة قام بها اليهود ونكل بالسكان اليهود وحول القدس الى مستعمرة رومانية حرم على اليهود العيش فيها أو الاقتراب منها والعرب هم الذين سمحوا لليهود بالعودة الى الصلاة قرب حائط البراق.

هذه هى قصة الهيكل التى يثيرها اليهود في العالم هذه الأيام بحجة إعادة بنائه في مكان المسجد الأقصى بعد هدمه.

المحاولات الإسرائيلية لهدم المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة

تعددت المحاولات الإسرائيلية لنسف المسجد الأقصى المبارك ومسجد الصخرة المشرفة.

محاولة إحراق المسجد الأقصى المبارك فى ١٩٦٩/٨/٢١

«تمت المحاولة بواسطة مجموعة من الاسرائيليين في عملية من أكبر عمليات التخطيط الاسرائيلية لهدم هذا المسجد الإسلامى البالغ القداسة عند المسلمين - ولولا مسارعة الجموع الإسلامية وفرق الإطفاء العربية المحلية والمجاورة لما كان بالامكان انقاذ القسم الأكبر من المسجد وإفشال المخطط الاسرائيلى. وكان الحريق قد شب في موقعين وليس في موقع واحد وكان الأول عند منبر صلاح الدين التاريخى الذى يعتبر من أقدم المنابر الإسلامية ويمتاز بدقة الصناعة والجمال والفن وقد أتت النيران عليه تماماً والثانى قرب الحائط الشرقى الجنوبى حيث أتت النيران على سقف ثلاثة أروقة.

ألصقت اسرائيل التهمة بشاب إسرائيلى اسمه مايكل روهان وأقيمت له محاكمة صورية وألصقت به حالة الجنون ووضع في مستشفى الأمراض العقلية لفترة من الزمن ثم أخلى سبيله وسافر الى استراليا موطنه الأصلى.

المحاولة الثانية: قام بها جماعة «جال» المتطرفة وتعرف بجماعة المدافعين عن يهودا وخلاص إسرائيل. تألفت تلك الجماعة في منتصف السبعينيات وكان تفجير المسجد الأقصى من أهدافها الرئيسية وبالصدفة ألقت السلطات الاسرائيلية القبض على رئيس الجماعة «ليرنس» وهو يهودى أمريكى وعند تفتيش منزله عثر على الخطة الكاملة المكتوبة لتتم على مراحل لنسف قبة الصخرة المشرفة وحوكم وحكم عليه بالسجن خمسة أعوام ثم اطلق سراحه فيما بعد.

المحاولة الثالثة: قام بها يهودى يدعى «عتصيون» واشترك في التنفيذ عدد من أعضاء «الحركة السرية اليهودية» وهى من أضخم وأخطر الحركات المتطرفة اليهودية وقد أسهمت في عمليات كثيرة إرهابية ضد الفلسطينيين.

وكانت الجمعية تعتقد أن حرق ونسف المسجد الأقصى والصخرة المشرفة بالنسبة للرأى العام العالمى لن يخرج عن نطاق التصريحات والاحتجاج. واشترك في المؤامرة عدد من الحاخامات اليهود وعلى رأسهم رئيس الطائفة الشرقية «عوفريا يوسف» وتم إعداد الخطة وتوزيع الأدوار بدقة بالغة حتى إنهم قاموا بعمليات استطلاعية أثناء جولة بالطائرة حول موقع المسجدين وحصل الأعضاء الذين أوكل لهم عملية التنفيذ على تدريبات مكثفة وراقبوا أساليب الدفاع العربية وأجهزة الإنذار حول المسجدين ولكن الجريمة سقطت بأيدى رجال الأمن سنة ١٩٨٤ ووجد لديها ترسانة هائلة لعمليات النسف – كميات من البارود والمواد المتفجرة وألغام وكبسولات وقنابل غاز وقنابل دخان وأصابع ديناميت وقنابل يدوية وكان المقرر أن تتم عملية النسف في نصف ساعة.

المحاولة الرابعة: قام ٤٦ من الاسرائيليين بالتسلل الى الحرم القدسى الشريف عن طريق الحفريات التي كانوا يقومون بها وكانوا يحملون صناديق تحتوى على مواد متفجرة لنسف جميع الأماكن داخل الحرم الشريف وقد اكتشفهم حراس الأوقاف الإسلامية وأبلغوا سلطات الأمن الإسرائيلية التى اعتقلتهم مع معداتهم وأقامت لهم محاكمة صورية ثم أفرجت عنهم فيما بعد.

المحاولة الخامسة: اكتشفت السلطات الاسرائيلية تنظيماً سريا داخل الجيش الاسرائيلى كان يخطط لنسف الحرم القدسى واعتقلت رجاله وحكمت على بعضهم بالسجن مددا تتراوح بين ثلاث وسبع سنوات ثم أفرجت عنهم فى فترة لاحقه.

المحاولة السادسة: وأحدث المحاولات لاقتحام الحرم القدسى الشريف قام بها وفد البرلمان الاسرائيلى فى ١٩٨٦/١/٨ وثار على أثرها العالم العربى والإسلامى بالاحتجاج والاستنكار وتقديم شكوى الى مجلس الأمن الدولى وانتهت الشكوى باستعمال الفيتو الأمريكي وإفشال اتخاذ أى قرار ضد إسرائيل.

هذا الى جانب الحفريات التى تقوم بها السلطات الاسرائيلية تحت حوائط المنطقة المحيطة بالمسجدين بحجة التفتيش عن آثار هيكل سليمان. مما يشكل خطورة على أساسات المسجدين.

حول هدم المسجد الاقصى

يستخف البعض بالانباء التى تتردد فى إسرائيل بين حين وآخر عن نيتها هدم المسجد الاقصى لبناء هيكل سليمان على أنقاضه. ولايمكن أن تستبعد أقدام إسرائيل على عملية الهدم فى ظل الظروف المتردية التى تعيشها الأمة العربية بصفة خاصة والأمم الإسلامية بصفة عامة. الذين يستخفون بهذا الأمر لايضعون في حسابهم كيف نشأت وتطورت الدولة اليهودية بعد أن كانت مجرد هدف ومأوى وأصبحت حالياً أقوى دولة في المنطقة تفرض إرادتها وتحقق أهدافها على حساب الفلسطينيين والدول المجاورة. هل ننتظر معجزة من السماء تنقذ القدس وقد ولى عصر المعجزات وهل يملك العرب غير الكلمات والاحتجاج اللفظى والصوت العالى الأجوف يقفون مكتوفى الأيدى.

يعلن الفلسطينيون وباستمرار أن المسجد الأقصى فى خطر لأن الشعب الإسرائيلى والحكومة الاسرائيلية مصران على بناء هيكلهم فوق أنقاضه وفى مسرحيات عبثية تقوم الشرطة الاسرائيلية بالقبض على بعض المتطرفين اليهود بالقرب من المسجد الأقصى وفى حوزتهم متفجرات أرادوا بها نسف المسجد الأقصى وسوف تتكرر هذه المسرحية الهزلية لتهيئة العالم الإسلامى نفسياً على قبول أنباء تدمير المسجد الاقصى، خصوصا فى ظل حكومة أعدت كل شىء لبناء هيكل سليمان على أنقاضه.

هناك استحالة لاحتواء الرغبة الجامحة الإسرائيلية، هدم الاقصى وبناء هيكل

سليمان الثالث. ومن الصعب إلغاء ما تقوم به الإدارة اليهودية للإعداد ليوم أسود قادم يتم فيه تدمير المسجد الأقصى.

لقد انتشرت في جميع أنحاء العالم جمعيات يهودية تسمى جمعيات بناء الهيكل لجمع الأموال من يهود العالم لبنائه. وقد جمعوا عدة ملايين تكفى لبناء أكثر من هيكل وأرسلت هذه الأموال الى الحكومة الاسرائيلية وتم تخصيص المبالغ المطلوبة والباقى رصدوه للاستيطان فى القدس وبقية الأراضى العربية في الضفة وقطاع غزة.

وقامت جمعيات بناء الهيكل في الولايات المتحدة بإعداد الرسومات الهندسية للبناء وتم في إسرائيل جمع الحجارة المطلوبة للبناء وعددها ستة ملايين حجر عثر عليها فى جبال ووديان صحراء النقب وتم صقل هذه الحجارة استعداداً ليوم البناء. وقام يهودى أمريكى من أصل مصرى بالتبرع بشمعدان من الذهب الخالص بحجم كبير يوضع فى بهو الهيكل طبقاً للطقوس اليهودية.

وأقامت دولة إسرائيل منذ مدة معهدا ليلتحق به شباب إسرائيل ليتعلموا الطقوس الدينية وهؤلاء سيعملون فى المعبد المقرر إقامته.

كل شيء جاهز للتنفيذ الأثاث جاهز - رسومات البناء جاهزة.

مواد البناء كلها جاهزة - الشباب الذى يقيم الشعائر اليهودية في الهيكل تخرجوا في انتظار العمل. البقرة الحمراء التى قيل إن الرب سيأتى بها فى اسرائيل كعلامة لبناء الهيكل قد ولدت في حيفا.

والحكومة الاسرائيلية الحالية أعدت نماذج مصغرة من الفضة لشكل الهيكل تهديها لكبار الزوار تأكيداً على أنه سيبنى الهيكل.

وقد أودع الفلسطينيون فى سجلات جامعة الدول العربية عدة صور كانت قد أعدتها اسرائيل للهيكل اليهودى في شكله النهائى. ولاتزال هذه الصور في سجلات جامعة الدول العربية.

هل أعددنا شيئا لهذا الحدث الخطير القادم

لاشيء على الإطلاق

اذاعت وكالات الأنباء من عمان بالأردن

بتاريخ ١٩٩٨/٣/٨

ذكر عالم الآثار والحفريات الفلسطيني الدكتور ابراهيم الغني في تصريح له أن سلطات الاحتلال الاسرائيلي شرعت عملياً في إنشاء مدينة سياحية تحت المسجد الأقصى وفق مشروع لترحيل معماري لنقل الصخرة المشرفة تمهيدا لإقامة الهيكل اليهودي المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى.

وقد أخذت السلطات الإسرائيلية الإسراع في تنفيذ هذا المشروع الذى كان محدداً له سنة ١٠٢٥ إلا أن حكومة نتنياهو قدمته الى عام ٢٠٠٨ عبر نقل الصخرة المشرفة من موقعها الحالى الى باب الخليل مشيراً الى البدء فعلا فى إقامة هيكل صغير بجوار حائط البراق (المبكى).

وقد عرض عالم الآثار خرائط ومعلومات نادرة وحديثة تظهر أهداف مشروعات سلطات الاحتلال الى جانب فيلم وثائقى حول طبيعة الإنفاق والأعمال الاسرائيلية الجارية والتى يزن حجر الأساس فيها ٤٥٠ كيلو جراما.

وأضاف أن مستوطنة رأس العامود المزمع إقامتها ستكون إشارة بدء تنفيذ الهيكل المزعوم.

ولفت النظر الى كثرة الحفريات تحت المسجد الأقصى والبلدة القديمة التى باتت تشكل تهديداً حقيقيا لانهيار تلك المبانى.

الإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس

منذ انتهاء حرب ١٩٤٨ واعلان دولة إسرائيل أخذت السلطات الإسرائيلية في تنفيذ مخططاتها لتحويل مدينة القدس الى عاصمة لدولة إسرائيل الكبرى والتخلص تدريجياً من سكانها العرب وكانت قد استولت على ٨٠٪ من مساحة مدينة القدس وقامت بطرد ٦٠ ألفاً من سكانها العرب المسلمين والمسيحيين وتابعت من مخططاتها إثر استيلائها على الجزء الغربى من مدينة القدس وقد لعبت المقاومة الفلسطينية دوراً هاماً فى الحفاظ على هذا الجزء من مدينة القدس عربياً وحالت بين سقوطه فى ايدى اليهود سنة ١٩٤٨.

بدأت اسرائيل في تنفيذ عدد من الاجراءات ضد المدينة المقدسة سكاناً وأرضاً وعقارات وحضارة ومقدسات وتنظيماً ومن أبرزها:

١- إعلان القدس عاصمة لاسرائيل بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١١ ونقل مقر حكومتها من تل أبيب الى القدس وقد تغاضت الأمم المتحدة عن هذا الإجراء رغم أنه مخالف لقرار التقسيم وقدمت الولايات المتحدة وبريطانيا أوراق اعتمادها في القدس سنة ١٩٥٤.

٢- اصدار سلطات الاحتلال الإسرائيلية فى ١٩٥١/٣/٣١ قانون أحوال الغائبين وبهذا القانون وضعت إسرائيل يدها على جميع الأموال المنقولة وغير المنقولة التي تركها السكان الفلسطينيون حينما غادروا القدس.

٣- منع اللاجئين من حق العودة وذلك رغم قرارات الأمم المتحدة - إعادة اللاجئين الى بلادهم ورد ممتلكاتهم أو تعويضهم - مبلغ المحرومين من العودة من سكان القدس مائة ألف.

٤- فتح باب الهجرة لليهود للاستيطان في القدس على مصراعيه.

كان السكان اليهود بالقدس سنة ١٩٤٨-١٠٠ ألفاً.

وبعد سنة ١٩٦٧ بلغ ١٩٠ ألفاً.

وفى سنة ١٩٧٥ بلغ ٢٥٠ألفاً.

والآن يزيد عددهم عن ٣٠٠ ألف.

٥- بعد سنة ١٩٤٨ لجأت إسرائيل الى استعمال سلاح الإرهاب لطرد الفلسطينين الذين بقوا في الأحياء التى استولت عليها فأحرقت مئات العقارات السكنية والمتاجر التى كانت خارج أسوار المدينة.

وبعد حرب ١٩٦٧ أضافت إسرائيل فقرة جديدة الى قانون الإدارة والنظام الصادر سنة ٤٨ وهذه الفقرة خولت الحكومة الاسرائيلية تطبيق القانون الاسرائيلى على أية مساحة من الأرض ترى حكومة إسرائيل ضرورة ضمها الى أرض اسرائيل وشمل هذا التعديل إدارة بلدة القدس العربية التى كانت تشمل حوالى ١٠٠ ألف من سكان المدينة الذين اصبحوا بدون موافقتهم خاضعين للقانون والسيادة الاسرائيلية مباشرة.

٦- قامت السلطات الاسرائيلية بإجراءات اقتصادية فأغلقت البنوك العربية وكانت ستة في القدس وصادرت اموالها واستبدلت العملة الأردنية بالعملة الإسرائيلية ثم منعت إدخال أى انتاج صناعى أو زراعى من خارج القدس إليها واقتصرت الأسواق على السلع والمنتجات الاسرائيلية.

٧- أجرت السلطة الاسرائيلية إحصاءاً عاما لسكان القدس واعتبرت الموجودين هم فقط مواطنين وأجبرتهم على حمل الهويات (البطاقات) الاسرائيلية واعتبر جميع الغائبين محرومين من حق العودة ووضعت يدها على أملاكهم وبدأت تدريجياً الاستيلاء عليها - حتى المقيمين لم يسلموا من السطو الاسرائيلى حيث أخذت السلطة الاسرائيلية اقتطاع أجزاء من أراضيهم بحجة لزومها للغابات والخدمات العامة والملاعب والحدائق وخزانات المياه حتى المدارس والمستشفيات لم تسلم من هذا السطو وتبع ذلك على أراض انتزعت من عشر قرى عربية تحيط بالقدس وازالة مساكنها وتشريد اهلها. وفي سنة ١٩٧٢ صادرت بلدية القدس خمسة آلاف دونم من القرى العربية شرقى القدس ثم سبعين ألف دونم من أراض عربية بين القدس وأريحا بحجة إنشاء مدينة صناعية عليها.

٨- واتخذت إسرائيل من الحفريات وسيلة لهدم العقارات التى تقع فوقها أو المجاورة لها بحجة الكشف عن التاريخ اليهودى وهيكل سليمان ووصلت أعمال الحفر الى أكثر من ٢٣٠ متراً أسفل عقارات الوقف الاسلامى الملاصق للحرم الشريف وأصبحت الحفريات تهدد المسجد الأقصى وسور الحرم بالتصدع والانهيار وقد أدانت منظمة اليونسكو بشدة استمرار السلطات الإسرائيلية بأعمال الحفر وطالبتها عدة مرات بالتوقف ولكن إسرائيل رفضت ذلك.

٩- نتيجة لضغوط بلدية القدس المستمرة على السكان العرب تم إخلاء خمسة آلاف منزل ودكان ومحل داخل الأسوار وحدها عدا ما تم اخلاؤها خارجها وأخذت البلدية تهدد السكان بترك منازلهم بحجة عدم لياقتها الصحية.

١٠- ومن الخطوات الأخرى في عملية التهويد بدأت بالنظام القضائى الاسلامى فأغلقت المحاكم النظامية في المدينة ونقلت محكمة الاستئناف العليا من القدس الى رام الله وأدمجت جميع المحاكم بالنظام القضائى الاسرائيلى وأخذت تتجاهل شهادات الزواج والطلاق والإرث والوصاية والوقف مما له علاقة بالاحوال الشخصية للسكان

وانتقلت الى التعليم العربى ووضعت يدها على جميع المدارس الحكومة وأجبرتها الخضوع لنظم التعليم الاسرائيلية وخفضت عدد الطلاب في تلك المدارس.

١١- فرضت قوانين تهويد الإنسان العربى والقصد هو إعادة تسجيل جميع المحلات والمهنيين والحرفيين والشركات وإعادة تسجيلها لدى المحاكم الاسرائيلية وشملت كذلك الجمعيات التعاونية والأطباء والمهندسين والمحاسبين والمحامين وفرضت عليهم تسجيل أسمائهم في النقابات الاسرائيلية ومن يرفض يعرض نفسه للتجميد والتوقف عن مزاولة العمل.

١٢- بدأت الاعتداء على الأماكن المقدسة الدينية سواء إسلامية أو مسيحية واتخذت عدة خطوات لتحقيق ذلك بدأت بهدم ونسف العقارات الوقفية الملاصقة للمسجد الأقصى من الغرب والجنوب وهدمت حى المغاربة بأكمله واستولت على باب المغاربة أحد ابواب المسجد الأقصى وسمحت بإقامة الصلوات اليهودية داخل مساحات الحرم الشريف ووضعت يدها على مقبرتى باب الرحمة واليوسفية الملاصقين للحرم وضمهما لمنتزه إسرائيل الوطنى ولاننسى الحريق المفتعل للمسجد الاقصى وحرق منبر صلاح الدين وتعمد قطع المياه فى ١٩٦٩/٨/٢١ للحيلولة دون عمليات الإطفاء.

وبالنسبة للمقدسات المسيحية:

الى جانب الإزعاج والتحقير للمقدسات المسيحية الضغوط بشدة على الطوائف المسيحية للتنازل عن مساحات من أراضيها وعقاراتها فى القدس سواء بالبيع المباشر أو التأجير الطويل الأجل والضغط على رجال الدين المسيحيين لاضطرارهم النزوح من القدس.

وقد تعرضت كنيسة القيامة وهى أقدم كنيسة في العالم الى السرقات حيث تم سرقة تاج العذراء مريم وتحطيم قناديل الزيت والشموع فوق القبر المقدس واحتراق المركز الدولى للكتاب المقدس على جبل الزيتون ومحاولة سرقة إكليل العذراء المرصع بالماس وقد اضطرت الكنيسة الأرثوذوكسية للتنازل عن المسكوبية والأراضى التابعة لها وكذلك فندق فاست والعمارات المجاورة له في وسط المدينة والتنازل عن مدرسة شنلر الألمانية المعروفة ومعها مساحات واسعة من الأرض. وقد أعتدى على دير الأقباط وعلى ممتلكاته ورهبانه وعلى أراضى واحياء المصلبة والقطمون وكرم الرهبان والأراضى الواقعة بين السكة الحديد وفندق الملك داود والاعتداء بالضرب على الرهبان ومنهم

المطران فاسيلوس الرجل الثانى بالبيطريكية الأرثوذوكسية وكان عدد أفراد المسيحيين بالقدس قبل سنة ١٩٦٧ – ١٨٣٠٠ وهو لايزيد الآن عن ١٢٠٠٠ .

١٣– تم نقل جميع المراكز الصحية العربية الى رام الله ومنها مديرية الصحة العامة والمختبرات وبنك الدم ومكافحة السل وتم إغلاق دائرة الشئون الاجتماعية العربية وجميع الجمعيات الخيرية وإخضاع جميع المستشفيات والملاجىء ودور الطفل والمعهد الدينى لليتيم الفلسطينى والمعهد العربى العلمى وعشرات العيادات والمدارس الأهلية جميعها أصبحت خاضعة للقوانين الإسرائيلية.

١٤– أخذت السلطة الاسرائيلية فى إبعاد المواطنين بدون إبداء الأسباب ومن المبعدين رؤساء بلديات ووزراء سابقين وأعيان ونواب وأطباء ومحامين ومدراء كليات ومعلمين ومزارعين وملاك وتجار وطلاب ذكوراً واناثاً.

١٥– تم تغيير أسماء الشوارع والطرق والمساحات العامة والميادين وطمست اسماؤها العربية واستبدلت باسماء عبرية.

١٦– تقوم إسرائيل بتنفيذ مشروع يستهدف تغيير الطابع الدينى والتاريخى للمدينة المقدسة وسلبها روحانيتها وعروبتها وتحويلها الى مدينة يهودية عصرية بعد ان أصبحت تمتلك ٩٠٪ من الممتلكات العربية الإسلامية والمسيحية بينما كانت نسبة الملكية قبل الاحتلال الاسرائيلى ٩٤٪ للعرب ٤٪ لليهود ٢٪ للأجانب.

وأخيراً قامت إسرائيل بعد فرض جميع هذه القوانين بحملة تضليل تتهم عرب القدس بأنهم تنازلوا وباعوا أملاكهم بمحض إرادتهم.

وهكذا ضربت إسرائيل عرض الحائط بكل القرارات الدولية وبكل الاتفاقات التى عقدتها مع السلطة الفلسطينية والتى تقضى بعدم التصرف بالأراضى المحتلة المستولى عليها بالقوة بعد سنة ١٩٦٧ وأن يرجأ مصير القدس الى المفاوضات النهائية.

ولاتتوقف إسرائيل وتستمر فى حملاتها حيث قامت بفتح بجانب حائط المسجد الأقصى يصل الى حائط المبكى (البراق) وهو يهدد أساسات المسجد والصخرة المشرفة وتقوم الآن ببناء مستوطنة جديدة في منطقة جبل «أبو غنيم» وهى منطقة عربية لتتسع الى ستة الاف يهودى وعند إتمام تلك المستوطنة تكون الدائرة قد أغلقت تماماً على الجزء الغربى من القدس وتصبح محاصرة من كافة الاتجاهات وتتجه الخطط الإسرائيلية لبناء مساكن في الحى الغربى برأس العمود.

هذا الاسهاب في شرح خطط إسرائيل وإجراءاتها لتهويد القدس المقصود منه إيضاح الوسائل الاسرائيلية سواء السريعة أو البطيئة للاستيلاء على الأرض والممتلكات الفلسطينية لتحقيق اهدافها فى إنشاء دولة إسرائيل الكبرى وتفريغ فلسطين من سكانها العرب.

وهناك مشروع إسرائيلى أقره الكنيسست وأرجىء تنفيذه الآن يقضى بإضافة ثلاث مدن عربية للقدس وسبعة وعشرين قرية مجاورة وهى بيت لحم - بيت جالا - بين ساحور - وسيخضع هذا المشروع مائة ألف عربى لحكم السلطات الاسرائيلية المباشر سياسياً وقانونياً والمعروف أن إنشاء دولة اسرائيلية قامت على مشروع أقره المؤتمر الصهيونى الأول فى بازل بسويسرا سنة ١٩٩٧.

حصاد المفاوضات بشأن القدس

هل وصلت الى طريق مسدود؟

المخططات الإسرائيلية لتهويد مدينة القدس بدأت منذ صدور قرار تقسيم فلسطين الى دولتين فلسطينية ويهودية وكذلك القرار الخاص بشأن المدينة المقدسة والإعلان عن تدويلها ووضع نظام خاص بها وذلك سنة ١٩٤٧.

قبل اليهود هذا (التدويل) ظاهرياً مقابل الاعتراف الدولى بإنشاء دولة اسرائيل - ولكن الحقيقة أن هذا التدويل الظاهرى انتهى عملياً بعد حرب سنة ١٩٤٨ وبعد أن تمكنت اسرائيل من احتلال أكثر مناطق القدس الغربية العربية وأصبحت تابعة تماماً للسيادة الاسرائيلية وبدأت اسرائيل زيادة معدلات الهجرة الى القدس حتى بلغ عدد سكانها اليهود قبل سنة ١٩٦٧- ١٩٥ ألفاً وأخذ هذا العدد يزداد تدريجياً بمحاولات جادة لتهويد المدينة المقدسة واستطاعت اسرائيل بعد هزيمة ١٩٦٧ من احتلال القدس الشرقية (القسم الغربى) واعلنت بجلاء أن القدس أصبحت مدينة موحدة غير قابلة للتقسيم وأنها العاصمة الأبدية لاسرائيل.

توالت القوانين الاسرائيلية بدءاً بقانون أملاك الغائبين سنة ١٩٥٠ ثم جاء قانون السيادة والقضاء سنة ١٩٦٨ الذى فصل خصيصا على مدينة القدس وأقدمت السلطة الاسرائيلية بحل مجلس أمانة القدس الغربى وطردت رئيسه «روحى الخطيب» وإزالة بوابة مندلبوم وهى نقطة العبور بين الشطرين الشرقى والغربى للمدينة المقدسة.

وعندما تولى جيمس بيكر وزير خارجية الولايات المتحدة المفاوضات قبيل انعقاد مؤتمر مدريد في ١٩٩١/١٠/٣٠ أصدرت الحكومة الأمريكية رسالة الى الفلسطينيين أشارت فيها الى قضية القدس بأنها (قضية خاصة) تنفصل عن بقية المناطق الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة وفى رسالته أصر على أن تبقى القدس مدينة موحدة دون الإشارة الى موضوع السيادة عليها وأن المفاوضات تستبعد وترفض وجود مقدسى ضمن الوفد الفلسطينى الأردنى الى مؤتمر مدريد وحصر قضية القدس بأنها قضية سكان مقدسيين عرب واماكن مقدسة وأن إثارة قضية القدس يجب أن تؤجل الى المرحلة النهائية للمفاوضات - أما بالنسبة لمشاركة أهل القدس بالنسبة للمرحلة التالية فقد وضعت إسرائيل وأمريكا بعض الشروط:

١- ان يكونوا من سكان القدس المقيمين.

٢- ان توافق اسرائيل على تمثيلهم.

٣- إلغاء التزام المقاطعة العربية لاسرائيل.

٤- بدء مفاوضات تشترك فيها عناصر دينية عربية حول إدارة المسجد الاقصى.

وهكذا بدأت قضية المدينة المقدسة تتحول الى قضية اماكن عبادة وجاء بعد بيكر وارن كريستوفر وزير خارجية أمريكا الجديد وفى جولاته لدفع عملية المفاوضات بين العرب وإسرائيل ظهر موقف امريكا بجلاء وهو عدم التدخل لوقف الممارسات الاسرائيلية على الأرض واعتبار قضية القدس ذات شقين سياسى ودينى وحصر كريستوفر جولاته فى البحث عن الشق الدينى فقط.

وأخذت القوانين الاسرائيلية المخصصة للقدس تتوالى ومنها قوانين الإقامة والسفر ومصاريف وتراخيص البناء وأوامر الهدم.

وجاء اتفاق أوسلو سنة ١٩٩٣ لإقامة حكم ذاتى فلسطينى يؤكد تأجيل قضية القدس الى بدء المرحلة النهائية وعدم بحث وضع القدس قبل هذا التاريخ.

ازدادت إجراءات الاستيطان اليهودى داخل أسوار المدينة العربية بجوار المسجد الأقصى وكنيسة القيامة وفى القرى المحيطة بالقدس وآخرها مشروع جبل أبو غنيم الذى يرمى الى إتمام الطوق حول المدينة نهائياً وجاء حكم الليكود ليعلن نتنياهو بالاتفاق مع الولايات المتحدة أنه لايقبل التفاوض قطعياً بموضوع تحديد القدس وأنها

العاصمة الابدية الموحدة لاسرائيل وأن المفاوضات يجب أن تقتصر على حق المرور الى المسجد الأقصى وعلى قطعة صغيرة من الأرض تضم قرى أبو ديس والعيزرية وسلوان وبهذا يقتصر مجال التفاوض على هذه النقاط المحدده.

وفي ١٨ مايو سنة ١٩٩٧ وجهت السلطات الإسرائيلية إنذارات الى خمسين ألف فلسطيني من سكان القدس المقيمين خارجها بإلغاء حقهم في العودة (تحت شعار سقوط حق الغائب أكثر من سبع سنوات) ومصادرة هويات الإقامة الاسرائيلية الزرقاء منهم.

وحيث إن عدداً كبيراً من السكان المقدسيين لم يعد يقيم إقامة دائمة في القدس اما لانهم يدرسون في جامعات عربية قريبة من القدس أو يعملون في مناطق أخرى من الضفة وكذلك السيدات المقدسيات المتزوجات بفلسطينيين لايعيشون في مدينة القدس جميع هؤلاء سقط حقهم في العودة الى القدس. وأصبحوا بموجب القوانين الاسرائيلية مقيمين وليس مواطنين ويخضعون لقانون الاقامة رغم انهم يقيمون في وطنهم فلسطين.

يحضرنا السؤال الهام على ماذا يكون تفاوض المرحلة النهائية بخصوص القدس وإيجاد الحل النهائى لها...؟

لقد أصبحت قنوات التفاوض بالنسبة للقدس واضحة كل الوضوح وإذا لخصنا خطوط الموقف الإسرائيلى المتطابق مع الموقف الأمريكى نجد أنه يتحدد في مرحلتين:

١- مدينة موحدة غير قابلة للتقسيم قطعياً تحت السيطرة الاسرائيلية وعاصمة أبدية.

٢- يتم توسيع حدود القدس الحالية لتصبح القدس الكبرى وتضم القرى الثلاث التى ذكرناها سابقاً ابوديس والعيزرية وسلوان ويطلق على القدس الكبرى مدينة أورشاليم ويطلق على القرى الثلاث من قبيل الترضية أسم «قدس» ويكون للمسجد الاقصى حصانة بيد الفلسطينيين.

ويشترط لتنفيذ ذلك اعتراف الفلسطينيين بأن القدس الموحده هى عاصمة دولة اسرائيل. وبقيت نقطة تركتها إسرائيل وهى ترتيبات الوصول الى المسجد الاقصى حيث يجرى بحثها في المرحلة النهائية من المفاوضات وهكذا اصبحت المفاوضات تقتصر على أماكن العبادة.

وهناك رأى إسرائيلى لايحظى بالقبول الكافى وهو أن هذه القرى الثلاث يمكن أن تكون يوماً عاصمة لدولة فلسطين بشروط خاصة.

أما سكان القدس فلهم أن يحملوا الهوية الإسرائيلية ماداموا يعيشون فيها على أن يخضعوا للقوانين الإسرائيلية التى تمنع تزايد عددهم وتسعى الى التخلص منهم بشتى الطرق.

بعض الإحصائيات المتعلقة بالقدس:

١- بينما كان الفلسطينيون يملكون حوالى ٩٠٪ من أراضى القدس الشرقية عام ١٩٦٧ أصبحت إسرائيل تسيطر على ٨٧٪ من هذه الأراضى سنة ١٩٩٥ ليعيش الفلسطينيون على ١٣٫٥٪ فقط من مساحة القدس الشرقية.

٢- زاد عدد اليهود بين عامى ١٩٢٢-١٩٩٣ أحد عشر ضعفاً بينما زاد عدد الفلسطينيين ٥ أضعاف فقط رغم ارتفاع نسبة المواليد بينهم.

٣- تلغى نسبة كبيرة من تصاريح البناء للفلسطينيين بينما تشيد المستوطنات فى القدس وضواحيها بشكل محموم وهناك برامج دورية لهدم المنازل العربية القريبة من المستوطنات الإسرائيلية حول القدس والتى تقع بجانب الطرق الالتفافية حولها.

٤- تحاول إسرائيل إفهام العالم الغربي أنها وحدها لها السيادة الدينية على كل المقدسات في القدس وهى وحدها التى تملك حق منح (المواطنة الدينية) لمن يريد وقد رفض عمدة القدس الاسرائيلى السماح لدائرة الأوقاف الاسلامية بالقدس بترميم المصلى المروانى تحت المسجد الأقصى بحجة أنه تابع لبلدية القدس اليهودية.

٥- تعلن إسرائيل أنها وحدها التى تملك إعطاء الصلاحيات سواء للملك حسين او لغيره حق الإشراف على الأماكن المقدسة.

ومن قرارات الأمم المتحدة بشأن القدس:

١- حائط البراق (المبكى) ملك للمسلمين (قرار لجنة البراق سنة ١٩٣٨).

٢- كل الإجراءات التى قامت بها اسرائيل من مصادرة وغيرها لتغيير الوضع القانونى في القدس باطلة (قرار مجلس الأمن رقم ٢٥٢ الصادر ٢١ مايو سنة ١٩٦٨).

٣- عدم الاعتراف بقانون الكنيست بتوحيد شطرى المدينة وجعلها عاصمة لإسرائيل (قرار مجلس الأمن رقم ٤٧٨ الصادر في ١٢ أغسطس سنة ١٩٨٠).

٤- إدانة أعمال العنف الاسرائيلية في القدس ضد السكان العرب (قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٢ - ١٣ اكتوبر سنة ١٩٩٠).

٥- المستوطنات القائمة في القدس الشرقية غير قانونية بموجب مواثيق جنيف واعتبار اليهود في القدس الشرقية مواطنين باطل (تصريح كوردسمان الخبير الاستراتيجى الامريكى فى ١٢ يونيه ١٩٩٥).

٦- من منظور القانون الدولى فإن لفلسطين وليس لإسرائيل حق صريح وشرعى في المدينة (تصريح البرفسور جون كويجلى أستاذ القانون الدولى والعلوم السياسية بأمريكا).

ماذا يريد الفلسطينيون لكى يفلتوا من الفخ الذى يدعوهم الى البدء في مفاوضات الحل النهائي سواء بالنسبة للقضية بصفة عامة أو للقدس بصفة خاصة أن تلويح أمريكا وإسرائيل بإعادة الانتشار في الضفة مقابل البدء في الحل النهائى مع تبنى استراتيجية اسرائيل هو فخ يجب على الفلسطينيين أن يتجنبوا الوقوع فيه.

ولكن على الفلسطينيين الاستمرار وعدم رفض عملية التفاوض مع استعمال الذكاء في تفريغ المفاوضات مما تضمره إسرائيل لجر الفلسطينيين الى مفاوضات طويلة وعقيمة والاحتفاظ بالحقوق الإساسية المشروعة للشعب الفلسطينى.

ان الفتور الذى تبديه الإدارة الأمريكية تجاه عملية السلام وإحجامها عن التدخل لإنقاذها وتراجعها عن بعض الركائز التى سبق ووافقت عليها سواء فى مدريد أو بعدها والتكيف نحو مواقف الحكومة الاسرائيلية الحالية خصوصا إزاء قضية الاستيطان او إعادة الانتشار وللأسف ثبت عجز الموقف الغربى وخصوصاً فى ظل ضعف السلطة الوطنية الفلسطينية مما ترتب عليه افتقار أوراق عربية مؤثرة للضغط على الولايات المتحدة.

ورغم كل ذلك يجب على السلطة الفلسطينية عدم التخلى عن مواقفها الثابتة وحقوقها المشروعة وأن تتوقف عن استمرار تقديم التنازلات رغم الضغوط المماثلة التى تمارس عليها.

نظرة الغرب الى قضية فلسطين ومدينة القدس

إن التوراة عند المسيحيين فى سائر أنحاء العالم كتاب مقدس والإنجيل استمرار للتوراة فالأول يسمى العهد القديم والثانى يسمى العهد الجديد – وقصص التوراة تدور معظم أحداثها في فلسطين فالطفل المسيحى الغربي يخرج من دراسة تلك القصص وذهنه مملوء بالعقيدة أن فلسطين هى موطن اليهود وقد أجبروا على الخروج منها في العهود السابقة وأن من حقهم العودة اليها وأن القدس هي عاصمة اليهود ومكان مقدس للمسيحيين واليهود على السواء ولذلك فهو على استعداد تام لكى يصدق أكثر الأفكار التى يروجها اليهود بأحقيتهم بالعودة الى فلسطين ومدينتهم المقدسة اورشاليم لأنها موطنهم الأصلى.

وقد استغلت الصهيونية العالمية هذه العقيدة الغربية وحصلت على تأييد الدول الغربية والرأسمالية ولم تجد معارضة قوية لما تقترفه إسرائيل من آثام وأعمال وحشية ضد الشعب الفلسطينى وقد وجد صدى واسع لدى الغرب المسيحى أن استيلاء اليهود على فلسطين جاء مصداقاً لوعد إلهى وحق تاريخى.

ولاتزال البعثات الأثرية المسيحية وبمساعدة المؤسسات الصهيونية تبذل كل الجهد في منطقة الهلال الخصيب في محاولة للعثور على آثار عبرانية يهودية. ورغم ذلك فإن اكثر الآثار التى تم العثور عليها كانت للكنعانيين والأشوريين والبابليين أما آثار العبرانيين فكانت زهيدة جداً لسبب المدد المتقطعة التى قضوها في المنطقة.

الموقف السياسى للفاتيكان فيما يتعلق بمدينة القدس

تباينت الآراء حول موقف الفاتيكان من قضايا السلام بالشرق الأوسط وخصوصا موقفه من مدينة القدس.

هنالك رأى يرى أن الفاتيكان يساند قضايا اليهود في العالم خصوصاً بعد إعلانه وثيقة الاعتذار الرسمي لليهود بسبب الجرائم التى ارتكبها النازى خلال الحرب العالمية الثانية.

ورأي آخر يرى أن الفاتيكان يساند القضايا العربية من خلال تصريحات البابا يوحنا بولس الثانى في مناسبات مختلفة فهو يرى ضرورة رفع الحصار الاقتصادى عن العراق وليبيا ومناهضة كل الإجراءات التعسفية التى تتخذها السلطات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطينى. وأعلن قداسته مراراً عن مساندة الفاتيكان للحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى.

ولتعزيز الرأى الثانى نوجز فيما يلى الكلمة التى أدلى بها كبير الأساقفة ووزير خارجية الفاتيكان (جان روى توران) خلال زيارته للقدس التى تمت قبل نهاية عام ١٩٩٨ وأوضح فيها موقف الكرسى البابوى بشأن حل مشكلة القدس.

فقد جاء في كلمته أن القدس الشرقية محتلة عسكريا بصورة غير مشروعة وأشار الى القرار بين ٢٤٢-٣٣٨ باعتبار القدس الشرقية أرضاً محتلة وأدان الممارسات الاسرائيلية بجميع أنواع العنف التى تشهدها الأراضي المحتلة وأشار بوضوح أن الفاتيكان يؤكد تبنيه المشاركة السياسية لقضية القدس وعدم الفصل بين قضية فلسطين وموضوع القدس.

وأعلن أن من حق الفاتيكان التدخل في موضوع قضية القدس استناداً الى البعد

الاخلاقى ورفض سياسة الأمر الواقع ورفض الحلول وإملائها بطريقة غير عادلة وإعادتها الى الأذهان اقتراح الفاتيكان بأن تصبح القدس مدينة موحدة ومركزاً وطنياً لكلا الشعبين الفلسطينى والاسرائيلى واعتبارها عاصمة للشعبين وأكد ضرورة قيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس ووجوب التوصل الى حل النزاع الحدودى بموجب قرارات الأمم المتحدة.

وأن فكرة عالمية القدس تستوجب مسئولية المجتمع الدولى لضمان حمايتها وأثار الى عدم رضاء الفاتيكان عن تأخير بحث مشكلة القدس وترحيلها الى المفاوضات النهائية. وأن ضمان حماية القدس يجب أن يتم من خلال وضع خاص يتم باتفاق دولى لأجل الحفاظ على خواصها التاريخية والدينية والثقافية لكل أتباع الديانات الثلاثة والمحافظة على الأماكن المقدسة وحق ضمان الوصول إليها بكل حرية. ورفض فكرة اكتفاء كل ديانة بإدارة الأماكن التابعة لها مع استمرار السيادة الاسرائيلية على المدينة وأكد أن الفاتيكان يعتبر نفسه طرفاً معنياً بالنسبة لتحديد مستقبل مدينة القدس.

واخيراً أكد مسئولية المجتمع الدولى عن تلك المدينة التاريخية وأن من أبرز رغبات الفاتيكان هى المشاركة في مفاوضات الوضع النهائى لمدينة القدس.

هذا هو تحليل مختصر للخطاب الذى ألقاه رئيس أساقفة الفاتيكان ووزير الخارجية «جان روى توران» في مدينة القدس يوم ٢٦ اكتوبر سنة ١٩٩٨ ولاشك أن هذا الخطاب هو رسالة مفتوحة وصريحة للشعوب العربية الاسلامية وعلى رأسها الأزهر الشريف للتضامن مع الفاتيكان من أجل التوصل الى حل لمشكلة القدس بطريقة موحدة سياسياً ودينياً وحدودياً حتى يتم إجهاض الخطط الاسرائيلية لتوسيع وإخفاء معالم القدس وفرض السيطرة عليها واعتبارها العاصمة الشرعية الابدية لإسرائيل وتأكيد حق المسلمين في المدينة المقدسة وحتى لانعود كعادتنا الى البكاء على اللبن المسكوب.

موقف كنائس العالم من قضية القدس

الموقف الوطنى للكنيسة القبطية:

أصدر البابا شنودة رئيس الطائفة القبطية في مصر قراراً تاريخياً يمنع فيه الأقباط الأرثوذوكس من زيارة القدس (للتقديس) واشترط أن يتم ذلك مع المسلمين بعد تحرير القدس وإعادة دير السلطان للأقباط المصريين.

وقصة دير السلطان في القدس بدأت سنة ١٩٧٠ حينما قامت السلطات الاسرائيلية بطرد الأنبا باسيليوس رئيس الدير ومن معه من الرهبان وسلموا الدير بطريقة وحشية الى الرهبان الأحباش وذلك مجاملة للرئيس منجستو رئيس أثيوبيا في ذلك الوقت وذلك لمساعدته إسرائيل في نقل اليهود الفلاشا من اثيوبيا الى اسرائيل. وقد لجأت الكنيسة القبطية الي المحاكم الاسرائيلية وصدر لمصلحتها حكم المحكمة العليا بإعادة دير السلطان الى الأقباط الأرثوذوكس ورغم ذلك رفضت السلطات الاسرائيلية تنفيذ حكم المحكمة وهكذا استمر على هذا الوضع الى اليوم. ولاأحد يشك في مكانة القدس الروحية والعقائدية بالنسبة للأقباط - والأقباط في مصر محرومون من زيارة القدس منذ سنة ١٩٥٦.

إن القدس لم تكن يهودية منذ القرن الأول الميلادى وقد توالى على حكمها عدة شعوب وأجناس من الفرس واليونانيين والبطالمة والروم ثم العرب حيث تم فتحها سنة ٦٣٨ ميلادية وظلت القدس عربية منذ ذلك التاريخ حتى سنة ١٩٥٦.

الجمعية العامة لمجلس الكنائس العالمى في أواخر سنة ١٩٩٨

شارك في الاجتماع وفود كنائس الشرق الأوسط وبخاصة من مصر وسوريا ولبنان والأردن ونوقشت في الاجتماع الوثيقة التى أعدتها لجنة العلاقات الدولية بالمجلس حول قضية القدس وتم إقرار الوثيقة بالإجماع.

وجاء بالوثيقة:

١- القدس مدينة مقدسة لأبناء الديانات التوحيدية الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية الذين يتقاسمون المسئولية للتعاون فى ضمان أن تظل القدس مدينة مفتوحة ومكانا يستطيعون اللقاء والعيش فيه معاً.

٢- المفاوضات بشأن القدس يجب أن تتم دون أية مماطلة أو تأخير ويجب ان

تأخذ في اعتبارها كل ما اتفق عليه في مفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والاسرائيلى منذ عام ١٩٩١ وحتى الآن والمطالبة الشرعية لشعوب المنطقة وخاصة حق الشعب الفلسطينى في إقامة دولته على أرضه.

٣- يجب أن يؤخذ في الاعتبار كل القرارات التى أصدرتها الأمم المتحدة بشأن القدس منها ١٨١ لعام ١٩٤٧ الذى قرر الوضع القانونى لمدينة القدس وحدودها الجغرافية ومقدساتها - القرار ١٩٤ لعام ١٩٤٨ الذى قرر حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة ثم قرار مؤتمر جنيف ١٩٤٩ الذى أكد أن فلسطين هى أرض محتلة وقرار مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ لعام ١٩٧٣ اللذان يطالبان بانسحاب إسرائيل من المناطق التى احتلتها بما فيها القدس وأخيراً مؤتمر جنيف الذى قرر رفض أية تغيرات جغرافية من خلال ضم أرض بالقوة دون اتفاق بين الأطراف المعنية وموافقة المجتمع الدولى كما طالب بضمان وحماية دخول الشعب الفلسطينى الى القدس.

الكنيسة المشيخية المتحدة في أمريكا: فقد أصدرت بياناً هاما بشأن القدس جاء فيه أن القدس منذ أمد طويل ومازالت المدينة المقدسة لدى المؤمنين مسلمين ومسيحيين ويهود وأنها ركن هام لمفاوضات السلام وتدعو الى العدالة مع التوصل الى تسوية نهائية للصراع العربى الاسرائيلى وتؤكد ضرورة إنهاء الاحتلال الاسرائيلى للأراضى الفلسطينية وقد أيد المحفل العام للكنيسة المشيخية المتحدة القرارات التى اتخذها في أعوام ١٩٧٤-١٩٨٤-١٩٨٨-١٩٩٠ والتى تدعم وضع القدس ومنها حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره ويدعو المحفل الكونجرس الأمريكي لدعم موقف الأمم المتحدة في تنفيذ قراراتها المتعلقة بالقدس ولجعل الدعم الأمريكى لإسرائيل مشروطاً بإيقاف الاستيلاء على الأراضى الفلسطينية في القدس وحولها وإيقاف إقامة مستوطنات جديدة في الأراضي المحتلة.

وعن موقف الفاتيكان فقد أشرنا إليه في بحث سابق وتحدثنا عن زيارة وزير خارجية الفاتيكان الى القاهرة والقدس ومؤتمره الصحفى وقراراته.

أما مجلس كنائس الشرق الأوسط الذى يضم جميع الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية والإنجيلية في المنطقة فإنه في مختلف وثائقه يؤكد عروبة القدس كما أنه يقوم ببرنامج ضخم لخدمة اللاجئين الفلسطينيين منذ بداية الاحتلال الاسرائيلى ويقوم بتقديم مختلف الخدمات التنموية للاجئين الفلسطينيين ولاسيما في النواحى التعليمية والصحية والاقتصادية.

التحديات التى تواجه مدينة القدس

مع بداية عام سنة ١٩٩٩

لاشك ان سنة ١٩٩٩ ستكون سنة حسم بالنسبة لقضية القدس ومن المتوقع حدوث تطورات خطيرة خلال الشهور القادمة.

وقد سارع الكنيست الإسرائيلى مع بداية عام ١٩٩٩ بإصدار قانون جديد بشأن القدس يحظر فيه من استصدار قرار أو قانون جديد يتعلق بمصير القدس إلا بالأغلبية العظمى من أعضاء الكنيست.

ومن أخطر التحديات التى تواجه المدينة المقدسة خطورة البدء فى بناء مستوطنة جبل «أبو غنيم» باعتبارها أخطر مشروعات الحزام الاستيطانى الجنوبى لمدينة القدس وهذا الحزام يدعو الى إقامة ٨٥٠٠ وحدة سكنية وكانت ورقة إنشاء هذه المستوطنة الورقة الرابحة التى اعتمد عليها نتنياهو في انتخابات سنة ١٩٩٦ وخطورة مشروع هذه المستوطنة جبل «أبو غنيم» (هارحوما) فهذا الجبل الذى يقع جنوبى القدس بارتفاع ٨٧٠ متراً فوق سطح البحر وعلى مساحة ١٩٥٠ دونماً تتوزع ملكيته على النحو التالى:
١١٠٠ دونم مدينة بيت لحم - ٥٥٠ دونم قرية بيت ساحور
٣٠٠ دونم قرية أم طابا ولايملك اليهود من أراضى الجبل إلا مساحات ضئيلة جداً.

وهذا الموقع المقرر إقامة مستوطنة (هارحوما) عليه يستكمل حصار القدس بإغلاق المدخل الجنوبى لعزلها عن محيطها العربى كلية حيث يلاحظ في توزيع المستوطنات حول القدس أنه ينتظم في طوقين لهما مركزاً واحداً ويتكون الأول الداخلى من الأحياء التى أقيمت في القدس الشرقية وهى تشكل حاجزاً ماديا متواصلاً يفصل القدس عن مدن الضفة أما الطوق الثانى يحيط القدس من جهات الجنوب والشرق والشمال وهذه المستعمرة تغلق هذا الجانب الجنوبى كله بعد أن يتم وصلها بالمستوطنات الجنوبية الغربية ويكون عندئذ الشارع الواصل بين القدس وبيت لحم تحت السيطرة الإسرائيلية تغلقه متى شاءت.

وهذا يصعب الحديث عن أية وحدة جغرافية لأى نوع لكيان فلسطين ويؤدى بالتالى الى تدمير البنية السكانية الفلسطينية وخفض نسبتها ويعقب ذلك تفتيت الأراضى الفلسطينية العربية من جهة وشق الطرق الالتفافية حولها من جهة أخرى وتحويل الأحياء الفرعية الى مجرد جيتو «فقيرة ومعزولة».

وثانى التحديات أن عملية بناء السفارة الأمريكية بالقدس تتسارع.

ومن المقرر الانتهاء منها في موعد لايتجاوز ٣١ مايو سنة ١٩٩٩ القادم يتم أكبر صفقة دبلوماسية أمريكية لاسرائيل في توقيت قاتل لأن الإدارة الأمريكية في ظروفها الحالية لاتقوى على مواجهة ضغط اللوبى اليهودى في الكونجرس الأمريكى بمجلسيه النواب والشيوخ ولايستطيع الرئيس استخدام سلطاته لتأجيل تنفيذ قرار نقل السفارة في الموعد المقرر ٣١ مايو سنة ١٩٩٩. ولايخفى خطورة ذلك بالنسبة للمقاطعة الدبلوماسية الدولية الشاملة بالنسبة للقدس تحت الاحتلال الإسرائيلى وينذر هذا بلا شك الى انهيار المقاطعة إذا ما قامت دول أخرى تحت الضغوط الأمريكية والاسرائيلية بنقل سفاراتها الى القدس.

وتقوم إسرائيل حاليا بالاسراع فى مصادرة الأراضى العربية حول القدس ومن تلك الأراضى المرشحة للمصادرة قرى «ابو ديس» والعيزرية والعبادية والطور وسوف يؤدى ذلك الى الإحاطة بمدينة بيت لحم وسلبها الكثير من دورها السياحى.

هذه التحديات مجتمعة جعلت مدينة القدس تعيش أجواء الحصار الشديد وعزلها عن سائر المدن الفلسطينية.

وتواصل إسرائيل بلهفة وسرعة سياسية تهويد المدينة وتسابق الزمن لتحقيق أمر واقع على الأراضي بالاستيلاء على بعض العقارات والمبانى داخل المدينة ووضع يدها على المزيد من المواقع والأراضى ومصادرتها وتضييق الخناق على السكان المقدسيين وجاء فى تقرير صدر مؤخراً أن القدس تشهد تصعيداً خطيراً في سياسة هدم المنازل وحجب رخص البناء للمساكن العربية في المدينة وضواحيها.

وزاد استملاك المنازل الفلسطينية داخل المدينة القديمة وفي محيط المسجد الأقصى وفي رأس العامود وغالباً ما يتم ذلك بأوامر وأوراق استدعاء بشراء تلك المبانى في سنوات العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن.

وتحتل قرية سلوان وموقعها قريب جداً من المسجد الأقصى المرتبة الأولى في عمليات الاستهداف حيث عمد اليهود للاستيلاء على العديد من منازل القرية وهدم منازل أخرى وقد جرى مؤخراً هدم أجزاء كبيرة من مقبرة الرحمة القريبة من القرية والممتدة حتى باب الأسباط بحجج توسيع الشوارع.

أما المسجد الأقصى فتستمر محاصرته وتزداد الأخطار المحيطة به من كل جانب حيث تواصل السلطات الاسرائيلية أعمال الحفر والتنقيب المكثف أسفل أساسات المسجد وتحفر الأنفاق حوله وفي محيط مساحته مما سوف يؤدى الى خلخلة أساساته.

وزادت السلطات الاسرائيلية دعم نشاط الجمعيات الاستطانية وحمايتها للسيطرة على المزيد من العقارات العربية في المداخل المؤدية الى المسجد الأقصى للتحكم والسيطرة على أبواب الحرم الشريف.

ومع بداية عام ١٩٩٩ بدأت الأسواق العربية في القدس تصاب بشبه الشلل وأخذت المرافق التاريخية الأثرية داخل البلدة القديمة وخارجها تغلق أبوابها لعدم وجود نشاط تجارى وهذا سوف يؤدى الى إخلاء المدينة لتكون مرتعا لقطعان المستوطنين والمتطرفين اليهود خصوصا أن المحلات التجارية لم تعد تحتمل الضرائب الباهظة التى تفرضها بلدية القدس اليهودية. حتى الجمعيات الخيرية التى تمارس نشاطها الإنسانى والاجتماعى لم تسلم من آثار الضرائب وتضطر أحياناً الى وقف نشاطها.

الفصل الرابع

إسهام الدول الغربية
والولايات المتحدة الأمريكية
في إنشاء دولة إسرائيل

المصالح والأطماع الاستعمارية
الأوربية وتعاطفها مع اليهود

في بريطانيا:

منذ القرن السابع عشر ظهرت في بريطانيا فكرة نقل أبناء إسرائيل على السفن الإنجليزية الى الأراضي الموعودة لأجدادهم لتصبح إرثاً دائما لهم ونشأت بعد ذلك في بريطانيا عدة جمعيات دينية منذ أوائل القرن التاسع عشر اهتمت بإعادة اليهود الى فلسطين ورأت الحكومة البريطانية أن دعوة تلك الجمعيات تخدم المصالح الاستعمارية البريطانية - وكانت بريطانيا أسبق الدول في إقامة قنصلية بريطانية في القدس إثر انسحاب الحكم المصرى للقدس من ١٨٣١ - ١٨٤٠ وبدأ يزداد الاهتمام الأوربى ببلاد الشام عامة وفلسطين خاصة وسارعت الدول الأوروبية الى تعيين قناصل لها في القدس وبدأ التنافس بين بريطانيا وروسيا وفرنسا على توسيع مناطق نفوذهم في البلاد الفلسطينية.

وتبعت فرنسا بريطانيا في تعيين قنصل لها في القدس ولحقتها ألمانيا والنمسا وأسبانيا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية وآخرها إيطاليا سنة ١٨٧٣ وتنافست الدول الأوربية وخاصة فرنسا وروسيا وبريطانيا في إرسال رجال الدين وبناء الكنائس والأديرة والمستشفيات والمدارس في القدس وسائر أنحاء فلسطين وأخذت تنتشر تلك الإرساليات التبشيرية وتتوسع أنشطتها في سائر المدن تحميها القنصليات وضعف الدولة العثمانية وقدمت تلك القنصليات خدمات كثيرة للجالية اليهودية في فلسطين وساعدت اليهود على الوقوف في وجه الإجراءات العثمانية ضد الهجرة وشراء الأراضى.

ويمكن اعتبار سنة ١٨٣٨ بداية اهتمام بريطانيا الرسمى باليهود وأخذت تتدخل لدى الدولة العثمانية للسماح بهجرة اليهود الى فلسطين وحماية أملاكهم ومنحهم جوازات سفر بريطانية لضمان حمايتهم بوصفهم رعايا بريطانيين.

وفي سنة ١٨٤٩ تأسست في القدس جمعية يرأسها القنصل البريطاني للتفتيش والتحرى عن الآثار في الأراضى التوراتية وخصوصا التنقيب عن هيكل سليمان في منطقة الحرم الشريف ولعبت البعثات الخارجية التي رافقت أعضاء الجمعية وأكثرهم من اليهود توجيه أنظار اليهود الى فلسطين.

في فرنسا: المصالح الاستعمارية

أعدت الدوائر الاستعمارية الفرنسية خطة عام ١٧٩٨ لإقامة كومنولث يهودى في فلسطين في مقابل تقديم اليهود قرضاً لحكومة فرنسا التى كانت تعانى من ضائقة مالية على أن يقوم اليهود بإشعال الفتن والفوضى في المناطق التى يرتادها الجيش الفرنسى بقيادة نابليون بونابرت لتسهيل احتلالها، وهذا ما دعا نابليون الى إصدار نداء بعد وصوله الى مصر يدعو اليهود الى إعادة بناء الهيكل باعتبارهم ورثة فلسطين الشرعيين.

بدأ النشاط الإرساليات الفرنسية في القدس وضواحيها سنة ١٨٤٠ ولقيت تلك الإرساليات بعض المعارضة من الدولة العثمانية بسبب وقوف فرنسا بجانب الموارنة في لبنان ضد الدروز سنة ١٨٦٠، ولكن النشاط الفرنسى أخذ يزداد وخصوصا الثقافى وأخذت اللغة الفرنسية تنتشر بين المتعلمين في فلسطين وخصوصا بين الطوائف المسيحية. وكان القنصل الفرنسى كمثيله الإنجليزى يتدخل دائماً لحماية اليهود ومساعدتهم والضغط على الباب العالى العثمانى لتسهيل هجرة اليهود الى فلسطين.

المصالح الألمانية:

سمحت العلاقة المتينة بين الدولة العثمانية وألمانيا التى كانت تسعى للسماح بزيادة الاستيطان اليهودى في فلسطين وبلغ النفوذ الألمانى ذروته بزيارة إمبراطور ألمانيا لفلسطين سنة ١٨٩٨ وجرى بعد ذلك بناء الكنيسة الألمانية فوق جبل صهيون وأخذت المستعمرات الزراعية الألمانية تنتشر في فلسطين ومن أشهرها مستعمرة قرب يافا ومستعمرة ولهلمينا قرب اللد وكان الألمان يعتقدون بقرب ظهور المسيح في الأراضى المقدسة بفلسطين.

النفوذ الروسى:

حصلت روسيا بموجب معاهدة كوجيك مع الدولة العثمانية في عام ١٧٧٤

على حق رعاية وحماية الأرثوذكس في شتى أنحاء الدولة العثمانية وخاصة في الأراضي المقدسة بفلسطين وازداد النفوذ الروسى بعد حرب القرم سنة ١٨٥٦ وبدأت روسيا القيصرية في بناء الكنائس والأديرة في شتى أنحاء فلسطين القدس – الخليل – الرملة – يافا – الناصرة وعرفت تلك الأماكن باسم المسكوبيات – ودعمت مركزها في الأرض المقدسة وكان القنصل الروسى بجانب قناصل الدول الأجنبية الأخرى يمارس الحماية على اليهود في فلسطين وبدأ يزداد تسلسل المهاجرين اليهود الروس الى فلسطين – وأصبحت روسيا المورد الرئيسى للقوى البشرية الوافدة الى فلسطين.

النفوذ الإيطالى:

رغم معارضة فرنسا تأسيس قنصلية إيطالية في القدس لتحتكر حماية المسيحيين اللاتين في الأراضى المقدسة – رغم أن أكثر المؤسسات اللاتينية كانت إيطالية – فقد تمكنت إيطاليا من تأسيس أول قنصلية لها في سنة ١٨٧٢ ورغم الخلاف الدائم بين القنصلية الفرنسية والإيطالية ومحاولة كل منهما إنشاء المزيد من المبانى والمستشفيات والمدارس إلا أنهما كانتا دائماً تقفان صفاً واحداً ضد الإدارة العثمانية لحماية الرعايا اليهود في فلسطين. وقد رحبت إيطاليا بصدور وعد بلفور حينما عرض على عصبة الأمم في جنيف.

النفوذ الأمريكى:

بدأ نشاط الرعايا الأمريكان في فلسطين حوالى عام ١٨٤٩ حيث كانت لهم بعثات أثرية تقوم بالتنقيب والبحث عن الآثار التورانية وهيكل سليمان وكانت القنصلية البريطانية تتولى رعاية مصالح أمريكا حتى تأسست أول قنصلية أمريكية عام ١٨٥٧ وكان الرعايا الأمريكان يتبعون ما يسمى «كنيسة المسيح» وأنشأوا مستعمرة قرب القدس لم يلبثوا أن غادروها بسبب عداء الفلاحين الفلسطينيين وعدم ارتياح الدولة العثمانية لوجودهم وانتقلت المستعمرة الى جماعة «المعبد الألمانى». وكلا الجماعتين اليهودية في فلسطين وتساعدهم وتقف الى جانبها في مواجهة الإدارة العثمانية في البلاد.

النفوذ النمساوى:

تمتعت النمسا بأفضلية بين الدول الأوروبية الأخرى في علاقاتها مع الدولة العثمانية لاسيما في مجال الخدمات البريدية وكان لها قنصل في القدس وزار الإمبراطور

النمساوى القدس عام ١٨٦٩ وهى الزيارة الأولى التى يقوم بها حاكم أوروبى للقدس منذ عدة قرون ومما هو جدير بالذكر أن ولى عهد روسيا وولى عهد ألمانيا زارا القدس في العام نفسه. وكان اهتمام النمسا بفلسطين باعتبارها الأرض المقدسة والتى وقعت أكثر قصص التوراة في أرضها الى جانب قدسيتها المسيحية. وكانت القنصلية النمساوية تعطف على أماني اليهود وحبهم لأرض صهيون.

وهكذا قدمنا عرضا سريعاً للأهداف والأطماع الاستعمارية الأوروبية في فلسطين وكيف التقت مع الصهيونية العالمية لتحقيق المصالح المشتركة في المنطقة العربية وفلسطين ولذلك لايمكن الفصل بين الصهيونية والأهداف الاستعمارية.

صورة من صور هيمنة وسطوة النفوذ اليهودى في أوروبا حرية الفكر ونفوذ اليهود في أوروبا

باسم حرية الفكر وحرية الاعتقاد تسمح الدول الأوروبية وخصوصاً الغربية منها بالكفر بالأديان والسخرية من الرسل والأنبياء حتى إنهم يسمحون بالتشكيك في وجود الله سبحانه وتعالى ولايعتبرون أيا من هذه الأفكار جريمة تستحق المحاسبة ويعتبرون هذه الأمور حرية شخصية وحقاً من حقوق الإنسان.

ولكن هذه الدول التى تسمح بالتشكيك في الأديان والأنبياء لاتسمح بسبب النفوذ الصهيوني التشكيك أو الاعتراض على القصص والأرقام التى تروى عن جرائم النازى في حق اليهود وتعتبر كل من يقلل أو يثير بعض الشك في حقيقة هذه الجرائم مجرماً خارجاً على القانون يستحق المحاكمة والعقاب ولايعتبر هذا التشكيك حرية شخصية أو حقاً من حقوق الإنسان انما يعتبر جريمة وخروجا على القانون.

وقد حدث ذلك مع المفكر الكبير جارودى وقدم للمحاكمة بسبب اعتراضه مع ما تروجه الصهيونية العالمية ممن قصص حول جرائم النازية ضد اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية ولاتزال قضية جارودى منظورة أمام المحاكم الفرنسية حتى الآن ومنع كتابة (أساطير الصهيونية) من التداول في جميع أوروبا الغربية.

وأيضاً ما حدث مؤخراً مع السياسى الفرنسى اليمينى المتطرف جان مارى لوبن زعيم حزب الجبهة الوطنية الذى يدعو الى تطهير فرنسا من الغرباء قاصداً الجاليات العربية والأفريقية والأسيوية وغيرها وبالذات الجاليات العربية - وقد تعرض جان لوبن الى اليهود وشكك في قصصهم المبالغ فيها ضد النازية - وقد أعلنت السلطات الفرنسية معارضتها لآرائه واصبح هذا الشخص اليمينى المتطرف مهدداً بفقد حريته لمجرد رأى أبداه بشأن الجرائم التى ارتكبها النازى ضد اليهود وانها لاتزيد عن الجرائم التى ارتكبها

النازيون ضد الشعوب الأخرى وقد قامت الدنيا ضد هذا السياسى العجوز واعتبر ما قاله جريمة يعاقب عليها.

وبالفعل طلبت ألمانيا من البرلمان الأوروبى بأغلبية ساحقة ٤٢٠ صوتاً ضد ٢٠ صوتاً رفع الحصانة عن لوين وأصبح من حق الألمان محاكمته وربما سجنه لمدة خمس سنوات.

ونذكر هنا أن دول أوروبا الغربية جميعها اوقفت تدريس وقراءة رواية شكسبير تاجر البندقية لأنها تمس اليهود ومنعت طباعتها أو تداولها.

وهكذا أصبح التشكيك في أمر وجود الله لايعتبر جريمة في نظر الأوروبيين بينما التشكيك في قصص تعذيب وإبادة اليهود جريمة يستحق صاحبها المحاسبة والعقاب.

تحامل ومهاجمة أمريكا والغرب للإسلام
المستفيد الأكبر دولة اسرائيل

إن موضوع الإسلام كما تتناوله وسائل الإعلام الغربية وكما يتحدث عنه أكثر المستشرقين والمعينين بالدراسات الإسلامية في جامعات أوروبا وأمريكا تحاول دائما ترسيخ فكرة غير كاملة عن حقيقة الإسلام وهذه الصورة السلبية تظهر دائماً في وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية والسمعية - والوسائل المذكورة تتعمد ربط الإسلام بفكرة العنف والجريمة والرجعية والتصرف الهمجى.

وقد أخذت هذه الصورة تكبر وتنمو منذ حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ عندما قطعت الدول العربية وأوقفت تصدير البترول الذى يعتبره الغرب مورداً مهماً لحياته وبما ان معظم سكان البلاد العربية مسلمون فقد ارتبطت فكرة الإسلام بالعقل الغربى بالخطر الذى يهدد حياتهم ويثير فيهم الخوف وأصبح كل ماهو مسلم عدواً لهم.

هنا جاء دور إسرائيل المتخصصة بالهجوم على كل ما هو عربى في تضخيم تلك المفاهيم وتصديرها للغرب باعتبارها الواحة الديمقراطية القريبة جداً من نفوس الغربيين.

ويلاحظ أن معظم المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط بالجامعات والمعاهد الغربية يرتبطون بصورة مباشرة أو غير مباشرة بمراكز الدعاية الكبرى وبالبنوك الكبيرة أو قطاعات البترول أو المراكز المؤثرة في الحكومة وجميع تلك الارتباطات تقع بدورها الى حد بعيد للدعاية الصهيونية التى تملك بدورها دور النشر والصحافة والإعلان والإذاعات بمختلف انواعها واصبح هنالك شبه رقابة قوية وتوجيهات عليا ترى من مصلحتها إظهار الإسلام بصورة سلبية وخصوصا عندما تعمد دائما للمقارنة بين دولة اسرائيل ودول البلاد الإسلامية.

وأخطر مما يواجه الإسلام حاليا هو ترسيخ هذه الصورة السلبية حتى أصبحت جزءاً من المعتقدات الغربية وبات من الصعب تغيرها.

دائما يحاول الإعلام الأمريكى والغربى (ويلاحظ هنا سيطرة الصهيونية على تلك الوسائل الإعلامية) تغطية احداث العالم الغربى بصورة مخيفة وغير صحيحة وأكثر

المراجع التى يكتبها المؤرخون الغربيون عن تاريخنا وبالذات المعاصر ويعود اليها الدارسون العرب توضح دائما أن العلوم المفيدة تأتى الينا دائما من الغرب وتشير في أحيان كثيرة الى أن الدين الإسلامى يمثل عقبة في طريق التقدم والمستقبل.

ويريد الغرب وإسرائيل من وراء تلك المراجع أن يرسموا لنا تاريخاً حسب رؤيتهم للتأثير في مسار مستقبلنا.

ويجب أن نعترف أن بعض التصرفات والأحداث السلبية التى تجرى في البلاد العربية والإسلامية تسهم في تكريس مثل هذه الإدعاءات الغربية والإسرائيلية.

ولن يتحرر الفكر العربى وينطلق في شرح حقيقة الإسلام ويقنع الغرب بعدم صحة توجيهاته الخاطئة نحو الإسلام إلا إذا تخلصنا من الدكتاتوريات التى تتحكم في عالمنا العربى وحصلنا على الديمقراطية الحقيقية في كافة المجالات.

اسهام الدولة الأوروبية في
اقامة دولة اسرائيل

بريطانيا:

أعطت وعد بلفور وفرضت على عصبة الأمم في جنيف أن يتضمن صك الانتداب في فلسطين ضرورة الالتزام بتنيفذ وعد بلفور وعدم السماح للشعب الفلسطيني بالاستقلال – وطيلة فترة انتدابها على فلسطين مارست كافة الضغوط على الشعب الفلسطيني بفرض القوانين الجائرة المفصلة لمصلحة إقامة الوطن القومى اليهودي مما مهد السبل لإقامة دولة اسرائيل.

المانيا:

دفعت مليارات الدولارات لإسرائيل لاستقبال المهاجرين اليهود وانشاء المستوطنات اليهودية وتقوم حاليا بتجديد وبناء القطع البحرية الحديثة لحساب دولة اسرائيل وخصوصاً الغواصات الحديثة ولاتزال اسرائيل تطالب بتعويضات جديدة وتستمر المانيا بالدفع.

فرنسا:

أنشأت المفاعل الذرى الاسرائيلي في ديمونه وأعطت اسرائيل أسرار القنبلة الذرية وساهمت في تسليح الدولة اليهودية.

روسيا:

لعبت روسيا دوراً أساسياً في إمداد اسرائيل بالقوة البشرية وحجبت بعض انواع السلاح المتقدمة عن الدول العربية وخصوصا الأسلحة الهجومية رغم تلقي إسرائيل أحدث انواع الاسلحة من الترسانة الأمريكية.

الولايات المتحدة:

وقفت خلف اسرائيل في جميع ما تقوم به من حروب وأعمال بربرية وإذلال للعرب وأمدتها باحدث انواع الاسلحة والتكنولوجيا حتى أصبحت إسرائيل من أقوى دول العالم وغدت واشنطن الراعى الأكبر لاسرائيل على حساب العرب. وأصبح ما يتعلق بإسرائيل أو يسيء إليها يتعرض باستمرار للفيتو الأمريكى.

سويسرا :

بضغوط مكثفة من الولايات المتحدة الأمريكية والصهيونية العالمية بدأت تفتح خزائن البنوك السويسرية لتنهل منها إسرائيل بحجة أنها الوريثه الشرعية لضحايا النازى ولأموالهم المودعة في البنوك السويسرية.

السوق الأوربية المشتركة (مجموعة الدول الأوربية) :

منحت اسرائيل العديد من الامتيازات الاقتصادية مما فتح أبواب السوق أمام الصادرات الاسرائيلية – وتبيع اسرائيل ٨٠٪ من صادراتها الى دول السوق الأوربية بينما توضع القيود الكثيرة أمام صادرات الدولة العربية. وتتمتع إسرائيل بإعفاءات جمركية لصادراتها لجميع دول السوق الأوروبية المشتركة.

إن الذين يؤسسون أفكارهم السياسية على إمكانية الفصل بين اسرائيل وكيانها وقوتها وبين استراتيجية أمريكا والدول الأوروبية – واهمون.

إن وجود دولة إسرائيل في قلب العالم العربى مرتبط ارتباطاً وثيقاً مع مصالح وأمن الدول الأوروبية والولايات المتحدة.

المساعدات الخارجية التى أسهمت بأكبر قسط في بناء الدولة اليهودية

المساعدات الخارجية التى تدفقت الى إسرائيل منذ إنشائها سنة ١٩٤٨ وحتى سنة ١٩٩٦ لعبت دوراً حاسماً في قيام هذه الدولة واستمرار وجودها.

وقد بلغت المساعدات المعلنة التى تلقتها اسرائيل منذ سنة ١٩٤٨ من المصادر الرئيسية الثلاثة وهي ألمانيا – الولايات المتحدة الأمريكية – المؤسسات الصهيونية في شتى أنحاء العالم –١٧٩،٤ مليار دولار وهو ما يساوى بالاسعار الحالية ٤٥٠ مليار دولار حتى سنة ١٩٩٦، أكثر من كل ما تلقته مصر والبرازيل والمكسيك والأرجنتين مجتمعين.

هذه التدفقات تنوعت بين مساعدات وقروض وهبات أمريكية وصلت الى ٧٦،٦ مليار دولار ثم تعويضات المانية بلغت ٦٠ مليار دولار و١٩،٤ مليار دولار جبايه يهودية و٢٣،٤ مليار دولار استثمارات أجنبية مباشرة سواء كانت في الزراعة أو الصناعة.

من هذه المبالغ ١٢٢،٢ مليار دولار هي أساس التعويضات الألمانية والجباية اليهودية والمنح الامريكية.

ولو تلقت الدولة المذكورة مساعدات مبنية على أساس نصيب الفرد فيها مع نصيب الفرد في إسرائيل فإنها كان يجب أن تتلقى نحو ٢٨٢١٥ مليار دولار أى ما زيد عن الناتج العالمي والذى لم يتجاوز ٢٧٨٤٦ مليار دولار عام ١٩٩٥. ولاشك أن تلك المساعدات الخارجية من سنة ٤٨-٩٦ هي في جوهرها «قصة صناعة دولة» لفرضها كأمر واقع لايستند لاى حق.

هذه السيول من المساعدات توجهت لبناء الاقتصاد الاسرائيلى الذى لم يقم على أكتاف الاسرائيليين الذين تواجدوا في دولة إسرائيل عند انشائها حيث كان عدد اليهود ٦٥٠ ألف وعدد الفلسطينيين ١٥٦ الف وهم ما تبقوا من عرب فلسطين بعد حرب ١٩٤٨ في إسرائيل.

ولو رجعنا الى المصادر المالية التى توفرت لإسرائيل عند إنشائها لوجدناها تعتمد على عنصرين وهما الزراعة وبالتحديد زراعة الحمضيات ثم الكيماويات المستخرجة من البحر الميت والعنصران لايشكلان إلا نسبة تتراوح من ١٨٪-٢٥٪ من الميزانية

الاسرائيلية ومن الطبيعي أن هذين العنصرين لايمكن أن يكونا، كافيين لبناء دولة وإنشاء قوة عسكرية واستقبال آلاف القادمين الجدد من اليهود.

وهكذا اعتمد الاقتصاد الإسرائيلى على التدفقات الخارجية ولم يبن على أكتاف اليهود الذين تواجدوا على أرضها سنة ١٩٤٨ – وهو اقتصاد خلقته: السياسات الخارجية المؤيدة للدولة الجديدة.

ولدى مراجعة جداول المساعدات الأمريكية تظهر الأرقام حيث أخذت تلك المساعدات تتضاعف من سنة ١٩٦٨ وحتى الآن، وإنها منذ سنة ١٩٨٨ تركزت على:

١– المساعدات المباشرة ٢– الهبات الاقتصادية.

٣– الهبات العسكرية.

هذا بالإضافة الى المساعدات الائتمانية الخاصة لاستيعاب اليهود السوفيت الذين أخذوا فى الهجرة الى إسرائيل منذ رفع الحذر الذى كان مفروضاً عليهم بالاتحاد السوفيتى السابق.

لاشك أن إسرائيل بلغت مرحلة متقدمة في مجال الصناعة والزراعة وخصوصاً صناعة الأجهزة التكنولوجية الدقيقة وبلغ معدل دخل الفرد حوالى ١٧ ألف دولار وهو ما يعادل مثيله في الدول المتقدمة.

ولكن يبقى التساؤل كيف تم هذا الإنجاز وذلك التقدم الهائل في وقت تبنى فيه اسرائيل المستوطنات الجديدة وتقيم الصناعة الحربية لإنتاج الأسلحة غير التقليدية وهى مكلفة جداً وتنشيء جيشاً ضخما وتستقبل آلاف المهاجرين كل عام – كيف امكن الوصول الى هذه المعادلة التى ليس لها نظير في أى موقع آخر في العالم.

إن هذا الجهد المبهر وهذا الإنجاز الهائل لم يصنعه الاقتصاد الاسرائيلي لولا تلك الدفعات والهبات والمنح والتعويضات وعلى رأسها المساعدات الأمريكية المالية والعسكرية والتكنولوجية التى تقدمها أمريكا بسخاء بلا حدود.

وفيما يلى الناتج القومى (أى قيمة السلع الزراعية والصناعية والخدمات المنتجة داخل البلاد لكل من الدول التالية سنة ١٩٦٣):

– مصر ٤٠٠٠ دولار

- سوريا ٩٥٠ دولارا
- العراق ١٥٥٠ دولارا
- الأردن ٢٥٠ دولارا
- لبنان ٧٠٠ دولارا
- اسرائيل ٢٢٥٠ دولارا

أى إن الناتج القومى المصرى بلغ وحده سنة ١٩٦٣ - ١٫٧٨ مرة قدر الناتج الاسرائيلى ولكن هذه النسبة بدأت تميل لمصلحة إسرائيل منذ ذلك التاريخ بسبب زيادة الدعم الأمريكى والتقدم في الصناعة الألكترونية الإسرائيلية والمخطط الاقتصادى الذى وضع لهذا البلد المزروع في قلب العالم العربى لم يهدف في حد ذاته الى تقديم خدمات مالية لبلد ما أو لشعب ما. كان يهدف الى خلق نوع من التفوق العسكرى والاقتصادى في مواجهة الجوار العربى - ومنذ سنة ١٩٦٧ بدأ الناتج المصرى يبطىء نتيجة ظروف الحرب وحرب الاستنزاف والاستعداد للمعركة القادمة بعكس الناتج الاسرائيلى الذى أخذ كما أشرنا ينمو وابتدأت أمريكا تعلن وتنادى بضرورة بقاء التفوق الاسرائيلى عسكريا على جميع الدول العربية مجتمعة.

هل كان باستطاعة إسرائيل البقاء والنمو والازدهار الذى تحظى به حالياً دون الدعم الهائل الذى يتدفق عليها...

«هؤلاء قالوا»

هذه التصريحات تعيد الى الأذهان المواقف المختلفة لعدد من الشخصيات والزعماء والرؤساء وكيف كان يجرى التخطيط داخل الدول الكبرى الاستعمارية لخلق كيان صهيوني في قلب العالم العربي لإبقائه ضعيفاً مفككاً.

الصهيونية العالمية رغم قوتها ونفوذها لم تكن تستطيع تحقيق حلم إسرائيل والدولة اليهودية لولا مؤازرة الدول الاستعمارية لها وتقديم كافة المساعدات التى تدفقت بسخاء سواء مادية أو عسكرية لتحقيق هذا الهدف الصهيوني.

لاشك أن الصهيونية لعبت دورها بامتياز واستغلت العاطفة الدينية لدى مسيحيى الغرب وأقنعت حكومات وشعوب تلك الدول بأن مصالحها الاستراتيجية في هذه المنطقة من العالم سوف تتحقق بإنشاء الكيان الصهيونى.

ولعل تلك التصريحات تنير العقول نحو الأهداف والأخطار الحقيقية التى تلح الصهيونية العالمية ممثلة في دولة إسرائيل لتحقيقها وهو خلق دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات.

ولاتزال الأمة العربية تشكك بل ترفض تلك الأهداف الصهيونية وتعتقد باستحالة تحقيقها وهذا هو الخطأ الكبير التى تقع فيه أمتنا العربية.

والذى استطاع أن يحول فكرة داعبت خيال بعض الزعماء اليهود وأمكن تحقيق حلم دولة اسرائيل يستطيع بالتأكيد الوصول الى الهدف النهائى بإنشاء دولة إسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات.

وهكذا تحقق حلم نابليون ورغبات لويدجورج وونستون تشرشل وقامت الدولة العازلة وانقطع العالم العربى الى تصفية أحدهما في آسيا والآخر في أفريقيا ووقفت الدولة الوليدة تتصدى للشعوب العربية وتقف امام أمالها وطموحاتها وتقدمها وتحقق السيطرة على واحد من أهم المواقع الاستراتيجية في العالم وتضمن تبعية العالم العربى للغرب -وهو حاصل الآن تماماً- وعرقلة مشروعات التحرر السياسى والاقتصادى والحيلولة دون وحدة العرب القومية وإبطاء مجال التنمية.

تصريح رقم ١

منذ أخذت الدول الأوربية تتربص بإرث الدولة العثمانية التى عرفت باسم رجل أوروبا المريض وأخذت كل دولة ترتب حصتها من هذا الإرث بدأت تظهر المسألة اليهودية، وأخذ الفكر الاستراتيجى الأوروبى يجتهد لإيجاد حل لتلك المسألة.

كان نابليون بونابرت هو المبادر والسباق لاستغلال موضوع المسألة اليهودية فحاول إيقاظ الوعى اليهودى ليطالب بوطن قومى ينقذهم من الشتات ولعب على الوتر الدينى اليهودى واساطيره لتكون فلسطين هى المكان الموعود لعودة اليهود الى أرض الميعاد.

قال نابليون في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر سنة ١٨٠٠ أيها الإسرائيليون انهضوا بقوة وهاهى فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل لكى تستعيدوا حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم وحقكم في عبادة إلهكم ياهو، طبقاً لعقيدتكم.

تصريح رقم ٢

مع بداية القرن التاسع عشر راحت فكرة إنشاء وطن قومي لليهود تأخذ حيزاً يزيد كل يوم - وكانت زيارة الشاعر الإنجليزى الشهير اللورد بيرون لليونان حيث ألهمته مجموعة من القصائد سماها الأغانى العبرية.

قال في أولها: لليمامة عشها وللثعلب كهفه

ولكل شعب أرضه إلا اليهودى

فليس عنده غير قبره

وقال أيضاً: اطلع ايها الإله العظيم ودع قدرتك تتجلى

وأرسل أشعتها مضيئة ودافئة على أبناء يعقوب

وأعد فلولهم التائهة الى ارضهم الموعودة هناك

واهدهم لكى يذهبوا الى فلسطين فهى وطنهم

تصريح رقم ٣

فى تصريح للجنرال اللنبى القائد البريطانى الذى احتل فلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧.

قال: للمرة الأولى منذ الحروب الصليبية أصبحت القدس كما أصبح الشاطىء المعروف بسوريا خاضعاً من جديد لاحتلال جيوش مسيحية أجنبية وأصبحت الدول المسيحية تقبض بيدها على مصير العاصمتين التاريخيتين دمشق وبغداد بالإضافة الى العاصمة الدينية القدس.

وقد صرح حينما دخل القدس «الآن انتهت الحروب الصليبية»

تصريح رقم ٤

بعد أن تغلب الجنرال غورو على القوات العربية في معركة ميسلون سنة ١٩٢٠ ودخلت القوات الفرنسية دمشق، توجه الجنرال غورو.

مباشرة الى قبر صلاح الدين الأيوبى.

وقال: ها قد عدنا ياصلاح الدين

تصريح رقم ٥

جاء في المذكرة الصهيونية التى قدمت لمؤتمر السلام بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٩.

إن فلسطين هى أرض اليهود الموعودة في الكتب المقدسة لدى اليهود والمسيحية ويجب أن تشمل جميع الأماكن التى أقامت بها القبائل العبرية في الماضى.

إن فلسطين هى أرض دولة إسرائيل التاريخية والدينية بحكم ارتباط الدين اليهودى بالأرض المقدسة.

تصريح رقم ٦

وفي أثناء انعقاد مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ وزعت الوكالة اليهودية مذكرة على أعضاء الوفود توضح فيها حدود فلسطين ومساحتها.

يجب أن تضم فلسطين النقب برمته واليهودية والسامرة والجليل وسنجق حوان وسنجق (معناها محافظة) الكرك بما في ذلك معان والعقبة وجزء من سنجق دمشق بما فيه القنيطرة وهاصبيا. إن جبل الشيخ هو «ابو مياه» فلسطين الحقيقى ولايمكن فصله من فلسطين دون تعريض حياتها الاقتصادية للخطر ويجب أن يخضع هذا الجبل كلياً لسيطرة الذين سوف يستفيدون منه الى أقصى حد. ويجب إدخال مجرى نهر الليطانى ومنابع نهر الأردن ضمن حدود فلسطين.

تصريح رقم ٧

صرح رونالد ستورز المستشرق الإنجليزى المعروف إثر صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧ بما يلى:

لقى الوعد صدى رائعا واستحسانا في الصحافة البريطانية يضاف الى ذلك ما حظى به من التأييد العام لدى آلاف من الكهنة الانجليكانيين والقساوسة البروتستنتين وغيرهم من الرجال المتدينين في نصف الكرة الغربى.

تصريح رقم ٨

ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى أثناء الحرب العالمية الثانية وزعيم حزب

المحافظين تحدث في مذكراته بمناسبة تأليف الفيلق اليهودى الذى انضم الى قوات الحلفاء أثناء الحرب الثانية.

قــال: نصحنى المرشال ويفل قائد القوات البريطانية فى الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الثانية بعدم الموافقة على تشكيل فيلق يهودى خوفاً من إثارة شعور العرب – ولكننى تحديت ويفل وكتبت الى الزعيم اليهودى الدكتور وايزمن بموافقة الحكومة البريطانية على تشكيل ذلك الفيلق «وأنه لم يتحرك كلب عربى واحد»

تصريح رقم ٩

الزعيم الصهيونى المعروف الدكتور حاييم وايزمن – أول رئيس لدولة إسرائيل سنة ١٩٤٨.

قــال: إن مقاومة الفلسطينيين العنيفة ومواقف الحاج أمين الحسينى ضد إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين هى التى أخرت تنفيذ البرنامج اليهودى الى عام ١٩٤٨ بينما كان مقرراً له أن يتحقق في عام ١٩٣٤ على الأكثر.

تصريح رقم ١٠

القاضى اليهودى برانديس عضو المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية ومستشار الرئيس ولسن رئيس الولايات المتحدة للشئون اليهودية منذ سنة ١٩١٤.

قال: إن المقصد من طلب اليهود تسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين هو أن يصبح اليهود أكثرية السكان في فلسطين وأن على العرب أن يرحلوا منها الى الصحراء.

تصريح رقم ١١

الكابتن نورمان بنتويتش الضابط فى الجيش البريطانى أصدر كتاباً سنة ١٩١٩ بعنوان فلسطين اليهود الماضى والحاضر والمستقبل صدّره بخريطة لفلسطين تمتد من بيروت الى الخليج يقصد (خليج العقبة) وجاء فى الكتاب أنه لاحاجة لفلسطين أن تبقى محصورة ضمن حدودها التاريخية فالاستعمار الاستيطانى يمكنه أن يمتد حتى يشمل الرقعة بأكملها التى تضمنها الوعد الإلهى من الفرات الى النيل.

تصريح رقم ١٢

الحاخام حاييم ناحوم رئيس مجلس الطائفة اليهودية فى مصر وكان عالما ضليعاً

يملك معرفة واسعة باللغات الشرقية وكان صديقا شخصياً للملك فؤاد وأصبح عضواً فى مجلس الشيوخ المصرى وعضواً بارزاً فى مجمع اللغة العربية – وفى سنة ١٩٣٣.

قـــال : المسيحيون تركوا القدس الى روما والمسلمون تركوها الى مكة واليهود وحدهم بكوا عليها.

تصريح رقم ١٣

صرح روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في مقابلة مع الزعماء اليهود سنة ١٩٤٤ بما يلي:

ان الحكومة الامريكية لم توافق مطلقاً على الكتاب الأبيض الصادر في لندن سنة ١٩٣٩ والذى حدد هجرة اليهود الى فلسطين واعلن عن سعادته بفتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية لأنهم يطالبون بحقوق عادلة ولن ننسى مأساة مئات الألوف منهم.

تصريح رقم ١٤

جان بول سارتر الفيلسوف الوجودى الفرنسى المعروف وكانت مواقفه باستمرار بجانب الحق والعدل والمساواه والانتصار للمضطهدين ومعروف وقوفه في وجهة الطغيان النازى ولكنه خرج عن هذه القاعدة وأخذ يبرر كل ما صدر عن اليهود وكل ما هو يهودى.

وصرح أن إقامة دولة يهودية قد تحل مشكلة اليهود وأصبح كأنه المحامى الموكل للدفاع عن القضية اليهودية ونفى كل صغيرة وكبيرة ضد اليهود.

تصريح رقم ١٥

ابا أيبان اليهودى الفلسطينى الذى يجيد اللغة العربية وتعمق فى دراسة التاريخ العربى والتراث العربى وترجم عدة كتب عربية الى العبرية وكان يدرّس اللغة العربية والأدب العربى فى جامعة كامبردج بالانجليزية.

قـــال : يجب أن لايقال إن المرارة التى يعانى منها العرب سببها وجود إسرائيل وأن العرب الذين يتحدثون عن القومية العربية وسعيهم الى الوحدة أنهم لايريدون لغيرهم ما يريدونه لأنفسهم وأن عليهم احترام قرارات الأمم المتحدة في مقدمتها احترام الشعوب والحكومات المستقلة.

إنه يطلب احترام ميثاق الأمم المتحدة من لحظة وجود اسرائيل
اى من لحظة وجود وفوز المعتدى نتيجة عدوانه

تصريح رقم ١٦

صرح مستر إلا لوسون السفير الأمريكى في اسرائيل وهو يقدم أوراق اعتماده الى رئيس دولة إسرائيل مايلى:

«لايسعنى إلا الفخر بما قامت به بلادى فى سبيل انشاء بلادكم وجدير بنا نحن الامريكيين الذين ندين بحضارتنا الى الكثير من الهام أبناء اسرائيل أن نعمل متحدين مع أحفادهم في المهمة العظمى وهى بناء أمة حديثة في الأرض المقدسة»

تطور النفوذ اليهودى في الولايات المتحدة الأمريكية وأثره على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وإسرائيل

كيف أصبح اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية قوة مؤثرة؟ وكيف يستخدم اليهود تنظيماتهم وأدواتهم لخدمة الفكرة الصهيونية ودولة اسرائيل؟ كيف أصبح لليهود تأثير بالغ خلال السنوات الأخيرة في تشكيل السياسة الخارجية للولايات المتحدة وأصبح خطرهم يتجلى في استيلائهم على وسائل الاعلام وتغلغلهم في المراكز الحساسة في الإدارة الأمريكية ودورهم البارز خصوصاً أثناء الانتخابات سواء لرئاسة الولايات المتحدة أو لاعضاء الكونجرس بمجلسيه الشيوخ والنواب؟.

الإجابة تعود بنا الى البحث عن جذور النفوذ اليهودى في أمريكا وكيف نما وتطور.

أول اتصال بين اليهود وحكومة أمريكا عام ١٧٩٠ ميلادية بعد عام واحد من انتخاب جورج واشنطن رئيساً للجمهورية الجديدة حيث وجه خطاباً للمهاجرين اليهود الأوائل في نيويورك باعتبارهم مواطنين أحراراً متساوين مع الآخرين وتبع ذلك أول تعديل في الدستور الأمريكى برفضه الاعتراف بوضع قانونى خاص لأية هيئة دينية ويكفل حرية العبادة للجميع.. وهكذا خرج اليهود الأمريكيون مما يعانيه يهود أوروبا وسيطرة الكنيسة واضطهادهم بسبب عدم اعترافهم بيسوع المسيح.

وكانت حياة اليهود مزدهرة في الأندلس الإسلامية وسمح لهم بالمشاركة الكاملة في الحياة العامة وظهر منهم نخبة لامعة من الشعراء والعلماء والموسيقيين وقواد الجيش حتى وصلوا الى مركز الوزارة ورئاستها – ولكن بعد وقوع أسبانيا بيد الجيوش المسيحية وسقطت آخر معاقل المسلمين سنة ١٤٩٢م أصبح الخيار أمام اليهود قبل المسلمين إما التحول الى المسيحية أو الطرد من البلاد ولم يكن أمام اليهود الا الهروب وذهب بعضهم الى البرتغال وبعضهم اتجه الى الشرق وكانت أول مجموعة يهودية تصل

الى امريكا الشمالية عبارة عن قارب قادم من البرازيل المستعمرة البرتغالية في ذلك الوقت.

أخذت موجات الهجرة اليهودية تتدفق على أمريكا هرباً من الضغوط الأوربية فتحظى بدفء المساواة بالحقوق مع القوميات الأخرى.

بدأت المنظمات اليهودية تظهر وتنمو ويتسع نفوذها وأخذت تضم حشداً هائلاً من الأساتذة والمحامين والعاملين في الحقل الاجتماعى ورجال المال والأعمال والعاملين في وسائل الإعلام والدعاية المختلفة.

وأخذت أصوات اليهود الانتخابية في الولايات المتحدة تلعب دوراً هاماً رغم أن نسبتها لاتزيد عن ٣٪ لكنها تعتبر عاملاً ترجيحياً في نتائج الانتخابات لأن اليهود يتمركزون في عدد من الولايات الكبرى التى تسيطر على نصف المجتمع الانتخابى وعادة تتبرع الجاليات اليهودية بسخاء لتمويل الحملات الانتخابية ويقدمون بين ١/٤ و١/٢ تمويل حملات الانتخاب للحزب الديمقراطى الأمريكى.

وقد تمكن اليهود الأمريكيون منذ منتصف هذا القرن من تكوين مؤسسات مترابطة بدأت «بلجنة يهود أمريكا» التى تأسست سنة ١٩٠٦ ثم المؤتمر اليهودى الأمريكي ولجنة مكافحة تشويه صورة اليهود التابعة لمؤسسة «لبناى پرث». واجتمعت تلك اللجان وقررت تأسيس:

١– مؤتمر زعماء المنظمات اليهودية الكبرى وتعرف هذه المنظمة باسم «مؤتمر الزعماء» أو مؤتمر الرؤساء ويتألف من قرابة أربعين جمعية دينية ووكالات للحقوق المدنية وبرامج تعديل العمل الاجتماعى واتجه المؤتمر الى تأييد دولة إسرائيل بعد إنشائها.

٢– لجنة العلاقات الإسرائيلية الأمريكية ايباك AIPAC وتعرف باسم اللوبى اليهودى وتعتبر إيباك جماعة ضغط رسمية بينما اكتفى مؤتمر الزعماء في عدم يشكلون ٢٠٪ من طلبة الجامعات المرموقة، ٢٠٪ من المحامين العاملين في المكاتب الشهيرة وازداد إنتاج الأفلام السينمائية المؤيدة لليهود وتمكنت الشركات اليهودية من السيطرة شبه الكاملة على إنتاج مؤسسات هوليود للإنتاج السينمائى وكذا أفلام التاريخ اليهودى والأفلام المعادية للعرب.

ويقدر عدد اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية بين ٥-٦ مليون أى بين ٣٪-٥ر٢٪ من السكان وهذه الأرقام تقديرية لأن مكاتب الإحصاء الرسمية محظور عليها أن تسأل الأمريكيين عن ديانتهم وذلك حسب الدستور الأمريكى.

وأصبح يهود الولايات المتحدة أكثر وأقوى الطوائف اليهودية في العالم – إن أموال اليهود ونشاطهم في أمريكا تخلق القوة – والقوة تخلق التأييد الأمريكى لإسرائيل وقد استمر هذا التأيد على مدى خمسة عقود من عمر دولة إسرائيل ولايزال مستمراً – واليهود حاليا يحتلون أكثر المراكز الحساسة في الحكومة الأمريكية.

وفي حكومة كيلنتون اليهود يحتلون المراكز التالية:

١- وزارة الخارجية. ٢- وزارة الدفاع.

٣- رئاسة جهاز الأمن المركزى ٤- المتحدث الرسمى باسم البيت الأبيض

٥- مدير جهاز المخابرات الأمريكية ٦- المدير الحالى لحملات الرئاسة

٧- بعض قضاة المحكمة العليا الأمريكية.

٨- أهم ثلاثة من مساعدى وزير الخارجية من اليهود

وأصبح مستشارو الرئاسة في البيت الأبيض من اليهود يحتلون ٨ من ١٤ من المراكز وأصبحت أدوات الضغط التى تعمل لصالح إسرائيل تتمثل في الجهازين التشريعى – الكونجرس بمجلسه – والتنفيذى في البيت الأبيض والحكومة.

وانتشرت كلمة «إهفات اسرائيل» العبرية أى حب اسرائيل في أمريكا وأصبح من الواجب على كل يهودى أمريكى ان يقف دائما الى جانب اسرائيل عندما تتعرض لأى هجوم أو ضغط من أى نوع وأن يدافع عنها تحت كل الظروف.

وعندما يتحدث الدبلوماسيون والصحفيون عن قوة اليهود في أمريكا فإنهم يقصدون قوة الطائفة اليهودية هناك – وهى التى تحتضن دولة إسرائيل وتقدم لها الدعم المادى والتكنولوجى والعسكرى والأهم أنها تقدم لاسرائيل الدعاية في شتى أنحاء العالم.

ومن المعروف أن الدوائر السياسية فى العالم اليوم طالما اتجهت الى الطائفة اليهودية ونفوذها في أمريكا لبناء علاقتها مع الولايات المتحدة ورؤساء الدول والوزراء

والمسئولين الذين يزورون الأمم المتحدة أو المارين بمدينة نيويورك فى طريقهم الى واشنطن يتحدثون الى المنظمات اليهودية لكسب ودها للحصول على تأييدها لدى حكومة واشنطن.

ويمكن تقدير نفوذ اليهود بدليل ملموس بالمعونات الخارجية الأمريكية التى تتلقاها إسرائيل سنويا وقدرها ٣ بلايين دولار وهو ما يوازى ٢٠ ٪ من إجمالى المعونات الأمريكية بخلاف المساعدات والهبات والتعاون العسكرى والتكنولوجى - وفى بعض الحالات تبدو مساعدة واشنطن لاسرائيل في المجال الدبلوماسى وكأنها متعارضة مع المصالح الأمريكية. هناك مثلا القانون المعروف باسم «جاكسون فنيك» الذى أقره الكونجرس سنة ١٩٧٤ الذى جعل العلاقات التجارية الأمريكية - السوفياتية مرهونة ومشروطة بمعاملة السوفيت للأقلية اليهودية وبقى هذا القانون قائما رغم انهيار الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٩٠ ويمكن استشعار قوة اليهود في مسائل الهجرة واللاجئين والحقوق المدنية وأصبح لليهود في امريكا دور بارز في مكافأة الأصدقاء وعقاب الخصوم واصبح كل من يعادى دولة إسرائيل هو خصم للولايات المتحدة.

وبعد أن كانت فرنسا هى الممول الرئيسى للسلاح بالنسبة لإسرائيل عاد وتزايد النفوذ اليهودى فى عهد حكومتي كنيدى وجونسون وكان الرئيس كنيدى صاحب أول صفقة سلاح أمريكى لإسرائيل حيث أقر صفقة صواريخ هوك سنة ١٩٦٤ واستمر جونسون على نفس السياسة الدافئة تجاه إسرائيل حيث أقر صفقة سلاح ضخمة من الطائرات الحربية وجاء نيكسون وجعل إسرائيل أكبر متلق للمساعدات الخارجية الأمريكية واعتبر إسرائيل سنداً استراتيجيا للولايات المتحدة وأغدق عليها كميات هائلة من السلاح وخصوصا أثناء حرب ١٩٧٣ (لعب كيسنجر الدور الرئيسى لتحقيق ذلك).

وتدفقت المساعدات المالية لتسهيل هجرة اليهود السوفيت ونقلهم الى اسرائيل - وأصبحت أمريكا المحرك الرئيسى الهام في ميزان القوى المؤيد لاسرائيل واعتمدت سياسية التفوق العسكرى الاسرائيلى على كافة الدول العربية.

وأخذت قوة اللوبى اليهودى تتضخم وازداد نفوذ إيباك اللوبى الأساسى في مجال السياسة الخارجية الأمريكية وتضاعف عدد النواب اليهود في الكونجرس الى أكثر من ثلاثة اضعاف على مدى عقدين من الزمن - وإزداد التحالف الاسرائيلى الأمريكى التحاماً ووصل الى أعلى مستوى في سياسة امريكا وخصوصا فيما يتعلق بقضية فلسطين وشئون الشرق لاأوسط.

ومنذ عدة عقود كان اليهود أكثر تصويتا لصالح الحزب الديمقراطى فى كل انتخابات الرئاسة تقريباً وفي سنة ١٩٩٤ فشل الجمهوريون في الكونجرس فشلاً زريعا حيث صوت اليهود بنسبة ٨٠٪ لصالح الديمقراطية. ثم عاد الجمهوريون وتفوقوا على الديمقراطية.

وقد انقسم اليهود إثر توقيع معاهدة السلام مع الفلسطينيين الى ٣ فئات:

١ - مجموعة من المتشددين اعتقدت أن حكومة رابين العمالية اقدمت على عمل انتحارى وأن عليهم إنقاذ اسرائيل من هذه الورطة. الدخول بمواجهات سياسية واكتفت بإدارة المؤسسات الخيرية والدينية وجميعها معفى من الضرائب وإرسال المعونات المالية لدولة إسرائيل.

ويوجد أكثر من ١٣٠ وكالة يهودية تعمل في كافة النشاطات المؤيدة لإسرائيل وتبلغ ميزانيتها ثلاثة مليارات دولار سنوياً ويشرف على هذه الوكالات مجلس الاتحادات اليهودية CJF ومقره نيويورك ويقدم المجلس لتلك الوكالات الأبحاث والموظفين وغير ذلك من الخدمات.

ويتفرع من تلك الوكالات الكبيرة وكالات صغيرة تعرف باسم وكالات المظلة حيث تجمع تحت مظلتها بعض المنظمات التى تعمل بتنسيق مشترك تجاه المواضيع الخاصة بالطائفة اليهودية.

وجميع هذه المراكز تعتبر الخلايا العصبية للطائفة اليهودية وهدف جميع تلك المراكز تنظيم العلاقات بينها واتصالها بدولة إسرائيل والمحافظة على المراكز السياسية الهامة التى يتمتع بها الطوائف اليهودية في أمريكا.

وظهرت بعض الخلافات الداخلية بين تلك المراكز بعد اتفاقات السلام بين إسرائيل والعرب وحصلت مواجهات بين مؤيدى ومعارضى الحكومة الاسرائيلية. ولاتزال تلك الخلافات تتفاعل حتى الآن. ولكنها لاترقى الى خلافات جزرية تضر بمصلحة اسرائيل.

وقد تمكنت المؤسسات اليهودية في أمريكا من حيث وسائل الإعلام على عدم ذكر ديانة المتهمين بالجرائم وبالسينما عدم عرض صور ساخرة باليهود وعدم تدريس قصة تاجر البندقية لشكسبير فى المدارس الثانوية وكثرت الكتيبات والاعلانات فى

الجرائد والمجلات لإظهار الصورة المشرفة لليهود وتضاعف عدد الحملات المكثفة ضد معاداة السامية وتمكن اليهود من الوصول الى مراكز مرموقة في الجامعات الامريكية الهامة ومكاتب المحاماة الشهيرة ومعظم الصناعات.........

٢- مجموعة قدمت للكونجرس اقتراحات لمنع واشنطن من السير فى عملية السلام والتحرك الايجابى الى الامام.

٣- مجموعة بدأت تنادى بوقف التبرعات للمنظمات اليهودية الأمريكية التى أيدت الإتفاقية.

ولكنها خلافات تقف عند الخط الأحمر الذى يحمى مصالح إسرائيل الأساسية كان لانتصار اليهود فى معارك ٥ يونيه سنة ١٩٦٧ بداية لعصر جديد فى حياة يهود أمريكا واصبح بإمكان اليهود هناك أن يفخروا لكونهم يهوداً وزاد كثيراً الشعور بالارتباط والتعاطف مع دولة اسرائيل وخرجت مسيرات بعضها ضم ١٥٠ ألف شخص في نيويورك مؤيدة لاسرائيل وبدأت المنظمات اليهودية حملة طارئة لمساعدة اسرائيل لتمويل نفقات الحرب وتعويض الخسائر وخلال فترة وجيزة تم جمع أكثر من ٣٠٠ مليون دولار بجانب التبرعات العينية لصالح اسرائيل وترك عدد من الطلاب الجامعيين اليهود الدراسة ليتجهوا الى اسرائيل من أجل المساعدة في جنى محصول الربيع وليحلوا محل المجندين في الجيش وفي الاحتياط وذهب أكثر من عشرة آلاف يهودى للعمل في اسرائيل كمتطوعين. وكانت صحوة يهودية عارمة في أنحاء أمريكا بعد حرب الأيام الستة ١٩٦٧ وشمل أنحاء أمريكا شعار وإنقاذ ومساعدة إسرائيل وهكذا أصبحت سنة ١٩٦٧ نقطة تحول فى حياة يهود أمريكا وأصبحت قوة اسرائيل بعد انتصارها الباهر على العرب موضع ثقتهم وقللت من ثقتهم بالمحادثات الدبلوماسية.

ولكن ذلك أدى الى حدوث تحول ضد اسرائيل وأخذت وفود الدول تهاجم إسرائيل وخصوصا دول العالم الثالث ووجدت اسرائيل نفسها منبوذة لدى الدول الآسيوية والأفريقية حديثة العهد بالاستقلال وأخذ العداء السوفيتى لاسرائيل منعطفا جديدا حيث قاطعت كل الدول الشيوعية باستثناء رومانيا علاقتها الدبلوماسية بإسرائيل وهنا برز الموقف الامريكى المنحاز تماماً لإسرائيل ووقفت أمريكا أمام أى قرار يدين اسرائيل في الأمم المتحدة ومجلس الأمن ودأبت باستمرار على استعمال حق النقض (الفيتو).

وقام اليهود بحملات واسعة لتذكير الشعب الأمريكى بما لحق اليهود على أيدى

النازيين وما تم بالهولوكست وتمكنوا في عهد الرئيس كارتر البدء في إقامة المجلس الأمريكى لإحياء ذكرى الهولوكست وتم إنشاء المتحف القومى للهلوكست في واشنطن بموافقة الكونجرس الأمريكى وقد افتتحه الرئيس كلينتون سنة ١٩٩٣ وتكلف ١٦٨ مليون دولار من التبرعات الخاصة وتوافد على زيارة المتحف عشرات من زعماء العالم وأقام كلينتون بمناسبة الافتتاح حفل استقبال لخمسمائة من زعماء اليهود داخل البيت الأبيض وتم تغيير اسم الشارع الذى أقيم فيه المتحلف الى «راوؤل والينبرج» وهو الدبلوماسى السويدى الذى ضحى بحياته لانقاذ يهود المجر من أيدى النازى.

وهكذا أصبح اليهود في الكونجرس الأمريكى أحد أهم ركائز النفوذ اليهودى في أمريكا وشكلوا جبهة واحدة للدفاع عن مصالح اسرائيل في واشنطن ووقفوا أمام أية محاولة تقوم بها الإدارة الامريكية للضغط على اسرائيل لتقديم تنازلات وأصبح اليهود وكأنهم يمثلون مجلساً تشريعيا داخل الكونجرس وتمكنوا من الحصول على قرار من الكونجرس بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب الى القدس بحلول عام ١٩٩٩ وأصبحت مصلحة إسرائيل وأمنها هما المحرك الرئيسى للسياسة الامريكية في منطقة الشرق الأوسط.

وأصبحت إسرائيل تملك رفض أى قرار لمجلس الأمن لايتفق ومصلحتها برعاية وحماية الفيتو الأمريكى.

وفي حديث لابا إيبان السياسى الإسرائيلى المعروف وأشهر دبلوماسييها يقول إن اثنين فقط من يهود أمريكا هما اللذان حققا قوة حقيقية في الولايات المتحدة الأمريكية أما الباقون فهم أصحاب نفوذ فقط يستطيعون إقناع صانعى القرار السياسى باتخاذ قرارات في صالح اسرائيل.

الاثنان هما آرثر جولدبرج وهنرى كيسنجر

الأول صاحب جعل قرار ٢٤٢ ان لايتضمن الانسحاب من الأراضى العربية بل انسحاب بدون الألف واللام وربط الانسحاب بضرورة أن يتم ذلك ضمن اتفاق شامل للسلام ليحرر اسرائيل من انسحاب أحادى الجانب وبفضل هذا القرار تمكن الإسرائيليون من عدم الانسحاب حتى حصلوا على الاعتراف العربى بدولتهم قبل مناقشة الانسحاب.

أما كيسنجر الذى قاد السياسة الأمريكية (نيكسون وفورد) والتى شهدت حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ والحظر البترولى العربى واتفاقية فض الاشتباك بين مصر واسرائيل

وسوريا واسرائيل سنة ١٩٧٨ وتمكن من إدارة السياسة الأمريكية بمفرده. وقد جعل كيسنجر من أمن اسرائيل أولوية مهمة من أولويات السياسة الخارجية الأمريكية.

ولاشك أن وجود كيسنجر أيام حكم الرئيسين نيكسون وفورد أدت الى تصعيد قوة اللوبى اليهودى وبالتالى الى تصعيد العلاقة الامريكية الاسرائيلية.

نذكر فيما يلى المواقع التى استطاع يهود أمريكا السيطرة عليها.

١- يسيطر اليهود على مدينة السينما فى هوليود فقد قاموا ببناء الاستديوهات وابتكروا نظم التوزيع وأقاموا دور السينما ونشروها في كل أنحاء أمريكا.

هؤلاء اليهود هم: وليم فوكس وصموئيل جولدوين ولويس ماير والأخوة دارنر وغيرهم.

٢- الإذاعة عن طريق الراديو ثم البث التليفزيونى وأهم ثلاثة في أمريكا أسسوا شبكات للاذاعة والتلفزيون كانوا من اليهود.

وهم: وليم بيلى - ديفيد سارتوف - واصحاب س. ب . اس - ايه - بى - سى

٣- برز اليهود فى عالم الغناء والأدب والإخراج والفن.

٤- صناعات أخرى يتركز فيها اليهود.

(١) وول ستريت وسمسرة العقارات.

(٢) صناعة الأزياء وأكثرها بيد يهود أمريكا.

(٣) مجال الإعلام الإخبارى.

(٤) شركات الدخان والسجاير.

ويقوم اليهود على الصدارة في أهم الصحف والمجلات

نيويورك تايمز = واشنطن بوست - نيوززبابليك

بوسطن جلوب - نيويورك بوست - ويكلى ستاندرد

ودائما يظهر التحيز الإعلامى لليهود والصهيونية في هذه الصحف.

وتقوم دولة اسرائيل بفتح أبوابها للصحفيين وتمدهم بمصادر المعلومات اللازمة

لتغطية الأحداث اليومية ويظهر دائماً في الصحف الأمريكية المعيار المزدوج التى تكيل به أمريكا الأمور ويعود ذلك للنفوذ اليهودى.

لاشك أن النفوذ اليهودى في أمريكا خلال عشر السنوات الأخيرة وصل إلى مسافة غير مسبوقة فى اتجاه تأييد اسرائيل وأصبح اللوبى اليهودى في امريكا يتمتع بموقع ممتاز فى الساحة السياسية الامريكية وزاد دوره المدهش في تشكيل سياسة أمريكا فى منطقة الشرق الأوسط وخصوصا موضوع النزاع العربى الاسرائيلى وأصبح النفوذ اليهودى يسيطر على أخطر مجالات التأثير على الرأى العام الأمريكى وخصوصا فى مجال الاعلام وأصبحنا نرى كيف يحدد اليهود الأمريكان مصالحهم ويفرضونها على الخريطة السياسية الامريكية سواء داخل أمريكا أو خارجها.

أخيراً: لو قارنا بين المصالح الأمريكية مع العرب بالمقارنة بحجمها مع إسرائيل فإن المصالح الأمريكية معنا نحن العرب أضعاف مصالحها مع اسرائيل وإذا قسنا عدد اليهود فى الولايات المتحدة الامريكية بعدد العرب والمسلمين لوجدنا الفرق كبيراً بيننا وبينهم لان عدد العرب المسلمين تجاوز الملايين العشرة بينما اليهود في الولايات المتحدة أقل من نصف هذا العدد.

الفرق هو القدرة والعمل والاتجاه نحو صناع القرار فى أقوى دولة فى العالم وقد اشرنا الى سيطرة اليهود ونفوذهم وكيف تمكنوا من التأثير في صنع القرار السياسى الأمريكى بما يتفق ومصالح اسرائيل حتى لو كان على حساب مصالح الولايات المتحدة ذاتها – اين وجودنا نحن العرب والمسلمين في أمريكا؟.

عودة إلى النفوذ اليهودي في
الولايات المتحدة الأمريكية

لاشك أن الموقف الأمريكى فيما يتعلق بقضية الشرق الأوسط والحلول المقترحة لتحريك الأوضاع المتوقعة بين الفلسطينيين وإسرائيل وكذلك سياسة الولايات المتحدة تجاه العراق، هذا الموقف لاينبع من إرادة امريكية مستقلة دائما يتأثر بقوة النفوذ اليهودى في أمريكا - وهى بالفعل قوة هائلة تقف وراء ازدواجية المواقف الامريكية خصوصا النفاق الامريكى بالنسبة لإسرائيل ويظهر هذا الازدواج الفاضح في كافة معايير السياسة الأمريكية الخارجية.

ولدى التفتيش عن الأسماء المؤثرة في الولايات المتحدة الأمريكية المختلفة تلمس التأثير القوى للجمعيات اليهودية.

بناى برث - هداسا - النداء اليهودى - لجان مكافحة تشويه صورة اليهودى.

ورغم أن الطائفة اليهودية الأمريكية ليس لها جهاز رسمى يمثلها تمشياً مع القانون والدستور الأمريكى الذى يمنع الاعتراف بأية مؤسسة طائفية دينية إلا أن اللوبى اليهودى نجح فى التغلب على ذلك بإنشاء عدد غير محدود من المنظمات اليهودية بمسميات مختلفة مثل:

اتحاد المعابد - هيئات الحاخامات - جماعات المحبة - جمعية الحقوق المدنية - جمعيات مساعدة المهاجرين - لجنة يهود أمريكا - المؤتمر اليهودى الأمريكى - اتحاد المؤتمرات العبرية - مجلس الاتحادات اليهودية- الخ.. الخ.

كان في أوائل السبعينيات شيخان يهوديان فقط في الكونجرس الأمريكى وفي مجلس النواب ١٢ نائبا يهوديا وفي بداية التسعينات وصل عدد اليهود في مجلس الشيوخ الى عشرة وارتفع عدد النواب الى ٣٣ نائبا ودخل آلاف اليهود فى عصب الأجهزة

الوظيفية الحساسة فى المجالس والتشريعية المحلية ومجلس المدن في سائر الولايات. وهكذا أصبح نفوذ اليهود فى الكونجرس بمجلسيه قوة ضغط كبيرة على الإدارة الأمريكية لصالح إسرائيل ولزيادة المعونات المقدمة إليها.

ويلاحظ أن ٢٥٪ من عدد العاملين في مختلف وسائل الإعلام الأمريكية الضخمة من اليهود وهم يسيطرون على وظائف المحررين والكتاب ومنتجي البرامج.

قوة اللوبى اليهودى وسيطرته على العقل الأمريكى

في انتخابات سنة ١٩٩٦ نجح كلينتون في البقاء في البيت الأبيض رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية لفترة ثانية ومن عوامل نجاحه الهامة دعم اللوبى الصهيونى له — وبعودته الى البيت الأبيض انضم اليه كوكبة جديدة من ثمار تأييد اللوبى الصهيونى له تمثل في مئات الموظفين اليهود الموالين لإسرائيل بالاضافة الى أركان الحكم الجديد في البيت الأبيض وأكثرهم من غلاة الصهيونيين وهم جميعا معروفون بتعاطفهم الشديد مع إسرائيل واصبحت اخطر القرارات الأمريكية تمر من خلال تلك العصابات اليهودية المسيطرة على صنع القرار في البيت الأبيض الأمريكي. وهكذا أصبحت قضية الشرق الأوسط والمشكلة الفلسطينية تخضع لتوجهات اللوبى اليهودى الأمريكي.

مصادر قوة اللوبى الصهيوني:

تعد اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للعلاقات العامة «الأيباك» AIPAC الذراع الصهيونى السياسى الذى تصب فيه جميع المؤسسات والمنظمات اليهودية ليس فقط في الولايات المتحدة الأمريكية بل في الدول الغربية. وثمة محورين رئيسيين أساسيين تتحرك خلالهما الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية.

المحور الأول: ويتركز في الخط الصناعى العملاق في غرب الولايات المتحدة وصولاً الى الخط الثقافى حيث تزدهر أضخم القلاع الثقافية في العالم وهى صناعة السينما — ثم خط أقصى الجنوب الغربى في كاليفورنيا الى تكساس وفلوريدا ويعد هذا المحور هو مكان ارتكاز اللوبى الصهيونى ويلاحظ أن معظم القيادات في وسائل الإعلام والأكاديميات غالبيتهم من اليهود أو المتعاطفين معهم في أغرب عملية سيطرة وتكتل وعمل جماعى منظم يشهدها مجتمع غربى لأول مرة في التاريخ. ويقدر قيمة النفوذ

اليهودى وكأن عددهم ٧٠ مليون بينما عددهم الحقيقى ٥,٩ مليون نسمة فقط ولابد أن نذكر بعض بارونات الإعلام الصهيونى مثل:

مردوخ – ماكميلان – تيد تيرنر وغيرهم

المحور الثانى: ربما يقل قليلاً معدل الضغط الصهيونى في هذا المحور الزراعى من المحور الأول ويقع هذا المحور في الولايات الزراعية وأصحاب المزارع الكبيرة وتسود فيه بعض القيم المسيحية التقليدية المعادية في بعض الأحيان لليهود يضاف اليهم أصحاب المصالح البترولية. ولكن منذ الثمانينيات قررت الحركة الصهيونية تركيز جهودها في هذا القطاع باستعمال كافة الوسائل سواء السلمية أو الابتزاز والقهر لوقف أى معاداة لليهود أو أى تعاطف مع العرب وقد أثمرت جهود تلك الحركة الى حد بعيد.

ويتركز النشاط اليهودى الجماعى في الولايات المتحدة في العاصمة واشنطن ويضع ثقله بصفة خاصة على الجزء المتعلق بالشرق الأوسط فيما يختص بخدمة مصالح الدولة اليهودية (إسرائيل).

وهكذا أصبح اللوبى اليهودى فى واشنطن يتمتع بنفوذ متعاظم عبر خمسين ألف منظمة ممثلة للإيباك وأصبح باستطاعته تصدير القرارات التى تريدها إسرائيل ووضع السياسات التى تتبناها ابتداء من المواطن العادى الى المسئولين فى الكونجرس والبيت الأبيض.

وتعتمد الإيباك على أربع وسائل أساسية في التأثير على المجتمع الأمريكى من الناخب الى صانع القرار.

(١) التنظيم. (٢) الصوت اليهودى. (٣) المال اليهودى.

(٤) وسائل الاتصال الجماهيرى من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما وجامعات ومراكز علمية وصحفية وحركات طلابية... الخ.

١ – التنظيم: لما كان العقل الإنسانى هو محور عملية التنظيم فقد ركزت الحركة الصهيونية على **صناعة العقل** فقد أعلن أحد المفكرين اليهود في أمريكا «نحن اليهود لانملك صناعة الصلب أو السلاح أو مزارع التفاح والقمح بل نملك فقط صناعة العقل». فقد تمكنت الصهيونية من التحكم في أمور تتماشى مع العقلية الأمريكية منذ أكثر من نصف قرن مثل صناعة الكتب / الأفلام / برامج التلفزيون /

الجريدة والمجلة... الخ ووقفت بالمرصاد لكل نشاط معاد للحركة الصهيونية وهو ما يسمونه بالمحرمات في الإعلام الأمريكى. وعلى رأس تلك المحرمات النشاط العربى والإسلامى والأمريكان السود المؤيدون للعرب وجماعات النازية الجديدة وكل من يحاول ان ينتقد السلوك الاسرائيلى في الكونجرس الامريكي والتسامح في كل القضايا الأمريكية إلا قضية اسرائيل.

٢ - **الصوت اليهودى:** ويعطى الصوت اليهودى في أمريكا للحلفاء والأصدقاء ويطارد الصوت اليهودى كل من تجرأ على الكلام بما لايرضى عنه اليهود أمثال وليم فولبريت - تشارلز بيرسي - بول فندلى - بول ماكلوسكى - ادلاى ستيفنسون وغيرهم كثيرون.

وتلعب أجهزة الإعلام المسيطر عليها يهودياً لتفضيل مرشح على آخر اثناء الانتخابات ونسبة التصويت بين اليهود الأمريكان تتراوح بين ٨٠ر٩٠٪ وهم يملكون ١ر٧ مليون صوت بينما لاتتعدى نسبة الحضور العامة في الانتخابات الأمريكية ٥٠٪ وهذا ما يجعل للصوت اليهودى هذه القيمة الكبرى.

٣- **المال اليهودى:** اليهود يسيطرون على العديد من المؤسسات المالية الأمريكية والقوانين الامريكية تسمح لليهود بجمع أموال ضخمة من حصيلة التبرعات ويمكن الاستفادة منها أثناء الانتخابات او توجيهها الى إسرائيل بدون أى عقاب وجميع تلك التبرعات معفاة من الضرائب.

وقد صيغت عقلية اليهودى الأمريكى بأن اسرائيل أرض مقدسة ونبوءة العودة الى أرض الأجداد وتأمين لكل يهودى فى حالة ظهور أية حركة عنصرية ضد اليهود في الغرب.

وتقوم الإيباك بتقسيم الأموال المخصصة لتمويل المرشحين الى ثلاثة مستويات اليهودى يحصل على أعلى نسبة يليه المسيحى الصهيونى الذى لاشك في تأييده لإسرائيل يلى ذلك المتعاطفون ويمكن التأثير عليهم لخدمة اسرائيل.

٤- **وسائل الاتصال الجماهيرى** من صحافة وإذاعة وتليفزيون وسينما وجامعات ومراكز علمية وصحفية وحركات طلابية وهناك سجل يهودى لايتفوق عليه أحد فى ذلك. فالاستثمار اليهودى في المجال الاقتصادى يتركز في البنوك والأعمال الفنية وأجهزة الاتصال الجماهيرى وغيرها من وسائل الاتصال المباشر وغير المباشر.

وجعل اليهود العداء للسامية حائطاً يرهبون به كل من يواجههم وأصبحت السيف المسلط على كل شخص ينتقد إسرائيل أو اللوبى الصهيونى.

وقامت الحركة الصهيونية بأكبر عملية غسيل مخ في التاريخ لشعوب مسيحية لتبرير احتلال فلسطين وذلك من خلال أجهزة الإعلام ووسائل الاتصال الجماهيرى الأخرى. وكما حصل في أوروبا فقد أصدر الكونجرس قانوناً يدين أى شخص يشكك في مقولة الهولكست وقد عمل نصب تذكارى لضحايا الهلوكوست بجوار النصب التذكارى لضحايا فيتنام فى قلب واشنطن.

واصبح الأمريكى لايعرف الا التعاطف الكامل وتبرير احتلال فلسطين وقيام دولة اسرائيل.

وثمة اكذوبة تروجها الدوائر الصهيونية في أمريكا ان هناك تطابقا بين المصالح الامريكية والمصالح الاسرائيلية في منطقة الشرق الأوسط وهى الأسطورة الاساسية للاعلام الصهيونى في الغرب وامريكا.

وفيما يلى إحصاء قام به باحث أمريكى ذكر فيه البيانات التالية:

توجد فى الولايات المتحدة ثلاث شركات تليفزيونية رئيسية:

شركة ABC يرأس مجلس إدارتها ومساعداه من اليهود.

شركة CBC يرأس مجلس إدارتها ومساعداه من اليهود.

شركة NBC يرأس مجلس إدارتها ومساعداه من اليهود.

يضاف الشبكة الدولية العملاقة C.N.N التى يملكها تيودرتيرنر وهو صهيونى ليبرالى ويتعاون مع بارون الصحافة والإعلام المرئى مردوخ اليهودى الاسترالى الذى يسيطر بمفرده على ٦٠٪ من أجهزة الإعلام المرئى في أمريكا. ويتبع هذه المحطات ٨٥٪ من المحطات التليفزيونية الفرعية في ولايات امريكا ونفس النسبة فى محطات الراديو.

والأشخاص المسيطرون على هذه الشبكات العملاقة بيدهم السلطة العليا ولهم القرار النهائى فى برمجة ما يجب أن يسمعه مئات الملايين من الأمريكيين والعالم يوميا سواء عن طريق الأقمار الصناعية أو شبكات وكالات الأنباء.

ان نجوم المسرح والسينما والتليفزيون والصحافة والفن التشكيلى وأساتذة الجامعات والكتاب والمثقفين الأمريكيين يحملون أسماءاً يهودية واضحة وتعاطفهم مع إسرائيل يصب فى نهر اللوبى اليهودى وهنالك محطة تليفزيون رابعة PBS وهى محطة شعبية تقوم الشركات العملاقة بتمويلها وتحصل على دعم فيدرالى وهى تعرض باستمرار أفلاما ثقافية وثائقية عن الهولوكست اليهودى وأفلاماً عن تاريخ اليهود وحضارتهم وارتباطهم بالمسيحية وترتبط هذه الشبكات بشركات الإنتاج العملاقة فى هوليود مثل:

وارنر – فوكس – يونفارسال – كولومبيا – برامونت M.G.M

وجميع هذه الشركات يهودية أو يسيطر عليها اليهود.

وهذا الجهد الجبار يقوم به اللوبى اليهودى فى أمريكا وهو (صناعة العقل الأمريكى) وجعله مرتبطاً بإسرائيل على الدوام.

وصناعة السينما في أمريكا تقوم بأكبر عملية غسيل مخ بجانب المؤسسات اليهودية الأخرى في الولايات المتحدة ومن أشهر النجوم في عالم السينما أسماء مثل انجريد برجمان – ميل بروكس – الأخوة ماركس – شارلى شابلن – كيرك دوجلاس – بول نيومان – جاك ليمون وتشارلس برونسون – مايكل دوجلاس – بيتى مدلر – سالى فيلد – بربارا استريسند – ليزا مانيلى.. إلخ هم نجوم دوليون معروفون ولكنهم يهود – غير بعضهم اسمه لتتلاءم مع الثقافة الأمريكية بجانب الممثلين المسيحيين المتعاطفين مع الصهيونية إما حباً أو كرهاً بسبب ارتباط حياتهم على شاشات اللوبى اليهودى السينمائى.

وهكذا كما يقول الممثل العظيم مارلون براندو تحولت صورة اليهودى

«التائه – البخيل – الكريه الحقود خطوة بخطوة في نهاية الاربعينيات الى صورة الكافح – الليبرالى – خفيف الظل – المسالم المحب للحياة والخارج لتوه من محرقة الهولوكست»

الصحف والمجلات: دأبت الصحف والمجلات الأمريكية التى تخضع للنفوذ اليهودى على تعميق حب اليهود في المجتمع الأمريكى المعادى للعنصرية وخلق حالة استنفار دائمة ضد العرب.

فالعربى هو دائما الإرهابى – متعدد الزوجات – ضد الحرية ضد المسيحية

واليهودية – ضد الغرب – منفر – كريه – غير مفهوم اللغة. وكل من يحاول مناصرة العرب يتهم بمعاداة السامية وكما قال المفكر العربي الأمريكي المعروف «إدوارد سعيد» فإن المجلات والصحف الأمريكية تقوم بلوم الضحايا وتحقيرهم وتحميلهم ذنوب المخطىء الحقيقي».

تبيع الصحف الامريكية حوالي ٦٠ مليون نسخة يوميا تصدر عن ١٧٤٥ دار نشر – ونصف تلك الدور مملوكة لليهود أو أنهم يسيطرون عليها والنصف الآخر لهم نفوذ كبير في النشر فيها.

هنالك خمس شركات كبرى صحفية.

١– نيوهاوس وتصدر ٤٩ صحيفة و٢٠ مجلة بجانب امتلاكها عدة محطات تليفزيونية رئيسية وفرعية في الولايات المتحدة لاتقل عن ٢٠ محطة ومؤسس هذه الشركة العملاقة اليهودى صموئيل نيوهاوس.

٢– نيويورك تايمز وهى اضخم صحيفة في نيويورك والولايات المتحدة والعالم وصاحبها ادولف أوخس اليهودى وتمتلك عائلة أوخس ١٢ صحيفة ومجلة بالاضافة الى عدد من المحطات التليفزيونية.

٣– الواشنطن بوست: تأتى بعد نيويورك تايمز ولها تأثير كبير على صانع القرار في البيت الأبيض وتمتلك الصحيفة عائلة بوجين مير وهى عائلة يهودية وتمتلك أيضا مجلة نيوزويك وعدة محطات تليفزيونية وأشهر معارك الواشنطن بوست الصحفية فضيحة ووترجيت التى أسقطت الرئيس نيكسون.

٤– وول ستريت جورنال: يرأس هذه الصحيفة الرأسمالية المشهورة في العالم وارن فيلبس اليهودى ومعظم محرريها لهم ارتباطات وثيقة باللوبى اليهودى وبدولة إسرائيل.

٥– مجلة تايم: ويتبعها مجلات أشهرها لايف – فورتشن – بيبول – مونى ويصدر عنها العديد من سلاسل الكتب ويرأس تحريرها هنرى ورنر وهو يهودى متعاطف مع الحركة الصهيونية.

بعد هذا العرض لنا أن نتخيل المواقف الامريكية تجاه الشرق الأوسط وكيف أن تلك المواقف تصطبغ دائماً بوجهة نظر الإيباك الصهيونى بغض النظر عن مجموع

المصالح الأمريكية في المنطقة – ويعود ذلك كما بينا لقوة اللوبى اليهودى وسيطرته على العقل الأمريكي وكذلك لأسباب انتخابية تؤثر على صنع القرار في الإدارة الأمريكية.

ويجب ان نذكر كيف يحتل اليهود معظم أعمدة الحكم الهامة والمؤثرة مثل الدفاع والأمن والمخابرات والسياسة الخارجية؟.

وهكذا نجد كيف استطاع اليهود تجسيد الوهم وتزوير التاريخ والافتراء على الأديان والكتب المقدسة من خلال سيطرتهم على كافة وسائل الاعلام وشاشات السينما الأكثر انتشاراً وتأثيراً. ومن خلال الأساطير والتفاسير قام اليهود بأكبر عملية تحريف فى العقيدة وبرعوا فى استخدام ذلك سياسياء فالدين الذى يفصلونه على هواهم هو وسيلة المواصلات التى توصلهم الى أهدافهم السياسية فاالأسطورة الدينية جاهزة دائما لتقديم الخدمات.

أسطورة شعب الله المختار جعلت الهجوم عليهم هجوماً على السامية

أسطورة أرض الميعاد: قدمت لهم دولة إسرائيل على طبق من الفضه

أسطورة البقرة الحمراء: يحضرونها لتعطيهم الجرأة على هدم المسجد الأقصى لبناء الهيكل.

ولن نندهش لو استخدم اليهود أساليبهم المذكورة لتحقيق أهدافهم.

هل الرئيس كلينتون مؤهل لرعاية
عملية السلام بين العرب وإسرائيل

منذ الحرب العالمية الأولى أخذ الموقف السياسى الأمريكي يتجه الى تأييد الصهيونية العالمية والموقف اليهودى بهدف إنشاء وطن قومى لليهود في فلسطين. وقد أثبتت وثائق الحرب العالمية الأولى أن نص تصريح بلفور كان قد رفع الى الرئيس الأمريكي ولسن سنة ١٩١٧ فوافق عليه قبل إعلانه رسمياً وتابع رؤساء الولايات المتحدة الامريكية السير بنفس الطريق وأخذ موقفهم يزداد انحيازاً لإسرائيل بازدياد النفوذ اليهودى في الولايات المتحدة. وقد سارع الرئيس هارى ترومان بإعلان اعتراف الولايات المتحدة بدولة إسرائيل بعد ساعات قليلة من تأسيسها.

وعندما أصبحت أمريكا القطب الواحد الأقوى في العالم بعد زوال الاتحاد السوفيتى انفردت تماما الولايات المتحدة بتبنى القضية الفلسطينية ورفضت المشاركة من أحد بهذا الشأن ولكنها بالحقيقة انحازت الى تبنى المواقف الإسرائيلية ولم تعد الجانب المحايد كما تدعي. وأصبحت المؤيد الوحيد تقريبا للموقف الاسرائيلى وتابعت استعمال حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن ووقفت ضد قرارات الأمم المتحدة وأخذت تزيد من ضغوطها على الفلسطينيين بل وتملى شروط الاتفاقات بين الفلسطينيين والاسرائيليين.

وجاء الرئيس الحالى بيل كلينتون سنة ١٩٩٢ بعد هزيمة خصمه چورج بوش ومن المؤكد أن الرئيس كلينتون يعتبر أكثر رؤساء الولايات المتحدة السابقين تطرفاً وتأييداً لدولة إسرائيل ومتعاطفاً مع جميع أهدافها التوسعية والاقتصادية ودعمها عسكريا بأحدث ما تنتجه الترسانة الأمريكية من معدات عسكرية معقدة ومتطورة وقد عاب أثناء حملته الانتخابية على الرئيس بوش بأنه كان متهاوناً في حق الشعب الاسرائيلى ورعاية مصالحه.

ومن أقواله أثناء حملته الانتخابية الأولى

نهاية الحرب الباردة لاتُنهى بسهولة دور امريكا في الشرق الأوسط فمازالت اسرائيل صديقة أمريكا معرضة للخطر وأمريكا لها مصالح حيوية في المنطقة ولذلك فقد أيدنا الرئيس بوش في طرد صدام حسين من الكويت - لقد كانت اسرائيل هى الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط التى عرفت الانتقال السلمي للسلطة بالاقتراع وليس بالحديد

والنار ولن نتخلى عن اسرائيل أبداً وقد ألحقت حكومة بوش ضرراً بالغاً بإسرائيل عندما أخطأت في الضغط عليها لكى تقدم تنازلات من جانب واحد فى عملية السلام وتجاهلت المقاطعة الاقتصادية القاسية ضد إسرائيل من جيرانها العرب وتجاهلت العقبات الأخرى التى تواجه عملية السلام ورفضت طلب إسرائيل بالحصول على مساعدات انسانية لإعادة توطين اليهود الروس. كما أحدثت حكومة بوش تآكلاً فى أمن اسرائيل ببيعها أسلحة متطورة بمليارات الدولارات الى جيرانها العرب أن اسرائيل تستحق كل الرعاية لأنها الصديق المخلص الذى يتمتع بديمقراطية مستقرة وأخيراً يقول كلينتون بمنتهى الوضوح القدس عاصمة غير مقسمة مفتوحة لكل الأديان وأن السلام الذى لايوفر الأمن لاسرائيل لن يكون سلاماً آمنا وللفلسطينيين الحق في العيش بحرية وليس لهم الحق في تقرير مستقبل إسرائيل فلذلك نحن نعارض إنشاء دولة فلسطين مستقلة.

ومن أولى القرارات التى اتخذتها الحكومة الأمريكية بعد انتخاب كلينتون رئيسا سنة ١٩٩٢ إنعاش الاقتصاد الإسرائيلى الذى كان يعانى من حالة الركود الحاد بشراء صفقة أسلحة من اسرائيل تبلغ قيمتها نصف مليار دولار أما ثانى القرارات فكان رفض الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية التى تسعى الى إقرار السلام فى الوقت الذى تواصل فيه إسرائيل إجراءاتها الإجرامية ضد الفلسطينيين.

وأخيرا كشف كلينتون عن انحيازه الصارخ لإسرائيل فعين بعض الأميريكيين اليهود المتعصبين لإسرائيل في الأماكن السياسية الحساسة المختصة في شئون إدارة البلاد وخصوصاً شئون الشرق الأوسط وكان هؤلاء الخبراء اليهود يطرحون دائما التصورات الاسرائيلية لحل قضية الشرق الأوسط.

وبعد انتخاب كلينتون لفترة ثانية فى يناير ١٩٩٧ أصبح غالبية مستشارى كلينتون ومساعديه فى شئون الشرق الأوسط من اليهود وخاصة في مجال الأمن القومى الذى تجسد في تعيين يهودية لوزارة الخارجية وثلاثة من مساعديها من اليهود أيضاً وأخيراً تعيين يهودى متعصب لإسرائيل سفيراً لامريكا في مصر.

وأثناء حملته الانتخابية الثانية صرح كلينتون أن ليس للولايات المتحدة مصلحة فى أمن إسرائيل فحسب بل في التعاون الاستراتيجى بين دولتى الولايات المتحدة واسرائيل في منطقة الشرق الأوسط. وأضاف أنه من المحظور ممارسة ضغوط على اسرائيل من أجل تقديم تنازلات من طرف واحد ومعنى ذلك أن تحصل إسرائيل على

تنازلات من الجانب الفلسطينى مقابل السلام وبذلك يعتبر كلينتون الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان وجنوب لبنان حتى تعود الى أصحابها يجب تقديم تنازلات لإسرائيل وهو بالضبط ما تطالب به اسرائيل.

وكما سبق وتعهد بوش بمعاملة إسرائيل في مجال التكنولوجيا العسكرية يمثل معاملة دول حلف شمال الاطلنطى بإطلاعها على التكنولوجيا العسكرية الأمريكية. أضاف كلينتون بتشكيل لجنة امريكية – إسرائيلية مشتركة للتعاون فى المجال التكنولوجي العسكرى الدقيق وأصبحت المعدات العسكرية الدقيقة مثل السوبر – كمبيوتر وغيره متاحة لإسرائيل بالإضافة الى تخزين أسلحة أمريكية متطورة في مخازن إسرائيل.

وتفرض إدارة الرئيس كلينتون الحصار على العراق والجماهيرية الليبية وتبذل قصارى جهودها للحيلولة بين وصول أى سلاح متطور الى سوريا أو إيران وحتى باكستان وخصوصا في مجال الأسلحة النووية والصواريخ وغير التقليدية كالأسلحة الكيماوية والبيولوجية.

وفى نفس الوقت تزيد أمريكا من هيمنتها على الدول العربية الذى يسودها الانقسام والتناحر والخلافات.

إن استراتيجية الولايات المتحدة سواء فى عهد الرئيس كلينتون أو من سبقوه من الرؤساء ترتكز على أمن إسرائيل وأنه جزء لايتجزأ من امن الولايات المتحدة وهو ما جعلها تصر دائماً على ضمان تفوق إسرائيل العسكرى على كل الدول العربية مجتمعة وأنها ترفض أية إدانة لإسرائيل في مجلس الأمن وتستخدم حق الفيتو (النقض) فى اسقاط أى قرار يدينها حتى لو صوتت لوحدها ضد جميع باقى أعضاء مجلس الأمن الـ ١٤ وكذلك يحدث في الجمعية المقامة إذ وقفت وحدها مع إسرائيل ضد الأغلبية الساحقة لدول العالم.

شبكة الإنذار المبكر اليهودية
فى البيت الأبيض الأمريكى
فى عهد الرئيس كلينتون

الشبكة الخطيرة المتمكنة من التأثير في مختلف أجهزة البيت الأبيض السياسية - والمعروف أن ولاءها الأول يخضع للقيادات اليهودية خاصة التى تدير المشروع القومى للحركة الصهيونية في العالم وجميعهم من اليهود:

١- أربعة وزراء:

مادلين اولبريت - وزيرة الخارجية.

وليم كوهين - وزير الدفاع.

روبرت روبين - وزير الخزانة.

دان عليكمان - وزير الزراعة.

ستيوارت ايزنستان	نائب وزير الخارجية
مارتن انديك	نائب وزير الخارجية
بيتر نارنون	نائب وزير الخارجية
كارين آدر	مدير الخارجية
دينس روس	مستشار شئون الشرق الأوسط والمسئول الأمريكى لعملية السلام

جورة تينسيت	رئيس وكالة المخابرات الأمريكية
صموئيل بيرجر	رئيس مجلس الأمن القومى الأمريكى
جيم مشتاينبرج	نائب رئيس مجلس الأمن القومى
جوديث فيدر	عضو مجلس الأمن القومى
صموئيل لويس	عضو مجلس الأمن القومى
ستانلى روس	عضو مجلس الأمن القومى
جاى فوتليك	ضابط اتصال
نافى غرائر	ضابط اتصال
جيف ايلار	مساعد خاص للرئيس كلينتون
سوزان توماس	مساعدة خاصة لزوجة الرئيس كلينتون

تصور أن من ١٨ من العناصر اليهودية المختارة هى التى يمر عبرها صنع القرارات الأمريكية الخطيرة وهى تعتبر شبكة الإنذار المبكر للحركة القومية الصهيونية بجميع انحاء العالم.

إذن ... كيف تكون هوية تلك القرارات؟.

كيف تنتظر القضية العربية خيراً من خلال هذه الشبكة العنصرية الصهيونية الخطيرة التى هى في الحقيقة تحكم البيت الأبيض وتوجه صياغة قراراته الكبرى.

الفهرس

صفحة

المراجع والمصادر

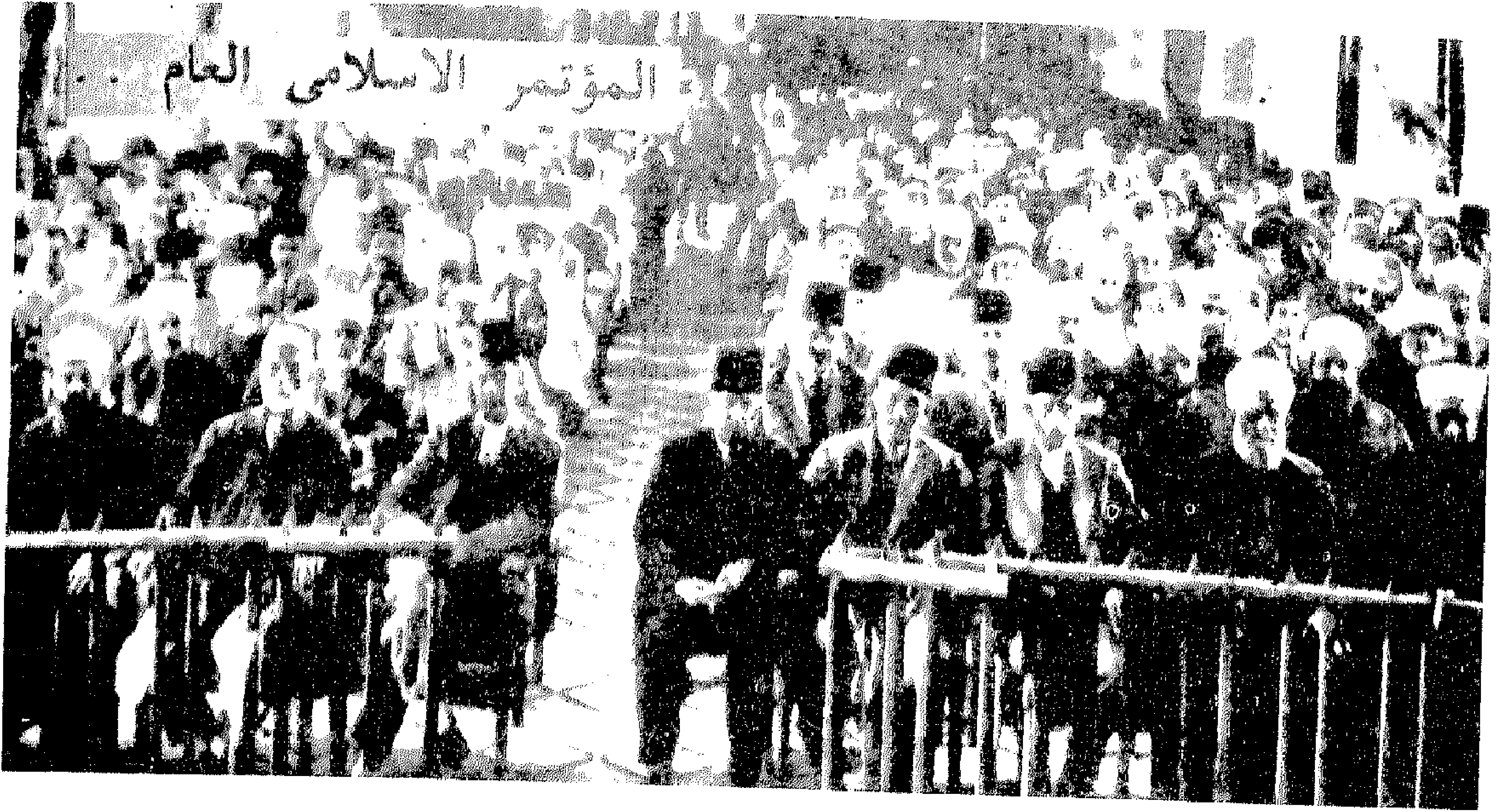
اسم الكتاب	المؤلف
١- قضية فلسطين	نجيب صدقه
٢- المؤامرة الكبرى	أميل الغوري
٣- النكبة جزء ١	عارف العارف
٤- النكبة جزء ٢	عارف العارف
٥- عروبة فلسطين فى التاريخ	محمد أديب العارف
٦- الصراع العربي الإسرائيلى في خرائط	د.خيرية قاسميه
٧- موسوعة فلسطين الجغرافية	قسطنطين خمار
٨- دراسة تحليلية لوثائق الانتداب (حدود فلسطين)	د.محمد محمود الديب
٩- نظرية العمل لاسترداد فلسطين	صبحي محمد ياسين
١٠- هكذا ضاعت وهكذا تعود	نقولا الدر
١١- فلسطين جريمة ودفاع	أرنولد توينبي تعريب عمر الديراوي
١٢- بوابة مصر الشرقية مصر وفلسطين عبر التاريخ	عبد العال الباقوري
١٣- يقظة العرب	جورج أنطونوس ترجمة ناصر الأسدوإحسان عباس
١٤- الفاتيكان واليهود - الصهيونية	محمود لعناعة
١٥- فلسطين والانتداب البريطانى ١٩٢٢-١٩٣٩	دكتور - كامل محمود خله
١٦- تصريح بلفور	د.محمود صالح منسي
١٧- إسرائيليات	أحمد بهاء الدين
١٨- أبعاد المواجهة العربية الإسرائيلية	أحمد بهاء الدين
١٩- قوة اليهود فى أمريكا	جوناثان جولدبرج
٢٠- سلام أمريكي غزة - أريحا	إدوارد سعيد
٢١- سلام بلا أرض أوسلو ٢	إدوارد سعيد
٢٢- الانتفاضة	د.أحمد صدقي الدجاني
٢٣- يهود الدنمة	محمد علي قطب
٢٤- نهاية التاريخ	د. عبد الوهاب المسيري
٢٥- مفاوضات السلام (المسار - الخيارات - الاحتمالات)	برهان الدجانى
٢٦- ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية	وزارة الإعلام هيئة الاستعلامات المصرية
٢٧- بداية الصحوة العربية في مواجهة الغزوة الصهيونية العنصرية	د. أحمد صدقي الدجاني
٢٨- اغتيال التاريخ	حمدان حمدان
٢٩- مكان بين الأمم	نتنياهو
٣٠- تهويد فلسطين	د. إبراهيم أبو لغد ترجمة د.أسعد رزوق

٣١- إسرائيل الكبرى — د. أسعد رزوق
٣٢- العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي ١٩٤٨ — حبيب قهوجي
٣٣- عروبة بيت المقدس — د. اسحق موسى الحسيني
٣٤- القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨ — بيان نويهض الحوت
٣٥- تاريخ القدس — عارف العارف
٣٦- قبل أن يهدم الأقصى — عبد العزيز مصطفى
٣٧- إسرائيل في التصور الأمريكي — محمد السعيد إبراهيم
٣٨- أرشيف الفلكلور الفلسطيني (أربعة أجزاء) — إعداد - نمر سرحان
٣٩- الشعر الحديث في فلسطين والأردن — د. ناصر الدين الأسد
٤٠- المختار من شعر محمود درويش — د. محمد عنالي
٤١- القدس — عبد الحميد الكاتب
٤٢- مشكلات تعليم أبناء فلسطين — موفق ياسين
٤٣- بلادنا فلسطين — مصطفى مراد الدباغ
٤٤- كارثة فلسطين — مذكرات عبد الله التل
٤٥- مذكرات وايزمان — حاييم وايزمان
٤٦- مذكرات مناحم بيجن — مناحم بيجن
٤٧- السلام عليكم — محمود عوض
٤٨- أحلام الصهيونية وأضاليلها — رجاء جارودي
٤٩- كراسات استراتيجية — مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية (الأهرام)
٥٠- العروش والجيوش — محمد حسنين هيكل
٥١- مدائن فلسطين — نبيل خالد الأغا

تابع المراجع والمصادر

١- مقالات وأحاديث وتعليقات وبيانات في الصحف والمجلات
٢- مجموعة إصدارات شئون فلسطين - بيروت
٣- بعض إصدارات الشئون العربية
٤- بيانات وكتب أصدرتها الهيئة العربية العليا لفلسطين
٥- الموسوعة الفلسطينية بأجزائها الستة
٦- إصدارات مركز الأبحاث الفلسطيني (سلسلة كتب فلسطينية)
٧- بعض إصدارات وكتب الجامعة العربية
٨- بعض إصدارات مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت
٩- بعض إصدارات عالم المعرفة - الكويت
١٠- بعض إصدارات مجلة العربي - الكويت
١١- أحاديث أدلى بها مفتي فلسطين (الحاج أمين الحسين)
١٢- بعض المعلومات من شبكة الانترنت

صور تاريخية
لبعض المعلومات فى الكتاب



المؤتمر الاسلامى الذى انعقد اثر ثورة البراق سنة ١٩٢٩
ومن الشخصيات الهامة التى تظهر فى الصورة
١ – الشيخ توفيق الدجاني مفتى يافا ٢ – عمر البيطار ٣ – امين التميمى
٤ –الشيخ عبد القادر المظفر ٥ – الشيخ راغب ابو السعود الدجاني
وترأس المؤتمر الحاج أمين الحسيني مفتى فلسطين الاكبر ويظهر فى يمين الصورة



عقد المجلس الوطنى برياسة مفتى فلسطين الاكبر اجتماعاً خطيراً بغزة فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٨ حضره ٨٥ من أعضائه، وناقش خلاله عدة مسائل كان من أبرزها مطالبة الحكومة الفلسطينية الجديدة بتعبئة جميع قوى الأمة الفلسطينية، والنظر فى الدعوة الى التجنيد العام.

حكومة عموم فلسطين



أحمد حلمي باشا

رئيس الوزراء كان مديراً للأوقاف العامة فى المجلس الاسلامى الاعلى بفلسطين برئاسة المفتى الحاج أمين الحسيني – حضر حرب العراق سنة ١٩١٤ وكان مديراً لتجنيد العشائر العربية وحضر معركة «فوق الاماره» او كوت العماره التى اسر فيها الجنرال طورن مع ١٤ الف جندى بريطانى – وكان احد اعضاء الهيئة التنفيذية الفلسطينية – قبضت عليه السلطات البريطانية ونفته الى جزيرة سيشل – انشأ مع عبد الحميد شومان البنك العربى ثم استقال وانشأ بنك الأمة العربية واختير عضواً فى الهيئة العربية العليا وعين حاكما عسكريا فى القدس من قبل الملك عبد الله ملك شرق الاردن

جمال الحسينى
وزير الخارجية

مجاهد عربى قديم عين سنة ١٩٢١ سكرتيراً للجنة التنفيذية العربية وعندما القى القبض على اعضاء اللجنة سنة ١٩٣٦ تمكن من الافلات وسافر متخفياً الى لبنان وبقى بجانب مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى ونزح معه الى بغداد وبعد ثورة رشيد عالى الكيلانى القى الانجليز القبض عليه ونفى الى روديسيا بجنوب افريقيا وهو رئيس الحزب العربى الفلسطينى الذى يمثل ٩٥ ٪ من سكان فلسطين.

رجائى الحسينى
وزير الدفاع

متخصص فى الاقتصاد السياسى درس فى انجلترا وامريكا وعين مساعداً لمدير المالية فى حكومة الانتداب البريطانية ثم عين مديراً للمكتب العربى فى لندن وانتدب مديراً عاما للمالية فى الهيئة العربية العليا واشترك فى وفد فلسطين لدى هيئة الأمم

د/ حسين فخرى الخالدى
وزير الصحة والمعارف

بعد تخرجه من كلية الطب عين مساعداً لمدير الصحة العامة فى فلسطين ثم فاز فى معركة الرأس لبلدية القدس وانتخب عضواً فى اللجنة العربية العليا سنة ١٩٣٦ ونفى الى جزيرة سيشل ثم انتخب عضواً في الهيئة العربية العليا لفلسطين

يوسف سهيون
وزير الدعاية

من وجهاء مدينة حيفا كان محامياً ناجحاً واشترك فى الحركة الوطنية وكان عضواً بارزاً فى الحزب العربى الفلسطينى ويجيد عدة لغات أجنبية

ميشيل ابكاريوس
وزير المالية

لبناني الأصل ومتخصص في الشئون المالية كان مساعداً لمدير خزانة فلسطين وظل موظفاً فى الحكومة الفلسطينية واختير لهذا المنصب لكفاءته المالية

أمين عقل وزير الزراعة

اصغر الوزراء سناً درس القانون وعين موظفاً في النيابة العامة واستقال واشتغل بالمحاماة وانخرط فى العمل السياسى وعين سكرتيراً للجنة القومية بيافا واشرف على تمويل يافا بالسلاح والذخيرة

على حسنا وزير العدل

درس القانون وشغل عدة وظائف فى عهد الدولة العثمانية ثم حكومة الانتداب البريطانى كان محامياً لامعاً ووطنيا مخلصاً عرف بالنزاهة والاستقامة

عونى عبد الهادى
وزير الداخلية

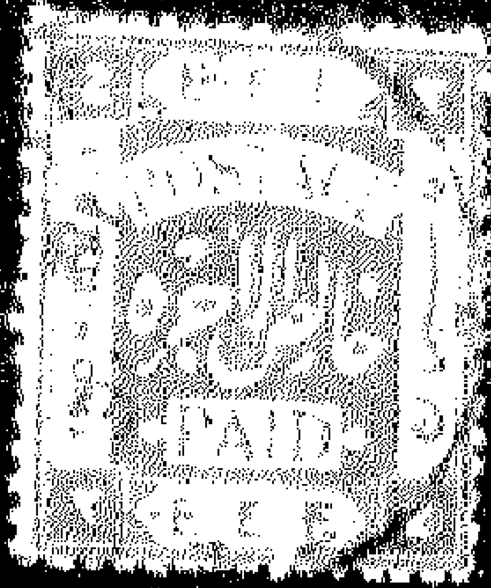
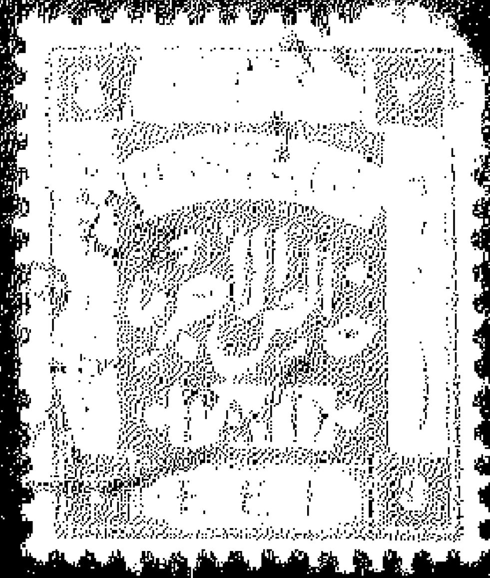
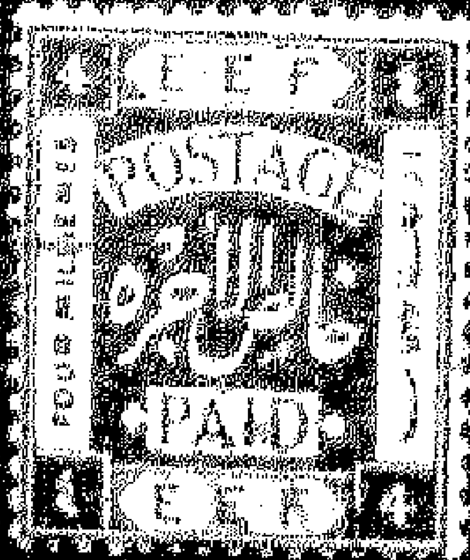
اشترك فى الحركة الوطنية منذ العهد العثمانى وكان عضواً فى الجمعيات السرية اثناء الحكم العثمانى وكان عضواً بارزاً فى جمعيات الشبان المسلمين ثم اصبح رئيساً لحزب الاستقلال العربى وطالب بسياسة اللاتعاون مع حكومة الانتداب اشترك فى الجبهة العربية العليا سنة ١٩٤٦ وترافع امام لجنة التحقيق الانجلواميركية فى القدس



صورة منبر المسجد الأقصى الذى أتى به صلاح الدين الأيوبى من مدينة حلب. ويعتبر من أقدم وأندر المنابر الإسلامية وهو مصنوع من خشب ارز لبنان ومرصع بالعاج والصدف ونقشت عل جوانبه آيات من القران الكريم.
واثناء محاولة اليهود احراق المسجد الأقصى فى ١٩٦٩/٨/٢١ احترق هذا المنبر واتت عليه النيران بكامله.

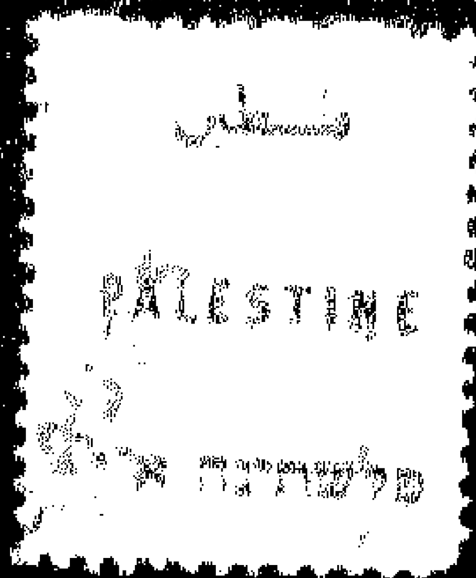


طوابع بريدية فلسطينية


E.E.F
POSTAGE
PAID
E.E.F



E.E.F
POSTAGE
PAID
E.E.F


E.E.F
POSTAGE
PAID

E.E.F
PAID


PAID

PALESTINE

PALESTINE
PAID


PAID

PALESTINE
PAID

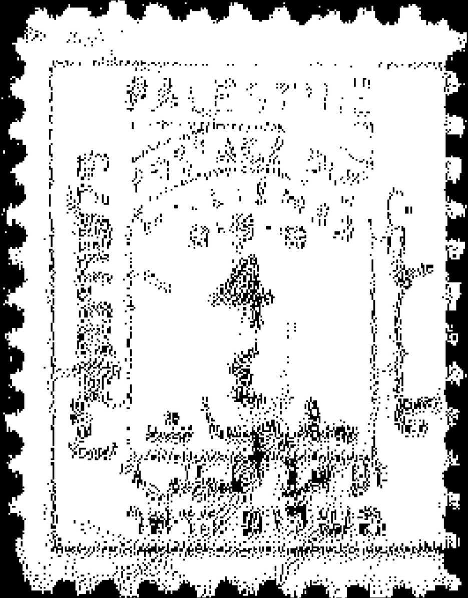
POSTAGE
PALESTINE

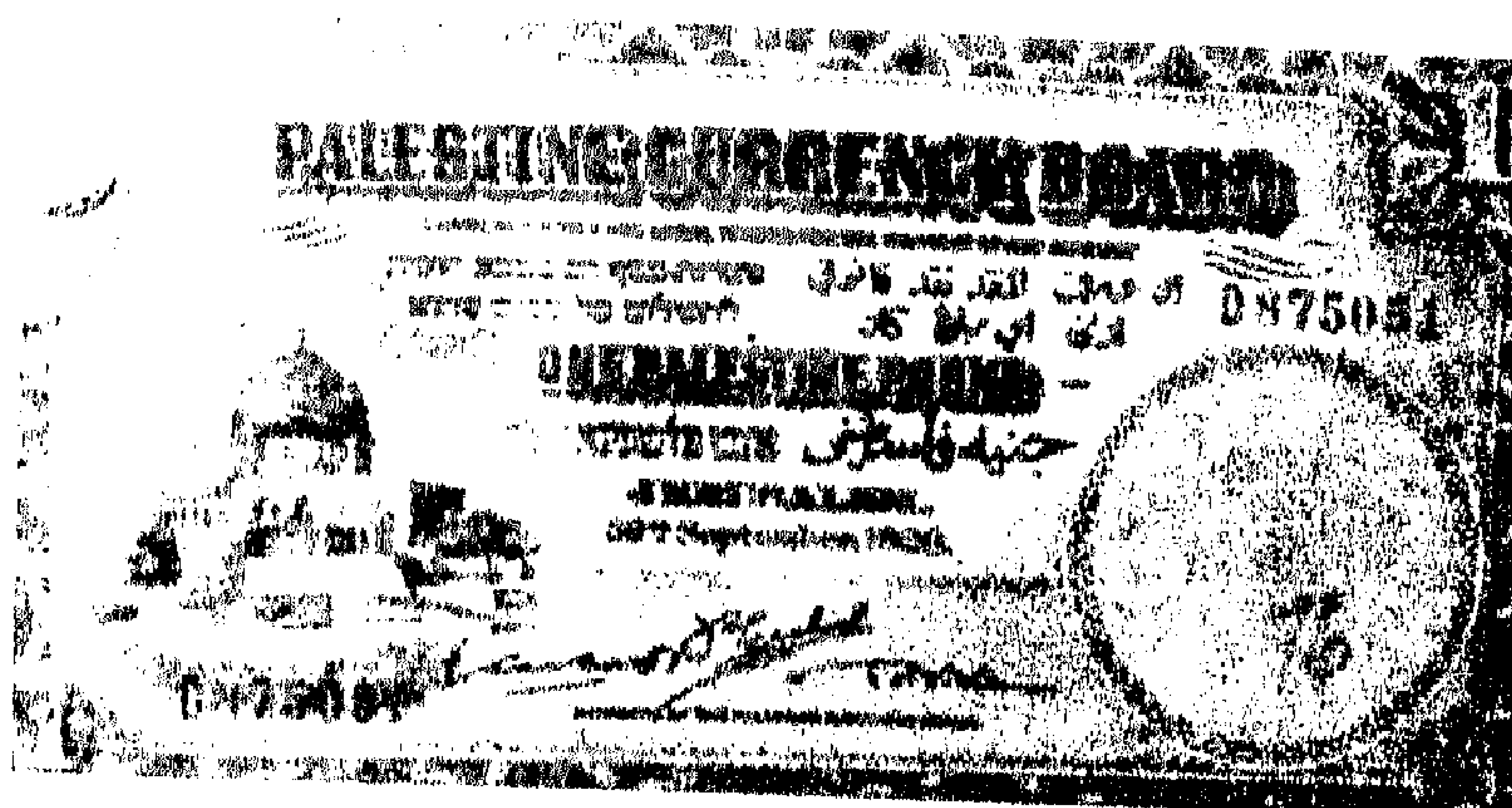


POSTAGE
PAID

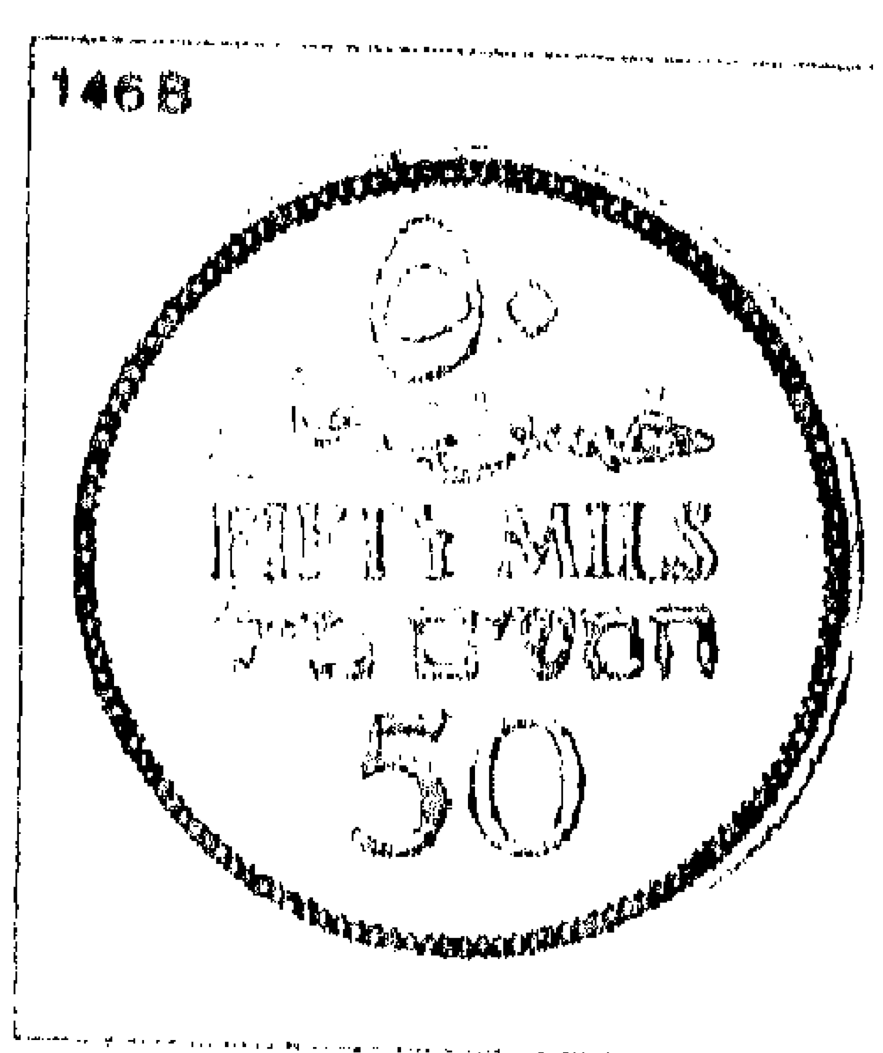


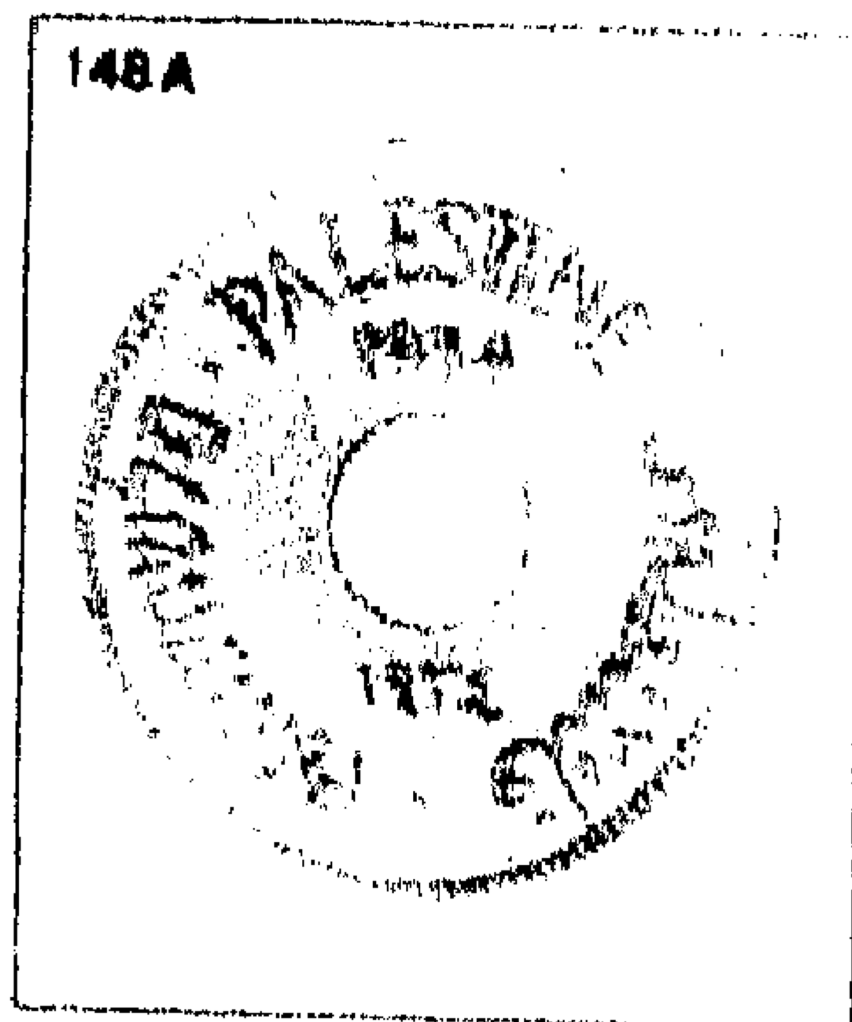
E.E.F
POSTAGE
PAID


E.E.F
POSTAGE
PAID


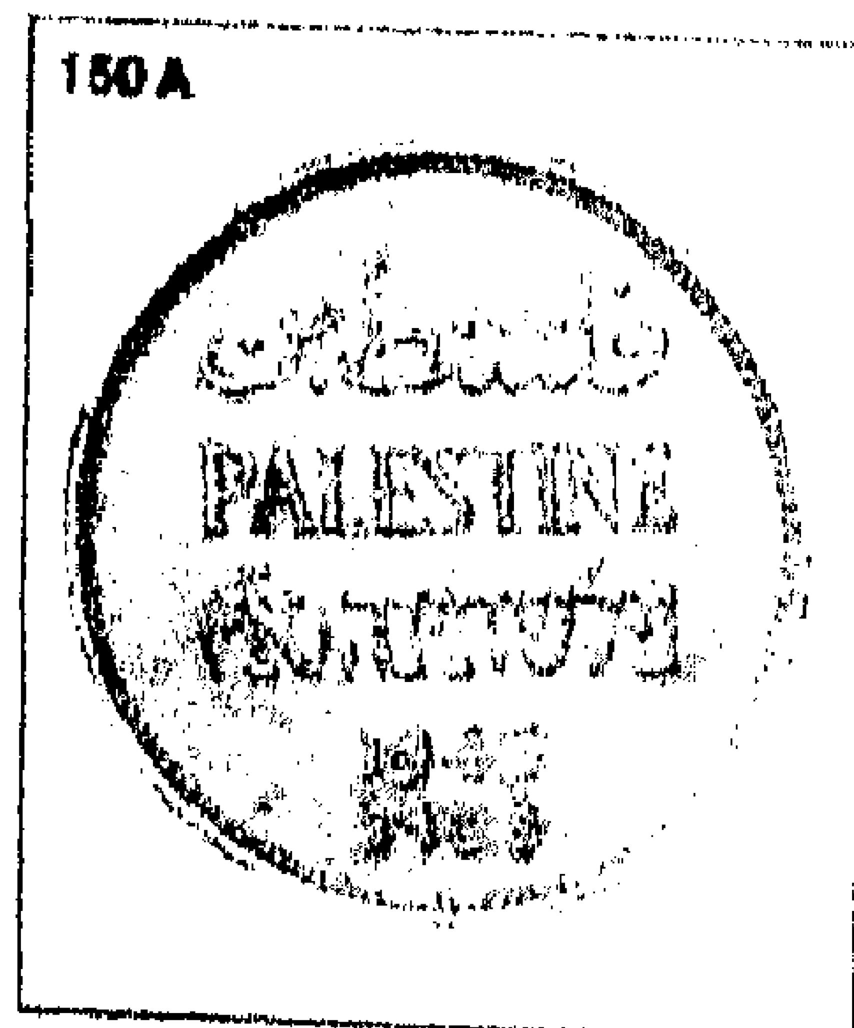














مجموعة من
العملات الفلسطينية

PASSPORT

This Passport contains 32 pages.

Ce passeport contient 32 pages.

يحتوي هذا الجواز على ٣٢ صفحة

PASSPORT
PALESTINE

جواز السفر
فلسطين

PASSEPORT.

No. OF PASSPORT
No. DU PASSEPORT 209189

رقم الجواز

NAME OF BEARER NOM DU TITULAIRE

اسم حامل الجواز

Ahmad Eff. Zaki DAJANI

ACCOMPANIED BY HIS WIFE (Maiden name)
ACCOMPAGNÉ DE SA FEMME (Née)

مصحوب بزوجته (اسم الزوجة قبل زواجها)

children

اولاد

NATIONAL STATUS
NATIONALITÉ

الجنسية

جواز السفر
صادر من المندوب السامي لصاحب الجلالة في فلسطين
نطلب ونرجو باسم جلالته كل من له اختصاص ان يسمح لحامل هذا الجواز بحرية المرور من غير عوائق وبمنح لحامله كل معونة في سبيله وان يبذل له كل ما يحتاج اليه من مساعدة ورعاية

حرر في القدس في اليوم من سنة ١٩

صورة من جواز سفر المؤلف الصادر من حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين

هذا الكتاب

صفحات من تاريخ القضية الفلسطينية يسير معها منذ نهاية العهد العثمانى وبداية الانتداب البريطانى وكيف اخذت الدول الاستعماريه والصهيونية العالمية تنسج خيوطها وتهيىء الجو لسلخ هذه القطعه الصغيرة من الارض عن محيطها العربى وتحويلها فى النهاية الى دوله يهوديه بعد طرد سكانها والقضاء على عروبتها .

اهتم الكتاب بمرحلة الاحتلال العسكرى والانتداب البريطانى على فلسطين منذ سنة ١٩١٧ وشرح كيف حيكت القوانين والانظمه لتهيئه البلاد واعدادها وتسليمها فى النهاية ثمرة ناضجة بيد اليهود .